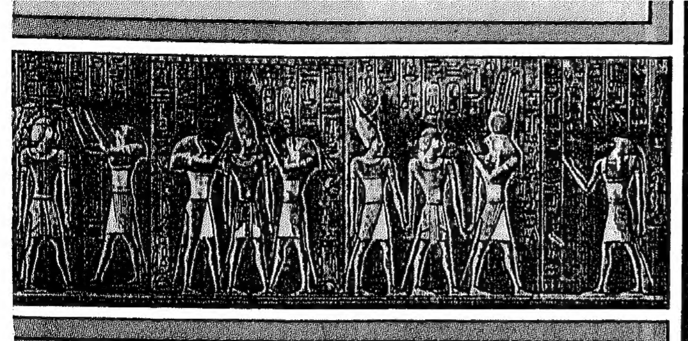
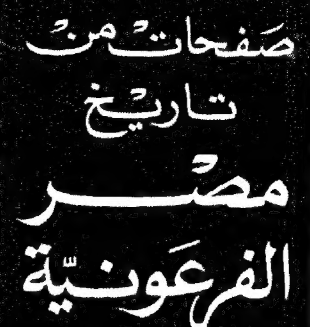
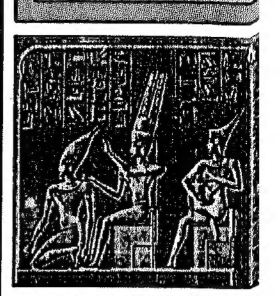
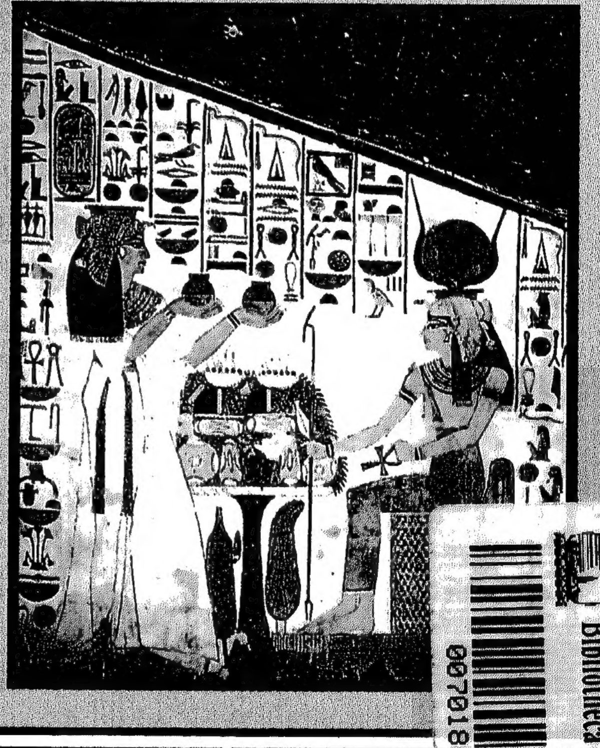
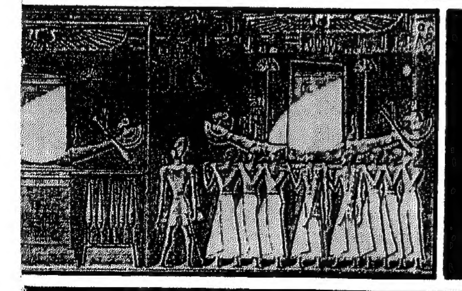



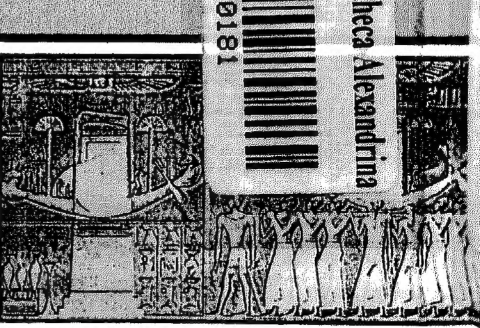



آلهة المصريين

والاس بدج / ترجمة: محمد حسين يونس

الناشر
مكتبة مدبولي
القاهرة



آلهة المصريين

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

الناشـــر

مكتبة مدبولى

ميـدان طلعت حـرب بالقاهـرة - ج م ع

تليفون ٥٧٥٦٤٢١

آلهة المصريين

والاس بدج
ترجمة : محمد حسين يونس

مكتبة مدبولي
القاهرة

مقدمة المترجم

عندما قرأت هذا الكتاب –آلهة المصريين– لأول مرة منذ حوالى عشر سنوات شعرت مع كل صفحة جديدة أننى أرتاد عالماً غريباً رائعاً وأننى أبحر –عكس الزمن– فى مغامرة من مغامرات الخيال حيث يحيطنى من كل جانب كائنات لايمكن أن ينتجها إلا فكر سريالى تجريدى يجعل من الصقور وطيور أبوقردان والقطط والأبقار واللبؤات والقردة وكائنات أخرى لم توجد أبداً أبطالاً لملحمة أسطورية سواء على الأرض أو فى السماء أو العالم السفلى. كائنات لها إرادة وفكر وقدرة وتأثير خلقها البشر ثم قدموا لها القرابين والهدايا ودبجوا من أجلها الأدعية والتسابيح وصلوا لها بأجمل الكلمات لتمنحهم فضلها أو تمنع عنهم أذاها.. عالم مملوء بالأسرار والمخاوف والظلمات والآمال والحب والسحر والخرافة عالم لايصلح إلا لقصص الأطفال أو لابداعات العباقرة. عندما تعودت عليه –بعد ذلك– بهتت مشاعر المغامرة والاندهاش وحل محلها مشاعر الحب –الحقيقى– لأبطاله خصوصاً لتحوت الحكيم الذى ينطق بإرادة الإله ويُنقذ المكروب ويعرف الأسرار والعلوم والفنون ويبنى العالم ويزينه بأجمل الكائنات.. أو حورس الشجاع الذى خاض معارك الفخار معركة تلو الأخرى يحارب الأشرار ويحمى «رع» من الشياطين والمردة والحيوانات المرعبة التى تبغى اغتياله، وفى نفس الوقت يشرف بحب الابن البار على طقوس تحنيط ودفن والده ايزوريس ويتشفع لديه من أجل كل ميت يتأكد من نقاء صفحته ليدخله جناته فى حقول «الإليسيان» أو السلام. ولم أعد أجد غضاضة –مثلى فى ذلك مثل أجدادى القدماء– فى أن تحوت له رأس أبوقردان أو أن حورس العظيم فى حقيقته صقر صغير أو أن حتحور فى النهاية لاتزيد عن أن تكون بقرة.. لقد أحببت ايزيس شكلاً وموضوعاً إيزيس كما

* ايزوريس نطق شائع لأوزيرس.

رسمها أجدادى بجسدها الممشوق الذى يظهر من ثوبها الضيق الملتصق به وأطرافها الرقيقة وأصابعها الطويلة الرشيقة وكما وصفوها كنبع حنان صاف مثابرة حريصة على راحة ولدها وزوجها ذكية وفى بعض الأحيان ماكرة أيضاً عندما دبرت «لرع» مكيدة لتعرف منه اسمه المستور.

أثناء قراءتى الثانية لهذا الكتاب بعد عدة سنين بهرتنى قدرة والاس بدج وبروجيش وماسبيرو ولانزون ومنهجهم العلمى فى البحث والتحليل وسبر غور الطلاسم المكتوبة بلغة أصبحت ــ لتجاهلنا إياها ــ ميتة منذ زمن طويل ودأبهم فى استخراج كل هذه الكنوز من نصوص محدودة نجت من عبث العابثين.

إن علماء المصريات العظام ــ كما هو واضح ــ كانوا الأكثر قدرة على الفهم الحقيقى لخصائصنا نحن المصريين وبذلوا من أجل ذلك الكثير من الطاقة والوقت وأظهروا ذكاء فى تطوير مناهج بحث وأساليب مقارنة وقفت أمامها مبهوراً رغم أن هذا الكتاب مضى على كتابته مايقرب من القرن.

وكأن ألف غمامة قد انزاحت عن بصرى وبصيرتى لأعرف مدى ارتباطنا نحن سكان هذا الوادى فى نهاية القرن العشرين بسكانه منذ اثنى عشر ألف عام.. فعندما قرأت لوالدتى الطريقة التى كان يطرد بها المصريون إله الشر أبيب من مسار «رع» اليومى عن طريق رسم شكل له على ورق البردى ثم وطئه بالأقدام وحرق صوره فى المباخر.. ابتسمت فى خجل فلقد كان هذا بالضبط ماتقوم به لإبعاد تأثير حسد الحاسدين عنا عندما كنا أطفالاً.. نفس العروس الورق ونفس التخريم ونفس مادة «الشبّه» ونفس الطريقة التى تتعرف بها ــ من بقايا الحريق ــ على اسم أو شكل الحاسد الذى تسبب فى ظهور البثور على وجهى أو وجه أخى.

وعندما عرفت مكانة الخنفساء لدى المصرى القديم فهمت لماذا كانت بعض السيدات يضعن فى «المفتقة» الخنافس إلى زمن قريب وربما حتى اليوم.

وتستطيع عزيزى القارىء أن تسوق المئات من الأمثلة المشابهة لتأكيد هذا.. بل أن بعض اسمائنا المعاصرة لايمكن فهم معناها بدون الرجوع للأسطورة المصرية فعائلة بخيت مثلاً وهى عائلة كبيرة فى المنيا أخذت اسمها عن ربة بنفس الأسم

«PEKHIT» والتى كان لها معبد خاص بها منحوت فى جبل قرب بنى حسن بالمنيا وبخيت أو باخت أو بخ تعنى «الذى يخربش» وكان رمزها قطة وحتى الآن عندما نود أن نخيف أحد الأطفال نستخدم اسمها فنقول له: «بخ»، أما «يونسUNAS» والذى يمكن أن ننطق اسمه كما نقول: « unit,univers,unite » ويمكن أن ننطقه أوناس أو ونيس أو أنس وكلها أسماء لازلنا نستخدمها فأسمه مرتبط بمدينة يون أو أون التى تعنى «مدينة الشمس» وترجمها الإغريق إلى هليوبوليس والعرب إلى «عين شمس» كذلك اسم «عشم» الذى يعنى فى اللغة الهيروغليفية الشكل الذى يتبدى عليه الإله ليصبح مرئياً سنجد فى فصول الكتاب شرحاً مستفيضاً له وآدم من «أتم» أو «تم» إله الشمس العظيم وأمين مأخوذ عن أمن أو أمون أقوى آلهة المصريين على مدى التاريخ فإذا أضفنا لهذا كلمات أخرى كثيرة نستخدمها ولانعرف معناها مثل بس وحا وتبات ونبات المأخوذة عن تبات نيترو ــ اس، أو شعور الخوف غير المبرر لدى المصريين من الثعابين واستخدام الرفاعية لكلمات سحرية لإخراجها من جحورها أو وضع خرزات زرقاء للحماية من الحسد أو تعليق جثة تمساح محنط على بوابة المنزل أو الكلمات الهيروغليفية التى نستخدمها فى حوارنا حتى اليوم مثل «ست» التى تعنى امرأة فى اللغة المصرية القديمة فسنعرف مدى ارتباطنا بما كان قائماً على ضفاف النيل منذ عصر ماقبل الأسرات.

إن مستر بدج ومن أخذ عنهم من علماء المصريات العظام أثاروا لدى ــ بمنطقهم الحيادى ومنهجهم العلمى وقدرتهم على الوصول بدأب إلى الحقيقة ــ الاحترام الشديد لمدى قدرة العلم والعلماء على ارتياد الأماكن الصعبة والخطرة فى الفكر الإنسانى وتحليلها.

هذا الاحترام تحول بعد فترة ــ عندما بدأت فى ترجمة الكتاب ــ إلى شعور بالخجل للموقف السلبى وفى بعض الأحيان العائق للفهم الذى تغاضينا به عن دراسة الاسطورة والديانة المصرية القديمة.. فنحن نعرف بشكل أو آخر عدداً من ملوكنا القدماء مثل مينا ورمسيس وأحمس وخوفو وتوت عنخ آمون ولكننا لانعرف بنفس القدر تحوت أو بتاح مليح الوجه أو نفتيز أو حورس بأشكاله.. نحن نعرف تفاصيل متعددة عن نابليون وهتلر وحتى رباعى البيتلز ولكننا نجهل تماماً كل

* يمكن أن ينطق الاسم آتوم فى بعض الترجمات.

ما يتصل بمجمع ألهة هليوبوليس أو طيبة أو سايس أو ثالوث ممفيس أو هيرموبوليس أو أحداث محاكمة الميت أو رحلة قارب «رع» فى التوات «العالم السفلى» أو شكل جنة ايزوريس. البعض منا يتقن اللغة الانجليزية أو الفرنسية وربما الألمانية أو الروسية ولكن من منا يعرف بنفس القدر الهيروغليفية أو القبطية .. وهكذا .. ولأسباب أخرى عديدة أصبحنا نتعرف على تراثنا من خلال كتب مكتوبة بلغات أجنبية وما كتب منها بالعربية سنجده مترجماً عن مؤلفين أجانب.

إن شعور الخجل ـ بسبب تجاهلنا لهذا الكنز الثمين ومعارضته وفى بعض الأحيان تدميره ـ والذى لازلت أشعر به ـ حتى كتابة هذه السطور ـ ليس شعوراً عاطفياً أخلاقيـاً يتسربل بالتحضر والمدنيه ومايشبههما ولكنه شعور له مبرراته العملية الأخرى والتى تتصل بوجودنا الحالى .. فذاكرة شعب مثل شعبنا ـ ذلك المخزن الذى تراكمت فيه أحداث وأفكار وعادات وتقاليد عمرها يزيد عن العشرة الاف عام وشكلت مكونات شخصيتنا الجماعية التى ميزتنا كمصريين لابد ـ إذا رغبنا فى فهم دوافع واقعنا ـ من تحليل عناصرها الأولية .. إننا لن نفهم أنفسنا أبداً مالم نغص فى أعمق أعماق عقلنا الباطن الجماعى ونكشف عن حقيقة هويتنا من خلال تحليلنا لعناصر اللغة المتداولة فعلاً والأسطورة والعادة والطقوس التى نجريها والحدوته التى نحكيها ـ وهو ما أظن أن آخرين يفعلونه بجدية اليوم ـ هذه ليست دعوة شوفونية فالثابت ـ كما سنعرف ـ أن المنطقة التى نعيش فيها ومصطلح على تسميتها بمنطقة الشرق الأوسط تبادل ساكنوها فيما بينهم بشكل واسع ومنذ عصر ماقبل التاريخ وحتى الآن ثقافتهم وأفكارهم وتقاليدهم .. لقد حدث امتزاج وفى نفس الوقت تفرد لديانات وأساطير المنطقة منذ غزا عبدة حورس مصر ونشروا معهم ديانتهم الشمسية فى مواجهة الديانات والأساطير الافريقية التى كانت للسكان المحليين فى ذلك الوقت والمتمركزة حول عبادة أيزوريس فاختلطت الأفكار منذ زمن بالغ القدم حتى لانكاد نعرف ـ كما يقول بدج ـ من أين بدأت الأصول .. إن المقارنات التى يقدمها هذا الكتاب عن العلاقة بين أساطير بلاد ما بين النهرين وأساطير مصر خصوصاً ما يخص منها معركة الخير والشر واضحة وستتضح أكثر مع مرور الوقت إذا أولينا تراثنا الفكرى بعض الاهتمام.

---

* التوات فى بعض الترجمات جاءت دوات.

أرجو من القارىء أن يسمح لعقله بهدنة ـ فترة حياد ـ ليتأمل ما جاء بهذا الكتاب العلمى المبنى على أبحاث جادة ومراجع مكتوبة بلغتها الأصلية دون تصور مسبق عن محاولة الكاتب النيل من هذا أو ذاك من تقاليدنا أو أفكارنا وسيكتشف منفرداً مدى عمق العلاقة التى كانت ـ ولا تزال ـ قائمة بين أفكار شعوب المنطقة خصوصاً مصر والجزء الذى يقع شرق حدودها وسيعرف أننا أمة واحدة تجهل ـ فقط ـ جذورها .. إن التعرف على شخصيتنا المصرية أو العربية أو الأفريقية مرهون أساساً بتحليل مكونات عقلنا الباطن الجماعى من خلال لغتنا وأساطيرنا وعاداتنا وديānاتنا وكل ما يتصل بتشكيل هويتنا المتفردة ـ حقاً ـ عن هوية هؤلاء الذين يطلق عليهم بدج « أريين » .

أخيراً أرجو أن يستمتع القارىء بهذه الوجبة الدسمة التى قدمها منذ قرن تقريباً ١٩٠٣ بلغة انجليزية غاية فى الكمال والجمال عالم وشاعر عظيم أحب مصر وبهرته حضارتها القديمة .. ولقد حاولت ـ قدر جهدى ـ أن أنقل روح هذا العمل فأبقيت على شكل الجمل الطويلة المركبة التى تميزت بها لغة الزمن الذى كُتب فيه هذا الكتاب لأنها أضفت على العمل رصانة تاريخية خصوصاً عندما ترجمت ما نقله المؤلف عن القدماء بلغة فيكتورية غير معتادة اليوم .

أما أسماء الآلهة والأماكن فقد حرصت على تقديمها بالعربية والانجليزية والهيروغليفية عسى أن يجد فيها القارىء المتخصص مالم أره واضحاً فضلا عن أن النصوص الهيروغليفية التى كُتب أسفلها ترجمة عربية حرفية نقلت بشكلها الذى يُقرأ من اليمين لليسار لتتوافق مع الكتابة العربية .

كذلك أقدم شكرى لكل من شجعنى على إنهاء هذه الترجمة وأخص بالشكر السيد الوالد الأستاذ/ حسين على يونس لما بذله من جهد استفدت منه فى مراجعة الترجمة العربية خصوصاً عندما أصر على جعلنا نتكلم عن الآلهة المصرية بصيغة الجمادات على عكس النص الانجليزى والمهندسة فاتن فوزى زوجتى التى بدون عنايتها فى كتابة أصول هذا المخطوط على الآله الكاتبة واهتمامها بترتيب وتصنيف الكلمات الغريبة والأشكال فى أماكنها ما كان من الممكن ظهور هذه الترجمة بهذا الشكل .

المترجم
محمد حسين يونس

مقدمة المؤلف

من بين الفروع المختلفة لعلم المصريات التى درست بعمق خلال الخمسة وعشرين عاماً الماضية لا نجد ما هو عصى على الفهم الكامل وجدير بمزيد من الفحص والاهتمام أكثر من دين وأساطير سكان وادى النيل. هذه العبارة قد ـ تبدو ـ للوهلة الأولى ـ متناقضة مع الكم الهائل من الأعمال والدراسات التى اهتمت بهذا الموضوع وكتبها ونشرها خلال هذه الفترة علماء مصريات وشارحو أديان أكفاء وسيتصور الكثيرون من الذين سيقرأونها أنها شكل من أشكال الاعتذار للفيلسوف الذى سأل أستاذ مصريات بارز سؤالاً ماكراً إلى حدما قائلاً: «هل حقاً كلما درس موضوع المصريات أكثر كلما عرفنا عنه أقل؟».. والسؤال فى شكله العام صحيح تماماً لدرجة أن أى شخص أمين يعمل فى هذا المجال لا يمكنه إلا أن يعترف بأنه فى الوقت الحاضر لا تزال توجد سطور غير واضحة فى بعض جمل كتب الموتى ـ حتى تلك التى تخص ديانات معروفة بشكل أفضل نسبياً ـ وأن هناك الكثير من الإشارات الهامة ذات الطابع المثيولوجى لا نعرف معناها الحقيقى. أسباب هذا عديدة سنذكر أهمها باختصار فيما بعد.

منذ زمن بعيد توقف علماء المصريات عن عادة الاعتماد المطلق على المعلومات التى كتبها مؤرخون أغريق عن الديانة والميثيولوجيا المصرية بعد أن ثبت بالدليل القاطع ـ عندما تمكنا من قراءة النصوص المصرية الأصلية ـ أنه لم يوجد من بين الكتّاب اليونانيين أو اللاتينيين من كان له اليد الطولى فى معرفة المعلومات الصحيحة الخاصة بهذه الموضوعات وأنهم ـ جميعاً ـ قد عجزوا عن استخلاص حقائقها الكاملة سواء عن طريق الكتب المصرية القديمة أو مناقشة الكهنة وهو أمر يجب الا نندهش له لأننا نعرف أن مثقفى الكتّاب اليونانيين كانوا ينظرون لعبادة

الحيوانات فى مصر نظرات رثاء مخلوط بالاستخفاف والازدراء ولم يتعاطفوا أبداً مع تلك العقائد والعادات والشعائر الجنائزية المادية الجامدة التى كانت تقام لإحياء ذكرى الموتى وتقابل منهم بتوقير وتقدير عميق وكان لها فى نفوس تلك الشعوب الحامية مكان عزيز للغاية. كل ما فهمه الإغريق من الديانات المصرية هى تلك الأشياء التى تشترك مع ديانتهم الأرية فى ملمح من ملامحها وبالتحديد كل ما يتصل بتعدد الآلهة والديانة الشمسية أما ما كان سائداً بين سكان شمال شرق افريقيا الأصليين فى عصر ما قبل الأسرات والخاص بعبادات الموت المختلفة أو بالشعائر والطقوس الدينية أو بعقيدة البعث وخلود الحياة فلم يلاحظوها أو يضعوها فى اعتبارهم. والآن تظهر جميع البراهين والأدلة المتيسرة أن الكتّاب اليونانيين والرومانيين كانوا غير قادرين ــ لظروف عرقية ــ على فهم مدى أهمية تلك الشعائر لمن يقيمونها. وحتى عندما اضطر الرومان إلى قبول بعض التجاوزات ــ كما فى حالة البطالسة ــ ليسوسوهم نجد أن هذا قد حدث من أجل أهداف تتصل بطريقة الحكم وأنه كان من المستحيل عليهم فى نفس الوقت أن يقبلوا تمثلها الكامل فى حياتهم. هذه الحقيقة يجب ألا تغيب عن بالنا عندما نتعامل مع ما يسوقه الكتّاب اليونانيون أو الرومانيون من أقاويل عن ديانة وميثيولوجيا المصريين لأنها تظهر مدى سخف محاولتهم لتحقيق تطابق ما بين ديانات كل من الآريين والمصريين.

والآن وبالرغم من أن فك طلاسم رموز نصوص الكتابات الكهنوتية المصرية القديمة واللغة الهيروغليفية قد ساعدنا إلى حد ما على رسم صورة للديانة والميثيولوجيا المصرية المأخوذة عن مصادرها الأصلية إلا أنه يبدو أن علينا أن نناضل طويلاً ضد جهل النسّاخ المصريين القدامى وأخطاء الكتبة المهملين.

ان الأبحاث الحديثة أظهرت أن الناسخين الملكيين فى الامبراطورية الحديثة (١٧٠٠ ــ ٧٠٠ ق.م) كانوا غير قادرين على قراءة الكتابات الكهنوتية ــ التى شكلت أسماء بعض ملوك العصور المبكرة ــ بطريقة صحيحة كذلك يجب الا ننسى أن رجال الدين فى بلاط فراعنة الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانوا ــ أنفسهم ــ يجهلون الكثير من الحقائق المرتبطة بدينهم وميثيولوجيتهم مثلنا ــ الآن ــ تماما. للتدليل على ذلك يكفى الاشارة إلى تلك الشروح المختلفة لبعض مقاطع الفصل XVII من كتاب الموتى المرفقة مع النص. أو إلى التفاهة الطفولية التى

صرّفوا بها أسماء الآلهة وكتبوا بها الشروح المثيولوجية العديدة التى زودوا بها النصوص المنقوشة على بعض حوائط حجرات مقبرة سيتى الأول فى طيبة أو حوائط معبد حورس بهوت فى إدفو والتى تمثل أبلغ برهان ـ على هذا الجهل ـ بحيث نستطيع أن نقول اليوم بثقة أننا يمكننا بسهولة تصحيح هذه الاشتقاقات السخيفة أو الشروح المتهافتة. فإذا كان هذا صحيحاً فيجب ألا نندهش لما وجدناه من أخطاء فى النصوص الدينية لهذا العصر لأنها ترجع لهفواتهم أو لجهلهم. عموماً وبعيداً عن هذه الاعتبارات سنجد أن موضوعات الديانة والأسطورة المصرية تحفها من كل جانب الصعوبات والتى ـ لسوء الحظ ـ لا تقل بالطريقة التى يعالجها بها بعض علماء المصريات.

عدد الآلهة حتى فى زمن حكم الأسرة الرابعة (حوالى ٣٦٠٠ ق.م) كان كبيراً للغاية وبمرور الزمن تضاعف هذا العدد عدة مرات حتى أننا نجد أن نصوص الهرم التى كتبت خلال حكم الاسرات الرابعة والخامسة والسادسة تمدنا بأسماء حوالى مائتى إله وكائن مثيولوجى بينما فى كتاب الموتى النسخة التى نقحها كهنة طيبة (١٧٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م) عددها كان حوالى خمسمائة إله فإذا أضفنا لها أسماء الكائنات المثيولوجية المختلفة التى ظهرت فى كتب العالم السفلى فسيصل العدد الذى كان معروفاً لكهنة الأسرة التاسعة عشر ـ مثلاً ـ فى طيبة إلى حوالى ألف ومائتى إله هذا بدون أن يتيسر لنا فحص جميع النصوص الدينية التى كتبت فى كل المراكز الدينية فى مصر خلال هذه الفترة وإلا كان من الممكن ـ بالتأكيد ـ لو وجدت أن نضيف لها المئات من الآلهة والربات المحلية والكائنات المثيولوجية التى تضمنتها هذه النصوص. وهكذا لك أن تتصور مدى التشوش الذى أصاب عقل المصرى عندما تعامل مع هذا العدد الضخم من الآلهة وهو ما تؤكده النصوص فالمصريون وجدوا صعوبة تماثل ما يعانيه الباحث الحديث فى تصنيف وتبويب أسماء الآلهة. هذا من ناحية العدد فإذا أضفنا له أن خصائص المئات كانت غامضة أو فى الظل لأن العدد الأعظم منها كانت مجرد آلهة إقليمية أدت الظروف إلى أن ينال عدد منها بعض الأهمية الانتقالية ـ نتج عنها تسجيل اسمائها ـ فسندرك مدى استحالة أن يشكّل اللاهوتى المصرى ـ بهذا الشكل ـ نظاماً متماسكاً من الآلهة يشير فيه إلى مكانة وخصائص آلهة الأرض

وآلهة الماء وآلهة الهواء وآلهة القرى وآلهة المدن وآلهة المقاطعات والآلهة القومية والآلهة الغريبة. فإذا كان هذا اللاهوتى قد افتقد – فى نفس الوقت – إلى المادة التى سيعتمد عليها والمنهج الخاص بدراسة الأديان المقارنة فنستطيع أن نقول – بثقة – أن الباحث المعاصر أكثر حظاً من اللاهوتى المصرى القديم.

الدراسة العلمية الحديثة عن الديانة والميثولوجيا المصرية يمكن أن يقال أنها قد بدأت بعد نشر النصوص الكاملة سواء للكتابات الدينية أو لكتب الموتى (بر – ام حيرو) المختلفة التى أصدرها كهنة هليوبوليس وكهنة طيبة وكهنة سايس كذلك بعد نشر الأسفار الجنائزية الأخرى مثل «سفر ما فى العالم السفلى» و«سفر التنفس» و«سفر التغير» والتسابيح والأغانى الاحتفالية لايزيس ونفتيز.. إلخ.

أما المحاولة الأولى لبناء نظام لاهوتى ميثولوجى مصرى – بشكل واسع – من كتابات السكان القدامى الأصلية فقد قام بها المرحوم د. هنريش بروجيش الذى جمع ونشر كماً هائلاً من الحقائق ذات الأهمية العظمى مع ملخص للاستنتاجات التى استخلصها منها فى كتابه «الديانة والميثولوجيا لقدماء المصريين» والذى صدر فى ليبزج ١٨٨٥ – ١٨٨٨. وفى نفس العام الذى ظهر فيه الجزء الأول من أعمال د. بروجيش نشر م. ماسبيرو فى مجلة «عالم الديانات» «REVUE DES RELIGIONS» بحثــاً هاما معنوناً «ديانة المصرين قبيل أهرامات الأسرات الخامسة والسادسة» قدم فيه للعالم بعض نتائج دراسته على «نصوص الهرم» التى تحتوى على أقدم نسخة معروفة لكتاب الموتى بمعنى النسخة الهليوبوليسية.

فى ١٨٨٧ نشر سيجنور لانزون الجزء الأخير من «DIZONARIO -DI- MITOL-OGIA EGIZIE» والتى تعتبر أحد أكثر الدراسات قيمة فى الميثولوجيا المصرية التى كتبت على الإطلاق وتحتوى على أسماء عدد ضخم من الآلهة والأرواح والشياطين.. الخ مرتبة أبجدياً ومرفق بها مجموعة من الرسومات لعديد منها مرسوم بخطوط خارجية بحبر أحمر.

فى عام ١٨٨٨، ١٨٨٩ نشر م. ماسبيرو فى بحثين شيقين فى مجلة «REVUE DE RELIGIONS» ناقش فيهما ونقد أعمال كل من بروجيش ولانزون

وألقى بضوء جديد على الحقائق التى جمعاها. وم. ماسبيرو له الفضل فى أنه كان أول من ناقش الديانة المصرية على أرضية أنثربولوجية (علم التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية) ولقد أثبتت كل الأدلة التى أصبحت متيسرة الآن صحة ماقاله منذ خمسة عشر أو ستة عشر عاماً مضت.

أما بروجيش - ويجب أن نقر بهذا - فقد وضع الديانة المصرية فى مكانه سامقة جداً من وجهة النظر الميتافيزيقية الفلسفية وأتى بأدلة من نصوص مصرية قديمة ترجع إلى عصور متأخرة للغاية - ليتحرر تماماً من نفوذ الحضارة والفكر اليونانى - للبرهنة على قناعاته وإن كان فى الحقيقة قد قرأ فى النصوص المصرية أفكاراً ونظماً دينية وعقائد لم يمتلكها أبدا السكان البدائيون الأصليون فى مصر.

على الجانب الآخر يبدو - لى - أن م. ماسبيرو قد بخس قيمة خصائص الأفكار الروحية لمصريى عصر الأسرات وأنه قد فعل هذا بسبب أن فى الزمن الذى كتب فيه بحثه العظيم عن «الميثولوجيا المصرية» لم يكن علماء المصريات قد اكتشفوا بعد بشكل نهائى الاختلافات القائمة بين عناصر الديانة المصرية فى عصر ما قبل التاريخ وعناصر الديانات الآسيوية التى كانت ذات طابع شمسى - بدون شك - والتى نشرها فى مصر «عبدة حورس» أو «الحدادون» الذين غزوا البلاد وهزموا سكانها الأصليين واستقروا هناك وبنوا حضارة عصر الأسرات العظيمة التى ندعوها مصرية. إن التفسير الصحيح - على ما يبدو - لاختلاف وجهات نظر هذين القطبين العظيمين يرجع أساساً للمكان الذى نظر كل منهما منه للموضوع وسبب تلك الرؤى المتعارضة لاستنتاجاتها.

إن الدراسة المستفيضة للنصوص الدينية والميثولوجية المصرية أقنعتنى بعبث محاولة التوفيق بين الاعتقادات المتعارضة أو التنسيق بين المقولات المتضاربة التى وجدت بها أو اعتبار أن الديانات المصرية كانت دائماً «واحدة فى أساسياتها وتطورها وامتداداتها» إن ما يجب عمله قبل كل شىء هو تحليل مكوناتها الأولية ثم إعادة تصنيفها وتبويبها وتنظيمها وارجاع عناصرها المختلفة إلى مصادرها الأصلية سواء فى ذلك كانت الأفكار الروحانية أو العقائد التى كدسها المصريون فى عقولهم وتضاربت معاً فى كتاباتهم الدينية. أكثر من هذا يجب أن تدرس على ضوء

ما يقدمه لنا علم مقارنة الأديان كل هذه العناصر ويوجه اهتمام مناسب لتجميع الأدلة الهامة الخاصة بالموضوع والتى يمكن أن تُستخلص من الآثار الباقية من عصر ما قبل الأسرات والأزمنة الموغلة فى القدم والتى لم تكتشف خلال السنين القليلة الماضية .

السكان البدائيون ـ بدون شك ـ كانوا ينتمون إلى نوع ضخم من البشر الذين يسكنون شمال شرق افريقيا ويحملون جميع صفاتهم الطبيعية والذهنية وهم فى تلك الأزمنة كانوا متوحشين يعيشون ويموتون كما يحدث لباقى المتوحشين فى مناطق العالم الأخرى .

هؤلاء السكان لم يكن لديهم تصورات دينية ـ بالمفهوم الحديث للكلمة ـ من أى نوع وربما كانوا يتخيلون أن الأشياء الحية أو الجامدة التى تحيط بهم لها طبيعة مماثلة لطبيعتهم .. فى فترة تالية أسكنوا الأرض والهواء والسماء والماء بكائنات ذات أشكال وصفات مختلفة وقدسوها ثم عبدوا الكثير من الأحجار والأشجار والأحياء باعتبار أن تلك الكائنات كانت تسكنها .. بعض هذه الكائنات ـ كُتِبَ لها ـ أن تكون صديقة للإنسان والأخرى كانت باغية .. والمصريون كانوا قانعين بأن باستطاعتهم ـ عن طريق الهدايا والقرابين ـ أن يُؤمنوا لأنفسهم استمرار صداقة الأولى ودفع أذى الأخيرة .. الكائنات الصديقة بمرور الوقت أصبحت آلهة أما الباغية فقد تم تصنيفها على أساس أنها شياطين وبالتالى نستطيع أن نتصور أن الطقوس التى أقامها المصريون البدائيون من أجلها ـ والتى كانت فى أساسها ذات صبغة سحرية ـ والابتهالات التى تلوها كان لها أسبابها المادية والتى تتصل أساساً بما وضعه المصرى نصب عينيه دائماً من المحافظة على الذات وتحقيق مصلحته الشخصية .. وهكذا كان السحر فى مصر البدائية يمثل البشير لظهور فكرهم الدينى .

عندما كشف العصر الحجرى لنا ـ عن خباياه لأول مرة وجدنا أن المصرى كان يعتقد ـ فى ذلك الزمن فى حياة ما بعد القبر وأن هذه الحياة كان لها طابع مادى بدليل وضعهم للطعام فى المدافن مع موتاهم وفصلهم لرأس المتوفى وقدميه عن جسده ليؤمنوا لأنفسهم منع الميت من العودة للحياة ومطالبتهم بما وضعوا أيديهم عليه من ممتلكاته ومنازله وزوجاته وأشيائه النافعة . أما الديانة المصرية وطقوسها فى تلك الفترة فلا نعرف عنها شيئاً كل ما نستطيع أن نجزم به هو أن أهدافها

ــ كان لابد وأن تكون ــ تأمين تجديد الحياة بعد الموت وضمان أن يستمتع المتوفى فى عالمه الجديد بحياة ممتلئة بالمباهج الشهوانية والمسرات ــ ولاشك ــ فى أن فكرة البعث بعد الموت والخلود بهذه الطريقة قد غُرست بعمق فى عقول السكان المحليين فى زمن يبعد كثيراً عن بداية عصر الأسرات.

ديانة إيزوريس ــ الإنسان الميت الذى عُبد فى مصر منذ عصر ماقبل الأسرات وحتى زمن البطالسة ــ كانت فى أول أشكالها ديانة افريقية بالكامل وبالتالى تعتبر ــ بدون شك ــ أقدم ديانات المصريين وعناصرها تمثل أقدم عناصر ديانات عصر الأسرات وأكثرها استمراراً حتى أن عبدة حورس الذين جاءوا بالديانة الشمسية معهم إلى مصر من الشرق لم ينجحوا أبداً فى زحزحة ايزوريس عن مكانته المرموقة.

ديانة ايزوريس ــ كما هو ثابت ــ صمدت بدون حدود ــ رغم عدم تناسب القوى ــ لنفوذ كهنة « رع » الطاغى وعبدة « أمون » والمتعلقون « باتون » وقاومت اختبار كل منهم لها على التوالى فى طول البلاد وعرضها.

سبب ذلك يرجع إلى أن جنة ايزوريس ــ كما كانوا يعتقدون ــ كانت قائمة فى مكان حيث الحقول خصبة ومزودة بالكثير من الماشية ومتوفر بها اللحم والشراب بكثرة ومسكن الأبرار بها كان نموذجاً لوطن المصرى الأصلى المريح الذى عاش فيه حياته الأولى والذى كان يأمل أن يمضى فيه حياته الثانية مع زوجاته ووالديه حيث ينعم ــ هناك بالخير الوفير.

فى حين أن على الجانب الآخر اعتقد عابدو « رع » إله الشمس فى سماء لها طابع أكثر روحانية وكان أملهم الأعظم هو أن يحتلوا مكاناً فى قارب « رع » ويكتسوا بحلة من النور ويسافروا إلى أى مكان يرغبون فيه.. لقد كانت أقصى رغباتهم تتركز فى أن يصبحوا أرواحاً لامعة مشعة ويقتاتوا على اللحم السماوى النورانى ويعتمدوا فى شرابهم على الأشعة التى تمنح الحياة لكل مايعيش.

جنة أيزوريس المادية لاقت استحسان الجموع فى مصر أما سماء « رع » فكان لايؤمن بها إلا كهنته أو كهنة أى إله شمسى والعائلات المالكة والارستقراطية الحاكمة وأعضاء الجالية الذين لهم أصول شرقية.

---

* آمون نطق سائد لأمن. * آتون نطق سائد لأتن.

الموجات المختلفة من الأفكار والمشاعر الدينية التى فاضت على مصر خلال الخمسة آلاف عام من تاريخها المعروف لنا لم تستطع أن تشوش عبادة أيزوريس لأنها العبادة التى حققت آمال الشعب فى البعث والديمومة بشكل لم تقدمه له أى ديانة أخرى, مؤمنة فى هذه الآمال مطالب العامة فى إحداث التغيرات والتطويرات المختلفة ــ باتزان ــ للأفكار الدينية فى بلدهم مع تعديل العبادة العامة للآلهة بشرط عدم إعاقة الأعياد أو الشعائر الدينية أو تحريكها إلا قليلاً.

الملوك والكهنة من وقت لآخر حاولوا امتصاص عبادة ايزوريس فى أنظمتهم الدينية ذات الطابع الشمسى ولكن عادة ما كان ينتصر عليهم ايزوريس الإنسان ــ الرب. حتى عندما اختفت فى النهاية ديانته أمام ديانة المسيح الإنسان نجد أن المصريين لم يرحبوا بهذه الديانة إلا لأنهم وجدوا أن النظام الفكرى للعبادتين القديمة والحديثة متماثلان وأن بكل منها وعد بالبعث والخلود بحيث نقلوا ــ بدون مشقة ــ وفائهم من ايزوريس إلى مسيح الناصرة. أكثر من هذا أن ايزيس وابنها تحولت لديهم ــ بشكل مباشر ــ إلى مريم العذراء وابنها وأضفوا عليها جميع خصائص ايزيس والربات الأخوات لها وهكذا نجد فى بعض الكتب الدينية ــ المشكوك فى صحتها ــ والتى صدرت فى القرون الأولى التى أعقبت التبشير بالمسيحية فى مصر العديد من الجمل ــ هنا وهناك ــ التى تذكر ايزيس وحزنها عندما تُذكر أم المسيح أو التى تربط بينها وبين الربة نيت سايس والتى يقال أنها كانت لها بعض الخصائص العذرية. حتى آباء المسيحيين الأوائل أطلقوا على السيدة مريم لقب »ثيوتوكوس« «THEOTOKOS» أى أم الإله ناسين تماماً أنه كان لقباً معروفاً وقديماً جداً للربة إيزيس.

على أى حال ــ من الهام ــ ألا نعتبر هذا العمل محاولة لتتبع تأثير الديانة المصرية القديمة والعقائد الميثيولوجية على الديانة المسيحية لأن مثل هذا العمل إذا تم فسوف يملأ أعداداً ضخمة من المجلدات.

مما سبق شرحه فى الصفحات السابقة تظهر الخطة التى اتبعتها فى تجهيز الكتاب بجزئية. ففى فصل الافتتاح حاولت شرح المعتقدات الدينية التى آمن بها المصريون الأوائل فى عصر ما قبل التاريخ وكيف نمت الأفكار التالية عن الآلهة والله وكيف تأثرت بها بعد ذلك الديانة المكتوبة والمرسومة على حوائط المعابد وورق البردى فى عصور الأسرات.

ثم بعد ذلك أخذت فى الاعتبار بحجم معين المنطقة المتعارف على تسميتها «بالجنة» أو المنطقة الأخرى التى يطلق عليها «العالم السفلى» وساكنيها ثم أعقب هذا الجزء أسطورة لرع و«حكاية» رع وايزيس كذلك «حكاية» افناء الجنس البشرى مع تقديم النصوص الهيروغليفية الخاصة بهذه الأساطير والحكايات مزيلة بترجمة حرفية بحيث يستطيع الدارس أن يعدل من أجل نفسه ما شرحته تعقيباً عليها.

أما فيما يخص الآلهة الثانوية والشياطين التى لم يعرف عنها أكثر من اسمائها فقد قدمت قائمة بتلك الأسماء فقط. آلهة مصر العظام تم تجميعها ــ قدر المستطاع ــ وتم مناقشتها بالارتباط مع مراكز الديانات المختلفة التى تنتمى لها مثل بتاح وسيخت وأمنحتب ثالوث ممفيس أو آمون وموت وخينسو ثالوث طيبة أو مجمع هليوبوليس الكبير.

عموماً الجزء الأول من هذا العمل يتعامل مع أقدم وأكبر الآلهة وثوالث آلهة مصر، والجزء الثانى يهتم بآلهة هليوبوليس التى من بينها يمكن أن نذكر ايزوريس والآلهة التى تدور حول الأعمال الجنائزية.

الأدعية أو التراتيل أو الصلوات المخصصة للآلهة تم اقتباس أجزاء منها بشكل عابر لأنها تشير بوضوح إلى وجهات النظر المختلفة التى اعتنقها المصريون بخصوصها.

وفى الفصل المعنون «بآلهة متنوعة» سنجد قوائم عديدة للأشكال المختلفة للإله حورس وآلهة الأيام والشهور والرياح.. الخ التى جمعتها عن الدكتور بروجيش. المراجع الأساسية التى ذكرت فى هذا الكتاب والمؤلفون سواء القدامى أو المعاصرون سنجد اشارة عنها أسفل صفحات الكتاب أما معظم رسوم الآلهة والتى تظهر فى لوحات ملونة (بالجزء الثانى) فقد تم أخذها عن برديات أو توابيت.. الخ ولكن المرسومة بخطوط خارجية بسيطة فإننى أدين بها لسيجنور لانزون والذى ذكرت كتابه من قبل.

---

* بتاح تنطق بتشديد التاء.

ولقد نُصحت بأن تطبع الرسومات الخاصة بالآلهة المأخوذة عن البرديات على ورق له لون البردى وتحاط كل منها بإطار خارجي ملون ـــ وللحقيقة ـــ أفضل هذا لأنه كان الطريقة التى حرص عليها كل الفنانين المصريين فى كل العصور.

أقدم شكرى لكل من ريجنلد لاك وايساك من شركة السادة جيلبرت وريفجتون وللسيد ج . أى. هاى والسيد أف ـــ راينر وطاقمه للاهتمام والحرص الذى طبعوا به هذا العمل.

اى . ايه . ولاس بدج
E.A. WALLIS BUDGE.

لندن سبتمبر ١٩٠٣.

الفصل الأول

الآلهة فى مصر

أكد المؤرخ اليونانى «هيرودت» ــ بطريقة يبدو منها بوضوح أنه كان يسجل اقتناعاً راسخاً فى ذهنه وأنه لم يكن لديه أدنى شك فيما يقول ــ أن اهتمام المصريين الزائد ــ والذى يصل إلى درجة الوسوسة ــ بكل الأمور المتصلة بالعقيدة قد جاوز كل المقاييس. وقد بنى حكمه هذا من واقع ملاحظاته الشخصية لمدى الحرص الذى يؤدون به طقوس عقائدهم والتى تهدف فى جوهرها إلى عبادة الآلهة .. كذلك من الطاعة التى يظهرونها للكهنة الذين ينقلون لهم ما توحى به هذه الآلهة من فروض وأوامر.

ورغم أنه كان واعياً تماماً بأن المصريين قد عبدو عدداً ضخماً من الحيوانات والطيور والزواحف بجدية واهتمام أدهشت كل من خالطهم من اليونانيين ــ إلا أن كلماته لم تحمل أى طابع للاستهجان ــ كما حدث من جوفينال * مثلاً ــ لأن هيرودوت حدس أن خلف هذه الأعمال الحمقاء تماماً والعبادات السالبة للعقل تكمن جدية تدل على إيمان راسخ ومحكم يستحق احترام المفكرين.

والمصريون إذا تصورنا أنهم الأمة الوحيدة فى العالم القديم التى إهتمت اهتماماً تجاوز ــ كل المقاييس ــ بأمور دينهم نقع فى خطأ ونظلمهم فمعاصرونهم من البابليين والسوماريين والساميين اهتموا أيضاً بأمور الدين وكانوا مؤمنين مخلصين لآلهتهم وأسسوا نظماً دينية غاية فى القدم والتركيب. ولكن ما يجعلنا نتصور أن

---

* مؤرخ رومانى قديم.

المصريين كانوا أكثر اهتماماً عن جيرانهم بأمور العقيدة ـ مما جعلهم يحملون دائماً سمات الأمة فائقة التدين ـ هى تلك الآثار التى قدمت الأدلة ـ ومنذ العصور المبكرة وحتى عهد متأخر من تاريخهم ـ على أنهم قد خصصوا للاحتفالات الدينية وتنفيذ الفروض العقائدية المتصلة بعبادة الأرباب قدراً عظيماً من الوقت الذى امتص طاقة الأمة فإذا أضفنا إلى ذلك الاحتفالات الجنائزية وطقوس تخليد الموتى التى يؤدونها فى المدافن فإننا لابد وأن نعذر الزائر العابر لمصر ـ والذى لم يستطع أن يغوص فى الأعماق ـ عندما يعلن أن المصريين أمة من الرجال المستنزفين كلية لعبادة الحيوانات وأداء طقوس الموت.

ومع ذلك فالمصريون عملوا وفقاً لمنطق متماسك.. فهم قد آمنوا بكونهم أمة مقدسة ملوكهم آلهة متجسدة خاصة المتقدمين منهم ـ الذين أكدوا على كونهم ـ آلهة حقيقية أبت أن تعيش فوق الأرض وتسعى مختلطة بالإنسان.

وهو أمر يجعلهم مختلفين عن الأمم القديمة التى قنعت فى الأغلب بأن قدرة آلهتهم قد أوجدتهم فى الحياة بينما اعتقد المصريون أنهم كانوا نسل الآله الأكبر الذى خلق الكون وأنهم جاءوا من صلبه مباشرة.. وأن الآلهة عندما أمسكت عن الحكم على الأرض بأشخاصها أخلفت من بعدها أنصاف آلهة التى بدورها جاء بعدها من تجسدت أرواح السلف الصالح فيها وتلك تبعها الملوك الذين احتفظوا بطبيعة إلهية وسجايا خاصة.. وبالتالى عندما يموت جسد الملك فالطبيعى أن يرحل الجزء الإلهى منه ـ أى روحه ـ ليعود إلى أصله ويسكن مع الآلهة.. ويتحتم ـ طبقاً لهذا ـ على البشر الذين يعيشون على الأرض عبادته كرب من الأرباب ـ ولكن ـ للحصول على هذه النتيجة السعيدة كان لابد من إقامة شعائر معينة.. كتلاوة كلمات مناسبة فى وقت محدد وبنغمات ونظم محفوظة من قبل وإقامة طقوس فى المقابر فى مواسم بعينها ـ حيث تقدم الالتماسات والقرابين للآلهة ـ كذلك إقامة الصلوات من أجل المتوفى.. وهى شعائر كانت فى بدايتها ضرباً من السحر وبمرور الأيام شاركتها الطقوس الدينية فأصبح جانباً منها سحراً والجانب الآخر عبادة.

إن عبادة الآلهة ــ ومنذ العصور المبكرة ــ مضت فى مصر جنبا إلى جنب مع تأليه الملوك والشخصيات الحاكمة الأخرى حتى أننا يمكننا أن نعتبر أن عبادة الحكام الراحلين عن الحياة قد حازت بشكل أو آخر على نفس القدر من الاهتمام والقداسة اللذين كانا لعبادة الأرباب.. فالمصريون تصوروا أن مصر كانت أرضاً للآلهة كما هى للإنسان وكان على سكان البلاد توقير هذه الآلهة وتقديسها أينما حلت وهو الأمر الذى استغرق جزءاً ذا وزن من وقتهم أمضوه فى عبادة الكائنات المقدسة وأسلافهم الذين رحلوا لأرض الآلهة.

إن المصريين كانوا قوماً من نوع خاص ــ فيما يتصل بالدين وكل ما يحيطه ــ فلقد أظهروا تشبثاً بالعقيدة وتحفظاً فى كل العصور ميزهم عن جميع الأمم القديمة الكبرى وسبب لهم شهرة خاصة بين المهتمين بالديانات.. ليس بسبب عباداتهم فقط وإنما لتعدد وتنوع أربابهم غير المسبوق.. لقد عبدوا حيوانات وطيوراً وأسماكاً وزواحف ــ فى كل الحقب ــ وأضافوا لها عبادة قوى الطبيعة الكبرى وكائنات عديدة أسكنوها السموات والهواء والأرض والسحب والشمس والقمر والنجوم والماء لتصورهم ومنذ عصور ما قبل التاريخ ــ مثلهم فى ذلك مثل جميع الأمم نصف البدائية ــ أن كل ظواهر الطبيعة المختلفة هى نتاج لاعمال كائنات أخرى فى أغلبها غير صديقة للإنسان.. فإذا زاد الماء فى النهر وفاض على القرى وأهلك الماشية ودمر مخزون الحبوب كان ذلك بفعل قوى غير مرئية وغير صديقة.. أما إذا ارتفع فقط إلى الحد الذى يسمح لهم برى أرضهم التى جهزوها للزراعة فإن ذلك يكون إما بفعل قوى صديقة أقوى من تلك التى سببت الدمار فأوقفت قواها العدائية أو لأن روح النهر فى هذه المناسبة بالذات راضية عنهم.. لقد اعتقدوا فى وجود أرواح للهواء والجبال وللجداول والأشجار وكلها كان من الممكن استعطافها بالهدايا وتملقها ومداهنتها بالتبرعات لتحميهم وتهتم بما يطلبون.

إن من سوء حظ المصريين ــ قد يكون ذلك بسبب فقر تعبيرهم أو عدم مرونة لغتهم ــ أنهم جمعوا جميع الحيوانات والأرواح والكائنات الحية جنباً إلى جنب مع قوى الطبيعة ووصفوها جميعاً بكلمة «نيتر» «NETER» والتى يمكن بقليل من

التجاوز وعدم الدقة أن نترجمها لكلمة «آلهة» ــ رغم علمنا أنهم ومنذ فجر التاريخ ــ وإن لم يكتبوا هذا بوضوح بيّن ــ قد فرقوا بين الآلهة الكبيرة والصغيرة وبين تلك الصديقة والأخرى الباغية ــ حتى عندما ساد إدراك أسمى بالتوحيد بين الكهنة فى عصر الأسرات اضطر الواصف أن يسمى كلا من الله والكائنات الأدنى التى اعتقدوا أنها تحمل قدراً من القداسة بإسم واحد هو نفسه «نيتر» فى حين أن الأمم القديمة الأخرى استطاعت أن تتخلص من هذه التعددية ــ للكائنات المقدسة ــ باستنباط أنواع كثيرة من الملائكة منحوا لكل منها اسما وجعلوا لها مهاماً مختلفة مرتبطة بخدمة الإله.

وكمثال نجد فى القرآن أن الله قد صنع الملائكة وجعلها رسله للبشر وزود كلا منها بزوجين أو ثلاثة أو أربعة أزواج من الأجنحة طبقاً لدرجتها وأهميتها.. وأن كبير الملائكة جبريل ــ الذى رآه النبى محمد ﷺ ــ كان له ستمائة زوج من الأجنحة.

وفى الإسلام للملائكة مهام متنوعة وعديدة فالتى تدير جهنم تسعة عشر ملاكاً.. والتى تحمل عرش الله فى يوم القيامة ثمانية أخرى. وهناك عدد من الملائكة عليها أن تمزق الأرواح الشريرة وتخرجها من الأجساد بعنف بينما تقوم أخرى بقبض الأرواح الخيرة برفق وكياسة.

وفى الإسلام يصاحب كل إنسان على الأرض ملكان أحدهما على اليمين ليدون الحسنات والآخر على اليسار للسيئات وهما يظهران معه يوم القيامة أحدهما سيقوده إلى المحاكمة والآخر سيحمل البينات سواء له أو عليه.

والملائكة بالنسبة للفقهاء الإسلاميين خُلقت من الضوء ــ النور ــ وقد وهبت الحياة.. والحديث والسببية وهى غير قادرة على فعل المعاصى ولا توجد لديها رغبات شهوانية.. وهى لا تتناسل ولا تتحرك عن هوى أو غضب وطاعتها لله مطلقة طعامها الاحتفال بمجده وعظمته وشرابها إظهار قدسيته وحديثها ذكر الله وسعادتها فى عبادته.

والملائكة لها رؤساء أربعة .. ميكائيل وجبريل وعزرائيل واسرافيل . الذين يتمتعون بقدرات خاصة ويوكل الله إليهم مهاماً بعينها .. هؤلاء الأربعة أفضل من الجنس البشرى كله فيما عدا النبى والرسل وإن كانت الطبيعة الملائكية مقيدة لتصبح أقل درجة من الطبيعة البشرية فالملائكة مأمورة بأن توقر آدم .

مما سبق ــ ومن ملامح أخرى يمكننا الاستشهاد بها ــ نجد أن الملائكة فى الدين الإسلامى تملك فى العموم نفس صفات الآلهة المصرية الدنيا .. فإذا كان العديد من أفكار العرب ــ بدون شك ــ قد تم استعارته من العبرانيين وكتاباتهم التى ورثوا الشطر الأكبر منها عن أسلافهم الأقدمين ــ فسنعرف مدى تأثر كل ديانات المنطقة بعضها ببعض فى هذا الخصوص .

وقريباً جداً من التصورات الإسلامية سنجد أفكاراً أكثر قدماً عند السوريين الذين ابتكروا نظاماً خاصاً بالملائكة مبنياً على تقسيمها إلى تسع طبقات وثلاث مراتب عليا ومتوسطة ودنيا .

والمرتبة العليا تضم الشاروبيم والسيرافيم (وهى نوعان من الملائكة) وحملة العرش . أما فى المتوسطة فسنجد الأرباب وذوى القدرة والحكام . والمرتبة الدنيا لا تضم إلا رؤساء الملائكة وصغارها التى تقوم على خدمة المخلوقات وتتلقى الوحى ممن سبقها فى المرتبة .

ولجبريل من بينها منزلة خاصة فهو الأقوى والأعلى وهو حلقة الأتصال بين الله ومخلوقاته وله هو ورؤساء الملائكة ــ التى كانت توصف فى هذا النظام بذوى الحركة السريعة الفعالة ــ سيطرة كاملة على الكائنات الحية جميعها ــ فيما عدا الإنسان ــ وذلك عن طريق الملائكة المتحركة دائماً فى كل مكان والتى لديها معلومات سماوية عن كل ما هو كائن فوق الأرض أو فى السموات .

لقد جاءت ملائكة السوريين أيضاً تحمل نفس صفات الآلهة المصرية الدنيا فهم قد اقتبسوا بشكل واسع من كتابات العبرانيين الذين تلعب الملائكة دوراً بارزاً فى نظامهم الدينى .

وآلهة المصريين الدنيا تلك التى نبع بعضها من النار والبعض الآخر من الماء أو الريح والذين جسدوا فيها قوى الطبيعة وعبدوها سنجد أنها كانت تعانى من عديد من نقائص الكائنات الفانية وكانوا يعتقدون أنها تشيخ وتموت.. نفس الأفكار سنجدها ــ إذا رغبنا فى المقارنة ــ عند المسلمين والعبرانيين فالأولون ملائكتهم سوف تتلاشى فى السماء ويختفى مقرها يوم الدين أما الآخرون فيرون أن مرتبة من المرتبتين الأعلى من الملائكة ــ تلك التى خُلقت فى اليوم الخامس للخلق ــ فانية فى حين أن المخلدة هى تلك التى تم خلقها فى اليوم الثانى فقط.

والملائكة لدى العبرانيين مصنفة إلى عشر طبقات أى ــ الأرليون والأيشيون والبنى الهيون والملائكيون والاشمليون والتارشيشيون والشيشانيون والكريوبيون والاوفانيون والسيرافيون ــ وتتوزع بينها المهام فى السموات والأرض التى يأمرها بها الرب تبعاً لمكانتها وأهميتها وبذلك أصبحت المنفذة لإرادة الإله.

إذا قارنا بين الممرات فى أدبيات التلمود ــ والتى تصف هذه الأشياء وأخرى شبيهة متعلقة بالملائكة والأرواح.. إلخ من أساطير العبرانيين ــ والكتابات المصرية فسنجد أن كلا من المصريين واليهود قد طرح أفكاراً عديدة مشتركة وأن كل الأدلة تبرهن على أن العبرانيين قد استعاروا منذ العهود المبكرة من المصريين.

أما المصريون فلم يقدموا لنا أرباباً من آسيا الغربية فى مجمعات الهتهم إلا فى أزمنة متأخرة من تاريخهم وكان عددها محدوداً ولم يكن لديها التأثير لتعديل الملامح العامة لدياناتهم أو عباداتهم.

إن الدراسة المقارنة للأساطير المصرية والسامية هى واحدة من الدراسات التى يجب أن تستكمل بعمق لا بسبب أنها قد تزودنا بالأشكال والأفكار الأصلية للاسطورة.. ولكن لأنها قد تزيح الستار عن التعديلات التى أجرتها الشعوب السامية ــ أو على الأقل هؤلاء الذين يجرى فى عروقهم دماء سامية ــ لمثل هذه الأشياء عندما استخدموها.

وقد يحلو للبعض أن يقارن بين الأساطير المصرية والسامية على فرضية أن المصريين والساميين أقارب .. ولكن ـ فليكن من الواضح أن ـ مثل هذه المقولات مجرد افتراض ولا تعتمد إلا على أقوال مرسلة لهؤلاء الذين أعلنوا أن اللغتين المصرية والسامية متماثلتان.

البعض الآخر حاول شرح الاساطير المصرية عن طريق الاستشهاد بالاساطير الآرية وتوضيح معانى الكلمات المصرية الهامة فى الكتابات الدينية بواسطة علوم الصرف الآرية ولكن النتائج كانت فى عمومها غير مرضية وكل ما قدموه أن بينوا مدى سخافة مقارنة أساطير أمتين من جنسين مختلفين ويمثلان درجتين متباينتين فى سلم الحضارة.

ومع ذلك فلا يمكننا الاصرار بشدة على أن كل الآلهة المصرية القديمة كانت من أصل مصرى وأن أساسيات عقائدهم الدينية من نفس الأصول وأن كل الآلهة والعقائد قد بدأ تاريخها من أزمنة ما قبل الأسرات وأنه لا يوجد ما نستطيع عمله عموماً حيال علاقة كل هذا بتاريخ الساميين والآريين.

فالمصريون الذين عاشوا فى العصرين الحجرى المتوسط وبداية العصر الحديث لا نعرف عنهم ـ بالتأكيد ـ شيئاً ولكن بشكل أقرب للواقع يمكننا أن نثق فى أن المصريين فى نهاية العصر الحجرى الحديث هم أبناء شمال شرق افريقيا وأن قدراً كبيراً جداً من الآلهة الرئيسية التى عبدها مصريو عصر الأسرات كانت استمراراً لعبادة أسلافهم فى عصور ما قبل الأسرات.

وحتى عندما غزا مصر فى العصر الحجرى الحديث قوم يفترض مجيؤهم من الشرق ـ لاعتبارات قوية ـ حاملين معهم أفكاراً مماثلة لتلك الأفكار التى كانت سائدة لدى شعوب ما قبل السامية .. فإن الأثر الذى أحدثوه فى ديانات هؤلاء الذين قهروهم كان محدوداً ولم ينجحوا فى تنحية الآلهة المحلية المتنوعة التى كانت على هيئة حيوانات أو أى أشكال أخرى والتى كانوا يعبدونها فى طول البلاد وعرضها والتى ظلت تلقى توقيرهم حتى عصر البطالسة.

حقاً نحن اليوم لا نملك الوسائل التي تمكننا من معرفة إلى أى مدى استطاعت معتقدات الغزاة الدينية التأثير على الشعب المهزوم إلا أن الرؤية يمكن أن تتضح فى ضوء حقائق مؤكدة للغاية بأنه ـ بقليل من التجاوز ـ لم يحدث تغييرات كبيرة نتيجة للغزو فى وجهات نظر أهل البلد تجاه آلهتهم .. وأنه حتى إذا ما كان الغزاة قد رشحوا أى إله غريب كى يضموه إلى مجمع آلهة ما قبل الأسرات المحلية فحتماً قد قامت الآلهة المصرية القديمة باستيعابه بسرعة أو امتصاصه بالكامل .

عموماً نستطيع أن نؤكد أن آلهة المصريين ظلت بدون تغيير خلال عصور مصر القديمة المختلفة وأن عقول المصريين أظهرت دائماً بروح محافظة ميلاً تجاه ثبات أشكال العبادة القديمة تجلت فى معظم أمورهم وعبروا عنها فى احترامهم للنصوص القديمة التى وصفوا فيها أشكال العبادة وطقوس الديانات وأداء الصلوات والالتزام بكل ما يتصل بعقائدهم الموروثة .

المصريون لم ينسوا آلهتهم قط حتى خلال فترة الاحتلال الرومانى كان يمكننا أن نجد منهم قوماً ورعين أصروا على أن يدفنوا بنفس الطقوس ونفس الصلوات التى ترددت أثناء دفن الموتى فى مصر خلال خمسة آلاف عام سابقة على وفاتهم .

فالمصريون سواء فى ذلك كانوا فى العصر الرومانى أو فى الامبراطورية الأولى .. كانوا قانعين بفكرة أن جسدهم سوف يتلقاه فى المقبرة إله يحمل رأس ابن آوى « أنوبيس » .. وأن جسده الفانى يمكن أن يصعد وتحميه آلهة برؤوس حيوانات .. وأن القراءة فى كتاب الموتى ذات نفع عظيم للمتوفى .. وأنهم سوف يزنون قلبه وأن قرداً سوف يبلّغ إلهاً له رأس أبوقردان ـ الإله الذى اطلقوا عليه اسم « تحوت » ـ بما فيه .. إن المصرى كان يعتقد أن المتوفى السعيد هو ذلك الذى سيتم عرضه على الإله « أيزوريس » بواسطة ابنه الإله الذى يحمل رأس صقر « حورس » ابن « إيزيس » والذى من وجوه عديدة يعتبر صنوا للإله « حيرو ـ أور » «HERU-Ur» الإله الاقدم بين كل ألهة مصر .

من البداية وحتى النهاية كان أهل البلد ـ المصريون ـ يولون أقل اكتراث للأحداث التى تتم خارج وطنهم .. ولم يكن للمنتصرين أو الغزاة الفاتحين من

الأمم الغريبه عنهم أى تأثير على عقيدتهم الشخصية .. لقد كان المصرى يستمر فى زراعة أرضه باجتهاد ويعبد بدون تفكير آلهة أسلافه ــ دون أى مراجعة وهو مثلهم كان لا يدخر وسعاً فى تجهيز كل ما يلزم لحفظ جسده بعد الموت بالتحنيط أملاً فى أن يعيش مرة أخرى بصحبة والديه فى السماء يعبد الآلهة التى عبدها على الأرض .. وكانت السماء هذه التى يرجو أن يبلغها على نمط الأفكار القديمة حيث سيجد منزلاً كبيراً تحيطه أرض خصبة ويجد فى زرائبه قطعاناً لا تعد من الماشية .. بالطبع نحن لانشك فى أن الكهنة وعليه القوم كان لديهم ــ بالتأكيد ــ وجهات نظر أخرى عن هذه الموضوعات تختلف عن فكر هذا المزارع البسيط .. ولكن فى واقع الحال ــ وهو أمر ذو مغزى ــ لم تكن الأفكار المعبرة عن هذه الديانات والأساطير وليدة عصر الأسرات .. إنما كانت فى أغلبها مأخوذة من عقيدة هؤلاء الذين عاشوا فى العصور السابقة للأسرات بآلهتهم الحيوانية وأفكارهم الخيالية نصف المتوحشة والتى صبغت معتقدات البلد بشدة خلال جميع الفترات التاريخية وأكسبتها الملامح التى قابلها دائماً بالدهشة والتعجب كل الشعوب التى احتكت بالمصريين .

إن المصريين الذين عاشوا فى فجر التاريخ المصرى فى العصور السابقة للأسرات ــ مثلهم فى ذلك مثل معظم الشعوب البدائية ــ اعتقدوا أن البحر والأرض والسماء والهواء قد امتلأت حتى فاضت بالأرواح .. وأن بعض هذه الأرواح مشغوله بإدارة أعمال الطبيعة والأخرى تقوم بمساعدة أو وضع العراقيل للإنسان خلال فترة تواجده الأرضى .

وإلى هذه الأرواح كانوا يرجعون كل ما يحدث فى الطبيعة ويتصورون أن عدداً ضخماً من الكائنات الروحية كانت حياتها مطابقة تماماً للظواهر الطبيعية تبدأ معها وتنتهى بتدمير الأشياء التى يفترض أنها تمثلها .

هذه الكائنات رغم أنها غير مرئية للعين إلا أنها كانت مخلوقات حقيقية جداً فى عقولهم وإليها نسبوا كل الأحاسيس التى تخص البشر وكل كفاءاتهم وقدراتهم وقواهم أيضاً .

كانوا يتصورون أن كل شىء فى الطبيعة لابد وأن تسكنه الأرواح وأن من الممكن تزويد بديل أو نموذج أو شكل لأى شىء بروح فى حالة ما إذا منحوه أسما كان له من قبل. وأرواحهم هذه يمكنها أن تعيش فى الرسومات والتماثيل إذا كان الشىء الذى من المفترض أن تحييه قد كسر أو تم تدميره.

إن الأشياء ــ سواء الطبيعية أو الصناعية ــ التى يمكن أن نعتبرها بدون حياة كانت لدى المصرى فى عصر ماقبل الأسرات تعتبر كما لو كانت حية وكانوا يعتقدون بأن من الممكن عمل شبيه أو مثيل لأى شىء فإذا ما دخلته الروح دبت فيه الحياة.. بما فى ذلك الإنسان نفسه.

إن الأرواح التى ابتلى بها كل جزء من العالم المرئى كانت لها أشكال لاتعد وتختلف من واحدة لأخرى بقدر قوتها.. فالروح التى تسبب فيضان النيل.. كانت أكبر من تلك التى تعيش فى قناة والروح التى تجعل الشمس تضىء لها قوة أكبر من تلك التى تحكم القمر وروح شجرة ضخمة أكبر من تلك التى تحمى سنبلة قمح أو فرع عشب ونحن نفترض أن التفرقة بين كل روح وأخرى من حيث القوة قد تم تمييزها فى مرحلة مبكرة وأن السكان المصريين النصف بدائيين قد فرقوا جيداً بين تلك الأرواح التى تعمل لصالحهم والأخرى التى تجلب عليهم أعمالها الكوارث والخسارة والموت. ومن السهل أن نرى كيف تخيلوا أن ظواهر الطبيعة الضخمة كانت تخضع لسيطرة أرواح قادرة على الشعور بالحنق والغضب وعدم الراحة فتظهرها واضحة للإنسان. فروح النيل مثلاً عندما تكون صديقة ومفيدة تعلو المياه فى النهر بشكل كاف خلال فترة الفيضان فيكفل هذا فى طول الوادى محصولاً وفيراً.. ولكن عندما يزيد ارتفاعه ويغرق الماشية ويكتسح أمامه منازل الشعب ــ مهما كانت طريقة بنائها سواء من فروع الشجر أو الطين ــ أو عندما لا يرتفع بالقدر الكافى ويسبب الحاجة والقحط هنا تعتبر روح النهر شريرة وغير صديقة للإنسان.

فالفيضان الوافر والكافى هو علامة على أن روح النيل غير غاضبة من الإنسان ولكن الفيضان المدمر هو بدون شك دلالة مؤكدة على عدم الرضى.. هذا الإحساس مازال يحدث حتى يومنا هذا بين الفلاحين المصريين ففى عام ١٨٩٩

ذلك العام الذى حدث أن شهد أقل فيضان خلال القرن التاسع عشر قال لى عدد كبير من الأهالى أن «الله غاضب عليهم لذلك لم يسمح للماء أن يحضر» وأضاف أحدهم أن طول عمره لم ير الله غاضباً عليهم هكذا.

الأرواح التى كانت باغية أو غير صديقة دائماً تجاه الإنسان والتى اعتبرها المصريون أرواحاً شريرة عبروا عنها بحيوانات معينة وزواحف ظلت بعضها تتناقلها الأجيال حتى نهاية عصر الأسرات ــ أهمها ابيب «APEP» ثعبان الغسق الشرير وروح الظلمات والعواصف والليل الذى سوف نتحدث عنه كثيراً فيما بعد وأصدقاؤه «أبناء العصيان» ــ لم تكن من نسج خيال المصريين فى أزمنتهم التاريخية. لكن وجودها يؤرخ له اعتباراً من الفترة التى كانت أرض مصر تعج بوحوش قوية وثعابين ضخمة وزواحف مهلكة من كل نوع وبالتالى فالثعبان الضخم فى الأسطورة المصرية والذى كان حقاً خصماً مريعاً لإله الشمس كان له نموذج واقعى على الأرض لبعض الثعابين الجبارة التى عاشت فى فترة ما من التاريخ فتناقلته الأجيال عبر التقاليد المتوارثة وهو الأمر الذى تم اثباته ــ بعد أن كان مجرد نظرية ــ عندما اكتشفوا حفريات فى الفيوم لحيوانات كان لها فى الغالب حجم مخيف واضح من الهيكل العظمى الذى قيل أن فقراته تدل على أن المخلوق الذى تخصه كان أطول من أضخم تنين معروف.

ولقد زاولت حليفات الثعبان الضخم «أبيب» عدوانها على البشر بنفس القدر الذى كان لرئيسها على إله الشمس وكانوا يتعاملون مع تلك التى أوجدوها ــ من خلال مخيلتهم ــ برعب ساحق. على الجانب الآخر كان هناك عدد من الأرواح التى كانت تتسم أعمالها بالصداقة والإحسان والنفع للإنسان وهذه كان من المفترض أنها تخوض معارك شرسة ضد قوى البغى بالنيابة عن البشر.

وهكذا فى فترة مبكرة جداً من عصر ما قبل الأسرات أدرك المصريون وجود جماعة ضخمة من الأرواح التى لديها حسن النية أو فى أسوأ الأحوال يمكن رد أذاها بالرشوة مثل تقديم القرابين أو التملق والأطراء وأن هناك جماعة أخرى اعترف الإنسان باعمالها الخيرة واعتاد أن يتقبل منها وهو حريص على أن يجتذبها لصفة لمساعداتها الفعالة.. والمجموعة الثالثة كان من المفترض انشغالها الدائم بأن تجعل

الشمس والقمر والنجوم تضىء والأنهار والينابيع تفيض والسحاب يتشكل والمطر يسقط وأنها تقوم بإدارة أعمالها باجتهاد مستمر لترقية عناصر الطبيعة المختلفة سواء فى ذلك الكبير منها أو الصغير.

بعد ذلك تم تعديل سلوك الأرواح التى عزا إليها ـ المصريون ـ فى عصر ما قبل الأسرات إدارة العالم سواء فى ذلك أكانت شريرة أو صديقة للإنسان ـ وهى نفسها فى الغالب التى طورتها الأمم الحديثة فيما بعد على هيئة جان ومردة وأقزام وعفاريت وسحرة وغيلان .. الخ ـ فى عصر الأسرات لتعيش الباغية منها فى مجتمع متعاون له أهدافه وارادته وأعماله التى تتمركز كلها حول الشر.. وكون لها حكومة يتوارث رئاستها أعظمها وأكثرها بغياً وبمرور الوقت وبضم الأرواح الشريرة للرجال والنساء تم تكوين نموذجاً مبدئياً «للجحيم» بافتراض أنه المكان الذى تعيش فيه الأرواح الشريرة ويسكنه أغلب زعماء الشر معاً.

وبنفس طريقة التخيل هذه تجمعت الأرواح الصديقة والطيبة معاً فى مقر واحد تحت قيادة حكام لهم ميول خيرة تجاه البشر الفكرة التى أصبحت نواة لتصور لاحق عن السماء (أو الجنة) والتى افترضوا ـ بعد أن تطورت تصوراتهم عن مذهب الخلود بقدر كاف ـ أن أرواح الورعين من الرجال والنساء المصريين سوف ترحل إليها.

رؤساء جماعات الشر أصبحوا فيما بعد شياطين .. كذلك الحكام الخيرون أصبحوا آلهة .. أما الجماعة الثالثة ـ أى أرواح قوى الطبيعة ـ فقد تطورت لتكون آلهة الكون العظام والتى تعمل لصالح الإنسان وسعادته الكاملة ـ حسب نظم عبادتها ـ وهو الأمر الذى نجد أن الكهنة قد حرصوا على أن يقدموا من أجله العديد من البراهين فى كتاباتهم المقدسة ومؤلفاتهم الدينية بعد ذلك فى عصر الأسرات.

ان التسابيح التى خُصصت لإله الشمس ـ تحت أى اسم عبدوه به ـ تحمل أقصى درجات التعبير اعجازاً فى وصف جلاله ومجده وهم لفرط قوته ورهبته لا يخاطبونه مباشرة وإنما يتحدثون معه بضمير الغائب لإظهار مدى خوف عبده الورع منه.

لقد وصفوا رحلته الظافرة فى السماء وانتظام شروقه وغروبه الناجح وسجلوا مشاهداتهم لكل لحظة زمن يمر بها فى المسار الشاسع الذى يعبره وعزوا إليه مجد الأعمال العظيمة التى يقوم بها فى الطبيعة مظهرين أنه خالق الإنسان والحيوان .. الطير والسمك .. الشجر والنباتات .. الزواحف وكل الكائنات .. لقد كان توقيرهم له كاملاً ومناسباً لإله من كائن محدود فاضت مشاعره بما لهذا الكائن اللانهائى تقريباً من قوة وقدرة .

على الجانب الآخر نجد فى الصلوات المخصصة للإله الإنسان إيزوريس إلى أى مدى يطالبه الداعى بالتماس عجزه .. إنها رؤية مختلفة تماماً لدور كل من الإلهين من الصعب تحديد متى بدأت التفرقة بينهما وإن كنا لن نجانب الصواب إذا تصورنا أن هذا قد حدث مع بداية تاريخ الأسرات وبقى ملحوظاً بعد ذلك حتى أزمنة قريبة للغاية .

جوهر السحر والذى كان أقدم وأكثر الملامح ثباتاً فى عبادة الآلهة وفى الديانات المصرية ينتمى عموماً إلى فترة تسبق توصلهم إلى التميز بين العناصر المختلفة فى الدين عندما كان الإنسان يفكر أن الأرواح الشريرة وأرواح الطبيعة كائنات لا تختلف عنه كثيراً ويمكن رشوتها بالعطايا واغرائها بتنفيذ طقوس معينة أو نطق كلمات لها قدرات خاصة ويمكن دفعها للعمل بالتسابيح والمخاطبة .. هذه الأفكار دامت فى عقول المصريين خلال كل فترات تاريخهم اللاحقة وحتى اليوم بين المسلمين المصريين والشعب السودانى بأشكال معدلة .

فهم يعلنون بصدق وحدة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله . وأن قوة الله لا نهائية ومطلقة ومع ذلك فهم يحمون أنفسهم وأطفالهم من العين الشريرة ومن الحسد والأرواح الضارة بواسطة شتى أنواع الأحجبة والتمائم وبحماس وتعصب لا يقلان عما كان يبدر من أسلافهم فى أيام مضت قبل وجود الله الواحد ومعرفتهم به .

ورجال القبائل يحمون إبلهم من العين الشريرة لارواح الصحراء بتثبيت خرزات ملونات لامعات بين عيون دوابهم وبواسطة شراشيب طويلة تعلق فى السرج وبدلاً من اعتمادهم على قدرة الله غير المحدودة التى يظهرون اعتقاداً

راسخاً بها ــ يختارون أياماً حسنة الطالع لاسفارهم ولا يحاولون أبداً المرور أمام الكهوف المعزولة أو فى الأودية الضيقة أو الجبال خلال فترة الليل .

إن كل أفراد أسرة الجن الكبيرة بالنسبة لهم واقع وهم يتصورون ــ كما تصور أجدادهم ــ أن لكل منهم قريناً من الجن .. ومن كان لهم حظ مقابلة الجن وصفوهم بأوصاف تظهر بوضوح أن شكل ومظهر الأرواح الشريرة القديمة وعفاريت المصريين القدماء قد تم حفظها فى لاشعور الأمة حتى اليوم .

المصريون المحدثون يطلقون عليهم أسماء عربية ولكن وصفهم يتطابق تماماً مع هؤلاء الذين ظهروا فى كتابات الأساطير المصرية القديمة التى تناولت العالم السفلى وسكانه .

أهل شرق السودان الذين هم أيضاً مسلمون ورثوا أفكاراً وعقائد عديدة من قدماء المصريين ــ وهو أمر لا يدعو للعجب ــ إذا وضعنا فى اعتبارنا أن الحضارة النوبية من بداية الأسرة الثامنة عشر وحتى نهاية الأسرة السادسة والعشرين أى منذ عام ١٥٥٠ ق.م وحتى حوالى ٥٥٠ ق.م لم تكن شيئاً أكثر من نسخة مشوهة من حضارة مصر.. لقد اقتنعت بهذا بعد أن أقمت لعدة شهور فى قرية أسفل جبل بركة والتى تشرف على مكان كان جزء من المدينة النوبية «نبته» «NAPATA» ومن خلال زياراتى لأماكن أخرى شرق السودان تأكدت أن هذه الأفكار تلقى انتشاراً واسعاً فالتلال والصحارى ــ طبقاً لمعتقدات الأهالى المحليين ــ مسكونة بالأرواح التى فى الأغلب لها موقف معاد للإنسان ــ وهم يفترضون ــ أن لديها قدرة على تقييد كل من الحيوانات والبشر وأن هذا يمنحها السعادة . النخيل يموت من الأرواح الشريرة .. وأى سوء حظ تلاقيه الجماعة أو الأفراد يعود إلى نفس السبب والاهرامات القائمة فوق التلال ــ ويدعوها الأهالى «ترابيل» ــ يرقبها السكان المحليون بوجل طفولى وهم يتكلمون ــ بفضول لا ينقصهم ــ عن الذوات الملكية المدفونة فيها وعلى أنها «الاهات» أى آلهة ولا يوجد بينهم من يغامر ويصعد الربى الحجرية التى يبنون فوقها ويسمونها «الجبال» ــ إذا كان من الصعب تجنبها ــ بعد غروب الشمس . القبور والجبانات يبتعدون عنها ليلاً كأمر مفروغ منه يطبقونه بعناية . والاقتراب من الأهرامات ليلاً يعتبر تصرفاً عنيداً سيجلب على فاعله سخط أرواح الملوك التى اكتسبت خواص مقدسة فى عيون الأهالى .

عندما كنت أفتح أحد الأهرامات عند جبل بركة عام ١٨٩٧ وحاول شيخ القرية محمد ود براهيم ابقاء العمال فى عملهم حتى آخر ضوء فإن زوجات الرجال بعد ليلتين أو ثلاثة حضرن يبكين لأزواجهن خوفاً من أن يتم سحرهم أو يعانون من العقاب لتهجمهم على هذا المكان فى الزمن المخصص لحضور أرواح الموتى كى تنعم برطوبة المساء ــ كما هو سائد فى اعتقادهم ــ نفس الفكرة تم الكشف عنها ــ أبعد فى الجنوب ــ بين السكان الذين يقطنون على شاطىء النهر قرب أهرامات « البكراوية » والتى تطل على المدافن الملكية لمدينة « بروا » أو « مروا » القديمة . فشيخ القرية المحلى الذى تم تعيينه لمصاحبتى ومعاونتى فى أخذ القياسات الخاصة ببعض الأهرامات على الطبيعة هبط من فوق حماره ورفض أن يتقدم خطوة واحدة عندما أصبحنا على بعد حوالى نصف ميل لأنه يخاف من « الهات » أرواح الآلهة المدفونة هناك . وبعد إقناع طويل وافق أن يصحبنى بنفسه ولكن لم يستطع أى شىء استمالته لأن يسمح للحمير بأن تصل حتى الهرم . وهو بعد أن قيدها وأوثقها بحجر ضخم فى مكان بعيد .. حضر لنا .. ولكنه جلس على الأرض عند النهاية الشمالية للمجموعة الرئيسية من الأهرامات وأصبح بعد ذلك من المستحيل زحزحته ليتجول بين الأطلال .

إن أهالى جبل البركة كانوا ينظرون لأعمال التنقيب بعدم ارتياح زائد من البداية ثم تعززت أفكارهم عن عدوانية الأرواح بوجود كمية هائلة من الزنابير لم يشاهدوا ــ كما صرحوا ــ ما هو شبيه لها فى الضخامة من قبل مما جعلهم يعتقدون أنها أرواح شريرة أخذت شكل الزنابير وأن الشر سوف يعم قريتهم وبالطبع كان من قبيل إضاعة الوقت أن نشرح لهم أن الزنابير إنما لجأت إلى هذا المكان لكى تشرب من القرب الجلدية المملوءة بالماء التى علقت على خوابير تم دقها فى المبانى لاستخدام العمال . ثم تأكد خوفهم من الأرواح الشريرة .. عندما زحف ثعبان ضخم غير ضار بطول حوالى ثمانية أقدام ليشرب ــ فى يوم تالى ــ فقتله الرجال فاعتبروا أنهم قد قتلوا روح الملك المدفون وتوقعوا أن الأرواح المقدسة التى تصحبه سوف تنتقم منهم .

في منتصف المسافة لاعلى جبل بركة يعيش أربعة صقور ضخمة والتى تظهر كما لو كانت تتابع دائماً أى فرد يصعد للجبل ولكنها لم تقترب أبداً.. هذه الصقور كان الأهالى يعتبرونها دائماً الأرواح المجسده للآلهة التى لازالت رسومها باقية منقوشة وملونة على الحوائط المصورة المصقولة للمعبد القابع أسفل التل ولم أسمع أبداً أن هناك من حاول عمل شرك لها أو التصويب عليها من سكان قرى بركة وشيبا وماروى.. رغم أنه من الممكن ألا يعرف السكان أن الصقر كان أول كائن حى يتم عبادته فى وادى النيل. وبالتالى فالاحترام الذى يظهرونه للصقر لابد وأن يكون بسبب تقاليد وصلتهم عبر عدد لاحصر له من الأجيال السابقة لهم جعلتهم يربطون بين الصقور والرسومات المنحوتة للآلهة فى معبد «أمن ــ رع» وهى ملحوظة هامة لأنها تظهر إلى أى مدى فكروا فى مثل هذه الأمور وإلى أى درجة هم سائرون على نفس الدرب الذى سلكه أسلافهم.

أما فيما يخص التمائم سنجد أن السودانى المعاصر يؤمن بالخرافات بنفس القدر الذى كان عليه أسلافه منذ آلاف السنين فهو لا يزال يعتقد أن لبعض الأحجار ذات الألوان المحددة ــ خصوصاً عندما يتم تشكيلها على هيئة رموز بعينها ــ خواص سحرية رغم أنه لايعرف أى معلومات عن معناها عدا أنها مقام للأرواح. فالنساء والأطفال خاصة الفتيات يحمين أجزاء عديدة من أجسادهن بعقود من الخرز المصنوع من أحجار سحرية وفى بعض الأحيان تجدهم يضعون لوحات من المعدن أو الحجر مقطوعة بأشكال متنوعة ومطعمة بعلامة سحرية على أجسادهم فى أماكن معينة تتطابق مع تلك الأماكن التى وضع فيها قدماء المصريين تمائمهم مع موتاهم.. فإذا ماعرفنا من التراث السودانى الأسباب التى دعتهم لاستخدام مثل هذه الأشياء فقد يحتمل أن نجد أن الإيمان الكامن خلف هذه العادات يتطابق أيضاً.

إن الحقائق السابقة والتى تخص المعتقدات السودانية فى الأرواح يمكن أن تتضارب كثيراً وهى ليست على البعد مرتبطة بمعتقدات عصر الأسرات أو حتى ما قبل الأسرات المصرية كما يظهر من النظرة الأولى والكاتب على قناعة بأن كما

هائلاً من المعلومات من نفس النوع ينتظر المدقق الذى يمكنه أن يخصص قدراً كافياً من وقته للحياة فى بعض القرى البعيدة عن العمران والخاصة بالسود ــ وليس الزنوج ــ الذين يقيمون مساكنهم على الشاطىء الشرقى للنيل والنيل الأزرق.

فى أماكن عديدة منعزلة فى النوبة الجنوبية والسودان الشرقى توجد شجرات يوقرها الرجال ولكن قد يكون هذا ناجماً عن الاحتكاك بمواطنى افريقيا الوسطى حيث يصلى الناس للشجر فى مناسبات معينة معتقدين أن الأرواح التى من المفترض أن تسكنها قد تمنح العطايا لهؤلاء الذين ينظرون لها برعاية فتأمّن سلامتهم هم وحيواناتهم.

وللآن إذا توغلنا أكثر فى الجنوب سنجد أن السكان المحليين يفترضون أن حيوانات معينة ــ مثل أنواع من القردة CYNOCEPHLUS APES ــ تلك التى لعبت دوراً بارزاً فى أساطير عصر الأسرات ــ تسكنها الأرواح وتمنحها بالتبعية ــ ذكاء ذا قدرات غير عادية. وهم يعتقدون كذلك أن أنواعاً مختلفة من الجعارين أو الخنافس تحتل أجسادها أرواح ربطوها بالشمس.

وهو أمر يتفق مع ما كان يحدث فى الأيام السابقة عندما كانت السيدات اللائى يرغبن فى أن يصبحن أمهات لعدد كبير من الأبناء عادة ما كن يأكلن الأجساد الميتة من هذه الحشرات.. والبعض ــ حتى اليوم ــ يقوم بطهى أنواع منها أو خلط أنواع أخرى بالزيوت لاستخدامها كأدوية فى تطبيب العيون المحتقنة وغيرها من الأمراض.

المصريون فى عصر الأسرات أيضاً أمنوا بارتباط الجعران بإله الشمس «رع» «RA» كما يظهر جليا فى كتاباتهم الدينية خلال كل العصور ويقال أنهم قد أتاحوا للخنفساء مكاناً خاصاً فى الزورق السماوى لهذا الإله.

لقد رأينا فيا سبق أن المصريين القدماء فى عصر الأسرات وأسلافهم من قبل أدركوا وجود أرواح باغية تضر بالإنسان وأخرى خيرة وثالثة مشغولة تماماً فى إدارة العمليات المتنوعة للطبيعة.

والآن سنتعرف على الأشكال والأنماط التى تبدت بها هذه الأرواح لعيون البشر.

أكثر الأشكال شيوعاً هو أن تتجسد فى صور حيوانات أو طيور أو أسماك أو زواحف وهو شكل كان سائداً منذ مرحلة مبكرة من العبادة حيث كانت الحيوانات ــ التى يمكن أن نسميها بالدنيا ــ تمثل نبعاً وفيراً تم استخدامه بشكل موسع بواسطة سكان وادى النيل وهم لم يعتبروها تختلف عنهم كثيراً فى العقل ــ سواء فى ذلك الحيوانات أو الجمادات ــ عندما بدأوا فى عبادتها.. فالإنسان البدائى عموماً لم ير فى أن ما يعزى إلى الحيوانات أو الجمادات من أحاديث ــ ما يدعو للسخرية ــ فهى من المفترض أن تفكر وتبرر وتتصرف مثل الإنسان وسنجد مالا نهاية له من البراهين على هذا فى الأدبيات الدينية لمعظم الشعوب القديمة.

فمن قوالب الطين المحروق التى وجدت فى المكتبة الملكية فى «نينفى» «NINEVEH» والتى كانت تحتوى على مئات النسخ من المستندات المحفوظة من معابد أقدم مدن بابل توجد شذرات عن حوار بين حصان وثور والتى يطلق عليها «أسطورة الحصان والثور». يمكننا ــ بقليل من التجاوز ــ أن نؤكد أن أصل كتابتها يعود لفترة حكم آشور هانيبال من (٦٩٨ ــ ٦٢٦ ق.م) وأن اللوحات التى تم كتابتها عليها يرجع تاريخ صنعها إلى عهد قريب من هذه الفترة ونجد أيضاً فى قصتهم عن الخلق أن الحية الجبارة «تيامات» «TIAMAT» ــ ممثلة قوى الشر والظلام ــ قد تم صنعها لتتآمر ضد الآلهة ولتخلق أنواعاً من الثعابين كتجهيز للمعركة الفاصلة معهم.. وحالات أخرى عديدة يمكن ذكرها تظهر أن البابليين والآشوريين قد أصبغوا على الحيوانات صفات العقل والإحساس والتحدث.

ونحن نعلم من التوراة أيضاً أن العبرانيين كانت لهم رؤى تجعل لهم نصيباً فى هذا الأمر فالحية قد أغرت حواء بكلامها وجعلتها ترتكب المعصية ولا تطيع أوامر الرب وجحشة بلعام «BALAAM» عاتبت سيدها وسألته ثلاث مرات لماذا ابتلاها.. ونحن نلاحظ أن الحيوانات فى الأزمنة الماضية ــ كما قيل ــ كان يمكنها

أن ترى ملائكة الرب واقفة فى الطريق بينما لا يستطيع هذا سيدها.. وبالضرورة نتذكر ما كان سائداً بين اليهود والمسلمين عن أن الكلاب تعوى قبل الموت وأن لديها القدرة على رؤية ملاك الرب وهو ماض إلى مهمته.

ونحن أيضاً لنا خرافاتنا التى نقف عاجزين أمام مالها من تأثير والتى لم نستخصلها ــ عموماً ــ من الشرق وإنما يرجع مصدرها إلى شعوب شمال أوروبا.

وسنرى أيضاً فى «سفر القضاة»، أن الكلام والحكمة كانت فى بعض الأحيان تعزى لأشياء نعتبرها جمادات فنحن نقرأ مثلاً أن الأشجار «ذهبت رأساً فى يوم لمسح ملك بالزيت».

«وأنهم قالوا لشجرة الزيتون فلتحكمى جلالتك علينا وعندما رفضت شجرة الزيتون ذهبوا لشجرة التين بنفس الطلب وعندما رفضت شجرة التين ذهبوا لشجرة العنب والتى رفضت أن تترك نبيذها» «الذى يبهج الله والإنسان» وعلى هذا فقد التمسوا من الشوك الذى خيرهم بين المثول والثقة فى حمايته لهم أو أن يُحرقوا بالنار التى ستأتيهم من خارج نفسه ولاولاية له عليها.

ومرتبطاً بهذه الفكرة ــ ربما ــ يمكننا ذكر الحادثة المسجلة تحت أرقام ١٧ و٢١ حيث يقال أن الأمراء والنبلاء بارشاد من المشرعين قد قاموا بدق بئر «بهرواتهم» وأن أطفال بنى اسرائيل قد أنشدوا أنشودة «انبثق أيها البئر عالياً.. غنوا له حتى يكون..» وعلى هذا المنوال يمكننا أن نسوق الكثير من الأمثلة المستخرجة من الأدبيات العبرية والتى يظهر فيها أن الحيوانات والجمادات ــ فى مواقف بعينها ــ كانت تعتبر كائنات ذات إمكانات ذهنية وقدرات فكرية مماثلة للبشر.

ومن بين الحيوانات المصرية التى كانت لها قدرات عقلية حيث تفكر وتتكلم ــ كأمر مفروغ منه ــ سنقتبس قصة «الإخوان» كمثال للإشارات المتكررة فى أدبياتهم والتى تدل على اقتناعهم بأن الحيوانات لها دوافع تسيرها وعواطف بنفس القدر الذى للإنسان.

فالبقرة قالت لقطيعها أن الأخ الأكبر لراعيها يقف خلف باب الحظيرة ممسكاً بسكينه فى يده منتظراً ذبحه.. عندها رأى الشاب قدمى أخيه ظاهرتين من تحت الباب فلاذ بالفرار وهكذا أنقذ حياته.. هنا نحن أمام برهان آخر بأن الحيوانات فى بعض الأحيان قد اكتسبت الفطنة والذكاء الإنسانى بحيث اكتشفت ما فشل سيدها فى ملاحظته وحذرت القطيع والراعى الذى كان معرضاً للذبح بمجرد ولوجه الحظيرة.

كذلك يجب أن نلاحظ الجزء الهام جداً الذى لعبته الحيوانات فى فصل المحاكمة من «كتاب الموتى» كذلك فى قصة «الملاح» فى الجزء الذى يخص الثعبان الضخم الذى كان طوله ثلاثين قدماً وله لحية طولها قدمان والذى أدار حواراً طويلاً مع الإنسان سىء الحظ الذى جنح على الجزيرة التى كان يسكنها. وفى برديات الأسرة الثامنة والعشرين نجد نموذجاً لعملية وزن قلب متوفى فى الميزان الضخم.. والتى تتم فى حضور المجمع الأكبر للآلهة الذين يمثلون القضاة والذين سيتلون الحكم الذى صدق عليه ايزوريس طبقاً للحيثيات المقدمة من الإله تحوت «THOTH» الذى يمثل ناسخ وسكرتير الإله.

فالمصرى يرجو أن يعادل قلبه ــ بالضبط ــ الريشة رمز «ماعت» «MAAT» ربة الحقيقة والعدل ولا يتمنى أبداً أو يتوقع أن تخالفه لأنه فى حياته عاف عمل النوافل.

ومشهد الوزن يراقبه باهتمام «انوبيس» إله الموتى والذى كانت مهنته قذف القلب الفاشل فى موازنة الريشة تماماً لا كل الموتى كذلك يشهده الملاك الحارس للمتوفى نيابة عنه والقرد حامل رأس الكلب الذى يجلس على قمة قائم الميزان ويستند على الذراعين الحاملين لكفتى الميزان العظيم. هذا القرد كان المساعد والمصاحب للإله «تحوت» ومن المفترض أن يكون ماهراً فى فن الحساب وعلم الأرقام وحساب الوقت وواجبه عند وزن القلب هو فحص مؤشر الميزان والتأكد من أن روافعه فى وضع متزن بدقة ثم يبلغ ــ إذا اتزن تماماً كل من الريشة

والقلب ـ هذه الحقيقة لتحوت.. وهو فى بعض الأحيان ـ لاعتبارات خاصة ـ يمكن أن يقدم تقريره للآلهة الحاضرين الحالة.

والقرد الذى يجلس هكذا على قائمة الميزان ينتمى إلى فصيلة لا توجد الآن إلا فى السودان ويحتمل أنه كان يعيش فى مصر فى عصر ما قبل الأسرات أو فى بداية الأسرات.

وهو ماهر للغاية وحتى فى الأيام الحديثة يعامله الأهالى باحترام عظيم ويعتقدون أنه يمتلك ذكاء عالياً وأن دهاءه يفوق الإنسان بمراحل.

والقرد حامل رأس الكلب لاقى توقيراً شديداً من المصريين الدليل على ذلك تجسد الإله تحوت فيه.. وما يحمله أيضاً دوره من أهمية فى أساطيرهم.

كذلك لابد من تذكر ذلك الرسم الذى يمثل شروق الشمس فى «كتاب الموتى» حيث نجد مجموعة مكونة من حوالى ستة أو سبعة قرود لها رؤوس كلاب مصورة فى مشهد عبادة رب الصباح عندما يرتفع فى الأفق الشرقى للسماء.. فتقف منتصبة على أرجلها الخلفية بينما ترفع الأمامية فى ابتهال.. وفى نص قديم يصف هذا المشهد يقال عن هذه القردة أنها أرواح الفجر وأنها تُسبح بحمد إله الشمس أثناء بزوغه.. ثم تُحَوِّل نفسها إلى قردة بمجرد ظهوره.. ومن المعروف كحقيقة علمية فى التاريخ الطبيعى أن القردة العليا والقردة عموماً فى غابات افريقيا وفى غابات أخرى تستقبل الفجر بصياح وجلبة ولم يذكر النص ما إذا كانت أرواح الفجر هذه تُخلق كل صباح من جديد أم لا؟ أو ما إذا كانت القرده تعيد نفسها إلى أرواح بعد ذلك لكى تستطيع الاحتفاء بشروق شمس الصباح الجديد أم لا؟

ثم هل نستطيع ـ بشكل أو آخر ـ ربط هذه الأفكار بتلك التى تقابلها فى المخطوطات القديمة عن ملائكة الأساطير العبرية التى من المفترض أنها تُخلق يومياً لتسبح لله القدير ثم تنتهى.

والآن عبوراً باعتبارات عبادة المصريين للحيوانات فى عصرى ماقبل التاريخ والأسرات فإن علينا أن نجتهد لنجد الأسباب التى أثرت على القاطنين الأوائل لوادى النيل حتى توجهوا بعباداتهم تجاه الطيور والبهائم والأسماك وكائنات أخرى من المملكة الحيوانية.

من خلال وسائل البحث المتاحة الآن.. يظهر أنه كان يجب أن يكون للحيوانات الفرصة الأولى لعبادة المصرى البدائى فهى قد أحرزت قوة وقدرة ودهاء يفوق ماله. وهى تنعم أيضاً بخصائص تؤهلها لأن تحدث به أضراراً جسدية أو تتسبب فى وفاته.

إن أساس دوافع الإنسان لعبادة الحيوانات على الأرجح كان الخوف.. فعندما اتخذ الإنسان فى البدء مصر مسكناً له كانت الظروف الطبيعية للمنطقة تضاهى تلك التى فى أماكن ما من وسط افريقيا فى وقتنا الحاضر ومن المحتمل أن يكون البلد بالكامل قد غطته الغابات وأن تكون الأرض قد أظلمت من كثافة الشجر. وفى الغابات لابد وأن أعداداً كبيرة من الأفيال والحيوانات الضخمة قد عاشت وقد تكون النباتات الكثيفة التى نمت أسفل الأشجار قد هيأت ملجأ مناسباً للثعابين العملاقة من كافة الأنواع وللزواحف ذات الصفات العدوانية المميتة.. وفى النهر بالتأكيد عاشت التماسيح التى تشبه فى الطول والحجم تلك التى تم رصدها فى السنين الأخيرة على ضفاف النيل الأزرق وأنهار الجنوب القصى.. ورغم أننا لانملك اليوم الوسائل التى نستطيع أن نحدد بها الفترة التى هجرت الأفيال فيها مصر إلا أنها على الأرجح ترجع إلى زمن أبعد بكثير عن عصر الأسرات لأننا لم نجد له مكاناً فى الأساطير المصرية.. وإن كانت هناك من الأدلة مايؤكد وجوده فالأشياء العاجية التى عثروا عليها فى مقابر عصر ماقبل الأسرات تستطيع أن تبرهن على أن هذه المادة كانت تلقى تقدير المصريين البدائيين وأنها ــ بالمقارنة ــ قد استخدمت بشكل واسع لعمل حليات شخصية وأدوات أخرى صغيرة بغض النظر عما إذا كانوا قد استوردوا أنياب الأفيال من السودان أو جردوا منها الحيوانات بعد صيدها وقتلها فى جزء مجهول من مصر

ــ وعلى أى حال ــ فإننا سنجد على رأس الأوانى التى تم العثور عليها ــ وتخص هذه الفترة ــ وعاء تم رسم فيل فوقه فيما يبدو كما لو كان هذا الحيوان يمثل رمزاً لأسرة الرجل الذى صنعه أو لبلده أو لإله مدينته أو قبيلته .

على الطرف الآخر فإنه من الواضح من عديد من النصوص المنقوشة على حوائط غرف وحجرات هرم ومقابر « يونس » * و « تيتا » * «UNAS» «&» «TETA» وملوك آخرين من الامبراطورية القديمة بسقارة أنهم قد اهتموا بتسجيل غارات الثعابين السامة والزواحف المهلكة على مصر من كل الأنواع خلال الفترة التى كتبت فيها أصول العبارات المسجلة وأن هذه الغارات كانت عديدة وكافية بشكل هائل لتسبب قلق مميت للأحياء على سلامة جثث موتاهم .

وهكذا نجد سلسلة من الوصفات السحرية القصيرة فى النصوص الخاصة بالملك يونس من الأسرة الخامسة أغلبها موجه ضد الثعابين والحيوانات المتوحشة وكلها كتبت بكلمات وعبارات تدل على أنها لابد وأن تكون قد تم تأليفها فى زمن سابق كثيراً لنقشها على حوائط هرم هذا الملك . والسيد « ماسبيرو » يؤكد بفكر ثاقب أنها يجب أن تكون قد شكلت لرجال الملك من العلماء والأدباء صعاب جمة .

فى هذه الوصفة تم ذكر الثعابين وفا ونص وهيكا وهكريت ستشح أكسينح وآمن حاو وانتاف وتشسرتيب وتهتو وهس وسنناهمزت كذلك صيغت إشارة عن « الثعبان المرعب » .

ومن المحتمل أن فى الوقت الذى تم تأليف هذه الوصفة فيه قد عاشت ثعابين مهلكة من أنواع وطرز مختلفة اسماؤها بدون شك تصف ملامحها أو طريقتها فى الهجوم .

Ufȧ, [hieroglyphs], Nāi, [hieroglyphs],
Hekȧ, [hieroglyphs], Hekret, [hieroglyphs], Setcheḥ, [hieroglyphs],
Ȧkeneh, [hieroglyphs], Ȧmen, [hieroglyphs], Ḥȧu, [hieroglyphs], Ȧnṭāf,
[hieroglyphs], Tcheser-ṭep, [hieroglyphs], Thethu, [hieroglyphs],

---

* الملك يونس بفتح النون ينطق اسمه أوناس أحياناً .
* الملك تيتا ينطق اسمه تيتى أحياناً .

Hemth, [hieroglyphs], Senenahemthet, [hieroglyphs], and allusion is made to a most "terrible serpent," [hieroglyphs].

إن خوف المصريين المزرى فى الثعابين يبدو أنه كان ثابتاً فى جميع الأجيال ونصوص العصور المتأخرة مثل المبكرة تحتوى على الكثير من الصلوات المقصود بها تخليص الميت من الثعابين التى فى العالم السفلى والتى تقتات على أجساد الرجال والنساء وتستنزف دماءهم .. حتى بعد أن طُهرت مصر منها وأصبحت فى حالتها التى نعرفها الآن ظلت الأساطير تؤكد أن ثعباناً قوياً جباراً طوله أكثر من ثلاثين ذراعاً يعيش على قمة «باخو» «BAKHAU» [hieroglyphs], أى جبل شروق الشمس واسمه «آمى ـــ همف» «AMI-HEMF» [hieroglyphs].[1] أى الساكن فى شعلته.

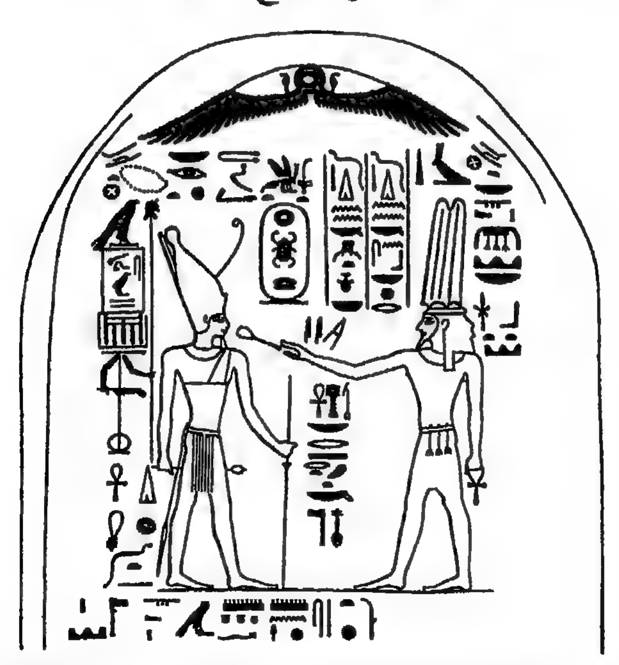
إن عبادة الثعابين فى مصر بالغة القدم ولابد أنهم قد أقاموا منذ تاريخ مبكر مزارات لأنواع معينة منها.

ونحن نعرف أن فى عصر ما قبل الأسرات كانوا يعبدون الثعبان بتوقير شديد وكان المركز الأعظم لعبادته الدلتا فى مكان أطلق عليه مصريو عصر الأسرات «بر ـــ ياتشيت» «PER-UATCHET» والاغريق «باتو» «BUTO» وفى الفترة التى كان فيها الثعبان يعبد فى مصر السفلى كانت الرخمة هدف العبادة الرئيسى فى مصر العليا وكان معبدها يقع فى مدينة يطلق عليها المصريون اسم «نخبيت» «NEKHEBET» واليونانيون «اليزيابوليس» «ELEITHYIOPOLIS» وكانت ربة الثعبان تسمى «ياتشيت» «UATCHET» أو «UATCHIT» أما ربة النسر (الرخمة) فكان يطلق عليها «نخبيت» «NEKHEBET» أو «NEKHBIT» والمدينتان اللتان تمثلان مركزى عبادتها كانتا فى غاية الأهمية ـــ ربما نتيجة لعبادتها ـــ حتى أننا نجد الملوك فى عصر الأسرات المبكر قد اتخذوا تقليداً عندما يريدون أن يعلنوا سلطانهم على كل مصر أن يعطوا لأنفسهم اللقب [hieroglyph], والذى يمكن ترجمته إلى

« سيد معبدى الرخمة والحية » ولقد وجدت هذه الشارة على اللوحة الشهيرة اليوم والمعنونة باسم ولقب الملك « قها » «AHA» ـ الذى عادة مايعتبر ـ بدون أسباب كافية ـ قرينا لمينا «MENA» ـ الأمر الذى أوضح أن مدينتى نخبيت وبرياتشيت كانتا تمثلان مركزين غاية من الأهمية على المستوى السياسى والدينى فى عصر ماقبل الأسرات .

من الحيوانات المفترسة الأخرى التى عبدها المصريون فى نفس هذه الفترة كان الأسد والوشق (أصغر من الفهد وقصير الذيل) اللذان أطلق عليهما « مافيتيت » ، «MAFTET» كذلك فرس النهر والحيوان ذو الأربع الذى أصبح رمزاً للإله « ست » «SET» .

ومن بين البرمائيات كان الأكثر أهمية التمساح والسلحفاة البحرية . ومن الحيوانات المستأنسة نجد أن الثور والبقرة كانا من العناصر الأساسية فى العبادة حيث نظر إليهما كآلهة منذ أزمنة ماقبل التاريخ كما سنرى بعد ذلك .



USERTSEN يوسرتسين الثانى يتسلم رمز « حياة » من الإله « سب » وخلفه شارته SEREKH منقوش عليها اسمه « كحورس »

القوة الجبارة للثور.. وهجماته القتالية التى لا تقاوم فى الغالب.. واندفاعه المتهور.. حركت خوف وإعجاب الرجل البدائى.. كما أن قواه الإخصابية جعلته ومن فترة مبكرة جداً النموذج لمذهب العطاء فى الطبيعة. فلا غرور أن ولالاف السنين أسعد ملوك مصر أن يطلقوا على أنفسهم لقب «الثور القدير» والأهمية التى ربطوها بهذا اللقب تتضح من أن كثيراً منهم ـ فى الواقع ـ قد نقشوها على شاراتهم «SEREKH» ألتى تصور اسمهم الحورسى والتى هدفها أن يتفاخروا باسمائهم كنسل لحورس.

فى المتحف البريطانى نجد بعض الأغراض المصنوعة من الاردواز الأخضر التى ترجع لزمن ما قبل الأسرات والتى سميت خطأ باللوحات.

كذلك نموذج رأس وقرنى بقرة من الصوان وجدت بمدافن عصر ما قبل الأسرات منقوشاً عليها اسم الثور تلك التى أصبحت فى وقت لاحق ترمز للربة «حتحور» «HATHOR».

ويبدو أن الملوك المحاربين فى الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كان يبهجهم أن يربط الناسخون الملكيون ـ فى التسجيلات التذكارية التى يكتبونها ـ بين ثورة أسيادهم وزئير الأسود عندما يمتطون عرباتهم الحربية ويندفعون لسحق أعدائهم الأغبياء الذين يدفعهم تهورهم لمناوأتهم.. ولكنهم كانوا يفضلون أن يوصفوا «بالثور القدير» الذى سحق معارضيه تحت حوافره (أظلافه) ونطح ودمر بقرنيه هؤلاء الذين نجوا من بين أظلافه.

من التوقير والأحترام اللذين كانا يوجهين للثور فى عصر ما قبل الأسرات نبعت عبادة ثورين محددين هما «حاب» و«مر ـ أور» «HAP» «Mer-ur» اللذين حورهما اليونانيون إلى أسماء «أبيس» و«منفيس» «APIS» «Mnevis» الحيوانين المقدسين للمدينتين القديمتين «ممفيس» و«هليوبوليس» «HELIOPOLIS».

عبادة أبيس عمرها على الأقل يرجع إلى بداية عهد الأسرات ونحن نعلم أن عبادة هذا الثور استمرت فى ممفيس حتى انتهاء عصر البطالسة عندما تم ربطها بشكل أو آخر بعبادة ايزوريس إله محاكمة الموتى والذى سمى فى كتاب الموتى «ثورامينتيت» ؛ «AMENTET» . أى «ثور العالم السفلى» وفى العصر البطليموس. ثم دمج كل من الإلهين وكونا الإله سرابيس «SARAPIS» والذى تضفى عليه النقوش خصائص إلهى العالم السفلى للمصريين واليونانيين.

يبدو اليوم أن هناك قبولاً عاماً بين علماء أصول السلالات البشرية أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية دعت البشر لعبادة الحيوانات ـ أى ـ أنهم عبدوها كحيوانات أو كسكن للآلهة أو كممثلة لأسلاف العشيرة وليس هناك سبب ـ على أى حال ـ يجعلنا نشك أن المصريين البدائيين فى العصر الحجرى الحديث قد عبدوا الحيوانات بصفتها حيوانات لا أكثر أما الاعتقاد بأن الحيوانات كانت تمثل مسكناً للأرواح أو أنها كانت فى حد ذاتها آلهة فلقد نما فى أذهانهم بعد ذلك فى زمن لاحق وكان السبب الذى حملهم على تحنيط أجساد الطيور والحيوانات والأسماك .. الخ النافقة ـ حيث تصوروا أنها آلهة متجسدة. مرتبطاً بذلك يجب أن نلاحظ أن الآلهة مثلما حدث فى حالتى الثور أبيس * والكبش منديس «MENDES» لم تكن تسكن أجساد كل الحيوانات وأن الإله أبيس أو روح ايزوريس التى كان من المفترض أن تسكن كبش منديس لا تتخذ كل ثور أو كبش مأوى لها .. فابيس الثور مثل الكبش منديس يجب البحث عنها باجتهاد ومثابرة ولا يكرم ويوقر فى معابد ممفيس أو منديس إلا الثيران أو الكباش التى تحمل العلامة المميزة والتى يتعرف عن طريقها الكهنة عليها.

أما باقى الثيران أو الكباش العادية المنتمية إلى نفس الأورمه التى جاء منها الثور أبيس أو الكبش منديس فلا تعتبر على نفس درجة الحيوانات ـ التى تعلن عن نفسها بعلامتها أنها ما يجب التوجه بالعبادة لها ـ وهى بالطبع التى يضحى بها عند تنفيذ الطقوس الجنائزية حيث تذبح وتؤكل كطعام بواسطة الشعب . ومع

---

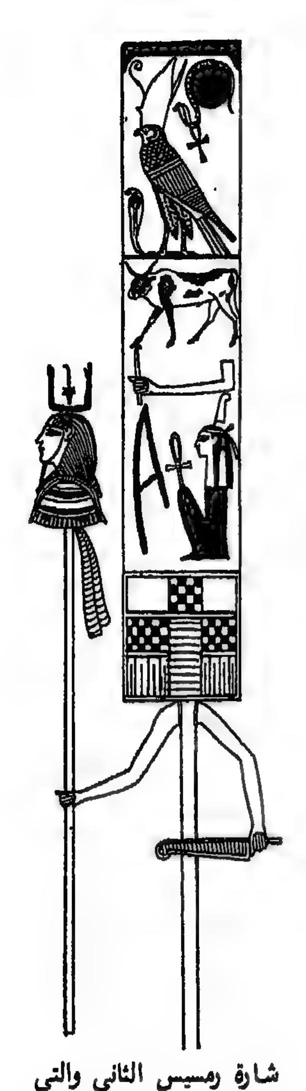
* الاسم الشائع عجل آبيس.

ذلك فقد يتجسد فيها بعض من الصفات الربانية فعندما يموت الثور أبيس أو الكبش منديس فإن الإله الذى تجسد فيه يحول نفسه تلقائياً إلى حيوان آخر وهكذا لايغادر الأرض.

والسؤال إلى أى مدى عبد المصريون الحيوانات كممثلة لقبائل الأسلاف أو كطوطم؟ هذا السؤال فتح المجال لحوارات طويلة وهو أمر لايدعو للعجب لأنه موضوع يمثل صعوبة ما. فنحن نعلم أن كثيراً من الأعلام (الشعارات) التى تمثل المقاطعات المصرية كانت تتميز برسومات لطيور وحيوانات مثل الصقر والثور والأرنب.. الخ وإن كان ليس واضحاً ما إذا كان مقصوداً بها أن تمثل «طوطم» أم لا؟. كذلك من المؤكد أن شعارات المقاطعات فى عصر الأسرات مأخوذة عن الأعلام التى وضعها مصريو عصر ما قبل الأسرات فوق زوارقهم أو التى حملوها أثناء تنفيذ الطقوس أو المهام العامة ـــ ومن الضرورى ـــ أن نفس الأفكار والعقائد حكمت استخدام كليهما. كذلك يمكننا أن نضيف أن الحيوانات والطيور القائمة فى قمة الأعلام والشعارات الخاصة بالمقاطعات لاتعنى هدفاً ما وليست ممثلة لطوطم القبيلة ولكنها لمخلوق يعتبر كإله يعيش شعب إقليم أو جزء من إقليم معين تحت حمايته. على الطرف الآخر نستطيع أن نفترض أن داخل حدود هذا الإقليم كان محرماً قانوناً إيذاء أو قتل هذا الحيوان أو الطير. بمعنى أن فى مقاطعة الثور الأسود تعتبر كل الثيران السوداء من نوع معين حيوانات مقدسة ـــ ومن المؤكد أن عبادات عصر ما قبل التاريخ كانت تشير إليه كإله ـــ بالمثل فى مقاطعة الأرنب قد تعبد الأرانب وفى مقاطعة الصقر تعبد الصقور.. ولكن خارج هذه المقاطعات ـــ فى الغالب ـــ كان الثور والأرنب والصقر حيوانات يمكن قتلها ـــ ومن المحتمل ـــ أكلها كطعام. من هذا المنظور فإن المخلوقات المقدسة للمصريين يمكن اعتبارها تشترك فى شىء ما مع «الطوطم» أو الآلهة الممثلة لقبائل الأسلاف أو الحامى السحرى لقبائل الأمم ذات المستوى الأدنى من الحضارة.

إتصالاً بهذا الموضوع فلقد درجت العادة على اقتباس مقولات الكتاب اليونانيين والرومانيين الذين تهكم العديد منهم على الأمة التى تورطت فى الحماقة

بسبب الحيوانات وعلى الدين الذى يحتوى على عبادة حيوانات تحفظ وتوقر بكل الحرص فى بعض الأماكن بينما تؤكل وتقتل فى أخرى. وأدلة هؤلاء الكتاب لا يمكن الثقة فيها بالكامل لأنهم لم يكونوا فى مواقع تسمح لهم بالحصول على معلومات موثقة وكمثال ذلك عبارات القذف تلك المأخوذة عن «جوفينال» والتى أعلن فيها أن المصريين آكلوا لحوم البشر.. ومن الممكن أن يصدق هو ما كتبه ـ ولكن تبقى حقيقة ثابتة أننا لدينا العديد من الأسباب لتصديق أنهم لم يكونوا من أكلة لحوم البشر.. كذلك رواياته الأخرى عن الديانات المصرية ـ فى الغالب مثل السابق غير موثوق بها.



شارة رمسيس الثانى والتى عليها نقش اسم حورس الخاص بهذا الملك غطاء النقش على هيئة السماء ▭ ومن القاعدة توجد ساعدان بشريان الأولى تمسك عصا فوقها رأس الملك وتمثل «الكا» الملكية والأخرى تمسك ريشة العدالة «ماعت».

لا توجد أدبيات دينية مصرية باقية تمكننا من تتبع تاريخ الديانة فى كل فترات تاريخ الأسرات ومن باب أولى فإن عصر ما قبل الأسرات نقف أمامه عاجزين. لأننا نفتقد لهذه الأدبيات تماماً.

وعموماً فالآثار والنصوص التى لدينا تخدم فكرة أن المصريين فى البداية عبدوا الحيوانات كحيوانات ولا شىء أكثر. ثم وبعد ذلك كمأوى للأرواح أو الآلهة ولا يوجد سبب لأن نفكر فى أن عبادة الحيوانات فى مصر قد انحدرت من نظام طوطمى أو الحامى السحرى «FETISHES» كما يعتقد مستر ج.ف. ماليناني J.F. M'LENNAN.

هناك فرضية شائعة بين بعض علماء السلالات البشرية . أن كثيراً من الشعوب البدائية قد اعتادوا إطلاق أسماء الحيوانات على الأفراد . وأن مثل هذه الأسماء تصبح فى حالات معينة أسماء للقبائل التى قد تصبح ألقاباً للعائلات وبطول الزمن قد تنسج حولهم الخرافات بالقدر الذى تعلن به العائلات المعنية أنها قد إنحدرت بشكل فعلى «من الحيوانات التى يشار إليها كأسلاف ومنها يمكن أن تنمو أساطير أخرى عن مغامرات غريبة وأعمال بطولية لأجدادهم يعزونها إلى تلك الحيوانات شبيهة الإنسان التى يحملون إسمها .. وفى نفس الوقت .. يقود خلط مبهم بين الجد الأكبر والمخلوق ــ الذى حمل اسمه ونقله لنوعه ــ يؤدى إلى احترام المخلوق نفسه ومن ثم اجمالى عبادة الحيوان » .

هذه النظرية يمكن أن تفسر بها حقائق معينة مرتبطة بتلك العبادة لعدد من القبائل الهمجية والنصف همجية فى بعض أجزاء العالم ولكنها ــ فى رأى الكاتب ــ لا نستطيع أن نعتبرها قد أمدتنا بتفسير لعبادة حيوانات المصريين .

ففى عصور الأسرات كان الملوك ــ وهذا حقيقى ــ يعبدون كآلهة ويحظى مركزهم بشرف مقدس ولكن كان ذلك بسبب أن الملك كان يعتقد أنه من أبناء الإله حورس ــ أقدم جميع آلهة مصر ــ كذلك كان هناك من يلاقون تكريماً الاهياً بسبب شهرتهم لانجازهم أعمالاً عظيمة أو لعلمهم ولكن لا هؤلاء ولا الملوك كانوا آلهة تعبد فى طول الأرض وعرضها مثل تلك الآلهة المعروفة أو الآلهة الكونية الممثلة للطبيعة .

باختصار العبادة التى كانت تقدم للملك بعد وفاته أو للرجال العاديين الذين عبدوا فى زمن ما كانت مختلفة تماماً عن تلك التى تقدم لآلهة القطر سواء كانوا على هيئة حيوانات أو بشر وسواء كانوا يمثلون الأرواح المهتمة بسعادة البشر أو تلك التى شغلت نفسها بالإشراف على عمليات الطبيعة .

وفى أعلام المقاطعات نرى أن هناك أشياء أخرى عديدة بالإضافة إلى الحيوانات قد عبدت واعتبرت كآلهة أو أنها ــ على أى حال ــ قد أصبحت رموزاً للآلهة التى عبدت فيها .

نعرف أن بعض الأعلام فى عصر ما قبل الأسرات كان يعلوها صور لاثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة تلال ,, , وأخرى يعلوها سهمان وثالثة سمكة ورابعة سهمان ودرع .. الخ وبدراسة هذه العلامات فإننا يمكننا معادلة العلامة من عصر ما قبل الأسرات مع الأخرى من عصر الأسرات كذلك علامة ما قبل الأسرات مع من الأسرات.

وتبقى بعض العلامات مثل التى لا نجد لها معادلاً فى عصر الأسرات وأخرى لا نجد سبباً لربطها باله مثل التلال الثلاثة ويحتمل أن نكون على صواب لو ربطنا السهمين بإله قديم للحرب إلى حدما . أما الدرع والسهمان المتقاطعان فنستطيع تفسيرها بيقين أكثر فنحن نعلم من قائمة المقاطعات أن المقاطعة الخامسة فى مصر الدنيا التى كانت تسمى سابى «SAPI» بواسطة المصريين أوسايتس «SAITES» بواسطة الاغريق كانت عاصمتها مدينة سايس SAIS أو سوت SAUT وأن الإله الأكبر لهذه المدينة كانت الربة نيز NEITH أو نيت NIT والتى رسمت فى عصر الأسرات على صورة ربة تمسك فى يديها بسهمين وقوس وأحياناً تلبس على رأسها تاج الشمال أو الرسم الذى هو رمز لاسمها أو سهمين متقاطعين وهى رسوم تدل ــ بدون أى شك ــ على أن ربة سايس هذه هى فى حقيقتها ربة الصيد ذات المقدرة والتى من المؤكد أنها قد عُبدت فى عصور الأسرات المبكرة لأننا وجدنا أن اسمها قد كون جزءاً من اسم نيت ــ حتب NIT-HETEP التى تبدو كما لو كانت زوجة قها ĀHA أو ابنة الملك سما «SMA» كذلك جزء من اسم الملك مير ــ نيت MER-NIT أحد ملوك الأسرات الأولى وهو الأمر الذى ينفى أى شك فى أن العلامة من عصر الأسرات مناظرة لعلامة ما قبل الأسرات على أساس أن العلامة الأولى معروفة بأنها تمثل أسهم ودرع ربة صيد سايس وبالتالى فيحق لنا أن نعتقد أن معادلتها من عصر ما قبل الأسرات تميل لأن تكون رمزاً لنفس الأشياء أى تعبر عن نفس الربة فإذا أضفنا إلى ذلك ما سبق ذكره من قبل أن من أعلام

عصر ما قبل الأسرات علم كان يعلوه رسم لفيل قصد به ــ بدون شك ــ أن يمثل إلها فإنه يتضح لنا أنه فى كلا العصرين عصر ما قبل الأسرات والأسرات رمز المصريون لالهتهم بالحيوانات وأشياء أخرى مرتبطة بعبادتها أو بالمهن التى افترضوها لها مثل ما وجدناه فى قائمة مقاطعات عصر الأسرات مقابل اسم ماتينو MATENU حيث وجدنا سكينة ولمقاطعة تن TEN زوج من القرون المركبة فوق قرص له سعفتا نخيل ولمقاطعة اس US أو UAS صولجانا ولمقاطعة سيشيشيت SECHECHET شخشيخة ... الخ من الرسم الأول والثالث والرابع من هذه المجموعة من الأمثلة سنجد أننا وبشكل واضح أمام «أشياء» مرتبطة بعبادة الأرباب التى صنعت من أجلها الرموز.. أما الرسم الثانى فمن المحتمل أن يكون غطاء رأس إله المقاطعة.

عموماً فى هذه الفترة من تاريخ العالم يستحيل إدراك الأسباب التى أدت بالبشر لاختيار مثل هذه الأشياء كرموز لآلهتهم. ونحن قد نقبل ــ فقط ــ وجهة النظر التى تشير بأنها كانت من ابتكار بعض المحليين الأقوياء الذين نجحوا فى غرس نظامهم الدينى فى مصر بعمق وصمدوا فى مواجهة التغييرات والاضطرابات السياسية والغزو الأجنبى فازدهرت أفكارهم فى البلاد حتى القرن الثالث من عصرنا على الأقل.

عبادة «نيت» كانت فى الغالب منتشرة انتشاراً واسعاً فرغم أن ــ هيكلها الأساسى ــ فى عصر الأسرات كان فى بلدة سايس بالدلتا.. إلا أننا نعلم أن عابدى الربة قد عاشوا أيضاً فى أقصى الجنوب بنقاده «NAKADA» التى تبعد عن شمال طيبة أميالاً قليلة حيث وجدت أغراض عديدة نقش عليها اسم الملكة نيت حتب.

ونحن لا نعرف الكثير عن بداية عبادة هذه الربة ولكن الاحتمال الأكبر أنهم عبدوها ــ كعادة الشعوب البدائية فى أجزاء أخرى من العالم ــ كروح صيد عظيمة فالسهمان المتقاطعان والدرع توحى بذلك.. ولكن الرسم الذى وجد لها فى

عصر الأسرات والذى يمثلها وعلى صدرها تمساحان يرضعان يجعلنا نعتقد أنها فى الأيام التالية لعصر ماقبل الأسرات قد عزى إليها قدرات ماتخص سيطرتها على النهر.

ذكرنا من قبل أن المصريين البدائيين رغم إعتقادهم بأن لآلهتم قوى تفوق قواهم .. إلا أنهم نظروا إليها ككائنات قابلة للنمو حتى الشيخوخة والموت وتحركها أهواء الحب والبغض وتستمتع كالرجال باللحم والشراب وافترضوا فيها كما سجلوا فى «سفر الخلق» ــ حتى ــ إمكانية التناسل والانجاب «لابناء الآلهة» والمصاهرة المتبادلة مع الكائنات البشرية.

هذه الأفكار كانت شائعة فيما بينهم خلال جميع عصور التاريخ المصرى ــ مما يوضح ــ أن المصريين لم يتحرروا منها أبداً حتى فى ذلك الزمن الذى تطورت فيه عقيدة التوحيد إلى درجة ملحوظة حيث نجد فى كتاباتهم الدينية العديد من البراهين الدالة على امتزاج المعتقدات التى حملها المصريون فى أدنى درجات حضارتهم بتلك التى تكشف عن وجهات نظر روحية عالية.

أحد الأعمال الهامة التى توضح مدى اختلاط العديد من الأكاذيب مع النتائج الطيبة هو النسخة المنقحة المبكرة للعمل الشهير «كتاب الموتى» ذلك المخزن الضخم للأفكار الدينية والذى حفظ فى عدة فصول منه معتقداتهم الخاصة بالآلهة والقدرات التى تمتلكها والمكانة التى تحتلها عند الأبرار من الموتى.

من أفضل الأمثلة التى تلقى الضوء على تفاصيل موضوعنا الفصل الأول من النصوص المنقوشة على حوائط حجرات ومماشى الهرم الذى دفن فيه الملك يونس «UNAS» من الأسرة الخامسة كذلك التى للملك تيتا من الأسرة السادسة.

والفقرات التى فى عمومها عرض منقح «للتربية الشمسية العظيمة» مأخوذة ــ كما نتوقع ــ من تلك التى من المفترض أن تكون قد كتبت فى مراحل سابقة فى المعابد الصغيرة الملحقة بالأهرامات والتى قد تكون مخصصة إما لابعاد الأعداء المتنوعين عن الممرات التى سيمر بها الملك فى العالم السفلى أو لاحتوائها على

تسابيح وصلوات قصيرة بهدف رحمته أو وصفات سحرية وتعازيم لحمايته وقليل منها تصف القدرات العظيمة للمرحوم والتى سيستمتع بها فى عالم ما خلف المقبرة ــ وبالطبع ــ تعلن أن الملك سيكون سيداً عظيماً فى السماء كما كان فوق الأرض .

هذه الفصول ــ التى نشير إليها ــ من هرم يونس لها من الأهمية والمتعة حتى أننا أفردنا لها ملحقاً خاصاً لهذا الفصل بترجمته أسفل السطور لمحتوياته التى قد تكون مفيدة فى تصورنا .

يونس الذابح والآكل للآلهة :

« السماء صبت أمطارها والنجوم اختلجت وحاملو القوس هرولوا فى خطوات مسرعة وعظام (آكر) «AKER» ارتعدت وهؤلاء الذين كانوا قائمين على خدمتهم فروا .. عندما رأوا يونس يعرج فى السموات كاله سكن أرض أجداده وأكل من نتاج ميراثه .. يونس رب الحكمة .. الذى منحه أبوه الإله « تم » «TEM» مكانه النبيل فى السماء فبلغت قوته الآفاق .

يونس الذى جاء دون حاجة لأم وتجاوزت قدرته قدرة أبيه الذى وهبه الحياة عرج متبوعاً ببدائله «الكاهات» «KAU» وأسفله هؤلاء الذين هزمهم وأمامه دليله الثعبانى .. وروح الشعلة تعتنى بروحه .. وقدرته تحميه » .

من هذه الفقرة نرى أن يونس قد تم تقديمه على أساس أنه ابن الإله « تم » وهو نفسه قد أصبح أقوى من أبيه وأنه عندما دخل السماء كإله أرهب كل المخلوقات وأصابها بالرعب فالسماء انحلت لأمطار والنجوم اهتزت فى أماكنها وحتى عظام آكرإله الأرض ذو رأس الأسد المزدوجة 𓃬 اهتزت وكل المخلوقات الدنيا فى السماء هربت هلعاً .. فلقد اعتبروه محارباً قديراً على الأرض وكل من هزمهم كانوا أسفل قدميه .. ونحن لا نجد سبباً لعدم أخذ هذه العبارات حرفياً أو اعتبارها كإشارة للصور المجردة للأعداء التى كانت فى بعض الأحيان ترسم على أغطية التوابيت الخاصة بالمومياءات أسفل الأقدام وفوق صندل المومياء وفوق أسفل الكفن الخارجى .. كذلك يلفت النظر أن الإنسان العادى كان من المفروض أن

يكون له بديل واحد «كا» ولكن بالنسبة للملك أو الإله نجد أنه يمتلك ــ في اعتقادهم ــ الكثير من البدائل وصلت فى نص من النصوص لسبعة أرواح «بو» «BAU» وأربعة عشر بديل «كا» يقال أن الإله «رع» «RA» امتلكها وكان المصلون يتجهون إليها جميعاً فيخاطبون كل روح وكل بديل منفصلاً بنفس الطريقة التى يخاطبون بها الإله نفسه.. فى مكان آخر قيل لنا أن البدائل الأربعة عشر لرع قد منحها له «تحوت».

يونس ظهر فى السماء «وآلهته» من فوقه والثعابين على جبهته ويقوده دليل ثعبانى.. وهو ناعم بقدراته. ومن الصعب هنا أن نحدد بماذا تشير كلمة «آلهته» حقاً.. لأنه من غير الطبيعى أن نعتبر تلك الأشكال الصغيرة ــ والتى فى وقت لاحق ارقدوها فوق أجساد الموتى ــ كتورية للآلهة وإنما يبدو أن علينا فهمها على أساس أن يونس كان مصحوباً بعدد من الكائنات المقدسة والتى أسبغت عليه قوة حمايتها.. أما الثعابين التى كانت فوق جبهته خلال عروجه والثعبان القائد فهى رموز لكائنات مماثلة وظيفتها أن تساعده على التبصر.. بمعنى آخر.. تمثل أرواح الثعابين التى تظهر صداقة للإنسان.

فلنواصل ما جاء فى الفصل المقتبس عن نصوص يونس.

«يونس هو الثور للسماء التى تغلب عليها بارادته. والذى تناول وجباته من كل ما تنتجه الآلهة.. لقد أكل من علف تلك التى تملأ أنفسها بكلمات القدرة القادمة من «بحيرة اللهب»».

يونس تزود بالقوى ليتغلب على أرواحه «KHU» وهو يصعد للسماء كإله قادر على أن يكون رب «كرسى اليد» (بمعنى القدرة) وأخذ مجلسه وظهره فى اتجاه «سب» «SEB».

يونس يزن كلامه مع ــ أقدم الآلهة ــ ذلك المختص حتى يوم النحر (التضحية) يونس سيد الأضاحى وهو الذى يربط العقدة ويزود نفسه بالوجبات وهوالذى يأكل الرجال وعلى أجساد آلهة يعيش.

إنه رب التضحية والحافظ لقوائم حصرها » .

الملك المتوفى تم ربطه بثور شاب عنيف ذلك الذى يقتات على كل ما تنتجه جميع الآلهة وأيضاً على تلك القادمـــة من البحيرة النارية ليأكل كلمات القدرة .. هنا نحن أمام ما تبقى من العبادة القديمة للثور والتى بدأت فى العصور المبكرة بمصر ودامت حتى عصر الرومان ..

طعامه هو الذى ينتجه كل إله .. وعندما نتذكر أن المصريين يعتقدون بأن كل شىء ــ جاداً كان أو حياً ــ هو مسكن لروح أو إله فمن السهل أن نلاحظ التورية التى فى هذه الكلمات حيث أن الأعشاب الخضراء التى يأكلها الثور عادة ــ من هذا المنظور هى مساكن للآلهة .

مرتبطاً بهذا نستطيع أن نقتبس كلمات من السانخونياثان SANKHONYATHAN (كتاب هندى قديم يعلم التحرر من خلال العلاقة بين المادة والروح) ــ الذى يماثل السانشونيازو الاغريقى ــ .. كما نقلها لنا « أيوسبيوس » «EUSEBIUS» «ولكن هؤلاء الرجال الأوائل قدسوا كل ما تنتجه الأرض واعتبروه آلهة وعبدوا هذه الأشياء التى هم أنفسهم وكل من سبقهم أو تبعهم اقتات عليها .. ولهذا قدموا القرابين والضحايا » .

والآن فلنعد لطعام هذا الثور يونس .. لقد قيل أنه أكل أيضاً كل ما جاء من بحيرة اللهب .. أو مدينة شى ساسا SHE- SA SA ماذا يعنى هذا ؟ .. فى الفصل «CVIII» من كتاب الموتى نحن نعلم أن شى ساس تقع فى سيخيت ساسا وهى حى من أحياء السماء وواضح من نص هذا الفصل أنها كانت أحد الدور التى يجلب الموتى الابرار منها الطعام . فالميت جعلوه يقول : « أنا لست مضطجعاً فى الموت .. أنا أقف أمامكم .. وأنا صعدت كإله .. وانقنق كأوزة .. وأنا مضطرم بالندى الطيب وبالسحب المقدسة كصقر .. لقد حضرت من شى ساسا التى فى سيخيت ساسا (بمعنى بحيرة اللهب) التى تقع فى حقل اللهب » . وقرب نهاية الفصل (سطر ١٠) يذكر أعشاباً أو محاصيل ( ) ويبدو كما لو

كانت قد نمت فى حقل اللهب أو إلى جواره ومن الواضح أنها يجب أن تكون تلك التى أشير إليها على أنها علف تلك التى قدمت من بحيرة اللهب .

قيل لنا بعد ذلك أن يونس لديه القوة الكافية لمعارضة أو مقاومة أرواحه «KHU» ولكن لم يوضح ما إذا كانت هذه كائنات باغية من العالم السفلى تحاول الأضرار به .. أم هى أرواح تخصه شخصيا .. على أى حال فإن معنى الجملة ليس واضحاً .

ومع صعود يونس للسماء اتخذ مجلسه وظهره فى اتجاه سب إله الأرض الجبار الممثل فى الأساطير بالأوزة التى من المفترض أنها وضعت البيضة الكونية الضخمة .

وفى الجزء الأخير من نص يونس المقتبس سنجدهم قد أعلنوا بعض الأفكار التى تستحق الأهتمام .. لقد قيل فى البداية أنه «يزن كلامه مع الإله المختفى الاسم» وهو مايدل على أن يونس هنا من المفترض أن يكون مساوياً فى الرتبة والقدرات مع إله محاكمة الآخرة .. فإذا رجعنا للنسخة المنقحة بواسطة الطيبين (نسبة إلى طيبة) «لكتاب الموتى» فسنجد تعبير تزن الكلام والذى يعنى أيضاً «وزن العقل» وهذه عملية تجرى على المتوفى الذى تقام محاكمته قبل وزن قلبه وعليها يتحدد فيما إذا كان قلبه سيوضع على الميزان الكبير من عدمه وهذا الاختبار الأولى يقوم به تحوت نيابة عن ايزوريس .. ولكن الكلمات فى نص يونس تظهر أن الملك المتوفى يعتبر نفسه ذا قدرة على الحكم على أعماله الشخصية .. وعلى منح نفسه السعادة دون المرور على الإله المختفى الذى فى الغالب هو ايزوريس .

فى النهاية يقال لنا أن يونس يأكل الرجال .. ويعيش على الآلهة .. ولقد أشرنا من قبل إلى الجزء الخاص بهجاء جوفينال والذى أعلن فيه أن المصريين من أكلة لحوم البشر وذكرنا أيضاً أن وثائق عصر الأسرات لم تزودنا بأى دليل من أى نوع على أن المصريين من أكلة لحوم البشر ولكن الجملة واضحة وتؤكد أن يونس

أكل الرجال وهى اثبات كاف يصعب أن نرد عليه بأى شىء آخر سوى أنها تعبير أدبى مجازى . وبالتالى فعلينا أن نفترض أن هذا الجزء من النص يشير إلى بعض الأعمال التنمية كتقليد جاء من عصر ما قبل الأسرات لعصور الأسرات . فلقد تجمع لدينا من جمل أخرى فى نص يونس وتيتا نوع المعاملة التى قوبل بها المقهورون فى المعارك من المنتصرين ويبدو أننا سنجد موازياً لها فى الأعمال الفظيعة التى كانت ومازالت القبائل الغازية فى وسط افريقيا تقترفها فى بعض الأماكن بعد المعركة .

فى عصر ما قبل الأسرات كان المحاربون المنتصرون يستولون على كل ممتلكات المهزوم .. وكل النساء اللائى يسقطن فى أيديهم وفى تلك العصور كان يرتكب فى حق الرجل سىء الحظ المأسور ما لا اسم له من الكراهية والرجس .

فالملك المتوفى فى نص يونس وتيتا من الطبيعى أن يوصف كرب السماء وكل الكائنات والأشياء التى بها وبالمثل هو سيد كل النساء ويقال عنه بوضوح أنه « المخصب » وأنه « يأخذ النساء من أزواجهن إلى أى مكان يرغب فيه ولأى زمن يسعده » . ولذلك فإسم من أسمائه « الثور » الذى بسبب فحولته وقوته عبده المصريون الأوائل . وهو قد طبق شريعة قائد القبائل الغازية على الرجال المهزومين الذين قدر عليهم أن يلاقوا إهانات مرعبة تقترف فى حقهم .

وفى نص تيتا نجد أن الملك المتوفى قد نُصح بأن يصعد لأعلى لأن حورس قد طلب من تحوت أن يُحضر إلى مجلسه « عدوك وأنه (أى حورس) قد وضعك خلفه حتى لا يحدث بك (العدو) ضرراً ولهذا عليك أن تجد لنفسك مكاناً فوقه حتى لا يستطيع أن يمتزج معك » .

من الممكن فى ذلك الوقت أى فى عصر ما قبل الأسرات أنه بالإضافة للتدمير العابث الذى كان يزاوله المصريون على المقهورين بعد حرب منتصرة .. والذبح .. والاغتصاب والنهب .. ومالا يسمى من الكراهية والرجس أنهم كانوا يقلدون الحيوانات المتوحشة ويأكلون الأعداء الذين هزموهم .

يونس

سطر ٦٢٩

تيتا سطر ٢٨٦

بمراجعة معارك عصر الأسرات يتضح أن المصريين كانوا ينهبون ويدمرون المدن والقرى الخاصة بالمهزومين وأنهم كانوا يقطعون أشجار البساتين والحدائق ويخربونها .. وأنهم كانوا يحملون معهم كل قطعان الماشية والاغنام التى يعثرون عليها .. وهناك أدلة عديدة على أنهم مثلوا بجثث أعدائهم الموتى بعد القتال .. ولكنهم لم يأكلوهم أبداً أو يتصرفوا معهم بطريقة مخالفة للطبيعة .. ولا يوجد على ذلك أى دليل على الإطلاق.

والآن فلنتابع الأجزاء الباقية المقتطعة من نص يونس. الآلهة التى تغذى على أجسادها يونس .. تم عمل الافخاخ لها لاصطيادها بواسطة أم ــ كهيو AM- KEHUA واختبر صلاحيتها وقدرتها تشيسر ــ تب ــ فTCHESER- TEP- Fوهو كائن مقدس أصبح فى زمن لاحق أحد الاثنين وأربعين قاضياً فى ساحة «ماعت» وتم ذكره فى فصل «الاعتراف الانكارى» بكتاب الموتى.

ثم بعد ذلك تولى هر ــ ثيرتو : HER- THERTU أمر القبض على الآلهة وتولى الإله خنسو «KHENSU» قطع رقابها وإخراج أمعائها .. وكائن يسمى شيسمو «SHESEMU»قام بعمل الجزار وكان يقطعها ويطهو الأجزاء المستخلصة منها فى قزانة النارى .. وبعد ذلك يأكلها يونس وبأكله لها يأكل أيضاً كلمات قدراتها وأرواحها .. وكان فى الصباح يأكل أكبر الآلهة وأطعمها .. وفى وجبات الغروب يأكل أصغرها حجماً أما أقل وجباته فكانت وجبة الليل. أما تلك التى شاخت أو بليت فقد كان يستبعدها كلية ويستخدمها كوقود لآتونه أما الوعاء الذى كانت

تطهى فيه أجساد الآلهة قد كان يسخن بواسطة « الواحد العظيم » فى السماء الذى يطلق لهبه تحت تلك التى تحتوى على افخاذ الشيوخ من الآلهة .. كذلك فإن « المعمر الذى فى السماء » صب فى الوعاء أفخاذ نسائها من أجل يونس .

ويقال أن يونس كان يقوم برحلة لكل مكان فى السماوين أى سماء الليل وسماء النهار.. وكان يتحرك من نهاية إلى أخرى خلال الاتيبوين المصرى «TWO ATEBU» بمعنى الأرض الواقعة بين الجبال والنيل وعلى كل من ضفتى النهر.

ونتيجة لأكل أجساد الآلهة أصبح يونس السيخم الأكبر «SEKHEM».. سيخم السيخم .. وأصبح أيضاً العشم الأعظم «ASHEM» * أى عشم العشمو.

والقدرة التى تحمى يونس والتى أظهرها كانت قدرة أكبر من كل قدرات السع-حو «SAHU» التى فى السموات . ومن بين كل أبكار الآلهة (الابناء الأوائل) أصبح هو أكبرهم وسبق الآلاف وقدم العطايا بالمئات (منهم) . حقاً أن القدرة التى أعطيت له كسيخم أكبر جعلته يصبح مثل النجم سع-حو «SAHU» يقيم مع الآلهة .

« ويونس باستطاعته أن يعيد عروجه فى السماء لأنه كان التاج السيبن » «SEBEN» لسيد السموات الذى يحصى العقد والأكباد وهو قد أخذ كل ما استطاع الاستيلاء عليه من قلوب الآلهة .. لقد أكل التاج الأحمر.. وأكل التاج الأبيض وتغذى على الأحشاء السمينة .

العطايا التى قدمت له كانت لتلك التى تعيش فى قلوبها كلمات القدرة وما أخرجه التاج الأحمر أكله فازدهرت كلمات القدرة فى جوفه والسع-حو التى تخصه لم تستدر بعيداً عنه .

---

* «Ashem» تنطق بالهيروغليفية عشم .

لقد أكل «معلومات» كل إله وبقائه واستدامة حياته سرمدى تخلد وتدوم فى أى سع-حو من تلك التى يسعده أن يصنعها .. وهو مهما كان لديه فلن يكون أبداً له آخر .. أو داخل حدود السماء .

أنظر أرواحهم مع يونس وظلالهم بأشكالها أو ملكاتها .

يونس مع أو فى المختفى مرتين آلهة «الكا» كسيخم وبتنفيذه كل تعليمات طقوس الحرث سيبقى المكان الخاص بقلب يونس بين الأحياء فوق الأرض للابد .. للابد» .

الجزء الأخير من النص السابق اقتباسه .. له أهمية خاصة لأنه يسمح لنا بإلقاء نظره من الداخل على كيف فكر المصريون فى الأجزاء الجوهرية الخاصة باقتصاد الآلهة .

سبق أن رأينا من قبل أن يونس قد خصص له «با» «BA» أى روح و«كاو» أى جمع «كا» أى المثيل أو البديل و«خو» «KHU» أى نفوس . «سع-حو» «SAHU» وسيخم «SEKHEM» والكلمتان الأخيرتان من الصعب ترجمتها ولكنهما قد يعبران إلى حد ما عن «الجسد الروحى» و«القدرة» . والروح ارتبطت بشكل خاص بالقلب ولقد افترضوا أنها ستكون راضية بالهدايا التى تستطيع استهلاكها . أما «الكا» أو المثيل فهو جزء من أجزاء الإنسان مرتبط بظله جاء إلى الوجود مع ولادته ويعيش فى المقبرة مع جسده بعد الموت .. والنفس هى مأوى الجزء الروحى من الإنسان وكلما إمتلكت الآلهة أو الكائنات نفوساً عديدة كلما ازدادت سطوة . ما السع-حو أو «الجسد الروحى» فقد كان الجزء الأثيرى غير المحسوس الشفاف الصافى من الجسد وفى عصور الأسرات افترضوا أنه فى كل الأحوال كان ينبثق من الجسد الميت للشكل الذى يحتفظ به .

ويبدو أن السيخم هى القدرة التى أحيت «السع-حو» وجعلته لا يقاوم .

وهكذا من المخلص السابق تقديمه من نصوص يونس عرفنا أن الآلهة كانت تتكون من كل هذه الأجزاء المختلفة وأن اقتصادياتها تماثل تلك الخاصة بالبشر ..

بمعنى آخر لقد صنع المصريون الهتهم على شاكلتهم مع منحها قدرات تفوق الأصل جيث تنعم بوسيلتى حماية سحرية تحافظ بها على وجودها وهما «ميكيت» «MEKET» و«حيكاو» «HEKAU» اللتان عادة ما تترجمان إلى «كلمات القدرة» و«الحماية السحرية» الخاصتان اللتان كانتا الهدف الأسمى لكل مصرى .. فلقد اعتقد المصريون أن من يمتلكهما ويحوزهما ويتحكم ولو لمرة واحدة فيهما يستطيع أن يعيش مثل الآلهة .

أما فى العصور الأكثر تبكيراً فلقد أعتقد الرجال بأن الطريقة الوحيدة للحصول على قوة وخلود الآلهة .. هو أن يأكلوا الآلهة نفسها .

وهكذا قرأنا أن يونس قد أكل جزءاً من أجساد آلهة مسلوقة .

«قد أكل» كلمات القدرة «HEKA» وابتلع أرواحها «KAU» .

والنتيجة أنه أصبح «قوة عظيمة» و«قدرة القدرات» أى أنه أصبح القدرة الأعظم فى السماء وأصبح أيضاً عشم العشمو العشم الأعظم بين العشمو بمعنى أنه استخلص أقصى مايمكن استخلاصه من خصائص العشمو وقدراتها العظمى واحتفظ بها لنفسه لأنه يمتلك الأرواح وكلمات القدرة الخاصة بالآلهة .

ولكن مامعنى عشم؟ فى نصوص تيتا نجد أن الكلمة يشار إليها برسم صقر يحط فوق قاعدة والتى تبين أن لها جمع «عشمو» «ASHEMU» الرسم —على كل حال— لايساعدنا كثيراً فهو لايبرهن على شىء أكثر من أن بعض صفات الإله الصقر حورس تنسب للعشمو.. والصقر —بدون شك— كان أول مخلوق عبده المصريون فى عصر ماقبل الأسرات وأصبح بالتبعية الرمز العام لكل الكلمات التى تحتوى على فكرة العبادة أو التقديس وأيضاً الاسم الفعلى للآلهة فى عدد كبير من الفصول المنقوشة لنصوص بالهيروغليفى على حوائط غرف وممرات الأهرامات فى سقارة .

الاسم الشائع للإله ــ كما رأينا سابقاً ــ هو نيتر «NETER» أو
وفى الجمع «نيترو» «NETERU» أو أو أو أو
وإن كان الإله الذكر فى بعض الأحيان يسمى بالصقر
حتى لو سميت الربة نيتريت «NETRET» فى كتاب الموتى كلمة «عشم» كتبت هكذا والتى يمكن ترجمتها بـ «عشم المقدس» وبما أن أول رسم يقابل الكلمة كان لصقر مقرفص فيمكننا بذلك أن نفترض أن الكلمة معناها الصقر.. فإذا كانت هذه الفرضية صحيحة فإن «عشم العشمو» والعشم الأعظم «والعشم الأعظم بين العشمو» تصبح معناها «صقر الصقور» و«الصقر الأعظم بين الصقور» وحيث أن الصقر لم يكن إلهاً عادياً فى عصر ما قبل الأسرات بل كان أكبر وأقدم الآلهة بالتالى يمكن فهم ما سلف بأن نجعل الجملة تنطق هكذا «إله الآلهة» و«الإله الأعظم بين الآلهة».

وهكذا بكلمات القدرة وأرواح الآلهة التى بداخله أصبح يونس مأوى قدرة الله وبكرى الآلهة وأصبح فى استطاعته أن يتحرك فى السماء بجبور كسيخم أو قوة عظيمة يمكن رؤيته فى السماء ممثلاً بكوكبه نجوم على هيئة «صياد» عملاق تسمى أوريون وأصبح بذلك لديه القدرة على تكرار صعوده اليومى فى السماء مثل هذه الكوكبة.. وبالطبع لا يستبعد أن يكون تعريف كوكبه أوريون بالملوك الذين أكلوا الآلهة قد جاء من تراث الشعب السامى الذى عاش فى الدلتا فى عصر الأسرات والذى أصبح أساس الأسطورة المتداولة عن أوريون بين العرب والعبرانيين بعد ذلك.

الرحالة المحدثون سجلوا حقيقة تخص شعوباً بدائية وشبه بدائية معينة.. فقد كان ــ وحتى أزمنة قريبة ــ لهم عادة أكل أجزاء من لحم الحيوانات المفترسة القوية أو الرجال الأقوياء ليكسبوا أجسادهم ــ من وجهة نظرهم ــ الحياة والقوة والصفات الطبيعية الخاصة بمن أكلوه هذه الفكرة كانت سائدة أيضاً بين المصريين

فى كلا العصرين سواء فى ذلك ماقبل الأسرات أو عصر الأسرات حيث نجد إشارة لها فيما بين أيدينا مما اقتبسناه عن يونس.

فهو قد امتلك قلوب الآلهة وأحصى الزيسو «THESU» والبكيسو «BEQESU» وتغذى بسماو «SMAU» سمينة.

وفى الحقيقة الأسماء الثلاثة السابقة من الصعب وجود ما يماثلها فى لغتنا ولكن الأهمية التى ربط بها المصريون امتلاك القلب ــ الطبيعى ــ أو زيادة قدراته مبرهن عليها فى عديد من النصوص خصوصاً تلك التى فى فصول عديدة من كتاب الموتى وفى ورقات البردى التى وجدت فى كل مكان لحماية القلب.

ففى كتاب الموتى ــ مثلاً ــ الفصل السادس والعشرون نجد المتوفى يصلى « هل يمكن أن آخذ قلبى من بيت القلوب وهل يمكن أن آخذ «هاتى» ــ الخاصة به ــ «HATI» من بيت « الهواتى » (« هاتى » هو مكان كلمات القدرة وبواسطته تستمر الحياة). والفصول السابع والثامن والتاسع والعشرون مكتوبة لمنع ــ هؤلاء الذين يسرقون القلوب ويدمرونها ــ من سرقة القلب والفصل التاسع والعشرون (أ) مؤلف بالكامل لوقف موته فى العالم السفلى والفصل الثلاثون (أ)، (ب) المقصود منه منع قلب الرجل من أن يضل طريقه إلى هناك خصوصاً فى وقت المحاكمة عندما يوزن فى الميزان الكبير.

ولنعود للأسماء الثلاثة التى قلنا أن من الصعب إيجاد ما يماثلها فكلمة « زيسو» من المعانى التى ذكرت خلالها يمكن أن تعنى إما الفقرات أو أعضاء داخلية فى الجسد التى تماثل الاوتار المربوطة أو المعقودة. بينما «بكيسو» تظهر كل المعطيات أنها أيضاً من الأعضاء الداخلية ففى الفصل الثلاثين (١) يقول المتوفى: « الطاعة لكم ياقلبى! الطاعة لكم يا « هاتى » أو (مسكن القدرة) الطاعة لكم يا « بسك » «BESK» والكلمة الأخيرة فى الغالب مرادفة لكلمة « بكيسو» ولكنها غريبة بما يكفى لأن نستنتج أنها تعنى القلب. ومع ذلك فالكلمة تبدو كما لو كانت كبد فلقد أشار السيد فريزر «FRAZER» فى

دراسة له إلى ما يدل على أن القبائل البدائية تنظر للكبد على أساس أنه مكمن للروح أو حياة الإنسان وأنهم يأكلون أجزاء منه من منظور اكتساب الأشياء التى يحويها.

الكلمات المذكورة فى نص يونس لم تحدد بشكل قاطع أن الملك أكل الزيسو وأكباد الآلهة التى ذبحت من أجله. ولكن هناك أدلة من إجمالى النص تشير إلى أنها من المفترض أن تشكل جزء من طعامه.

على الجانب الآخر قيل تحديداً أنه قد أكل ما يخصها من «سمو» أو «أمعاءها السمينة» وقلوبها أو تلك الأجزاء التى يعتبرونها مكمناحيكاو «HEKAU» أو الكلمات ذات القدرة السحرية والتى هى مصدر لحياتها. والآن بجانب الأرواح وكلمات القدرة والأعضاء الداخلية الخاصة بالآلهة ـ قيل ـ أن يونس قد أكل المعلومات «سا» «SAA» التى تخص كل إله وأن فترة حياته ووجوده قد اندمجا فى اللانهائية والبقاء السرمدى والتى تمثل فى كل الاحوال إسعاداً لجسده الروحى «سا». وأنه خلال تواجده لم يكن مجبراً بأى حال على أن يفعل مالا يستثيغه ـ وأكثر من هذا ـ فإن الأرواح وأرواح الآلهة أصبحت فى ومع يونس وأن ظلالها وأشكالها المقدسة أصبحت معه وبذلك نرى أن يونس قد استوعب فى جسده الروحى كل حياة وقدرة الآلهة وأن جزءاً منه أصبح له دوام أبدى وأنه يستطيع أن يفعل أى شىء وكل شىء يسعده.

إلى هنا ومن الطبيعى أن نتوقع نهاية هذا الفصل ولكن ما جاء فى الجملة الأخيرة عن أنه قد أصبح إله له «كا» مزدوجة مستتر وغير معروف وأنه قد أصبح له قدرة «سيخم» استطاع بها تنفيذ تعليمات الحرث وأن «كرسى قلبه» سيبقى بين هؤلاء الذين يعيشون فوق الأرض للأبد للأبد.. يجعلنا نرى مدى صعوبة فهم وشرح الديانة المصرية وقوانين الآلهة.

فمن الجزء الأول من الجملة المأخوذة عن النص والتى تم ترجمتها وتحليلها من قبل.. عرفنا أن الملك المتوفى قد أصبح إله الآلهة.. خالد وغير مرئى مزود بقدرات فائقة

فى السماء.. الخ ولكن فى نهايته نحن نقرأ أن «كرسى قلبه» سيبقى بين هؤلاء الذين يعيشون على الأرض للأبد.. للأبد.. بمعنى أن يونس سينعم بعد الوفاة باستمرارية الحياة التى بدأها فى هذا العالم ـــ أى أنه سيكون له تواجدان أحدهما سماوى والآخر أرضى.

ملحق الفصل الأول
يونس الذابح والآكل للآلهة [1]

٤٩٦ انهمرت المياه لأسفل السماء . ٤٩٧ ترتعش النجوم . [2] يتجول

حاملو القوس .. ٤٩٨ ارتجفت عظام أكر [3] هؤلاء الذين تحتهم

هربوا [4] عندما رأوا ٤٩٩ يونس يرتفع كروح [5]

مثل إله يعيش فوق آباءه [6] ويتغذى

٥٠٠ فوق أمهاته يونس هذا سيد الحكمة ٧

هذا النص من هرم يونس (ماسبيرو وروسل وتوم ٤) والتعديلات من هرم تيتا (روسل وتوم ٤ صفحة ٤٨ ، ١ ، ٣١٩) .

(٢)

(٣) (٤)

(٥) (٦)

ذابح وآكل الآلهة

(١) ... ٥٠١

غير معروف أمه اسمه طبقة نبيلة

(٢) ٥٠٢

ليونس فى السماء تكمن قوته فى الأفق مثل تم

(٣)

والده أنجبه وأصبح أقوى منه

(٤) ٥٠٣

تكون أمثال يونس خلفه يكون المهزومين منه

(٦) (٧) (٨)

أسفل قدميه تكون آلهته فوقه تكون ثعابينه

٥٠٤

فوق جبهته تكون الأدلة الثعبانية ليونس من قبله

(١) (٢)

(٣)

(٤) (٥)

(٦)

(٧) (٨)

ذابح وآكل الآلهة

---

(١) ٥٠٥

أنظر روح (هو) روح الشعلة تكون قدرات يونس

تحميه يونس هذا ثور السماء الذى دفع (زق)

(٢) ٥٠٦

بواسطة ارادته الحياة على ما يأتي للوجود من الإله

(٣) (٤)

جميعاً ويأكل ما يخصهم من طعام الذى يحضر يملأ

(٥)

بطونهم بواسطة كلمات القدرة من بحيرة اللهب

(٦) ٥٠٧ (٧)

يونس هذا مزود بالقوة ضد أرواحه

(٨) (٩)

يصعد يونس مثل واحد قدير السيد فى مقعد اليد هذا (بالآلهة)

---

(١) (٢) (٣)

(٤) (٥) (٦) (٧)

(٨) (٩)

ذابح وآكل الآلهة

٥٠٨

أجْلِس بظهره ل سب يونس هذا

يزن (١) كلماته مع ذو الاسم المختفى عنه (٢) فى يوم (٣) الذى

يخص النحر (٤) أكبر (الآلهة) سنا يونس هذا يكون سيد

الخاص بالعطايا ربط (٥) العقدة يصنع طعامه (٦)

٥٠٩

لنفسه يونس هذا يأكل (٧) رجال (و) (٨) يعيش

على الآلهة سيد العطايا (٩) الذى يفحص قوائم العطايا

---

(١) (٢) (٣)

(٤) (٥)

(٦)

(٧) (٨)

(٩)

ذابح وآكل الآلهة

أنظر هو الذى يجعل الجباه (تنحنى) أم ـخيهو (١) (٢) أمسكهم بواسطة شرك

من أجل يونس أنظر تيشر / ـــتب إف (٣) كان يعرفهم (٤)

(و) ساقهم (له) أنظر حر ثيرتو (٥) قيدهم

أنظر خنسو (٦) الجزار الخاص بالآلهة (٧) قطع هو رقابهم (٨)

من أجل يونس هو قد مزق ٥١١ ما بداخل بطونهم

(لأنه) هو كان الرسول (٩) الذى أرسله (١٠) ل يسوقهم

---

(١) (٢)

(٣) هذا المخلوق ذكر فى «الاعتراف السلبى» انظر صفحة (٢٥٩)

(٤) (٥)

(٦) (٧) (٨)

(٩) (١٠)

ذابح الآلهة وآكلهم

(١)

أنظر سيشمو قطعهم من أجل يونس هو سلق

(٢) (٣) ٥١٢

قطع منهم فى أوعية (قزان) اللهب يونس

(٤)

هذا أكل كلمات القدرة التى تخصهم هو أكل أرواحهم

(٥)

كبارهم من أجل وجبته فى الصباح متوسطهم

(٦) (٧) (٨)

من أجل وجبته فى غروب الشمس صغارهم من أجل وجبته

(٩) (١٠) ٥١٣

فى الليل شيوخهم عجوزاتهم

---

(١) (٢)

(٣) (٤) (٥)

(٦) (٧)

(٨) (٩) (١٠)

ذابح وآكل الآلهة

من أجل أتونه أنظر الواحد الكبير فى السماء

قذف (أطلق) هو لهب ضد الأوانى تحتهم

مع أفخاذ الخاصة بكبارهم (١) برر ــ أمو ٥١٤ بت (٢)

الخاص يونس قذف (داخل) الأوانى (٣) الـ أرجل الخاصة (٤)

بنسائهم أصبح يتجول خلال السماء المزدوجة كلها

أصبح يتجول هوخلال نصفى مصر يونس هذا

السيخم الكبير (٥) السيخم ٥١٥ الخاص السخم (جمع) يونس (٦)

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

ذابح وآكل الآلهة

يكون عشم (1) عشم الخاص بالعشم الكبير (2) (الذى) وجده

فوق طريقه (3) أكله بشره

الحماية الخاصة بيونس قبل (تلك التى) للسعـحو (4) كل

فى الأفق يونس هذا (5) الأكبر الخاص (6) بالكبار

ذهب حوله (7) الآف منحها مئات

التى أعطيت له اليد مثل السيخم كبير (8) انظر

(1)

(2)

(3) (4) (5)

(6)

(7) (8)

ذابح وآكل الآلهة

(٢) (١) (٣)

٥١٧

أوريون مع الآلهة كرر يونس صعوده

(٤) (٥)

فى السماء هو تاج السبن مثل سيد فى الأفق

(٦)

لقد أحصى عقد (و) أكباد وضع يده على

٥١٨ (٧)

قلوب الآلهة التى أكلها التاج الأحمر

(٨)

الذى أكله التاج الأبيض تغذى يونس على

(٩) (١٠)

أمعاء سمينة عطاياه كانت حيث يعيش فى قلوبهم

(١) (٢) (٣)

(٤) (٥) (٦) (٧)

(٨) (٩) (١٠)

ذابح وآكل الآلهة

٥١٩ كلمات القدرة التى تخصهم (١) أنظر يونس آكل الذى (٢) يصب خارج

(من) التاج الأحمر هو أزهر (٣) كلمات القدرة الخاصة بهم

يكون فى معدته ٥٢٠ لا يستدير للخلف سع-حو ليونس

منه هو آكل الذكاء (٤) الخاص إله كل

فترة حياته (٥) أبدية تواجده ٥٢١ سرمدى

فى «سع-حو» (٦) الخاصة به هذه التى سعيد (بفعلها) هو فعل

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

ذابح وآكل الآلهة

(١)

الذى يكرهه ليس يكون هو فى الحدود للأفق

٥٢٢

للأبد وللأبد أنظر أرواحهم (تكون) فى يونس

(٢)

أرواحهم هناك (تكون) مع يونس أكثر وفير (يكون) طعامه

٥٢٣

أكثر من (تلك التى) للآلهة اللهب الخاصة بيونس (تكون) فى

(٣)

عظامهم أنظر أرواحهم (تكون) مع يونس ظلالهم

(٤) ٥٢٤

تكون مع أشكالهم يونس يكون مع هذه يرتفع يرتفع

(٥) (٦) (٧)

يستتر يستتر سيخم قد نفذ التعليمات

(١) (٢) (٣)

(٤) (٥)

(٦) (٧)

٥٢٥ الخاصة بالحرث [(١)] مجلس القلب ليونس (يكون) بين

الأحياء [(٢)] فوق الأرض هذه للأبد وللأبد

---

(١)

(٢)

الفصل الثانى

تصور عن الله والآلهة

نصوص أهرامات يونس وتيتا وخلفائهما تظهر أن أدبيات ديانات المصريين تحتوى على العديد من العقائد والأفكار المختلفة التى تنتمى لكل فترات تاريخهم وتمثل مراحل متعددة من مسار حضارتهم. هكذا تؤكد أراؤهم عن مكونات وجودهم المادى والعقلى والروحى وتدل على أنها لم تتكون لديهم مرة واحدة لدرجة يصعب معها ـ بالنسبة لبعضها ـ تحديد أى منها سبق الآخر.

ونحن لسنا فى حاجة إلى دراسة تطور أفكارهم عن المكونات الجوهرية للآلهة لأننا نعلم أنهم فى أزمنة مبكرة ـ على الأقل ـ قد منحوا هذه الآلهة نفس الصفات التى كانت لهم هو أنفسهم ثم عندما آمنوا ـ بعد ذلك ـ بأن لديهم مثلاء وظلالا وأرواحاً ونفوساً وقلوباً (أى مقر لحياتهم الذهنية) وأسماء وقدرات وأجساداً روحية كان من الطبيعى أن يمنحوا كل هذا لآلهتهم أيضاً.

ولكن إذا كان للآلهة مثلاء أو ظلال أو قلوب وهى أشياء لا يمكن أن تتواجد ـ كما فى حالة الإنسان ـ إلا من خلال جسد لذلك فلقد كان لزاماً عليهم أن يخلقوا لآلـهتهم أجساداً.. وهكذا تصور المصريون آلهة تستطيع أن تأكل وتشرب وتحب وتكره وتقاتل وتصنع الحروب وتشيخ وتموت وتتلاشى بنفس القدر الذى يحدث لأجسادها.

ورغم أن النصوص قد أوضحت ومنذ زمن مبكر جداً أنهم قد بدأوا فى تكوين أفكار وحدانية وتطوير عقائد ذات ملامح روحانية عالية إلا أن المصريين لم ينجحوا أبداً فى التخلص من أفكار أسلافهم الخام ـ الغشيمة ـ التى كونوها منذ فترة بعيدة من تاريخهم فيما قبل الأسرات.

تلك الأفكار من الصعب ـ بالطبع ـ افتراض أن الطبقة المتعلمة فى مصر كانت تؤمن بها على الرغم من أن هذا لايتفق مع حقيقة أن النصوص الدينية التى تحتوى على هذا الخليط الهائل من وجهات النظر والعقائد قد تم كتابتها لصالحهم بنفس القدر الذى كتبت به من أجل الجموع المنصاعة.

حيث نجد فى كتب الموتى لجميع العصور براهين تدل على أن الغنى والفقير والمتعلم والجاهل كانوا كلهم سواء فهم يصلون من أجل الهبات الجنائزية ويعلنون فى كل الفصول إيمانهم العظيم بوجود تلك الآلهة المادية وما ستفيض به عليهم.

فى أحد نصوص الدولة القديمة يعلن المتوفى أن الإله أو الإله وابن الإله أو الإله والإله الأكبر من الجميع «حورس» قد أعطاه عينه وأنه قد جلس على عرش ضخم بجوار إله.

كذلك نقرأ فى النص أنه قد شاركهم فى تناول تينهم وعنبهم وأنه قد شرب من الجعة التى تدوم أبداً وأنه قد عطش ولكن ليس بنفس القدر الذى حدث للإلهين «شو» و«تفنوت» «TEFNET» & «SHU» وأن عرش الإله كان من حديد وأرجله تنتهى بأظلاف كتلك التى للثيران وجوانبه زينت بوجوه أسود.

ورغم أن الإله الكبير حورس قد أنعم عليه بواحدة من «الكاهات» التى تخصه.. وأعلن أنه قد أصبح خالداً.. إلا أن السماء لا تخلو من تلك الأعداء التى تجرؤ على معارضة المتوفى.

كل الآلهة منحته طعامها حتى لايموت وهو قد جلس بينها عند شاطىء بحيرة فى حقل السلام مرتديا لباسا من كتان أبيض وصندلا وتناول أخشاب (أشجار) الحياة التى تقتات هى نفسها عليها وأنه هو أيضاً قد يقتات عليها. لقد أصبح بذلك ابنا للإله.. وطفلاً لسوثيسى «SOTHIS» والربة إيزيس أصبحت زوجته والقمر أخاه وبالتالى فهو ابن الإله.

ولقد قيل لنا أيضاً أن لحمه وعظامه قد تجمعت معاً فى جسده المادى الذى أعيد انشاؤه وأن أطرافه تعمل بشكل طبيعى منفذة وظائفها وأنه قد أصبح ينعم

بجسد ممتلىء بالعافية. وهكذا فمن حقنا أن نرى ــمن وجهة نظر ماــ أنه والآلهة لهم نفس التكوين ما دام يعيش كما يحيا إله.

إن الأمثلة عن خلط الأفكار الروحية والمادية ممكن أن تتضاعف بشكل غير محدود.. ويمكن أن نورد من الجمل التى تحتوى على مقولات متعارضة للغاية ــفى الغالب مقتبسة بشكل واسعــ ما يبرهن على أن أفكار المصريين عن عالم ما خلف القبر والله والآلهة كانت أفكاراً تتسم بطابع البدائية والطفولة والتقلب.. عموماً الذى علينا أن نتذكره بخصوص نصوص الكتابات الدينية المصرية هو أن النزعة المحافظة الفطرية الخاصة بالمصريين فى كل العصور لم تسمح لهم أبداً بهجر أى اعتقاد أمكن التعبير عنه فى يوم ما كتابة. وأن الكلمات المكتوبة اعتبرت لديهم كأشياء مقدسة والتى ــسواء آمنوا بها أو لاــ يجب أن تحفظ بعناية كبيرة وإذا أمكن بدون أى إضافات أو حذف مهما كان. وهكذا حفظت وتداولت لآلاف السنين عن طريق نقوش المعابد الأفكار الدينية والعقائد التى تم فعلاً نسيانها كلية بواسطة الشعب المصرى بالكامل.

الأمر كان من الممكن أن يصبح بسيطاً إذا كانوا قد اكتفوا بذلك فقط ولكنهم ــلسوء الحظــ ضمنوا داخل المجموعات القديمة.. نصوصاً جديدة تفانى الكهنة والنقاشون فى جعلها متوافقة مع الأصل. ونتج عن ذلك هذه الفوضى ــمن العقائدــ التى نجدها الآن فى الكتابات الدينية المصرية.

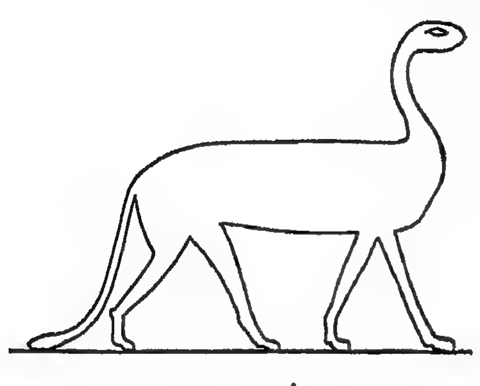
قبل أن نعبر الآن لفحص جذور معنى الإسم المصرى لله والآلهة أى «نيتر» سنذكر أولاً تلك النوعية من الكائنات التى افترضوا أن تكون لها أجساد جزء منها حيوانى وجزء آخر بشرى.. أو تلك التى بملامح مركبة من حيوانات مختلفة.

من المجموعة الأخيرة يمكن ذكر ذلك الكائن الذى كان له جسد فهد ورأس ورقبة ثعبان والذى كان يسمى «سيتشا» «SETCHA» والآخر الذى كان له جسد أسد نبت منه جناحان ورأس نسر وكان يسمى «سيفر» «SEFER» أو تلك المطوقة التى كان لها جسد الجزء الأمامى منه

لأسد والخلفى لحصان والرأس لصقر ولها ذيل ممتد ينتهى بزهرة ترمز بشكل ما للوتس وكانوا يسمونها ساك [hieroglyphs] «SAK» * والتى ترسم ولها طوق حول رقبتها وخوص وشرائط فوق جسدها ولها ثمانى حلمات.

وبين المخلوقات التى جزء منها حيوان وجزء أخر بشرى يمكن ذكر ذلك الفهد الذى يحمل رأس إنسان وأجنحة تظهر من ظهره ورأس أسد بشرى أو أبو الهول.

الرأس الإنسانية التى تنبثق من ظهر هذا الفهد تذكرنا بالشكل التقليدى الذى تم تصويره للملائكة فى الرسومات الدينية الحديثة.



الفهد ذو رأس الثعبان «سيتشا»

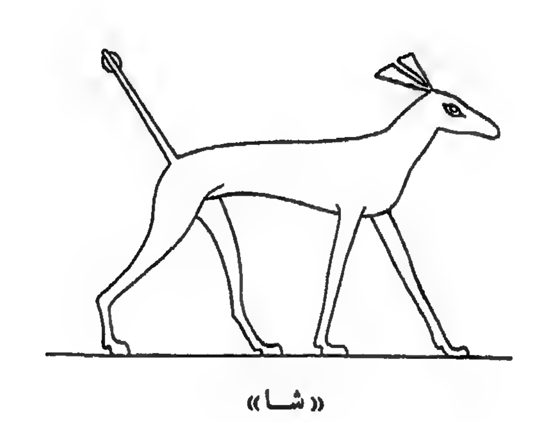


فهد أسطورى

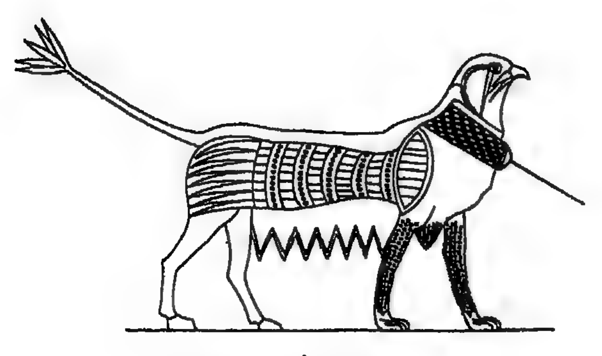
* تنطق ساج بالهيروغليفى بدلاً من ساك.



الأسد ذو رأس النسر « سيفر »



« شـا »



الحيوان الأسطورى « ساك »

ولأن اسم هذا الحيوان الخرافى مجهول فمن المستحيل ــ حتى ــ تخمين الأسباب التى من أجلها تم تزويده برأس بشرى مجنح. مرتبطاً بتلك الحيوانات المركبة لابد من ذكر «ملتهم أمنتيتى» أيضاً والمسمى بـ «أم ــ ميت» «AM - MIT» آكل قلوب الموتى «والذى كان اثنان من أطرافه الأربعة ــ الاماميتان ــ لتمساح والأخريان ــ الخلفيتان ــ لليمور وجسده لأسد.

كذلك لابد من التعرف على حيوانات مقابر بنى حسن حيث وجد فيها رسومات «سيتشا» و «سيفر» جنباً إلى جنب مع تلك التى تدعى «شا» «SHA» والتى رسموها على هيئة خيوانات لها آذان طويلة مثلثة وذيول ممتدة تشبه السهم وفى شكلها العام تشبه الحيوان الذى يمثله الإله «ست»..

وهى رسوم ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة أى حوالى ألفين وخمسمائة عام قبل الميلاد وإن كان لايوجد أى سبب لافتراض أن ابتكارها لم يتم قبل ذلك الزمن بفترة طويلة.

هناك تفسيران لوجود مثل هذه المخلوقات المركبة يمكن طرحهما. فهى إما أن تكون نتاج خيال المصريين الذين تصوروا وجود ذوات أربع يتوحد فيها قوة حيوان وحكمة آخر. مثل «سيتشا» التى وحدوا داخلها قوة الفهد مع فكر الثعبان ومثل ذلك الفهد الذى لا اسم له المحتوى على الرأس البشرية المجنحة. أو يرجع إلى جهل الأقدمين للتاريخ الطبيعى.

الرأس الإنسانية التى تركب لحيوان تمثل ذكاء الإنسان والأجنحة لحركة الطيور الخفيفة وجسد الفهد للقوة والرشاقة اللتان يتميز بهما وإن كان من الصعب تصور أن هذه المخلوقات كانت من نتاج مخيلة الإنسان فقط فلابد وأن يكون قد تم تحفيزها ــ لتصنع هذه الوحوش الاسطورية ــ بتلك القصص والحواديت المتناقلة عن حيوانات عصر ما قبل الأسرات والتى كانت ترتع فى أماكن محددة من مصر خلال تلك الفترة وهو ما ذكرناه من قبل عن أن ثعبان الأساطير المصرية الجبار

لابد وأنه كان انعكاساً لنموذج من الثعابين الضخمة التى عاشت فى البلاد خلال الأزمنة البدائية.. كذلك فإن «أبيب» ـ بدون شك ـ لم يكن فى الأصل شيئاً أكثر من ثعبان هائل عاش فى بعض جبال الضفة الغربية من النيل.

على الجانب الآخر قد يكون من الممكن أن يؤمن المصريون فعلاً بوجود حيوانات مركبة وأنهم لم يدركوا استحالة نمو رأس وعنق ثعبان فوق جسد أسد أو رأس صقر من جسد سبع أو رأس بشرى بأجنحة طير من ظهر فهد. على أى حال نحن نعرف أن المصريين كانوا شغوفين ـ بالقدر الكافى ـ بمراقبة الحيوانات التى احتكوا بها يومياً الأمر الذى وضح من دقة رسمهم لأشكالها وخطوطها الخارجية وملامحها بشكل مدهش ـ ومن الطبيعى ـ ألا يرسموا بدقة تلك الحيوانات الخرافية التى لم يشاهدوها أبداً وإنما سمعوا عنها فقط فى حواديت الرحالة والآخرين.

والإنسان فى كل العصور ـ كظاهرة عامة ـ يبدو أن لديه ميلاً للتصديق فى وجود حيوانات ووحوش مركبة حتى من بين أكثر الشعوب القديمة ثقافة.. والمصريون والبابليون ليسوا استثناء لهذه القاعدة فعجول البحر الأسطوانية لدى البابليين تكشف عن اعتقادهم منذ أزمنة مبكرة بوجود عديد من الحيوانات الأسطورية كذلك الحجارة المُحددة لأماكن معينة أو موضوعة كعلامات حدود ـ فى فترات لاحقة ـ تبرهن على أن الحيوانات المركبة كان من المفترض أنها تحرس حدود الممالك والولايات وتحميها من الغزو.

والإنسان المجنح ذو رأس الثور الذى وضعه الآشوريون أمام بوابات ومداخل قصورهم «ليحموا خطوات الملك الذى صنعهم» تدل بوضوح على أنهم كانوا يتبعون بولاء الأمثلة الموضوعة بواسطة انسبائهم البابليين.

ومن «عزاقيل» «EZAKEIL» الأشورى فى الفصل الأول من كتابه وصف ـ لابد وأنه قد تم استعارته وتطويره ـ عن حيوانات ذات أربعة أوجه.

وفى فترات لاحقة من التاريخ ظهر كما لو أن الكتّاب الكلاسيكيين لم يروا أى غرابة فى الوصف السليمانى للحيوانات وطريقة تواجدها التى يبدو استحالتها ولذكره بأنها قد أظهرت قدرات تخالف جميع معارفهم وخبراتهم.

ومن أرسطوطاليس ــ كما ذكر بلينى ــ أن هناك مقولة تم نقلها بواسطة «أثيليان» إله الريح لدى الإغريق بأن «هورابولو» «HORAPOLLO» قرر بجدية أن الجعران هو «مثال للمولود الفرد فهو مخلوق ينتج نفسه بنفسه وكائن لا تحمل به أنثى».

وعن الأسد حامل رأس الرجل بالجيزة ــ أبو الهول ــ كتب بلينى وديودوروس وسترابو وغيرهم من الكتاب القدماء يصفونه وصفاً تفصيلياً ثم أكدوا جميعاً وجود مثل هذا الكائن.

التفسير الثانى الذى يوضح أن الحيوانات المركبة هى نتيجة خيالات شعوب تفتقد للمعلومات الدارجة للتاريخ الطبيعى أو على أى حال معلوماتهم معيوبة وغير مرضية له سبب بسيط. ففى مرحلة بعينها ودرجة تطور محدد من تاريخ كل شعب بدائى تظهر الحاجة لوجود كائنات تمثل حلقة الوصل المنطقية بين الحيوان والإنسان.. فيتم تصوير مخلوقات لها بعض صفات وقدرات البشر بشكل جزئى وبعض صفات وقدرات حيوانات أخرى.. فإذا فكرنا لبرهة سوف نجد أن أغلب الآلهة فى مصر مرتبط بشكل وثيق بهذه المرحلة من التطور وأنه بالمقارنة سنجد أن قليلاً جداً من هذه الآلهة قد صنع على هيئة إنسانية كاملة. ثم تشبث المصريون بعد ذلك بشدة بآلهتهم غير المتقنة الصنع هذه والممثلة فى شكل حيوانات. وحتى فى الأزمنة التى من المؤكد أنهم لم يكونوا يعتقدون فيها فى وجودها استمروا فى نقشها وتكوينها فوق حوائط معابدهم بشكل مثير للدهشة إلى الدرجة التى يبدو منها أنهم قد فقدوا حساسيتهم تجاه مشاعر السخرية التى تثيرها لدى الغرباء تركيبتهم المحافظة.

سبق أن ذكرنا أن اللفظ الشائع لدى المصريين للتدليل على الله أو إله أو روح من أى نوع أو كائنات من كافة الأصناف والأشكال والأنواع والكيفيات التى كانوا يعتقدون أنها تمتلك أى قدرات تفوق البشر أو خارقة للطبيعة كانت كلمة «نيتر» «NETER» 𓊹 .

وأن الرمز الهيروغليفى المستخدم مقابل هذه الكلمة وتوظيفها كصورة هو
وهكذا فنحن لدينا أو بمعنى «إله» و أو أو
أو بمعنى «آلهة» وان كانت فى بعض الأحيان تكتب بالكامل أى كالآتى: واللفظ الشائع للربةهو«نيترت «NETERT»
أو أو وفى بعض الأحيان تكون الكلمة المخصصة سيدة وفى مرات أخرى تكون حية والجمع «نيتريت» «NETERIT»
والآن علينا أن نناقش ما هو المفترض أن يعبر عنه وماذا أيضاً تعنى كلمة «نيتر» ؟.

وصف الدكتور «بيرش» على أساس أنها بلطة وفى عام ١٨٧٢ وضعها الدكتور «بروجيش» بين أسلحة أخرى فى قائمة تصنيفه للهيروغليفية وخصائصها . وبهذا فإن اثنين من أكبر أساتذة علم المصريات اعتبروها اما سلاح أو أداة للقطع وهى فى الحقيقة ــ كما نفترض ــ تمثل رأس فأس مربوطة فى ذراعها بواسطة قطعة من الجلد.

رؤوس الفئوس المبكرة كانت مصنوعة من الحجر أو الصوان أو الشيرت وبعد ذلك من المعدن ومن المؤكد أنه بعد أن أخذ النحاس والبرونز والحديد مكان الحجر والصوان تم تعديل الطريقة التى تثبت بها الرأس فى الذراع . وحديثاً تمت محاولة لإظهار أن الرمز يماثل فى خطوطه الخارجية لفة من القماش الأصفر الجزء السفلى مربوط أو مضفر فوق الجزء العلوى ويظهر كحاشية أو هدب ربما لعدم ربطها . ومن الممكن ــ أيضاً ــ أن يمثل هذا الشيء تميمة أى عظمة مربوط حولها بعناية ويمكن ألا يكون قماشاً فقط .

ولكن يؤسفنا أن نقول أنه لا يوجد دليل على صحة وجهات النظر هذه . عموماً سواء كان الرمز الهيروغليفى قد تم نقله عن تميمه أو لفة من القماش فالأمر لا يضيف كثيراً ويبقى التفسير المنطقى الوحيد لطبيعة هذا الرمز هو ما قدمه الدكتوران بيرش وبروجيش أى أن الشيء الذى تمثله ــ فى رأيهما ــ هو فأس ولا أكثر.

مستر « لجج » LEGGE اهتم بجمع عدد من الأمثلة كان الفأس فيها له صفة القداسة سواء من المجاليس البريطانية (حجارة ضخمة) أو من بقايا كهوف جناز عصر ما قبل التاريخ فى مارين باسكندنافيا أو فى أمريكا .. ولكن ما أصاب به الهدف — حقاً — فى الصميم هو إشارته لجسم اسطوانى مصنوع من العقيق كان قد قدمه وحققه المرحوم أديرن دى لونجيير والذى فى حقيقته تمثال لكاهن من — شلدانين جراب — يقدم قربانا لفأس منتصب رأسيا فوق هيكل المعبد .

ولقد علق مستر لجج « بأن الفأس فى هذا الأثر يظهر لا كممثل لشيء يستخدم فى الحياة اليومية ولكن لأغراض سحرية أو دينية » .

ثم أضاف « بينما كان الفأس عادة ما يصنف — بشكل خاص — على أنه أحد الأسلحة الصوانية المبكرة — مما يظهر أن استخدامه الرمزى يعود للعصر الحجرى المتوسط أو ربما الحديث — إلا أن استخدامه كقلادات مصنوعة من مواد كالذهب أو الرصاص أو العنبر يبرهن على أنه فى فترات لاحقة أصبح له أغراض دينية أو سحرية » . وهو بلا شك قد أصاب كبد الحقيقة بافتراضاته هذه فاستخدام الفأس الحجرى سبق بكثير تلك الأسهم المصنوع رؤوسها من الصوان أو السكاكين المنحوتة من نفس المادة ويمكن تأكيد ذلك بعدد كبير من الحقائق .

ففى المتحف البريطانى محفوظ ومعروض أسلحة من الاردواز الأخضر تعود إلى عصور بالغة القدم منها فؤوس مزدوجة لها رؤوس ذات حواف قاطعة من نهايتيها ومربوطة بشرائط من الجلد فى قمة ومنتصف عصا . وبغض النظر — عن كيفية — ظهور هذه الرؤوس المركبة على يد خشبية كالشوكة إلا أنه حتماً كان للحجر المربوط فى نهاية عصا مكوناً هراوة قاتلة تأثيرها على المصريين فى عصر ما قبل الأسرات بحيث يمكننا اعتبارها سلاحاً مبكراً عرفوه فى هذه الفترة . وبمرور الزمن وجد الإنسان أن هذا السلاح يمكن أن تزيد فاعليته لو كانت الحجارة مسطحة ولو صقل نهايتيها لتصبح لها حافتان قاطعتان .. وهكذا ظهر الفأس فى زمن مبكر للغاية من تاريخهم . التطور التالى لشكل رأس الفأس جعل له حافة قاطعة واحدة وظهرها تم تشكيله بحيث يمكن ربطه باليد الخشبية بواسطة شرائط من الجلد .

ونحن إذا تصورنا ماذا فعله ذلك الفأس بالنسبة للإنسان البدائى سواء فى كونه سلاحاً أو أداة عمل فلن نعجب إذا كان قد أصبح فى البداية ــ بالنسبة له ــ رمزاً للقدرة الطبيعية أو القوة وما تلى ذلك من قداسة وسيطرة. فبواسطة الفأس ــ استطاع المصرى فى عصر ما قبل الأسرات قطع الأشجار وذبح الحيوانات ــ بمعنى ــ آخر ــ أصبح السلاح الأقوى من الأرواح والآلهة التى تسكن الأشجار والحيوانات. فلا غرو أن أصبح فى فترة مبكرة جداً من تاريخهم يقابل بالاحترام والتقديس.

ولكن بجانب هذا فالفأس لابد وأنه كان يستخدم فى مراسم التضحية حيث اكتسب بالضرورة أهمية كبيرة وبالتالى فعلينا أن نتوقع أنه قد مر بسهولة ليصبح واحداً من رموز المراسم نفسها.

عندما بدأ المصريون فى استخدام كرموز للقداسة كان رأس الفأس ــ كما يرى أغلب دارسى الهيروغليفية ــ مصنوعاً من المعدن ومن الواضح أن هذا التغيير فى مادة الصناعة قد جعل منه سلاحاً باتراً ذا تأثير يفوق سابقة. وهكذا يمكننا التأكد من أن الشكل يمثل فأساً وأنه استخدم كرمز للقدرة والقداسة فى عصر ما قبل الأسرات فى مصر فى زمن أبعد كثيراً من ذلك الذى كانوا قادرين فيه على الكتابة. ونحن لا نملك الوسائل لمعرفة ماذا أطلقوا على الصفات الخاصة به أو ماذا سموه هو نفسه قبل هذه الفترة ولكن فى عصر الأسرات عندما أصبح ذا رأس معدنية باترة سموه نيتر.. كما رأينا.

عندما نحاول أن نجد كلمة تعبر عن «نيتر» هذه ستقابلنا صعوبة التوصل لها لتؤدى بدقة المعنى الذى ربطوه بها لذلك فمن المهم للغاية أن نجد بعض الأفكار لما تعنيه «الكلمة» لأنها تمثل الأساس الذى تركز عليه ــ بدون شك ــ فكرة المصريين عن الألوهية أو الله.

وكلمة «نيتر» نوقشت بشكل موسع بين عديد من علماء المصريات ولكن لم يتطابق ما توصلوا إليه عن مغزاها أبداً. فسر «بيريت» «PIERRET» عام ١٨٧٩

فكر فى أن المعنى الحقيقى لها هو «التجدد» «لأنهم فى الفكر الأسطورى يؤكد الله على بقائه للأبد شابا بواسطة تجديد نفسه بالتوالد الأذلى».

وفى نفس العام فى محاضرة شتوية أكد رينوف «RENOUF» أن باستطاعته «معرفة المعلومات البدائية المتصلة بالكلمة بدقة» بمعنى أن «نيتر» بالنسبة له «لا يوجد لها تفسير مقبول تم تقديمه من قبل «ولكنه ظن أن التفسير الذى كان على وشك إعلانه سيكون فى الأعم مقبولاً من الباحثين» لأنه توصل إليه من خلال دراسة خاصة لكل ما نشر من كتابات عما تعنيه هذه الكلمة.

ثم قال «أن قريباً من «نيتر» تأتى كلمة «نيترا» «NETRA» وأن كلاهما يمكن أن يكون معناهما هو الكلمة القبطية ⲚⲞⲨⲦⲈ أو ⲚⲞⲨϮ والتى كما نرى من نص مقتبس بواسطة تاثام TATHAM فى معجمه أنها منقولة عن الكلمات اليونانية ,ἰσχὺς, παράκλησις أو παρακαλεῖν والمعنى الأولى لكلمة ⲚⲞⲨϮ يبدو كما لو كان (قوى) وبإفتراض أن نيتر مقابلة لها فى المعنى فإن رينوف يؤكد بجسارة أن نيتر تدل على كلمة «قوى» أو «قوة» ويمكن أن تكون «قدرة» والتى هى أيضاً أحد معانى الكلمة العبرية الـ EL التى يمكننا أن نعلق عليها بشكل عابر بأن المعنى الدقيق لكلمة «الـ» العبرية الدالة على اسم الله غير معروف وأن الكلمة نفسها يحتمل أن تكون اسم خاص بأحد الآلهة السامية القديمة.

والنص الذى اقتبس منه رينوف للبرهنة على أن نيتر تعنى «قوى أو قوة أو قدرة» ــ كما قال مستر ماسبيرو ــ تم تفسيره ــ بشكل خاطىء ــ فمستر ماسبيرو عارض ــ عن حق ــ محاولة جعل كلمة نيتر (المذكرة) أو كلمة نيترت (المؤنثة) تعنى قوى فى الكلمات الآتية:

«التعبير «مدينة» «نيتريت» أو «ذراع» «نيتر» .. من المؤكد أنها مدينة قوية أو ذراع قوى تعطى لنا المعنى البدائى لكلمة «نيتر»؟ ولكن لو أن أحداً من بيننا قال «موسيقى آلهية» أو قطعة من الشعر الإلهى أو الطعم الإلهى للخوخ أو الجمال الإلهى للمرأة.. فكلمة إلهى هنا مبالغة فى الأطراء فإذا قلنا أن المعنى

الأصلى «لاهى» هو فاخر أو رائع أو لذيذ لأن فى الجمل التى تخيلت أن أحدهم يمكنه أن يصيغها جاءت من موسيقى رائعة أو قطعة عظيمة من الشعر أو طعم لذيذ للخوخ أو الجمال الخلاب لامرأة نصبح وقد أخطأنا فى شرح كلمة « إلهى » .

وبالمثل فى المصرية «مدينة نيتريت» تعنى مدينة مقدسة و« ذراع نيتر» يعنى ذراع مقدس أى أن كلمة نيتريت أو نيتر هنا تستخدم بشكل مجازى لدى المصريين كما نستخدم نحن كلمة إلهى فى الفرنسية لمعنى فاخر أو رائع أو لذيذ أو خلاب .

معنى «قوى» لكلمة «نيتر» إذا جاز فهو معنى مساق وليس أصيلاً » .

المنظور الذى كون على أساسه دكتور بروجيش معنى كلمة نيتر كان مختلفاً كلية .. لأنه تصور أن الجوهرى فى معناها هو « القدرة الفعالة التى تخلق وتنتج أشياء بواسطة تكرار متعاقب وتعطى لها حياة جديدة وتحفظ لها نضارة الشباب » .

هذا الذى اقتبسناه كان وجهة نظره عام ١٨٨٥ ولكن هل تمسك دكتور بروجيش بها لمدة ست سنوات تالية ؟ . من المقتطع التالى من كتابه الذى صدر عام ١٨٩١ عن الدين المصرى يشير فيه إلى وجهة نظر رينوف وقناعته بأن نيتر لها معنى مساو للكلمة اليونانية δύναμις فهو يقول :

« أنها حقيقة بادية لنا أن الله يعنى القوة والعظمة وأن الإله أو الله يبدو كما لو كان صخرة قوية أو جبل قوى وفى عهد الفراعنة كانوا يعتقدون فى وجود الإله الأعظم خاصة فى الأسرة الثامنة عشرة عندما كانت «نوت» ربة للخلق والبعث .. ولقد وجدنا فى مقابرهم ما يدل على ذلك فى نقوش التوابيت وكتاب الموتى . والآن نترك لكم الخيار أما أن الربة «نوت» هى ربة البعث والحياة وأما هى ربة القوة والمقدرة . المصريون القدماء هل قصدوا هذا المعنى أم ذلك .. وهو معنى لا يختلف كثيراً عن العقيدة الإلهية لدينا الآن » .

من هذه الجمل دكتور بروجيش يوافق بشكل كامل على وجهة نظر « بيريت » التى ذكرناها أنفاً عن علاقة « التجدد » بكلمة نيتر وإن كان يبدو كما

لو كان قد انسحب من الموقف الذى اتخذه من قبل وأكد أن معنى الكلمة يتطابق مع الكلمة اليونانية $\phi \upsilon \sigma \iota s$: واللاتينية «NETRA» .

ونحن نجد صعوبة فى أن نقول أنه لا توجد أرضية صلبة لهذا التأكيد ويعز علينا أن نرى عالماً رفيع الشأن فى المصريات يحاول مقارنة فكرة الله المكونة بواسطة شعب إفريقى نصف متحضر بشعوب ذات حضارة مثل اليونانيون والرومانيون .

وحتى لو أننا أخذنا بوجهات نظر علماء مميزين فى علم المصريات مثل أى. دى . روج وليبلين وماسبيرو فنحن لا نقترب من حل صعوبة معرفة معنى «نيتر» .

أول هؤلاء يشرح رؤيته فى العبارة التالية :

«نحن لا نستطيع أن نعرف على وجه الدقة معنى فعل «نيتر» والذى يشكل جذور كلمة نيتر «إله» ومن يرى أنها تدل على كلمة «يصبح» أو «يجدد» أو «روح ما» يقدم أفكاراً غير كاملة لأن «نيتر» تستخدم للدلالة على الروح التى تعيد الحياة والتى ترتدى لباس الخلود» .

وهكذا نجد أن أحد كبار علماء المصريات يقر بأن المعنى الدقيق لكلمة «نيتر» غير معروفة ولكنه يقدم وجهة نظر لا تختلف فى معناها مع ما طرحه بيريت .

أما الأستاذ ليبلين فهو يتقدم لخطوة أبعد من دى روج لأن من رأيه استحالة أن نرى الأصل الأول لفكرة الله بين الشعوب التى سبقت التاريخ المعروف .

«عندما نأخذ الهنود الأوربيون كمثال .. ماذا نجد لديهم ؟» .

الكلمة السنسكريتية ديفا «DEVA» تتطابق فى معناها مع كلمات أوروبية مثل TIVAR اللاتينية DEUS و TIVI تيفى وتيفار الشماليتين فإذا كانت الكلمات الأوروبية تشير فى معنى لها إلى «الله» فلابد وأن السنسكريتية لها نفس الدلالة ــ على الأقل فى بداية نشأة هذه اللغة بمعنى أنه إذا كان الآريون والهنود الأوروبيون قد عاشوا معاً فى وطنهم الأصلى فلابد وأن كلمة ما من لغتهم الأم قد تم دمجها مبكراً مع كلمة الله بحيث أنها بعد أن تطورت فى اللغات المأخوذة عنها

احتفظت بنفس دلالة الأصل كما رأينا فى الكلمات السابق الإشارة لها. فإذا لم تكن كلمة ديفا السنسكريتية تشير هى أيضاً لـ «الله» فسيصيبنا العجب إذ كيف حملت كل هذه الكلمات بمحض الصدفة نفس القدر فى المعنى مع كل هذه الشعوب بعد انفصالها !! وهو أمر غير محتمل تماماً.. إلا أن يكون للكلمة المشتقة عنها باقى الكلمات فى اللغة الأم من عصر ما قبل التاريخ معنى «الله».

فإذا كان بمقدورنا أن نمضى قدماً ونفترض أن حتى هذه اللغة الأصلية المشتركة أخذت هذه الكلمة عن آخرين فبالتبعية نتوقع أن نجد لها أصولاً فى لغات عصر ما قبل التاريخ الأكثر تبكيراً.. وهو أمر ممكن بل حتى محتمل فكل العناصر التى يمكن أخذها فى الاعتبار تشير إلى أن فكرة الله نفسها قد تطورت من لغة عهد مبكر عن العصر الذى تكونت فيه اللغة الهندواوروبية الأم.. والمستقبل ربما سيكون قادراً على امدادنا بالأدلة على ذلك فعلم اللغات أصبح قادراً جزئياً على إعادة بناء اللغة الهندواوروبية والخاصة بعصر ما قبل التاريخ. وقد يكون من الممكن أيضاً إعادة بناء اللغة السامية القديمة واللغة الحامية (المصرية) ومن هذه اللغات الثلاث التى تعود إلى عصر ما قبل التاريخ بجذورها والتى من الثابت ــ وليس تخميناً ــ أن لها ارتباطات مشتركة برهنت عليها الدراسات الأولية يمكن أن نستخلص ــ مع مرور الزمن ــ من بينها لغة خامدة لعصر ما قبل التاريخ المبكر والتى طبقاً لعلم القياس ممكن أن نسميها «بالنوحية». وفى تصورى أنه إذا توغلنا فى هذه النوحية فإننا سنجد ــ فى الغالب ــ كلمات تعبر عن الله.. أو قد لا نجد أن فكرة الألوهية قد بزغت فى ذلك الزمن للوجود.

على العموم فقد تكون دلالة هذه الفكرة أن كلمة الله كامنة فى لغة خامدة مبكرة أو قد تكون مدفونة بعمق فى طبقة من الطبقات البعيدة للغة ما بحيث يستحيل الكشف عنها. فبين زمن سكنى الكهوف فى العصر الجيولوجى الرابع وعصر الممالك التاريخية توجد مسافة شاسعة من الزمن بحيث يصعب أن نرحب بأنها كانت خالية تماماً من أى فكر عن العبادة.. وأن هذه الأفكار قد تفجرت فجأة فى الأزمنة التاريخية المعلومة.. على أى حال.. نحن ليست لدينا القدرة

الآن على تقديم الأدلة التاريخية الخاصة بالزمان والمكان الذين ظهر فيهما لأول مرة السؤال عن ماهية القدرات الخارقة التى نرى آثار أعمالها يومياً فى الطبيعة وفى حياة الإنسان!! ورغم أن المصريين كانوا أقدم الشعوب المتحضرة تبكيراً ــ بقدر مانعرف تاريخياً إلا أننا ــ إذا كنا نأمل فى تأسيس علم لاهوتى صحيح ــ سنجد أن من المستحيل الإشارة إليهم كأصل لفكرة العبادة.. فأقدم الآثار المصرية تقدم لنا آلهة الطبيعة أساساً ومن بينها نجد مكاناً خاصاً للشمس منذ الأسرتين الرابعة والخامسة إلا أنه كان يتأرجح بين القدرة العظمى أحياناً والله الكبير مرة أخرى فى نفس الوقت لم تكن الفكرة مؤكدة فيما إذا كانت تشير إلى إله الشمس أم لإله آخر من آلهة الطبيعة.. أو أنها تتمحور حول عبادة لفكرة غير محددة لقوة خالقة للطبيعة غامضة ممكن أن يكون المصريون قد ورثوها.

ومن المحتمل أن هذا الإله الكبير المشار إليه فى آثار الأسرة الرابعة والخامسة ومابعد ذلك قد أعطى الفرصة لاعتقاد خادع أن أقدم الديانات المصريين كانت توحيدية مطلقة عموماً يجب ملاحظة:

أولاً: أنه لم يذكر منفرداً وإنما كان يذكر جنباً إلى جنب مع آلهة أخرى متنوعة.

ثانياً: أنه كان يسمى باسم «الله العظيم» مجرداً بدون إظهار أى فروق فى الألقاب على عكس عاداتهم.

وكما أن الله هذا الذى ليس لديه شىء آخر يذكر به كان يتكلم بالرمز ويظهر فى وجود تجريدى بحت».

كان من الضرورى الاستشهاد برأى الأستاذ ليبلين باستفاضة لأنه كان واحداً من أوائل الذين ناقشوا الفكرة المبكرة لله فى ضوء ربطها بما ــ يدعى ــ أنه يماثلها من أفكار لدى الشعوب الأرية.

وعموماً لو أتيحت له الفرصة لأن يعيد كتابة الجزء الذى اقتبسناه آنفا فى ضوء الأبحاث الحديثة سيعدل ــ فى اعتقادنا ــ عن عديد من نتائجه. وللأغراض

الدراسية التى بين أيدينا قد يكون من الكافى أن نوضح أنه قد آمن أن من المستحيل الإشارة إلى أصل فكرة العبادة بين المصريين.

آخر من نحتاج إلى الاستشهاد به هو ذلك الرأى الذى يخص مستر ماسبيرو الذى لم يقل فقط ــ بجرأة ــ أنه لو كانت كلمة نيتر أو نيترى تعنى «قوى» فإنها تصبح معنى دارجاً وليس أصيلاً وأنه يفضل أن يقر ــ بقدم الكلمة لدرجة أن نشأتها غير معروفة ــ أى ــ هى تعنى «إله» ولكنها لا تعلمنا شيئاً عن ما كانت تعنيه فى العصور البدائية بل يضيف «بأننا يجب أن نكون حريصين فى الا نجعلها توحى إلينا بما تعنيه كلمة الله فى العبادات الحديثة أو فى التعريفات الفلسفية.. لأن الإله المصرى القديم كان كائناً يولد ويعانى ويموت مثل الإنسان وهو هالك وغير متكامل وله عواطف وفضائل وغرائز وبدائل».

هذه الجملة عن الآلهة المصرية صحيحة ــ بالطبع ــ فى فترات متعددة من تاريخهم ولكن يجب أن تُفهم بوضوح بحيث لا تطلق على عواهنها لأنه جنباً إلى جنب لهذه الأفكار كان موجوداً ــ على الأقل ــ بين المصريين المتعلمين أفكار توحيدية لا تقف بعيداً عن تلك الأفكار الحديثة السائدة اليوم.

مما سبق عرضه نرى أن أغلب الباحثين قد أخذوا بوجهة النظر القائلة بأن كلمة نيتر قد تعنى «تجديد» أو «قوة» أو «قدرة» أو «صيرورة» أو بعض الأفكار التى تدور حول التجديد.. وأن آخرين تصوروا أن معناها الأصلى ليس فقط غير معروف ولكن مستحيل معرفته.

ولكن ورغم أننا ــ معهم ــ لن نكون قادرين على اكتشاف المعنى الدقيق الذى تعنيه الكلمة لدى شعوب عصر ما قبل التاريخ.. إلا أننا يمكننا أن نحصل على بعض الأفكار عن معناها فى عصر الأسرات بفحص بعض العبارات الواردة فى أدعية وفصول أجزاء مختلفة من كتاب الموتى.

فى نصوص بيبى الأول PEPI I فى السطر ١٩١ سنجد الكلمات «أنظر ابنك حورس الذى وهبته الحياة.. إنه لم يُجلس بيبى هذا عند رأس الميت ولكنه وضعه بين الآلهة «نيترو».

Now here *neteru,*

والآن «نيترو هنا يجب أن تكون صفة .. ونحن بوضوح نميل لفهم الآلهة المشار إليها على أساس أنها تلك التى لها الصفات الخاصة «بنيترو» التى ذكرت كمضاد «للموت» ويبدو كما لو كان علينا أن نعتبرها احياء أى تمتلك خاصة الحياة.

فى نفس الفصل السطر ٤١٩ نجد«باك» نيتر«ba'k neter» أى صقر له صفة نيتر.

وفى نص يونس السطر ٥٦٩ نقرأ عن «بو» نيترو bau netru أو النفسان اللذان يمتلكان لصفات «نيتر».

هذه الأمثلة تخص الأسرتين الخامسة والسادسة.. ولكن حتى الأسرات التالية أى الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة سنجد أمثلة عديدة لاستخدام نيتر ونيترى مثل الآتى:

صبى نيتر وارث الخلود أنجب نفسه ووهب الحياة لنفسه

أنا مكرس فى قلبى بدون تظاهر يا أنت يا نيتر أصبحت أكثر من الآلهة.

هل ممكن القول هذا الفصل انتهى تاج خاص بنيتر.

أصبحت «نيتر».

ارتفعت لأعلى على هيئة الصقر نيتر.

لقد أصبحت نقياً أصبحت نيتر أصبحت روحا

أصبحت قويا أصبحت نفس « با »

وجوده نيتر مع الآلهة فى النيتر خيرتت.

هو سيكون نيتر جسده كله

نيتر صنعوا نفوسهم فى المنزل الخاص بسيوت.

نيتر صنعوا نفوسهم مثل الآلهة.

إله نيترى أنتج نفسه حسب الفطرة

والآن من الأمثلة السابقة من السهل أنْ نرى أن ــ ورغم ــ أن كلمة « قوى » أو « قوة » إذا استخدمناها بديلاً « لنيتر » فى الترجمة تعطى معنى مقبولاً ومناسباً فى بعض الجمل إلا أنها فى أماكن أخرى لا تصلح على الإطلاق كما فى المثال رقم

٦ حيث جعلوا المتوفى يقول أنه قد حصل على صفات خاصة بالنيتر والأرواح والنفوس وهو فوق هذا قوى إذا استخدمت نيتر هنا على أساس القوة فستعطى تعبيراً مختلفاً تماماً.

كذلك نيتر فى المثال الأول ذكرت مرتبطة بوجود خالد وشخص يخلق نفسه وينتج نفسه.. وفى المثال الحادى عشر المتحدث كائن يخلق نفسه حسب الفطرة فستحيل أن نفكر ــفى الغالبــ إلا أن الكلمة لها معنى قريب ومرتبط بأفكار «ذاتية الخلق» وبالقدرات الخاصة «بتجديد الحياة للأبد» و«ذاتية الإنتاج».. فى كلمات أخرى نيتر تبدو أنها تعنى كائنا له قدرة على إنتاج الحياة وصيانتها عندما تتوالد.

ولا جدوى من محاولة شرح الكلمة بواسطة علم الصرف القبطى لأنها عبرت مباشرة إلى اللغة القبطية تحت شكل «NAUTO» OR «NAUTI» وحرف الـ R الأخير اختفى خلال التحلل الصوتى لتلك الكلمات التى اعتاد المترجمون للنصوص المقدسة من هذه اللغة على استخدامها للتعبير عن كلمة الله أو اللورد.. ومؤقتاً وحتى تسقط أضواء جديدة على هذا الموضوع من خلال اكتشاف لنصوص أقدم من تلك التى نعرفها الآن.. يجب أن نقنع بأن نقبل المعنى التقريبى لـ«نيتر» والموصوف أعلاه.

من المؤكد لدرجة مقبوله أن عبادة الآلهة «نيترو» التى بدأت منذ عهود سحيقة واستمرت خلال فترات الزمن القديم وماقبل الأسرات وعهود الأسرات وحتى القرن الرابع أو الخامس من تاريخنا المعاصر لم تكن ثابتة كما يحاول بعض الكتاب أن يجعلونا نتصور.. حقاً إن المصريين لم يغيروا أفكارهم تجاه عدد من الآلهة أبداً ولكن كان هناك أيضاً آلهة أخرى لم يدم لها نفس المنظور ثابتاً.. ففى الأيام الأكثر تبكيراً كنا نجد لكل مجتمع قروى فى مصر إلها محلياً وكان ــهذا الإلهــ يشارك مجتمعه حظة السيء أو الحسن وكانت رموزه أو علاماته تُحمل معهم سواء فى الحرب أو فى أى تجمع يهدف لخير وسعادة عابديه.

وكانوا يخصصون له مقاماً يسكنه وينفقون عليه ــليظل قائماًــ من الأموال التى يقدمها العامة ــوبالطبعــ كلما زاد أغنياء القرية كما زادت قوة الههم

خطوة بخطوة معهم .. وفى أيام الفاقة أو الانكسار أو الهزيمة فى الحرب كان يعانى الإله من انخفاض دخله وفى بعض الأحيان كانوا ينزعون شعاراته ويحرقونها أو يدمرونها ويترتب على هذا أن تُدمر الروح التى تسكنها .

كان عدد مثل هذه الآلهة لايعد ولايحصى .. كم غفير منها وفى بعض المجتمعات الكبيرة كان يمكن أن يكون لكل منها عدة آلهة مشهورة محلياً بصفات خاصة .. وكان عابدوها إذا غادر أحدهم قريته ليستقر فى أخرى يصحب معه آلهة أو آلهته ولكنه كان يضطر لأن يعترف بآلهة القرية أو المدينة التى نقل إليها مقره الجديد ويتبرع لصيانة مساكنها وللصرف على حاشيتها الصغيرة. وفى بعض الأحيان كان العابد يتحقق من أن إلهاً معيناً أقدر من إلهه .. فكان يوقف تدريجياً عبادته لهذا الإله الذى فى رأيه قد فشل فى تحقيق إيمانه به ويحول ولائه للآلهة القادرة والتى تعطيه أقصى مساعدة . وبمرور الوقت يصبح للإله أو الربة الخاص بقرية أو مدينة معينة شهرة واسعة ويصبح معروفاً بقدرات لايمتلكها غيره من آلهة المدن المجاورة فكان يزداد عابدوه ويصاحب هذا تدهور موازى لآلهة المدن المحيطة مما ينتج عنه ما يشبه الانتخاب الطبيعى الحر وهكذا بدأ تخفيض واختفاء بعض الآلهة فى مصر ورسوخ آلهة أخرى كانوا يعتقدون أن الأرواح التى تسكنها صديقة للإنسان وخيرة وتقدم لهم أقصى مساعدة وهى الطريقة التى ــ فى الغالب ــ انتشرت بها الآلهة الكبيرة بشكل أو بآخر(*) .

لحصر كل الآلهة التى عبدها المصريون من البداية للنهاية قبل فحص كل النصوص المكتشفة التى لم تعمم بعد يعتبر عملاً ميئوساً منه . خاصة أن الدراسات التى تمت على النصوص المتيسرة لنا برهنت على أن عدداً من الآلهة التى كان لها بعض الأهمية فى النظام الكهنوتى للدولة القديمة قد استبعدت من هذا النظام قبل زمن بعيد عن عصر الدولة الحديثة .. وهكذا فمن المشكوك فيه إمكانية تجميع أسماء كل الآلهة التى تم عبادتها فى وادى النيل فى الفترة ما بين العصور بالغة القدم والفترة الرومانية .. وبالخصوص تلك التى كانت فى عصر ما قبل الأسرات .

---

* مازال هذا سائداً فى مصر حيث نجد فى كل قرية أو مركز أو مدينة شيخ أو ولى يؤمن به مريديه مع فارق فى التطور صاحب ديانات التوحيد.

الاكتشافات المستقبلية فى مصر يمكن أن تذلل لنا بعض من هذه الصعوبات إذا قدمت لنا نصوص تدل على إذا ما كانت آلهة العصور القديمة هى نفسها تلك التى كانت المفضلة فيما بعد.. كذلك يمكن أن تقدم لنا طريقة نطقهم للأسماء فنحن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أنه خلال الجزء الأكبر من هذه الفترة كان المصريون قادرين على الكتابة فإذا ما حدث فى يوم ما أن وجد هذا النص وألقى عليه الضوء فسنكون ــ ربما ــ قادرين على أن نجد أن الآلهة التى تم عبادتها خلال الزمن البعيد هى نفسها تلك التى كانت معروفة فى فترة عصر ما قبل الأسرات مثلما وجدنا أن آلهة المصريين فى الدولة المتوسطة والامبراطورية الحديثة كان لديها نفس السمات والأهداف والأغراض التى كانت لتلك المعبودة فى الدولة القديمة.

فإذا تكلمنا عن الموضوع فى عمومه فيمكن لنا أن نقول أن المصريين فى جزء كبير من عهد الأسرات فى تاريخهم قد استضافوا عدداً قليلاً من الآلهة الجديدة وأنهم كانوا قانعين تماماً بعبادة نفس الآلهة التى كانت معروفة لاسلافهم.. رغم أننا نعرف أنهم قد سمحوا ــ فى بعض الوقت ــ لآلهة غريبة بالانضمام لمجمع الآلهة المصرية القديمة ولكن النصوص الدينية تدل على أنه لم يكن مسموحاً لها أبداً أن تغتصب وظائف الآله المحلية. قد تكون السياسة وأسباب أخرى هى التى أمنت لها قدراً محدوداً من التعريف فى البلد عموماً.. أو لأن أهل المدن ــ حيث وجدت رموزها وتماثيلها مكاناً مريحاً ــ عاملوها بتسامح بسيط ــ الذى كان سمة من سمات بلاد الشرق ــ ولكن بمجرد أن ينتهى السبب الذى من أجله تم عبادتها فإن هذه الآلهة الغريبة كان يتم تجاهلها بهدؤ وخلال فترة قصيرة تنسى عبادتها.

هذه المقولة لا يمكن تطبيقها على الآلهة التى تهاجر من مدينة أو حى فى مصر لآخر.. لأننا نعرف أن الشعب والكهنوت المصرى ــ لأى مدينة ــ كانوا مستعدين دائماً لإظهار ضيافة حيمة لأى رب من مدينة أو إقليم أو حى آخر بشرط أن يكون منتمياً إلى نفس المجمع الذى يكون إلههم الرئيسى عضواً فيه.

لسوء الحظ لا نجد نصوصاً دينية كثيرة تظهر الشكل الذى كانت عليه العبادة خلال الأسرات الأربع الأولى وبذلك لا نستطيع أن نحدد أى الآلهة كان يعبد خلال تلك الفترة... ولكن هناك أسباباً مقنعة للاعتقاد بأن بعض أجزاء من

كتاب الموتى قد أعيد كتابتها أو روجعت خلال بدايات فترة الأسرة الأولى وعندما نصل إلى الأسرة الخامسة أو السادسة حيث نلمس أرضاً أصلب نجد الكثير ــ وإن كان ليس كاملاً ــ من المادة التى يمكن من خلالها دراسة ــ آلهة مصر وخصائصها فى الكتابات المطولة الهيروغليفية المنقوشة داخل هرم مقابر يونس وتيتا وبيبى الأول و(برنرع مهيتى أم شاف) وبيبى الثانى. من فحص هذه النصوص نكتشف أنه كان قائماً فى مصر نظام لاهوتى منظم وأن كتابات هذا الزمن ــ وهو الشىء الجيد بالنسبة لموضوعنا ــ كانت بشكل أو آخر شروح تحتوى على عدد لاحصر له من طبقات الأفكار الدينية أو تعبير عن عقائد ترجع إلى عهود قديمة كان من الواجب أن تكون قد اندثرت منذ مراحل بعيدة من الزمن. الملفت أن الآلهة قد ذكرت بطريقة تدل على أن كتّاب النصوص أو على الأقل ناسخيها قد افترضوا أن القارىء على علم واف بما تحتويه الكتابات من موضوعات ومن البداية إلى النهاية لا نجد شروحاً أو تفسيرات لها.

النصوص المشار إليها بالطبع جنائزية من تلك التى تكتب على القبور ومذكور فيها أكبر عدد ممكن من الآلهة مع إشارة إلى خصائص كل منها مثل ذلك الإله الذى يتعامل مع نفوس الموتى فى عالم ما خلف المقبرة أو إله الشمس رع والآلهة التى على شاكلته أو ايزوريس إله محكمة الموتى وأمثاله وكل منهم له وظائف وواجبات محددة موكلة إليه.

من الواضح تماماً أن كلا من النصوص التى تصف هذه الآلهة وصفاتها أو الطقوس التى تنفذ بالارتباط مع الكلمات التى يتلوها الكهنة كانت وحتى الأسرة الخامسة انعكاساً لأفكار قديمة للغاية ويمكن أن نزيد على ذلك أنه من المؤكد أن المراسم الدينية التى استخدمت لأغراض الدفن قبل هذه الأسرة كانت هى نفسها تلك التى تؤدى منذ قرون عديدة سابقة.

ويمكننا أن نعلق بشكل سريع أن كتب الدفن هذه قد تم تأليفها بواسطة كهنة آنو أى هليوبوليس حيث حذوا فيها حذو السكان المحليين فى مصر منذ عصر ما قبل الأسرات وإن كان من الممكن تتبع تأثيرات الأفكار اللاهوتية لجامعة المدينة الكهنوتية الخاصة، فخلف الكلمات سنجد دائماً وجهات النظر والعقائد

والأفكار الأساسية القديمة معبراً عنها بطريقة خاصة تضع فى اعتبارها نظم الديانات الشمسية والتى سنعود بعد ذلك لمناقشتها بعمق.

ولذلك فسنعبر عليها لنعدد الآلهة الأساسية التى تعرفنا عليها من نصوص سقارة. والآلهة العظيمة التى بالتأكيد تم عبادتها منذ العصور الموغلة فى القدم وهى :

بتاح		حورس أو حور	
نو		خيبر	
نوت أو (نيتر)		خيبرر	
رع		خينمو	
حتحور		سوبيك (سبك)	

من هذه الآلهة حو أو حورس والذى كان الإله الصقر بمعنى روح وتجسد السمو أو السموق الخاص بالسماء. وخيبرا الإله الخنفساء وخينمو الإله الكبش وسوبيك الإله التمساح ونوت أونيتر الذى كان فى البداية روح الشجر (الخشب) ورع وبتاح اللذان كانا شكلين لإله الشمس.. ونو الذى يمثل الكتلة المائية للسماء التى يعيش فيها.

ولقد أشرك كهنة هليوبوليس مع رع وخيبرا فى شكل الإله الشمسى بعض الآلهة التى عُبدت فى مدنها بشكل خاص. وبذلك سنجد الآلهة المركبة :

رع ــ تم وتم خيبرا وفى نصوص يونس (سطر ٦٢٦) نجد نمط سبك ابن نت وسمى أيضاً فى (السطر ٥٦٥) رب بارو وفى الأسرة الثانية عشر نجد أن النصوص صححت الاسم من حيث الخطأ فى الهجاء وفى كل الأحوال المفروض أن يكون مطابقاً لباخو أو جبل شروق الشمس الفصل CVIII من كتاب الموتى.

الآتى بعد قائمة بأسماء الآلهة الرئيسية الأخرى التى وجدت فى نصوص الأهرام.

أنـــا

انبو

أن موت ـــف

أن تشر. ف

أخت نن زا

أسر ــ ايزوريس

أست ـــ ايزيس

أسكن

أتر أسفت

عنخ

ان هر-بس

(ياحو)

ايرشيبس ف

آرت

آرت هيكلو

يوسرت

يوسز

أهـــو

أقـــر

إبى

آب ـــ يات

آمن (آمون)

آمنت أو (أمونت)

أمهنز_أف

أم-سبا-أف

أمسو (أو) مين

أمست

موت

مرادف

مرادف

منت

منتيف

منز

مهيت آرت

با
بابا
بابى
بابو
باستت
بابوا
با-عشم-أف
بنت
بستشت
ماعت خينمو
ماعت
أننن
أننت
نخبن
نخباو
نخبت
نحت
نسرت
نتى

مهيت آرت
أم خنت ماعيتى
أم خنت ماعثتى
مسخا
مسخات
متشتات
ناو
نوبت
نبت ـــحت
نيفر تم
فار
هم
حمن
هن بسى تشاتى
حينت
حنت
حـــرو
حرو ـــآه
حيرو أم هنو

نتيتهاب

ريتنط

ريروزا

هباز

هننا

هيتشهتش

هيتننوت

حو

حب

حب ــ أر

حب

حيسات

حيسمنو

حيت حيرت

حيكا

حيكوت

خاعاتا

خي بتش

خينت ماعيتى

حيرو خنت بور

حيرو خنت ماعيتى

حيرو خوتسزا

حيرو سيبت

حيروتشر ماعيتى

حيرو تات

حيروخارت

حرافها ــ أف

حر حبيز

سما أور

سمنتت

سنز

سيرف أور

سيركت

سيركت حتو

سحبو

سيخمنف

سيخن تا ــ ان ــ أور

سيخت

خينت ماعيتى

خينمو

خينسو

خيتسو ست

ساع

سازت

سب

سيبو آرت

سبت

شسمو

شيسخنتت

جنور

جاسوت

كبهسنناف ــف

تايت

تبا

تيفن

تفنوت

تم

ساشاسا

سيكر

سيكسن

ست

سيزاسيز

سيززا

شو

تم خيبرا

تاتت

تواموتيف

تينانو

تنتن

تحوتى

تشنت

تشنتيرو

تشن تشتتر

بجوار هذه الآلهة المذكورة أعلاه توجد ملائكة (أو) رسل للإلهين
والعشم Ashem الذى يسكن فى آرو كذلك
تم الإشارة للنجوم الهامة الآتية :

نخيخ سيبتت (النجم الكلبى)

ساح (أوريون) سحوت

ونصوص الهرم تظهر أنه بالإضافة للآلهة التى سبق ذكرها توجد طبقات معينة من الكائنات التى يوعز إليها طبيعة الآلهة مثل :

اليتينو العفو

أورشا ـــ بى أورشا نخن

حينميمت كائنات ست العليا والدنيا

الشيمسو حيرو

وظائف أفو AFU وآتينو UTENUU واللذان ذكراً من قبل غير معروفة على الإطلاق. أما أرشو URSHU بمعنى مراقبو بى أو نيخن فممكن أن تكون مجموعة الآلهة غير المعروفة والتى يفترض أنها تقوم بحراسة وحماية مدنهم وممكن أيضاً أن تكون ملائكة أو رسلاً لأرواح بى أو نخين.

الحنممت HEN MEMT كائنات تشبه طبقة من المقدسة والتى لا نملك معلومات دقيقة عنها حيث ذكرت فى بعض النصوص مرتبطة بالآلهة والبشر بشكل يمكن معه افتراض أنها تمثل الأجيال التى لم تولد بعد ولكن هذه الإشارة لا تناسب كثيراً من الجمل التى وردت فيها الكلمة. أو تلــك التـــى تبدو كما لو كانت توحى بمعانى افتراضية ممكن أن تناسب الارتباط بالعدالة أيضاً.

الجملة التى أشير فيها إلى كائنات «ست» قد تعود إلى تلك الفترة التى كانوا يعتبرون فيها ست كائناً ذا نفع صديقاً ومساعداً للموتى.

فالنص المشار إليه يظهر أن «ست» مثل «حورس» كان من المفترض أنه رئيس جماعة آلهة تحمل خصائص وملامح مشابهة لما له شخصياً. وأن الجماعة كانت مقسمة إلى طبقتين الطبقة العليا والسفلى أو حتى ربما السماوى والترابى.

وأخيراً يجب ذكر شمسو حيرو SHEMSU HERU أو زهور حورس التى كانت وظيفتها الأولية معاونة الإله «حورس» ـــ ابن ايزيس ـــ ومن المفترض أنها كانت تساعده فى تنفيذ مهامه التى أوكلت إليه لصالح المتوفى ولقد كانت فى الكتابات الدينية للدولة القديمة تشغل مكان المسنيو «MESNIU» لحورس بهوت ـــ حالياً إدفو ـــ التى تعمل فى صناعة المعادن أو الحدادة والتى من المفترض أنها صاحبت الإله فى مصر وساعدته بواسطة أسلحتها على تحقيق سيادته وأمجاده التى سوف يفرد لها فصل آخر عند الكلام عن حورس عموماً.

من نصوص بيبى الأول (السطر ٤١٩) نجد الإشارة لإله بأربعة وجوه فى العبارات التالية:

«السلام عليك يا من تملك أربعة وجوه مستقرة وتطلع على كل ما فى السريرة.. يا من تجلب العواصف...!

تفضل على هذا الذى هو اصبعيك بيبى ذلك الذى وهبته للربة ـــ ابنة الإله الأكبر ـــ نفرت ليكون رسولاً من السماء للأرض عندما تبزغ الآلهة فى السماء.

أنت يا من انعموا عليك بروح أنت يا من تستطيع الشروق (كالشمس) فى قاربك الذى طوله سبعمائة وسبعون ذراعاً.

أنت حملت فى قاربك آلهة «بى» وأنت الذى جعلت آلهة الشرق راضية.

إحمل بيبى هذا معك فى غرفة قيادة قاربك لأن بيبى هذا ابن الجعران الذى ولد فى حيتبت HETEPET أسفل شعر ايوسعاس IUSÂAS الشمالية وهو من نسل سب وهو الذى كان بين ساقى «خنت ماعيتى» فى الليلة التى كان يحرس فيها الطعام.. وأيضاً فى الليلة التى ابتكر فيها رؤوس السهام.

أنت الذى أخذت ك المفضل وصوبت أسلحتك التى تثق فيها أسفل ضفاف النهر فأصبت مرتين مثل أسهم « رع » ومقبض الربة مافيتت المزدوج الذى يشبه الاظلاف » .

خلال نصوص الهرم تكرر ذكر مجموعة أو اثنين أو ثلاث مجموعات من تسعة آلهة .. ففى نصوص يونس (السطر ١٧٩) نقرأ « انحن لأسفل حتى الأرض أمام الآلهة التسعة » وفى (السطر ٢٣٤) قيل لنا أن الملك طعامه مكون من « الكلمات التى قالها سب والتى جاءت مباشرة من أفواه تسعة آلهة ذكور» والآلهة ساشا وقيل فى السطر ٣٨٢ أن سب قد أنجبه وأنه ظهر بواسطة الآلهة التسعة »

وفى السطر ٥٩٢ قيل أن رع كان رئيس الآلهة التسعة ومن جمل كثيرة نعلم أن مجموعة من الآلهة التسع كانت تسمى الكبيرة وأن مجموعة أخرى كانت تدعى الصغيرة وأن الآلهة التسعة التى من بينها حورس كانت تتكلم جنباً إلى جنب مع الآلهة ولكن فيما إذا كانت هذه المجموعة مرتبطة بالكبيرة أو الصغيرة لم يقل ودائماً ما يشار إلى مجموعتين من الآلهة التسعة فى تيتا (السطر ٦٧) قيل أن «ثمانية عشر إلها طهرت تيتا وأصبح فمه نقيا »

وفى بيبى الأول (سطر ٢٧٣) تقرأ أن « شفتى ميرا رع هم ثمانية عشر الـها »

.

فى (السطر ٤٠٧) جعلوا بيبى الأول يقول : « مع الآلهة الثمانية عشر فى كيبو» وأنه « مبدع الآلهة الثمانية عشر»

مما سبق يمكننا افتراض أن الآلهة الثمانية عشر هى فى الغالب الجمع الكبير والجمع الصغير ولكن من ناحية أخرى يمكن اعتبارهما ذكوراً وإناثاً هذا ما يفهم من نصوص تيتا فالتسع ربات قد ذكرت على أنها مثيلات الذكور التسعة.

ولكن نصوص تيتا (السطر ٣٠٧) وبيبى الأول (السطر ٢١٨) تظهر أنه كان هناك مجمع ثالث من تسعة آلهة قدمه كهنة هليوبوليس ووجدنا أن المجمعات الثلاثة تم تمثيلها هكذا.

الكلمة المصرية التى تعنى مجمع هى «بوتى» «PAUTI» أو «بوت» «PAUT» والتى يمكن كتابتها أو وفى بعض الأحيان نجدها مكتوبة هكذا — «بوتى نيترو» أى مجمع الآلهة.

الجمع المزدوج للآلهة كان يعبر عنه بواسطة «بوتتى» «PAUTII» أو وهكذا فكون الجمع الكبير والجمع الصغير للآلهة كان يعبر عنهما أدت إلى اعتقاد شائع بأن مجمع الآلهة عبارة عن تسعة ولهذا السبب أصبحت كلمة «بوت» تعنى تسعة.

من الثابت أن المصريين كما نرى من الجمل المشابهة ليونس السطر ٢٣٥ والسطر ٢٨٣ غالباً ما عينوا تسعة آلهة فى الـ «بوت» حيث قال: «اشمله برعايتك هذا.. يونس قادر على حكم التسعة وهو يستطيع أن يكمل مجموعة الآلهة».

ولكن الجملة المقتبسة الأخيرة تبرهن على أن «البوت» الخاص بالآلهة قد يحتوى على أكثر من تسعة كائنات إلهية.. لأنه من الواضح أنه إذا أخذ برغبة الداعى فإن «البوت» الذى أشير إليه يمكن أن يصبح عشرة بأن يضاف الملك يونس إلى الآلهة التسعة.

أيضاً فى صلاة للآلهة المكونة للمجمع الكبير فى سفر يونس (السطر ٢٤٠) نرى أن «البوت» كان يشمل «تم» TEM «شو» SHU «تفنوت» TEFNUT «سب» SEB «نوت» NUT «نفتيز» NEPHTHYS «تحوت» THOTH «حورس» HORUS «ايزيس» ISIS «ست» SET أى عشرة آلهة بدون حساب المتوفى الذى يرغب فى أن يضاف لمجمع الآلهة.

فى نصوص «ميرن رع» (سطر ٢٠٥) نجد «البوت» يتضمن تسعة آلهة وتم وصفه على أنه مجمع هليوبوليس الكبير «بينما فى نص بيبى الثانى (سطر ٦٦٩) نفس «البوت» قيل أنه يتضمن تم وشو وتفنوت وسب وايزوريس خنت أمنتى وست وحورس ورع وخنت ماعيتى وياتشيت أى اثنى عشر إلهاً وبالمثل فى المجمع الصغير للآلهة كانت أكثر من تسعة وفى يونس (سطر ٢٥٣) ذكروا هكذا رع ساكن آنو هليوبوليس وساكن عنشت وساكن حيت سيركيت وساكن المكان المقدس وساكن حتشبعر وساكن اوريون وساكن تب وساكن حيت أوريكا ساكن آنو فى الجنوب وساكن آنو هليوبوليس فى الشمال .

وبهذا فالجماعة الصغيرة تتضمن أحد عشر الاها تريد حساب المتوفى الذى يرغب فى أن ينضم لعضويتها. ولقد وضح مستر ماسبيرو حقيقة أن «البوت» يمكن أن يضم أكثر من تسعة آلهة فى بعض الأحيان فيما يلى:

«الرقم تسعة كان الرقم الأصلى.. ولكن كان بالإمكان تعديل كل من الآلهة التسعة خصوصاً الأول والأخير.. مثلاً.. إذا كانت هناك رغبة فى إضافة آمون من ثالوث طيبة لمجمع هليوبوليس.. فقد يوضع آمون على رأس القائمة إما فى مكان الرئيس الشرعى للمجموعة «تم» أو جنباً إلى جنب معه أيضاً تُضم «موت» «MUT» زوجة آمون فى الجماعة ولكن آمون وموت يعتبران كما لو كانا إلهاً واحداً وبالمثل فإن أى إله أو كل الآلهة المنضمة لمجمع آمون يمكن أن تضاف

جنباً إلى جنب مع الآلهة المناظرة لها فى مجمع هليوبوليس. وبالتالى فإن عدد آلهة « بوت » هليوبوليس من المفترض هكذا ألا تزيد ألا بمقدار إله واحد فقط.

بكلمات أخرى فى حالة إدماج إله واحد فى « بوت » يترتب عليه إدماج كل الآلهة التى ترتبط به بأى شكل من الأشكال ولا تتضمن ـ أبداً ـ أسماءها بين الأعضاء الأساسيين ».

هذا التفسير صحيح للغاية ـ فى هذا السياق ـ ولكنه يجب ألا يستخدم للتدليل على أن المصريين ناقشوا الأمر بهذه الطريقة أو أنهم تناقشوا حوله على الإطلاق.

والفنوس التسعة 𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹 بدون شك تمثل تسعة آلهة بمعنى ثالوث من الثوالث ولكن العلامات 𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹𓊹 يجب ألا تترجم كما فسرها د. برجسسن إلى « تسعة » بمعنى أن الأمر لا يتصل بما تفعله الآلهة التسعة ولكن هى « بوت نيترو » أى « طاقم من التسعة آلهة » وهنا الآلهة مُعرفة.

كلمة « بوت » تعنى عجين الكعك أو القرص* والتى تمثل جزء من القرابين التى تصنع من أجل المتوفى. ويمكن ترجمتها أيضاً بأنها اسم المادة الصلبة التى صنعت منها الأرض والآلهة.. وفى زمن لاحق عندما طبقت على الكائنات والأشياء المقدسة أصبحت تعنى المادة المكونة أو التركيبة الكلية لهذه الكائنات والأشياء.

وهكذا فى بردية آنى (السطر ٦ صفحة أ) يصرح الإله تاتونن TATUNEN « أنه خالق البشر والمواد والآلهة فى الجنوب والشمال وفى الشرق والغرب ».

وإن كان هناك مادتان فطريتان إحداهما تلك التى صُنعت منها السماء والمادة الأخرى التى صنعت منها الأرض.. ومن ثم.. فإن خيبرا KHPERA الخالق الأعظم لكل شيء.. قيل فى كتاب الموتى ـ الفصل السابع عشر السطر ١١٦ ـ أنه كان يمتلك جسداً تم تكوينه من نوعى مادة « بوت ».

---

* القرص والشريك اللذان نستخدمها حتى الآن عند زيارة المقابر.

وفى الفصل الخامس والثلاثون « السطر ٨ » ناقش رغبته فى تعريف نفسه فى هذا المضمون الإلهى « أنا أكبر أبناء «البوتى» PAUTII المقدسة بمعنى أننى روح أرواح الآلهة الخالدة وجسدى سرمدى وما خَلقْتُ إلا أبدين.. وأنا سيد السنين وأمير الخلود ».

وفى الكلمات التى صيغت على لسان خيبرا فى وصفه لطريقة خلقه للعالم قال :

« أنتجت نفسى من المادة « الفطرية » التى صنعتها »

هذا هو المعنى الوحيد الذى يمكن استخلاصه من الكلمات المصرية والربط الذى سيجده القارىء فى الجزء الخاص بالخلق سيدل على أنه المعنى الصحيح.

كلمة «فطرية» التى وضعت بين قوسين ( ) أوحت حيثما وجدت كلمة « بوتى » المصحوبة بكلمة «تب» TEP بمعنى « المادة الأولى » أو بمعنى المادة المبكرة التى تم خلقها أو المادة التى كانت قائمة قبل أى شىء آخر.

مما سبق من حقائق يبدو واضحاً أن المعنى «تسعة» * يجب الا يطلق على الكلمة المصرية « بوت ».

والآن.. إذا نحن رجعنا للخلف وحتى الأسرة الخامسة فسنجد أن كهنة هليوبوليس تخيلوا وجود ثلاثة مجمعات للآلهة المجمع الأول والثانى كانوا يميزونهما بصفتى « الكبير » و« الصغير » أما الثالث فلم يمنحوه اسما.

آلهة المجمع الأول أو الكبير معروفة جيداً ولا جدال فى اسمائها :

١ــ تم TEM وهو النمط الذى عبدوه فى هليوبوليس للإله الشمس.

٢ــ شو SHU

٣ــ تفنوت TEFNUT　　　　٤ــ سب SEB

---

* بالألمانية Neunheit كما قدمها د. بروجيش.

٥ــ نوت NUT
٦ــ ايزوريس OSIRIS
٧ــ ايزيس ISIS
٨ــ ست SET
٩ــ نفتيز NEPHTHYS

وفى بعض الأحيان كانت تشكل هذه المجموعة بإضافة حورسHORUS والغاء تم TEM .

أما أسماء المجمع الثانى أو الصغير كما حصرناها من نصوص يونس مهى :

١ــ رعت RAT
٢ــ أم ــ أنو AM- ANNU
٣ــ أم ــ انتشيت AM- ANTCHET
٤ــ أم ــ حيت ــ سيركت ــ كا ــ حوتب AM- HET- SERQT- KA- HETEPET
٥ــ أم ــ نيتر ــ حيت AM- NETER- HET
٦ــ أم ــ حتش ــ (باعر) AM- HETCH- PAAR
٧ــ أم ــ ساه AM- SAH
٨ــ أم ــ تب AM- TEP
٩ــ أم ــ حت ــ أور ــ رع AM- HET- UR- RA
١٠ــ أم ــ أنو ــ رسو AM- UNNU- Resu
١١ــ أم ــ أنو ــ محت AM- UNNU- MEHT

وكملحوظ عامة عندما تكون المخاطبة للمجمع الكبير للآلهة فإنها توجه للمجمع ككل بعد المخاطبة المنفصلة لكل إله. أما فى حالة المجمع الأصغر فإن مخاطبة (البوت) تتقدم مخاطبة كلا منها منفصلا. يبقى أنه لا يوجد سبب للشك فى أن الأسماء المدرجة أعلاه للمجموعة الثانية هى الأسماء الفعلية لهذا المجمع. أما أسماء آلهة المجمع الثالث فهى غير معروفة والنصوص صامتة عن شرح الوظائف التى كان

من المفترض أن تقوم بها أفرادها. المجمع الكبير والصغير من الآلهة ذكر بشكل متكرر فى النصوص الخاصة بكل العصور أما المجمع الثالث فنادراً ما يذكر.

فى نص بيبى الأول (سطر ٤٣) يقال أن الملك كان يجلس على عرش حديدى ليزن كلمات مترأساً المجمع الكبير للآلهة فى أننو (هليوبوليس).

وأن مجمعى الآلهة أنهضا رأس بيبى (سطر ٩٧) وأنه قد أخذ التاج فى وجود المجمع الكبير (سطر ١١٧) وجلس على رأس المجمعين (سطر ١٦٧) وفى قاربهما (سطر ١٦٩) وأنه أقام بين المجمعين (سطر ١٨٦).

مما سبق يمكن أن نتصور أن المجمع الكبير للآلهة كان يمثل الكون بشكل بدائى.. وأن الصغير يمثل الإنسان أو الأرض هذا المنظور يحتمل صحته جداً.. وهو يرتكز على جمل مثل الآتى:

«ابن والده حضر مع مجمع آلهة السماء.. ابن والده حضر مع مجمع آلهة الأرض».

ومن عديد من الجمل فى نصوص من جميع الفترات يظهر جلياً أن المصريين كانوا يعتقدون أن السماء من وجوه عديدة هى صورة طبق الأصل من الأرض كما افترضوا أن بها نيلا سماوياً ومدنا مقدسة هى مثيلة لهذه التى على الأرض فالاحتمال المعقول الوحيد أنهم قد خصصوا لها مجمع آلهة مماثلاً لذلك الذى على الأرض.. وكما أن هناك آلهة للسماء وآلهة للأرض كان أيضاً هناك آلهة «للتوات» TUAT أو أو العالم السفلى الذى كان يدعى أما توات أو «نترو أن توات» «NETERU EN TUAT» وعلى هذا يمكن أن نفترض أن هذه الكائنات هى ما كان يعنيها كتّاب نصوص الهرم عندما ذكروا مجمعات الآلهة الثلاثة ففى الغالب كانوا يشيرون إلى مجمع

آلهة السماء ومجمع آلهة الأرض ومجمع آلهة العالم السفلى وهو أيضاً ما كان يعنيه كاتب الفصل الثالث والعشرين من كتاب الموتى عندما تكلم عن مجمع جميع الآلهة.

في مواقع مختلفة من نصوص الهرم.. ومن نسخ منقحة حديثاً مأخوذة عن كتاب الموتى كان المقصود من «بوتى نيترو» «PAUTII NETERU» أو أنها تمثل المجمعين الكبير والصغير من الآلهة فقط بغض النظر عن عدد كل مجمع الذى كان يختلف من مدينة لأخرى أو لكل مرحلة زمنية.. وإن كانت التعديلات الأساسية بالمقارنة بسيطة.

ومن المؤكد أن المدن شديدة القدم كان لكل منها الهها الخاص الذى فى الغالب أخذوه عن أسلافهم من عصر ما قبل الأسرات وذلك قبل أن يصنف كهنة هليوبوليس الآلهة فى مجمعات بفترة طويلة.. فسايس مثلاً.. كان لها ربة تسمى نيت أو نت أو نيز والتى كان اسمها يشكل جزءاً دائماً من الأسماء الملكية فى فترة مبكرة من الأسرة الأولى مما يدل على أن تاريخ عبادتها كان يبدأ من النصف الأول من العصر الحجرى القديم وأنها أقدم من نظام هليوبوليس الكهنوتى.

وبراتشييت كانت ربتها ياتشيت وربة دندرة حتحور وربة نخب كانت نخبت وإله إدفو حورس ولهليوبوليس تم وهكذا. وعندما وجد كهنة هذه المدن ــ ومدن أخرى ــ أنهم لسبب ما مضطرون لقبول نظام هليوبوليس الكهنوتى ومجمع الهتها الكبير.. كانوا مستعدين بقدر مناسب مشروط بأن يضعوا المهم المحلى الأساسى أو ربتهم الأساسية على قمة المجمع.

ففى هليوبوليس مثلاً ربط الكهنة المهم الرئيسى «تم» بالإله رع فكانوا يوجهون معظم صلواتهم وتسابيحهم باسم تم ــ رع أو رع ــ تم.

وفى ادفو أعد كهنتها الإله الأكبر المحلى حورس ليأخذ مكان «تم» أو يضاف لمجمع هليوبوليس بشكل أو آخر. ونفس الشيء حدث لربات مثل نيز وياتشت

ونخبت وحتحور فمثلاً فى مدينة سايس حيث كانت نيز هى الربة الكبرى كانت عبادتها بالغة القدم والأهمية بحيث كان من الميئوس منه محاولة فرض عبادة مجمع آلهة هليوبوليس بدون أخذها فى الاعتبار. ولذلك عدل كهنة سايس النظام ووضعوها على قمة مجمع الآلهة بعد أن منحوها لقباً مناسباً لحقيقة قدراتها وجنسها حيث أصبحت زوجة أو (قرينة) الإله تم.

والإله «تم» كان إله الأرض وسيد السماء ومنتج الآلهة.. وبهذا أصبحت نيز «السيدة الكبيرة والربة الأم وسيدة السماء وملكة الآلهة [hieroglyphs] .

وفى مكان آخر يطلق عليها «أم الآلهة» ومثلما كان «تم» الإله الذى أنتج نفسه بنفسه.. اكتسبت نيز نفس القدرات فأصبحت «السيدة العظيمة التى ولدت رع والتى أوجدت نفسها فى الزمن البدائى ولم يخلقها أحد أبداً».
[hieroglyphs] .

نفس الشيء حدث فى مدن بر ــ اتشيت فى الدلتا ونخبيت فى الصعيد بحيث أصبحت ياتشيت الربة المحلية القديمة على قمة مجمع الآلهة فى مكان والربة نخبيت على قمته أيضاً فى مكان آخر.

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن كهنة هليوبوليس أنفسهم قد أضافوا ياتشيت لمجمع الهتهم الكبير كما نرى من نصوص بيبى الثانى حيث نجد الملك المتوفى يصلى بخصوص صالح هرمه موجهاً كلامه إلى «بوت» آلهة أنو العظيمة ثم يذكرهم تم ــ شو ــ تفنوت ــ سب ــ نوت ــ ايزوريس ــ ست ــ نفتيز ــ خنت ماعيتى ــ وياتشيت.

وفى دندرة اتبع الكهنة مع الربة حتحور نفس ما حدث لنيز سايس.. حيث منحوها كل القدرات المقدسة وأعلنها عابديها كأم للآلهة خالقة السموات والأرض وكل ما فيهم.. وفى الواقع أن كل من نيز وحتحور تم صياغتها بحيث تمتلكان كل قدرات وخصائص الإله تم أو من يماثله من آلهة الشمس.

الأدلة العامة المأخوذة من دراسة نصوص من كل العصور أن الإله الرئيسى المحلى لعدد من المدن لم يفقد أبداً مكانه فى عقول السكان الذين تمسكوا بإيمانهم به بشكل مستمر ومتحفظ كمصريين حقيقيين وكان من الممكن أن ينسى إله مقاطعة أو عاصمة مقاطعة نتيجة لحرب أو غزو لفترة ولكن ما دام قد «كان» وثُبت بعمق فهو يحافظ على نفوذه فى كل عصور تاريخ مصر ويظل عابدوه متعلقين به من زمن لآخر حتى تسنح الفرصة فيشرع شعب مدينته بأسرع ما يمكن فى إعادة بناء معبده وتجميع كهنته وتعود ديانته للبلد.



الفصل الثالث

آلهة بدائية وآلهة إقليمية

خلال عصر ما قبل الأسرات كان لكل تجمع سكانى أو قرية أو بلدة الهها الخاص وكانت عبادته تزدهر أو تنحدر تبعاً لتقدم أو تدهور رخاء المجتمع الذى يعيش فيه.

وعندما تم تقسيم البلد إلى أجزاء (أقاليم) أطلق عليها المصريون «حسبو» «HESPU» أو «نوم» «NOME» برز من بين آلهة كل إقليم إله متميز ــ أو مجموعة من الآلهة المتحالفة ــ وأصبح يمثله ــ فى بعض الأحيان إله واحد يمثل اقليمين ــ وبطبيعة الحال كان هذا الإله يكتسب رفعة الشأن والسيادة على جميع الآلهة المحيطة وبذلك أصبحت مصر مقسمة من البحر الأبيض المتوسط حتى الالفنتين بين نفوذ آلهة متعددة. بمرور الوقت صار من المعتاد أن يعتز شعب كل «نوم» بألهة الخاص الممثل له ويعتبرونه الإله الأكبر أو «الله» ويغدقون عليه كل القدرات والصفات الممكنة.

الزمن الذى انقسمت فيه البلاد لأول مرة إلى نومات لا نملك لسوء الحظ أى وسيلة لمعرفته ولكن يجب أن يكون هذا التقسيم قد حدث فى فترة مبكرة للغاية. أما كل ما يمكننا أن نقطع به فهو أن الآلهة التى تم اختيارها لتمثل «المقاطعات» كانت بدون شك تلك التى تم عبادتها من قبل فى المدن أو التجمعات الكبرى خلال عصر ما قبل الأسرات.

وهكذا بالقدر المحدود من المعلومات التى لدينا عن عصر الأسرات وجدنا أن نيز كانت على رأس آلهة سايس وايزوريس كان يمثل بوسيريس وتحوت كان إله

هيرموبوليس وياتشيت ربة ياتشيت وبتاح من ممفيس وسوبيك رب كركوديبوليس وآمون من طيبة ونخبيت ربة نخبيت وخينمو إله الالفنتين.

أما عدد هذه الأقاليم فيبدو أنه لم يكن ثابتاً وإنما يتغير من فترة لأخرى مما يمثل صعوبة أمام القطع بمقدار العدد الذى كانته فى البداية. فالقائمة المصرية تظهر أنها كانت اثنين وأربعين أو أربعاً وأربعين .. ولكن الكتّاب القدامى مثل سترابو وديودروس وبلينى لا يوافقون على هذا .. فسترابو كان يحاجى بأن عدد حجرات « التيه » «LABYRINTH» كانت سبعة وعشرين وأن كل حجرة كانت تمثل نوم بمعنى أن بالصعيد عشرة نومات وبوجه بحرى مثلها وفى هيباموتيس سبعة. أما هيرودوت فيقول أن التيه كان اثنتى عشرة صالة وبلينى حصر النومات كالآتى:

أومبيت وأبولوبوليت وهيرموتيسيت وثينيت وفاتيوريت وكويتيز وديوبوليت وانتائيوبوليت وافروديتوبوليت وليسكوبوليت وفاربائيسيت وبباستيت وسيزويت وتاتيت والأقليم الغربى والهامونيوم نوم واوكسيرنيشيت وليئونتوليبت واثريبيت وسينيوبوليت وهيرموبوليت وزويتس ومندسيوم وسينبيائيس وكابيسيت ولاتوبوليتس وهليوبوليتس وبروسوبيتس وبانوبوليتس وباسيرنتس وانوفيتس وسايس وبيتينيزو ونوكراتيتس وقبليتس وجينابوليتس ومينيلاتس ومارثيوتس وممفيس وهيراكيوبوليس وارسينوئيتس واقليماً اوتيس أى أربعة وأربعين اقليماً.

أما ديودورس فلقد قال أن عددها كان ستة وثلاثين اقليماً .. وهيرودوت قال أن مصر كانت مقسمة إلى أحياء أو نومات ولكنه لم يحدد عددها.

هذه الحقائق تدل على أن عدد الأقاليم عند بداية التقسيم كان أقل من الأزمنة اللاحقة وأن عدد أقاليم الدلتا ــ يمكننا أن نفترض ــ كان أكبر من أقاليم الصعيد.

وهكذا أنتج كل «نوم» إلها ممثلاً له وكان معبده يقع فى عاصمة هذا «النوم» وله كهنته الذين يقسمون فيما بينهم مختلف الواجبات مثل صيانة مبانى المعبد أو نسخ الطقوس والأعمال الدينية أو تعليم الدين للشعب. وفى مصر العليا حيث تبدو العناية بالموتى كما لو كانت هدف الحياة الأساسى كانت الطبقة الدنيا من السلم الكهنوتى ــ فى الغالب ــ تقوم بكل الأعمال المتصلة بتحنيط الموتى والصلوات الجنائزية وعمل التمائم وإدارة الجناز. وكان للكاهن الأعظم فى كل مدينة كبيرة ــ وفى بعض الأحيان الكاهنة الأعلى ــ لقب خاص ففى طيبة كان اللقب «خادم الإله رع الأول فى طيبة» أما فى هليوبوليس فقد كان «الشخص الكبير الذى شاهد رع ــ تم» وفى ممفيس «الرئيس الأكبر للكادحين فى معبده بالحائط الجنوبى و«سيتم؟» الإله ذو الوجه الجميل أى «بتاح» وفى سايس كان اللقب «حاكم المعبد المزدوج» وبالمثل بالنسبة للكاهنات الكبيرات ففى ممفيس كانت تحمل لقب «نفرتوت» وفى سيخم «الأم المقدسة» وفى سايس «أرت» أى الشخص الكبير وفى منديس «اوتشا ــ با ــ اف» وهكذا...

وكهنة كل إله كبير كانوا يقسمون لطبقات من بينها يمكن ذكر «هؤلاء الذين يخدمون ساعات محددة» وكذلك «الآباء المقدسون» وساكبو القربان وخدام الآلهة .

وقد كانت حسابات المعبد تدار بواسطة «كتبة المعبد» وفى المعابد الكبيرة كان يخصص كاتب أو أكثر لحصر ممتلكات الإله والهدايا المقدمة للمعبد.

من المستحيل أن نحدد عدد الكهنة من الطبقات المختلفة التى كانت تخدم إله أى مقاطعة وإن كان يبدو أن المهام الكهنوتية الكبرى فى كل الأزمنة كان يجريها عدد قليل منهم وأن خدام الإله كانوا عديدين وأن كهنة إله كل مقاطعة لم

يخضعوا لأى سلطة خارجية وكان للكاهن الأعظم سلطات تقل بالكاد عن حاكم المقاطعة نفسه.

وكانت عبادة أى إله لأى مقاطعة تحتوى على عناصر تخصه هو نفسه وتمثل العقائد التى تتمركز حولها كل الأفكار والرؤى القديمة لسكان المقاطعة الأصليين التى كانت تُؤكّد بشكل دائم ويُحَافظ عليها على طول الفترة منذ الأزمنة المبكرة وحتى العصور الحديثة.

من قائمة آلهة المقاطعات التى استعرضناها فى الصفحات السابقة نجد أن عديداً من «النومات» كانت تعبد فى نفس الوقت إلها واحداً فحورس مثلاً كانوا يعبدونه فى ثلاث مقاطعات من صعيد مصر واثنتين فى الدلتا ▬ بينما كانت واحدة تعبده على شكل حورس بهوت، أيضاً خيمنو نجد أن ثلاث مقاطعات فى الصعيد كانت تعبده واثنتين كانتا تعبدان «امسو» أو «مين» أو «خيم» واثنتين تعبدان «انبو» أما «حتحور» فقد كانت تعبد فى خمس مقاطعات بالصعيد ومقاطعة فى وجه بحرى.. كذلك نجد أن عبادات الإله ذى رأس الكبش «خينمو» كانت فى الالفنتين والربـــة الرخمة نخبت كانت فى ايليزيا والإله التمساح سوبيك فى حى تاشى (الفيوم) والإله ذى رأس الكلب «انبو» فى سينوبوليس والباستروبوليس والاله تحوت الذى كان على هيئة أيبس فى هيرموبوليس ورياتشيت كانت بالغة القدم فى بوتو (برياتشيت) وحورس الأكبر فى لينوبوليس ويمكن أن نضم معها أيضاً من وجهة نظر القدم عبادة الإله ذى رأس الذئب «أبويات» والربة اللبؤة سخمت والربة التى تحمل رأس القطة «باست» والإله ست الذى لم تعرف شخصية الحيوان الذى كان يمثله وهل هو جحش أم جمل أم حيوان منقرض كان يعيش فى الفترات المبكرة للغاية.

عموماً أقدم هذه العبادات كانت الأشكال المختلفة لعبادة إله السمـاء حورس وعبادة إله الشمس والربة «حتحور» أما الربة نيز والتى كان رمزها سهمين ودرعاً فيبدو كما لو كانت من أصل ليبى رغم أن السكان المحليين ــ كما رأينا من قبل ــ قد أضفوا عليها بعض خصائص أقدم الربات منذ عصر الأسرات المبكرة.

والرب ايزوريس الذى يحيط أصله الغموض ــ وإن كان من الصعب ألا نفكر إذا وضعنا فى الاعتبار جميع ما ذكر عنه فى النصوص الدينية أن أول مكان لعبادته كان الدلتا ــ رغم أن أهم هياكله ــ فى بداية عصر الأسرات ــ كان يقع فى مدينة أبيدوس ــ التى أصبحت بعد ذلك مركزاً لعبادته والمدينة التى يحج إليها عابدوه لعدد لا يحصى من الأجيال ــ إلا أننا نجد ــ بشكل أو آخر ــ رغم هذا أن قوائم النومات تتجاهله وتظهر أن إله هذا النوم كان «ان ــ حو» أو «انهور» والذى دائماً ما كان يعتبر إله نوم «ابت» الرسمى وإله عاصمتها التى تحمل نفس الاسم. وهو أمر لا يستقيم مع المكانة الخاصة لايزوريس فى مصر بالكامل أو مع كون حقول الفردوس أى «سيخيت ــ حيتبت» «SEKHET- HETEPET» كان مكانها الدلتا ــ حيث الريف خصيب والأرض مقسمة بواسطة ترع ومجارى مائية تتحرك فى كل اتجاه ــ أو مع حقيقة أن منزل ايزوريس كان فى هذه المنطقة فى «بر ــ آسر» «PER- ASAR» أو بوسيريس «BUSIRIS» حيث قدس أقداس الإله الذى كان يعبد على هيئة كبش والذى قيل أن روح ايزوريس قد حلت فيه. ولفهم هذا التناقض سنجد أن ايزوريس كان يسمى ــ فى كل مكان من النصوص ــ «برب أبيدوس» ذلك اللقب كان يعقبه ــ فى الغالب ــ لقب آخر هو «رب تاتو» وتاتو هذه ــ المدينة التى ترجم اسمها اليونانيون إلى «منديس» ــ كان الهها المحلى الكبير الذى يعبد فيها هو الكبش «رب تاتو» والمعروف الآن «بكبش منديس» وهكذا فإن الاستخدام الدائم للقب «رب تاتو» يوحى بأن عبادة ايزوريس قد طعّمت أو تمثلت تلك العبادة التى كانت للإله المحلى الكبش وأن بمضى الوقت أصبح ايزوريس هو رب المدينة بدلاً منه.

وقد نجد من يقول أنه ــ ربما ــ كان من الضرورى أن تكون تاتو مجرد مركز لعبادة الرب ايزوريس فى المملكة الشمالية فقط كما كانت ابيدوس مركز ديانته فى المملكة الجنوبية.. ولكن هذا التفسير لاستخدام اللقب لا يكفى.

وقد يشير آخرون لايزوريس كحاكم العالم السفلى فيقولون أنه ــ ربما ــ حتمت الظروف فيا بعد لأن يجمع بين اللقبين « رب أبيدوس » و« رب تاتو » على أساس أنها مدينتان اسطوريتان وليستا المدينتين الرابضتين فوق الأرض .. ومع ذلك فحتى لو كان هذا صحيحاً فهو لا يعنى الكثير لأننا نعلم أن المصريين ــ كما كان منهجهم دائماً عندما يتعاملون مع الأشياء الروحية المؤسسة على مثيلاتها المادية ــ يتصورون مدنهم السماوية على نفس نمط المدن الأرضية .

والآن إذا تابعنا موضوع انتقاء الآلهة فسنلاحظ أن من البدء وحتى النهاية كان شعب أى « نوم » مستعد لأن يمنح ضيافته لآلهة الآخرين وأيضاً لآلهة الغرباء الذين يستقرون بينهم وفى بعض الأحيان ــ لسبب أو لآخر ــ كان يُفرض إله جديد أو مجموعة من الآلهة على سكان مقاطعة أو أكثر وربما مديرية بكاملها نتيجة لغزو أو لرغبة ملك أو لسيادة أفكار كهنوتية لمدينة بعينها .. فكهنة « رع » أو « رع ــ تم » ــ مثلاً ــ فى هليوبوليس نجحوا فى جعل نظامهم الدينى هو النظام الأساسى للبلاد وهو أمر واضح من مجمل الفلسفات الدينية التى يضمها كتاب الموتى .

كذلك عندما هزم أمراء طيبة الهكسوس وأصبحوا ملوك الجنوب والشمال .. تحول الإله آمون من إله مقاطعة ذى أهمية محدودة إلى الإله الأكبر للبلاد وأسبغ عليه كهنته جميع الألقاب والقدرات الخاصة بالآلهة الكبرى .. وزادت أهميته فأصبح أكبر من أى إله وكل الآلهة الآخرى حتى بعد ذلك عندما أظهر أمنحتب كرها غير عادى تجاه هذا الإله نجد أن محاولته الحمقاء التى قام بها لإحلال عبادة « اتن » أو « قرص الشمس » ــ والتى زودتنا بمثال لكيفية فرض إله على النظام الكهنوتى ــ رغم نجاحها لزمن ما على ساحة محدودة إلا أنها لم تحقق نجاحاً دائماً لأن الأفكار الأساسية ــ التى فرضتها على البلاد ــ لعبادة إله أمنحتب كانت غريبة عن سياق الفلسفات الدينية للمصريين عموماً .

مما ذكر سالفاً سيكون من السهل تصور المشهد العجيب الذى تمثله مصر لأجنبى حضر لزيارتها ووجد أن البلد مقسمة لسلسلة من « النومات » وأن لكل

نوم إله أكبر يقولون أن له قدرات فائقة ويمنحونه مزايا وحقوقاً عديدة ـــ دون أدنى خوف من أى معارضة ـــ ويخدمه جهاز كامل من الكهنة والخدم الذين لا يخضعون لأى سلطة عامة خارج النوم مطلقو اليد فى اختيار طريقة إقامة شعائر عبادتهم والزمن الذى تقام فيه.

الغريب قد يجد أن كل مجمع كهنى لنوم يؤكد على أن إلهه هو الاب الأكبر لجميع الآلهة الأخرى وأنه خالق السموات والأرض والأعجب أن يقبل كهنة هذه المجمعات كل ما يدعيه كهنة مجمعات النومات المجاورة عن خصائص آلهة مجمعات نوماتهم. فالحقيقة أنه لم يبد أبداً ـــ بقدر ما أمكن تجميعه من نصوص الديانات ـــ أن كهنة مجمع آلهة ما قد حاولوا طمس آلهة المجمعات الأخرى حتى لو كان من حظهم ـــ بفضل الحروب ـــ أن ينعموا بسيطرة دائمة على «النومات» التى تُعبد فيها آلهة مجمعات غريبة عنهم. وهو ما حدث عندما حصل كهنة رع على القوة الفائقة التى كانوا ينعمون بها فى هليوبوليس أثناء حكم الأسرات الخامسة والسادسة.. فالثابت أنهم لم يطمسوا الإله المحلى «تم» ولكنهم أرفقوا اسمه بأسم الههم فى تركيبة واحدة هى «رع ـــ تم» وبالمثل فى فترة لاحقة عندما انتصر أمراء وملوك طيبة أعلنوا أن الههم «آمون» أكبر الآلهة المصرية طرا ومع ذلك لم يطمس كهنته الآلهة الأخرى أو يدّعون بأنها ليست بآلهة بل حافظوا لها على كل صفاتها وقالوا أن آمون قد تمثلها وأنه بالتالى أصبح أكبر إله.

فى نصوص يونس ومن تبعه مباشرة من ملوك نقرأ عن المجمعين الصغير والكبير.. ولكننا نجد أيضاً مجمع الإله «حورس» ومجمعى الإله «تم» مما يظهر أن كهنة هليوبوليس لم يطالبوا بأكثر من سيادة رع بين الآلهة وكانوا حذرين فضموا بقدر المستطاع كل الآلهة أو الربات التى تمت عبادتها فى الأزمان السابقة.. نفس الملامح تظهر فى نصوص كهنة طيبة حيث نجد فى كتاب الموتى أن إلـههم آمون قد تم تقديمه ـــ بوضوح ـــ على أن له دوراً محدوداً وأن أغلب الأدعية والتسابيح التى فى فصول هذا الكتاب موجهة أما لرع ـــ فى شكل أو آخر ـــ أولا يزوريس. وإن كنا سنجد فى فصل CIXXI التوجه الآتى:

«رياتم .. ياشو.. ياسب .. يانوت .. ياايزوريس .. ياايزيس .. ياست .. يانفتيز.. ياحيروخيتو (حارماشيس) .. ياحتحور البيت الكبير.. ياخيبرا .. يارب طيبة منسو.. يارب عرش الأرض آمون .. يا مجمع الآلهة الكبير.. يا مجمع الآلهة الصغير.. أيتها الربات أيها الأرباب الساكنة فى نو.. ياذا «المهتان» «TWO MEHT» سوبيك .. ياذا الأسماء المتعددة الذى تسكن بديلاته فى كل مكان يخصه وفى أى مكان تسعد فيه «الكا» ياآلهة الجنوب ياآلهة الشمال .. أنت يا من فى السماء وأنت يا من فى الأرض امنحى ثوب الطهارة لروح أمنحتب النقية».

من الواضح أن الكم الأكبر من الآلهة التى ذكرت اسماؤها فى نصوص الهرم قد ذكرت أيضاً فى الأدبيات الدينية ـ خصوصاً كتاب الموتى ـ لأزمنة لاحقة بحيث إذا حدث وحصلنا على جميع الأدبيات التى تم تدوينها أثناء الدولة الحديثة فقد نكتشف فى الغالب ـ أن أسماء كل الآلهة المذكورة فيها فيما عدا ـ من المحتمل ـ ست قد تم عبادتها والاهتمام بالمحافظة على استمرار وجودها فى الدولة القديمة. عموماً المصريون بالتأكيد نادراً ما أبعدوا إله ما فى زمن الأسرات ومن الملاحظ أيضاً ندرة أحداث تعديل لصفات وقدرات الآلهة فى الفترة ما بين الأسرة الرابعة والسادسة والعشرين وهو ما يدل على تحفظ عنيد ـ ورثه عنهم فى الغالب خلفاؤهم الأقباط ـ أدى إلى أن يقدم كتّاب النصوص الدينية فى كل العصور فى كتاباتهم ـ بقدر الإمكان ـ هذا الكم الهائل من الآلهة. ومن المحتمل ـ بالطبع ـ أن يكون السبب هو تنفيذ سياسة كهنوتية ما أو رغبة شخصية فى التعبير عن أحاسيس التبجيل لآلهة مصر جميعاً.

فى نصوص الهرم نجد أن آلهة مجمع هليوبوليس هى الآلهة الغالبة ولكن هذا لا يمنع أن نجد مهام خاصة لبعض آلهة الأقاليم والمدن النائية فواحد منها مثلاً كان من المفترض أن يقوم على خدمة الملوك المتوفين عند وصولهم للعالم السفلى وسبب هذا ليس بعيداً عن الفهم ـ فالسماء التى تخيلها المصرى كانت قريبة الشبه أو تطابق مصر فى تفاصيلها الصغرى.. وكانت الآلهة تحكم مدنها وأحياءها المختلفة مما يستوجب استرضاءها وكسب صداقتها بأى ثمن وبالتالى فالإنسان الذى يرجو

أن تكون له القدرة ــ فى حياته التالية ــ على أن يتجول حسبما يرى فى طول السماء وعرضها كان لابد ــ لكى يحصل على هذا التفضيل ــ أن يوطد علاقة طيبة مع أقسام السماء الأربعة وذلك بإقامة الصلوات بأنواعها المختلفة وتنفيذ طقوس الشعائر التى هى دائماً ــ بشكل أو آخر ــ ضرب من السحر ليتمكن من الحركة بيسر بطول الدلتا الشرقية للسماء وبدون أن يلقى معارضة مفترضة مقدماً من «سب» أو «تمو».. وليستطيع أيضاً أن يشرب من ماء النيل المقدس الذى من المفترض أنه إحسان من الإله خينمو رب جزيرة الفنتين الشبيه بتلك التى هى ــ حسب العقائد المصرية ــ مصدر النيل. ونصوص كل الفترات تحتوى على رغبة طفولية للدلالة على أن كل إله فى مصر يرغب فى إسعاد مخلوقات العالم السفلى الذين كانوا فى يوم سابق بشرا فانين.. وكان الاعتقاد الشائع أيضاً ــ خلال هذه العصور ــ أنه كلما ذكر فى الكتابات أن الآلهة سوف تعتنى بالمتوفى فإن هذا سيولد لديها الرغبة فى مساعدته.

وكان المتوفى لكى يضمن الاستمتاع بالقدرة على ولوج بعض أجزاء السماء مضطراً لأن يعرف الآلهة أو الأرواح المختلفة التى سيعبدها فيها فمثلاً روح الغرب كان «تم» ورب جبال شروق الشمس كان «سوبيك» وحتحور كانت ربة السماء وروح الشروق كانت حيرو خيتو (حرماشيس) عجلة الربة «خيرا» ونجوم الصباح هى أرواح مدينة «بى» حيث حورس ومسيزا وحابى وأرواح مدينة نخن كانت حورس وتوماتف وكيبهسينوف وأرواح هليوبوليس كانت تحوت وسا وتم.

وبالمثل كانت كل مدينة سماوية كبيرة تضم مجمع آلهة وكان من المعتقد أن أرواح البررة ستسعد بزيارة أقداسها تماماً كما كان يحدث ــ عندما ــ كانوا يقدمون القرابين لمثيلاتها المتجسدة على الأرض.

فى فصل سابق عن الله أو الإله أو «نيتر» لاحظنا مدى صعوبة تحديد معنى دقيق للكلمة.. وقد رأينا أنهم فى عصر الأسرات كانو ينعتون بها كل من استطاع أن يمتلك القدرة على تجديد حياته بدون حدود وأن يعيش للأبد.

ولقد أظهرت لنا نصوص يونس أن فى الأزمنة المبكرة كان المصرى يعتقد أن فى استطاعته الحصول على هذه القدرة عن طريق أكل الهه أو الهته. وقريباً من هذا المعنى نجد فى باقى نصوص الهرم وفى النسخ المنقحة حديثاً ومؤسسة على كتاب الموتى بعض العبارات المتناثرة التى تشرح كيف أن المتوفى قد ملك قدرات فلان أو علان من الآلهة وأنه قد أصبح نتيجة لذلك قرين أو زميل عديد منها وأنه قد احتل مركزاً مرموقاً بين جماعه الآلهة فى شتى الوجوه. بعد ذلك حدث تطور للفكرة جعل ـ فى البداية ـ عضواً من أعضاء جسد المتوفى يخضع لحماية إله محدد ثم تلى هذا أن أصبح هذا العضو هو الإله الحامى نفسه « وهكذا يتحول جسد المتوفى إلى مجمعى آلهة » ـ الكبير والصغير ـ فى نفس الوقت يقف الإلهان الكبيران يرقبانه ـ كل فى مكانه ـ وهو يتحول إلى مجمعى ـ آلهة يزن الكلمات لكل عظيم كعظيم مثله وهم ينحنون لأسفل أمامه ويقدمون له القرابين كمجمعى آلهة « أكثر من هذا فإن المتوفى ـ يجعلونه فى النص ـ على قمة المجمع مثل « سب » الـ « أربا » «ERPA» أى وارث رئاسة الآلهة ومثل « ايزوريس » الحاكم للقدرات الإلهية ومثل « حورس » سيد البشر والآلهة وعظامه هى آلهة وربات السماء.. جانبه الأيمن لحورس وجانبه الأيسر لست لقد أصبح الابن الفعلى « لتم » أو تم ـ رع وشو وتفنوت وسب ونوت وأصبح اخا لايزيس ونفتيزوتحوت ووالداً لحورس.

الإله حورس أخذ عينه وأعطاها له

وأنعم عليه بإحدى كاهاته أو «مثيلاته»
ولم يتركه أبداً.

وأن إله الشعر «الثور» نشر بين الآلهة سيطه بشكل موسع
.

من أقدم النسخ لصلوات التأليه لأعضاء المتوفى ذلك النص الذى وجد بين نصوص بيبى الأول والذى لأهميته ــ من أوجه عديدة ــ سنورده فيما يلى :

«رأس» «رع ــ ميرى» هذا على هيئة الصقر.. تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«جمجمة» «بيبى» هذا هى جمجمة الربة الأوزة .. تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«شعر» «بيبى» هذا هو ذلك الذى لـ «عنعن» ... تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«وجه» «بيبى» هذا هو وجه «آبو ــ نت»
تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«عينا» «بيبى» هذا هما عينا الربة «حتحور» اللتان فى رأس أرواح «أننو» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«فم» «بيبى» هذا هو فم «خنسو ــ اور» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«لسان» «بيبى» هذا هو دفة قارب «ماعيت» (رئيسة العدالة) تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«أسنان» «بيبى» هذا هى أرواح «اننو» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«شفتا» «بيبى» هذا هى الـ .... تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«ذقن» «بيبى» هذه هى ذقن «خريت ــ خنت ــ سيخم» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«السلسلة الفقرية» «لبيبى» هذا هى «للثور» سما تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«أكتاف بيبى هذا وساعداه» للإله ست «تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«صدر» «بيبى» هذا «لبائيبو» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«قلب» «رع ــ ميرى» لـ «باستيت» (القطة) تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«معدة» «رع ــ ميرى» هذا لـ «نت» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«الأسود الخاصة» «بيبى» هذا هى مجمعا الآلهة الكبير والصغير تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«ظهر» «بيبى» هذا لـ «هيبكيت» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«أرداف» «رع ــ ميرى» هذه هى قاربا «سمكت» و«ماعت» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«قضيب» «بيبى» هذا لهاب تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«فخذا» «رع ــ ميرى» هذا «لنيت» و«سيركت» تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

«رجلاً» «رع ــ ميرى» هذا هما الروحان التوأمان الالهيان على رأس «سيخت ــ تشير» تجلى وعرج بنفسه فى السماء .

« قدما » « رع ــ ميرى » هذا ‏𓂾𓂾𓂋𓅱𓂻𓏤 هما روحا القارب المزدوج « لماعيتى » تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

« كعبا » 𓂦 « بيبى » هذا هى أرواح « أننو » تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

كذلك نجد فى كتابات الأسرة الثامنة عشر نسخ أخرى من هذه النصوص الهامة منقوشة على ورق بردى « بكتاب الموتى » يبدو منها أنه قد حدث بعض التعديلات فى العقيدة وسنورد ــ فيما يلى ــ بعض نماذج متنوعة منها .. فى بردية « نو » (محفوظة فى المتحف البريطانى رقم ١٠/٤٧٧).

* شعرى هو شعر نو.
* وجهى هو وجه القرص.
* عيناى هما عينا حتحور.
* وأذناى هما أذنا « أب ــ اوت ».
* أنفى هو أنف خينتنماه.
* شفتاى هما شفتا « انبو ».
* أسنانى هى أسنان « سيركت ».
* ورقبتى هى رقبة الربة المقدسة « ايزيس ».
* كفاى هما كفا « با ــ نب ــ تائتو ».
* ساعداى الأماميان هما الساعدان الأماميان « لنيز » ربة سايس.
* هيكلى العظمى هو هيكل « سوتى ».
* قضيبى هو قضيب « ايزوريس ».
* لجامى هو لجام آلهة « خير ــ عها » «KHER-AHA»
* صدرى هو صدر « اهتشافيت ».
* بطنى وظهرى هما بطن وظهر « سيخت ».
* ردفاى هما ردفا عين حورس.

* قدماى هما قدما بتاح .
* وأصابعى وعظام ساقى هم أصابع وعظام الآلهة الحية .
* لا يوجد عضو من أعضاء جسدى ليس عضواً لإله . الإله تحوت يحمى جسدى كاملاً .. وأنا بمرور الأيام « رع » .

ومن بردية « آنى » (بالمتحف البريطانى رقم ١٠/٤٧٠ ورقة ٣٢) .

* الشعر لايزوريس أنى هو شعر « نو » .
* الوجه لايزوريس انى هو وجه « رع » .
* العينان لايزوريس أنى هما عينا « حتحور » .
* الأذنان لايزوريس انى هما أذنا « اب ــ اوت » .
* الشفتان لايزوريس أنى هما شفتا « انبو » .
* الأسنان لايزوريس انى هما أسنان « سيركت » .
* الرقبة لإيزوريس أنى هى رقبة « ايزيس » .
* الكفان لإيزوريس انى هما كفا « با ــ نب ــ تاتو » .
* الكتفان لإيزوريس انى هما كتفا « ياتشيت » .
* الزور لإيزوريس أنى هو زور « ميرت » .
* الساعدان الأماميان لايزوريس انى هما ساعدا « ربة سايس » .
* الهيكل العظمى لايزوريس انى هو الهيكل العظمى « لست » .
* الصدر لإيزوريس انى هو صدر الإله « خرآها » .
* اللحم لإيزوريس انى هو لحم « آه ــ شيفت » .
* اللجام والظهر لإيزوريس انى هما لجام وظهر « سيخت » .
* القضيب لإيزوريس انى هو قضيب « عين حورس » .
* الارداف لإيزوريس انى هما أرداف « ايزوريس » .
* الساقان لإيزوريس انى هما ساقا « نوت » .
* القدمان لإيزوريس انى هما قدما « بتاح » .

* الأصابع لإيزوريس انى هى أصابع «اوريون».
* العظام الخاصة بساقى ايزوريس انى هى عظام ساقى «اورايا الحية».

النص الذى يعقب ذلك ــ على درجة عالية من الأهمية ــ لأنه يصف تعريفات الأعضاء الخاصة بـ «بيبى» كالآتى: «بيبى» هذا إله وابن إله.. تجلى وعرج بنفسه فى السماء.. «رع ميرى» هذا ابن رع الذى يحبه تجلى وعرج بنفسه فى السماء.. رع أنجب «رع ــ ميرى» هذا الذى تجلى وعرج بنفسه فى السماء.. رع حمل بـ«بيبى» هذا الذى تجلى وعرج بنفسه فى السماء.. رع ولد «بيبى» هذا الذى تجلى وعرج بنفسه فى السماء «رع ــ ميرى» هذا قوة عظيمة بين المجموعة الكبيرة من رؤساء الحكام الذين فى «أننو» وهو قد تجلى وعرج بنفسه فى السماء.

من الصفحات السابقة رأينا أن آلهة مجمع هليوبوليس الكبير كانت تسعة أو أكثر. وأن كهنة المدن والبلاد الأخرى الذين اضطروا لتعديل هذه الآلهة كانوا عادة ماينقلون صفات كبير آلهة هليوبوليس لإله النوم (الاقليم) المحلى ويدمجون هوية كل منهما فى الآخر. على أى حال تعتبر هذه العادة قرينة على أن عدد المحليات التى استطاعت المحافظة بشكل مناسب على عبادة الآلهة العظام التسعة كانت قليلة للغاية.

على الجانب الآخر ــ كواقع حال ــ سنجد أنه لم يحدث تعديل هام لجميع آلهة هليوبوليس إلا فيما ندر وأن المجمعات التى تكونت من تسعة آلهة كانت قليلة للغاية فمدينة خيمنو ــ هيرموبوليس مثلاً ــ كما هو واضح من اسمها حيث خيمنو تعنى المدينة ذات الآلهة الثمانية ــ كانت مشهورة بمجمعها الذى يضم ثمانية آلهة هى:

١) نــو . [hieroglyphs] ٢) نوت . [hieroglyphs] ٣) حيحى . [hieroglyphs]

٤) حيحيت . [hieroglyphs] . ٥) كيكوى . [hieroglyphs]

٦) كيكويت ٧) كيريه ٨) كيرهيت

وبقائدها تيهوتى أو تحوت كانت تقدم أقدم مجمع للآلهة فى كل مصر ذلك لأن هذه الأسماء مأخوذة عن نص منقوش على حوائط المعبد الذى بناه داريوس الثانى فى حيبيت HEBET بواحة الخارجة لاعضاء «بــوت» هيرموبوليس والتى يعتقد أنها منقولة عن نصوص أقدم بكثير من تاريخ بناء هذا المعبد ــ الذى يعتبر بالمقارنة مبنى حديثاً ــ.. وهكذا فإننا أمام أقدم أشكال مجمع هيرموبوليس وآلهته العتيقة.

ومن أمثلة تلك التعديلات التى وجدت فى بعض قوائم الآلهة، احلال آمون وآمونيت فى مكانى نــو ونــوت والالهان نينو ونينوت مكانى كيريه وكيرهيت.. وفى قوائم أخرى نجد أن آمون وآمونيت قد تم استبدالهما لصالح كيريه وكيرهيت.

مجمع آلهة أى بلد أو مدينة ــ فى طول مصر وعرضها ــ كان يتكون فى البداية من ثلاثة آلهة هى الإله المحلى ــ فى الأساس ــ ومعاونان يشاركانه ــ وإن كانا بدرجة أقل جداً ــ فى مجده وسموه اللذين يحيطه بهما عابدوه. عضوان من هذا الثالوث ــ بشكل عام ــ كانا من الذكور أحدهما إله شيخ والآخر شاب أما العضو الثالث فكان أنثى والتى ــ من الطبيعى ــ أن تكون زوجة أو قرينة للشيخ الإله أما الإله الشاب ــ فكان يفترض ــ أن يكون نتاجاً لهذا الزواج وبالتالى يحمل جميع صفات أبيه رئيس الثالوث والذى فى بعض الأحيان كان «رع» ــ وفى أوقات أخرى ــ الهاً ذا شهرة محدودة بالمقارنة برع يضفى عليه عابدوه القدرة والقوة اللتين لإله الشمس العظيم ويعتقدون أنه قد تمثله. أما الربة الأنثى فعادة ما تكون ربة محلية ذات أهمية محدودة أو بدون أهمية على الإطلاق ولكن ــ على الجانب الآخر ــ كان ابنها يناظر والده تقريباً ويتمتع بنفس درجة أهميته لافتراض أنه عندما يزوى الشيخ الإله فعلى الشاب أن ينجح فى الوصول إلى نفس مرتبته وعرشه.

فكرة الثالوث هذه ــ فى الغالب ــ كانت قديمة فى مصر قدم الإيمان بالآلهة ويبدو أن فى العصور المبكرة كانت سائدة أفكار ووجهات نظر خاصة بتشبيه الله

بالإنسان وبالتالى تصبح فكرة تزويد المصرى لآلهه بزوجة بنفس درجة حرصه على أن تكون له واحدة ــ فكرة مفهومة لأنه كان يفترض أن الإله لديه الرغبة فى أن ينجب ولداً يخلفه كما يرغب هو نفسه ويتوقع أن يكون له.

ولكن فى أزمنة تالية أخذ مجمع الآلهة المكون من تسعة مكان الثالوث بشكل لا يمكن أن نُجزم بأنه كان تطوراً بسيطاً.

والثالوث مكون من الاهين وربة ولكن التاسوع الذى فى الغالب فكرة أحدث بكثير من الثالوث يتكون من خمسة آلهة وأربع ربات بمعنى أربعة أزواج من الآلهة وإله أعظم. والتاسوع يعتبر فى الغالب ثالوث الثوالث.. أما مجمعات آلهة هليوبوليس الثلاثة فهى ثالوث ثالوث الثوالث وكأمثلة للثالوث نجد:

* فى منديس: ١) با ــ نب ــ تاتو.
٢) حات ــ مهيت.
٣) حيرو ــ با ــ خارت

* فى تشكا: ١) سوبيك ٢) ايزيس
٣) آمـون

* فى ممفيس: ١) بتاح ٢) سيخيت.
٣) امنحوتب

* فى طيبة: ١) آمون ــ رع ٢) مـوت
٣) خنسو

وهناك ثالوثان آخران مثل ايزوريس وايزيس وحورس، وست ونفتيس وانوبيس كانا يعبدان فى كل مصر أو على الأقل فى أماكن عديدة.

أعضاء الثالوث فى أماكن كثيرة من مصر كانت تتغير ولكن التعديلات كانت تحدث فى الأساس بأن يتمثل (يستوعب) أحد آلهة مجمع هليوبوليس المشهورين إلهاً أو ربة محلية.

الحقائق المسجلة فى الصفحات السابقة تظهر أنه قد تم انتقاء كبار آلهة عصر الأسرات فى مصر من بين عدد كبير من الآلهة المحلية والتى تم استخلاصها بدورها من بين هذا الطوفان من الآلهة الممثلة للصحارى والجبال والارض والماء والهواء والسماء التى عبدها أجدادهم فى عصر ما قبل الأسرات.

وهكذا سنجد أن «شو» فى مجمع آلهة هليوبوليس الكبير كان على شاكلة أن ـــ حر AN - HER، الإله المحلى لسبينيتبسى وايزوريس كان الإله الخاص بكل من بوسيريس ومنديس وكذلك إيزيس كانت على شاكلة الربة القديمة ياتشيت ربة «بى» أما باتو وتفنوت فهما من ربات نومات «أقاليم» الدلتا الخمس عشرة.

بمعنى أن آلهة عصر الأسرات المتأخرة كانت خلاصة لحشد من الأرواح الطيبة والشريرة التى آمن المصريون بها فى عصر ما قبل الأسرات يظهر هذا بوضوح إذا قارنا بين آلهة كل من العصرين. إن التطابق التام فى ملامحها العامة سيدعو للعجب ويؤكد أن المصريين نادراً ما استبعدوا أى إله نجح كهنته فى أن يؤسسوا له مكاناً ثابتاً فى الأزمنة المبكرة هذا من ناحية الجوهر أما شكل العبادة فيجب أن يكون قد تغير كثيراً لا بسبب حدوث تعديلات جوهرية فى وجهات نظر وعقائد المصريين قبل الهتهم ولكن بسبب الرخاء العام الذى عم البلاد والثروة التى حصلوا عليها نتيجة الغزوات الخارجية وكان من آثارها إنشاء تلك المعابد ـــ بيوت الآلهة ـــ التى أصبحت أكبر وأكبر وأفخم كلما زاد تدفق الأموال. هذا فى حين ظلت الطقوس والاحتفالات ـــ مثل الهتهم ـــ كما هى.. وهكذا فإن الفخامة التى صاحبت الدولة الحديثة حفظت داخلها أساسيات المرحلة المبكرة على الرغم من أن الكهنة والمتعلمين ـــ كما أعتقد ـــ يجب أن يكون لديهم وجهات نظر دينية غير متطابقة بالكامل مع تلك التى للفلاح الذى يزرع الحقول... فالمصريون ـــ إذا

فحصنا النصوص الدينية بعناية ــ كانوا يحاولون دائماً ــ كما سنتحقق ــ تخفيض عدد آلهتهم أو بمعنى آخر كانوا يتقدمون دائماً من التعددية إلى الوحدانية. وبالتالى فالكهنة والمتعلمون كانوا يهتمون بالأشكال الشائعة لعبادة الآلهة ولكن بالأفكار التى تخص طبيعة ثقافتهم لعدم امتلاكهم للنفوذ والقدرة الكافيان لإقامة شكل شعبى من العبادة أو الدين ــ الذى ــ يتناسب مع وجهات نظرهم الخاصة فى مواجهة الأغلبية غير المتعلمة فى البلد الذين كانوا ملتصقين بشدة بالطرق العادية لإقامة شعائر دينهم وبالاحتفالات المستمرة لأداء الطقوس السائدة التى تشكل جزءاً هاماً وكبيراً من إحساسهم العام بحسن تواجدهم فى الحياة.

وهكذا إذا رصدنا التغيرات التى حدثت لديانات البلد سنجد أن النظام الكهنوتى للديانات الكبيرة المختلفة قد استوعب كل ما أمكنه من الآلهة والأفكار العتيقة داخل الأنظمة الحديثة وبالتالى فخلال فترة صعود مصر الحضارى تزاحمت أسمج الأفكار مع تلك التى نتجت عن اختيار واسع وتفكير عميق مثل تلك التعبيرات ــ التى جلبت عليهم استخفاف العبرانيين واليونانيين والرومانيين وحتى الباحثين المحدثين المهرة فى العقيدة والأساطير المصرية ــ والخاصة بآلهة الأشجار والصحارى والماء والأرض والتى ألبسوها أحاسيس بشرية.

لقد تم التحقق بشكل كاف أن تعددية آلهة المصريين لها طابعها الخاص بها ونفس الشىء يمكن أن يسرى على مرحلة مفردة من تاريخهم العقائدى والتى تبدو ــ ويعتقد الكاتب بدون أدنى شك ــ أنها كانت توحيدية. وهكذا عندما شكل كهنة هليوبوليس نظامهم اللاهوتى. أدخلوا فيه أن الإله «تم» قد أنتج الإلهين اللذين ولدهما من نفسه أى شو وتفنوت بواسطة الاستمناء.

[1]

وبالطبع لابد وأن نشك فى أن هذه العبارة قد جاءت مكررة لاعتقاد بدائى نصف بربرى لمصريّ عصر ما قبل الأسرات الذين ــ فى الغالب ــ كانوا يعتقدون

فى صحته لكننا سنخطىء تماماً إذا تصورنا أن الكهنة أنفسهم كانوا يعتقدون هذا أو أن هذه العبارة كانت تمثل وجهة نظر أى مثقف فى مصر فيما يخص موضوع أصل الآلهة.

كذلك نجد فى الفصل (XVII) من كتاب الموتى إشارة عن المعركة التى بين «حورس» و«ست».

[1]

(ll. 67, 68).

ولكن لا يوجد مصرى ممن قبلوا العقائد المنقحة التى وجدناها ـ حتى ـ فى نفس الفصل يمكن أن يعتبر هذا الحدث أكثر من كونه تسجيلاً لمشهد متوحش اندس داخل نصوص العقائد من زمن كان معتاد فيه هذه المشاهد. نفس الشيء يمكن أن يقال عن دسته من العبارات والإشارات المبعثرة فى أى نص دينى فى أى فترة من الفترات. ولا يوجد باحث عادل يمكن أن يحكم على المصريين ودياناتهم وعقائدهم عن طريق تعبيرات تعكس أسلوب وأفكار وعادات ـ مرحلة فكرية ـ تمثل قناعات السكان الأوائل لوادى النيل.. ولكن ـ ورغم هذا ـ فهذه الأشياء بالتحديد هى التى يحاكم بها كتابنا المحدثون الديانات المصرية.

عالم المصريات البارز م. ماسبيرو يقول أنه قبل أن يمتلك القدرة على فك رموز النصوص المصرية بنفسه وأثناء فترة قناعته بترديد تعاليم أساتذة علم المصريات الكبار كانت لديه القناعة بأن المصريين قد توصلوا فى الزمن الأول إلى تصور عن وحدانية الله.. وأنهم قد صمموا نمطاً خاصاً فى الديانة والرموز الاسطورية بيقين منقطع النظير ولكنه عندما بدأ ـ بأى شكل ـ فى دراسة النصوص الدينية وجد انهم لم يبلغوا عمق الحكمة التى توصل إليها الآخرون. وهو يستطرد قائلاً: «وبالتأكيد لا يوجد من يتهمنى بمحاولة الاستخفاف بالمصريين الذين كلما وطنت نفس للتعرف عليهم بشكل أقرب كلما وجدت ما يقنعنى بأنهم كانوا أحد شعوب الجنس البشرى العظيمة ولكن ورغم أنهم كانوا من أكثر الشعوب أصالة وابتكاراً إلا أنهم فى نفس الوقت ظلوا دائماً أمة نصف بدائية».

بكلمات أخرى فالمصريون طبقاً لرأى مستر ماسبيرو لم يتوصلوا أبداً لفكرة الوحدانية وأنهم فى أفضل أحوالهم لم يكونوا أكثر من أمة نصف بدائية.

ومن السهل بالطبع أن نتهم أمة عظيمة بأنها نصف بدائية ولكن فى هذه الحالة نجد أن الأدلة المتهافتة ــ فى رأى الكاتب ــ تتعارض مع كل الاكتشافات التى تمت فى مصر والتى كلما زادت من معرفتنا عن المصريين القدماء كلما زدنا يقينا من أن حضارتهم كانت متقدمة ومتكاملة. والآثار المصرية القائمة دليل كاف يوضح طبيعة هذه الحضارة فى منظورها الحقيقى.

على العموم بما أن التعبير «نصف بدائى» فى أفضل أحواله غامض للغاية ويتذبذب معناه طبقاً لمنطلق من يستخدمه لذلك سنتجاوزه لنرى هل توصل المصريون ــ فعلاً ــ لفكرة وحدانية الله أم لا؟.

لقد رأينا أن مستر ماسبيرو يعتقد أنهم لم يصلوا إلى الفكرة مطلقاً ولكن هناك وجهة نظر أخرى لبعض من أكبر علماء المصريات ــ الذين عرفناهم على الإطلاق ــ تجعلهم يعتقدون أنهم قد توصلوا.

مستر ماسبيرو يتصور أن المصريين كان لديهم أساطير يشتركون فى عدد كبير منها ــ بشكل عام ــ مع أكثر القبائل هجمية فى العالم القديم أو العالم الحديث بحيث أن أعمالهم ظلت تحتفظ بخاتم البدائية الهمجية وأن ديانتهم تظهر «نفس الخليط من السماجة والتهذيب اللذين وجدا فى نقوشهم ومشغولاتهم التى صبت فى قوالبها بواسطة برابرة دمغوها بعمق بطابعهم حتى أن مئات الأجيال التالية لم يكن لديها القدرة على طمسه أو صقل خشونته أو حتى تليين ملامحه».

وفى الحقيقة لا يوجد من يحاول إنكار آثار الأفكار والعادات نصف البدائية التى وجدت فى أدبيات العقائد المصرية.. ولكن المطروح الآن هو هل مثل هذه الآثار تعنى استحالة أن يدرك المصريون فكرة التوحيد؟ وهل وجود مثل هذه العادات والأفكار يمثل تعارضاً معها أم لا؟.

إن أى دارس معتاد على أدبيات الديانات الشرقية يعلم أن غالباً ما يختلط جنباً إلى جنب فى اتصال مستمر الغث مع الثمين والأفكار الروحية مع النظرة المادية والراقى مع السمج والعقائد مع الخرافات.

وفى كتابات العرب وأجزاء محددة من أسفار العبرانيين ما يوضح هذا ومع ذلك لا يوجد من ينكر أن العرب منه ظهور النبى محمد أمة موحدة وأن العبرانيين بعد فترة من تاريخهم أصبحوا وظلوا موحدين.. إن الادبيات الدينية لكل من العبرانيين والعرب تعج بالمغالاة من كل نوع ومع ذلك لا يوجد إنسان متخصص واحد ينكر على هذه الشعوب وحدانيتها ولا يوجد من يحاول ـ فى ضوء الأبحاث الحديثة ـ محاكمتهم عن طريق التعبيرات الخشنة والأفكار المادية المتناثرة فى أسفارهم. وفى نفس الوقت لا يوجد من يتوقع أن يجد فى كتاباتها تلك الأفكار الروحية والفلسفات السامقة التى أثرى بها المثقفون المعاصرون مفهوم التوحيد. نفس الشىء ـ بالطبع ـ يمكن أن يقال عن أدبيات المصريين مع إضافة أنه لا توجد صعوبة فى إظهار أن فكرة التوحيد التى وجدت فى مصر منذ العصور المبكرة لا تختلف فى ملامحها عن تلك التى نمت بين العبرانيين والعرب بعد عدة قرون. وللتدليل على هذه المقولة لابد من الاستعانة بعدد من الأجزاء المقتبسة من النصوص الدينية والتى سنقدم من بينها الآتى:

* «وجودك بجوار الله» ومن الملك تيتا «وزن الكلمات وأمسك الله هيركينز عند الكلمات»

* ومن نفس الملك «الله نادى تيتا باسمه» ومن نصوص بيبى الأول «لقد وصلت إلى صفات الله لقد أصبحت عظيماً بين الآلهة» «والدتك نوت وضعتك لتصبح مثل الله ولتسحق الأعداء باسم الله».

ومن نفس الملك «بيبى هذا أصبح بذلك الله وابن الله»

وقد يحاجى البعض فى ترجمة «نيتر» وهل هى «الله» أو «إله» ولكن هذا من قبيل السخف وفى معظم الحالات لا يوجد معنى فى أن تقول لملك متوفى أنه سوف يعيش «بجوار إله» أو أن «إله سوف يستمع لكلماته عندما يزن الكلمات» بمعنى الحكم على الأمور فى العالم الآخر.

إن ما يعنيه الكاتب ليفهمه القارىء هو أن يونس سوف يعيش مع الله وبذلك سوف يكون له وضع متميز هناك وأن الله سوف يُعينه كقاضى فى مكانه شخصياً وأن الله سوف يستمع له بمعنى يوافق على أحكامه.

الجمل السابقة أخذت من نصوص الأسرات الخامسة والسادسة ولكن هناك أسباباً جادة تجعلنا نعتقد أنها قد نسخت عن وثائق أقدم كتبت منذ ٣٣٠٠ سنة قبل الميلاد وتم مراجعتها مرتين أو ثلاثاً وتعدلت وأضيف لها نتيجة لتغير الأفكار والعقائد ــ عموماً ــ قيمة هذه الجمل تتوقف على الحقيقة التى تم برهنتها ــ بشكل قاطع ــ أنه منذ عام ٣٣٠٠ ق.م تميز فى عقل المصريين «إله واحد» أصبح عظيماً ومختلفاً بين الآلهة حتى أنه وقف بعيداً عن المجمعات الثلاثة للآلهة.

وقد نجد من يعارضنا أن «نيتر» هنا تعنى الإله «ايزورس» أو «رع» وحتى لو كان هذا صحيحاً فيجب أن نقر بما لايزوريس أو رع من مكانة خاصة فى الأفكار اللاهوتية المصرية تجعلها أعظم وأبعد من أى إله آخر. وفى نفس الوقت يجب أن نشير إلى أن نصوص الهرم تمتلىء بالجمل التى تخبرنا عن الأعمال العظيمة التى سيقوم بها «رع» للمتوفى فى العالم الآخر والشرف الذى سوف يسبغه عليه مما يجعلنا نستنتج أن الله المشار إليه فى الجمل السابقة لا يمكن أن يكون رع وإن كان يمكن أن يكون ايزوريس.

فإذا توصلنا إلى هذه النتيجة فيجب أن نقر بأن فى هذه الفترة البعيدة التى نتكلم عنها أى ٣٣٠٠ ق.م كان يعتبر ايزوريس الها كبيرا ــ إلى هذا الحد ــ

ويحتل مكاناً ممتازاً على قمة الآلهة لدرجة أن يشار إليه ويتم الحديث عنه ببساطة على أنه «الله».

لقد رأينا بشكل ضمنى فيما سبق أن ايزوريس كان حاكم هؤلاء الذين فى العالم السفلى. ونعلم من نصوص يونس أنه جلس على عرش فى السماء (سطر ٤٩٤)

كما - قيل - أن الملك قد أصبح الها ورسول أو ملاك «الله» (سطر ١٧٥) وأنه قد دخل إلى المكان الأكثر تقديساً من أى مكان آخر (سطر ١٧٨)

إن من الواضح تماماً أن الله الموجود فى نصوص الهرم كان مختلفاً تماماً عن الآلهة وعن مجمعات الآلهة.. فالمتوفى كان يسمى نفسه «ايزوريس بيبى» وهو كما - قيل - قد أصبح ملاك الله فإذا كان ايزوريس هو الله الحكَم فلابد أنه كان سيحتل نفس مكان إله العبرانيين الذى قيل أنه «حكم بين الآلهة» בְּקֶרֶב אֱלֹהִים יִשְׁפֹּט, Psalm lxxxii. 1, ولابد أنه كان يخدمه آلهة أقل منه فى المرتبة. حينئذ سنفترض أن الله الخاص بنصوص الهرم كان ايزوريس «الله والحكم بين الموتى». حيث - من الواضح - أننا لم نعرف عنه - من خلال النصوص - أكثر من هذا.

فلسوء الحظ لا توجد لدينا الوسائل التى تجعلنا نعرف كيف كان يصفه عابدوه الأوائل لأن كهنة هليوبوليس عندما تمثلوه فى نظامهم اللاهوتى كانوا حريصين على ألا يجعلوه منفرداً بصفات ما يناسب أفكارهم الخاصة وإن قدموه على أساس أن له مكاناً منفرداً بين الآلهة وأنه يتمتع بقدرات آلهة القوميات التى - تحت كل الظروف - نقر بأنهم موحدون.

يمكننا أيضا أن نستزيد بمعلومات - أكثر - عن فكرة الله عند المصريين بفحص عبارات محددة فى الوصيتين الشهيرتين بوصية كاجيمنا «KAGEMNA» ووصية بتاح - حتب. الأولى كتبت فى عهد سنفرو أحد ملوك الأسرة الرابعة والثانية فى عهد «أسا» أحد ملوك الأسرة الخامسة.

الوصيتان نعرفهما عن طريق برديتين محفوظتين فى المكتبة الملكية الفرنسية منذ عام ١٨٤٧ واللتان نسختا —فى الغالب— فى عصر يدور حول الأسرة السابعة عشرة وبالتالى —فربما— يحتويان على بعض الإضافات والكتابات التى تعكس وجهة نظر المصريين السائدة حينئذ عن الديانات والحِكَم وإن كان أساس كلا العملين يرجع إلى أزمنة مبكرة قبل الأسرة الحادية عشرة كما يعتقد البعض أو الأسرة الرابعة أو الخامسة كما يستدل منها وعموماً سواء كان هذا أو ذاك فالأمر سيان بالنسبة لموضوعنا.

فى كل من العملين نجد أن سلسلة من الحكم المأثورة على نمط تلك المعروفة لدينا —وتمثل نتاج خبرة البشر فى الحياة —مثل سفر الحكمة وسفر الجامعة وسفر الأمثال فى التوراة.. وفى كل من العملين نجد أن المؤلفين لم يستشهدا فى نصائحهما بالمراجع الدينية أو وجهة نظر لاهوتية وإنما سنجد العظات والانعكاسات التالية:

١—

لا يكون معروف الأشياء التى يصنعها الله

بمعنى: الأشياء التى ستحدث عن طريق عمل الله غير معروفة أى أن: طرق الله مبهمة أو غير معروفة.

٢—

أكـــل الخبز طبقاً لخطة الله

بمعنى: أن طعام الإنسان يأتى بتدبير من الله.

٣—

أنت لن تعرف ولكن الرعب داخل الرجال والنساء يعارض الله

٤—

إذا كان لديك أرض للحرث أو عمال فى الحقول التى أعطاها لك الله

بمعنى: إذا كان لديك أرض للحرث (و) عمال فى الحقول التى أعطيت لك بواسطة الله.

٥ـ

إذا كنت ستصبح رجل كامل صنعك ابن لتسعد فى الله

٦ـ

حقق اعتمادك بواسطة أعمالك التى يجب أن تعمل

بواسطته هذا محبب إلى الله

٧ـ

ما يحب الله يكون الطاعة عدم الطاعة يكرهها الله

٨ـ

حقاً ابن جيد (يكون) من عطايا الله

وأخيراً من برديات «بريسيس» يمكن أن نقتبس النص الآتى «إذا كنت بدون قيمة فأنت أصبحت عظيماً وإذا كنت فقيراً فأنت أصبحت غنياً إذا كنت حاكم المدينة فلا تكن غليظ القلب استناداً إلى رفعتك لأنك أصبحت فقط

الوصى على مؤن الله.

من هذه المجموعة من المقتطفات نعلم أن سبيل الله ـ كما يشار إليها فى الوصية ـ تعصى على الفهم فهو الواهب ـ كما يُفترض ـ للمال والبنون والرزق.

وهو لا يحب المفسدين المارقين الباغين على زملائهم كائنات الأرض ويقف لهم بالمرصاد وهو يحب الطائعين الذين يراعون ربهم فى تنشئتهم لأبنائهم ويحسنون إلى من تولوا عليهم.

وكاتب الوصية يذّكر حاكم المدينة بأنه ــ فى حقيقة الأمرــ ما هو إلا وصى على ممتلكات ومؤن الله .

من كل ما سبق يتضح أن الإشارة هنا تدل على كائن عظيم قوى يحكم ويدير العالم ويرزق طبقاً لارادته هؤلاء الذين يعيشون فيه .

فى الجزء المقتطع الثانى سنجد كلمتى سيخر نيترSEKHER NETER أى سيخر الله والتى ترجمت بمعنى «حظ أو نصيب» وكلمة «سيخر» هذه لها عدة معانى من بينها نجد «فكر، خطة، قصد، مشروع، تصميم» وعلى ذلك فعندما يقول بتاح ــ حتب «أكل العيش يرجع إلى سيخر الله» فلاشك أنه يقصد أن يفهم قارئيه أن الإنسان يحصل على خبزه أو طعامه ليأكله تبعاً لخطة أو لتقدير من الله أو المكتوب على الجبين. وبذلك فالترجمة التى قد تناسب كلمة سيخر نيتّر بشكل أفضل هى «تدبير إلهى» .

والآن نعرف أن كلا الكاتبين كاجيمنا وبتاح حتب قد عاشا فى مقاطعة ممفيس لأن مقبرتيهما وجدتا فى سقارة فإذا كانا قد عاشا هناك فعلاً فإن الههما المحلى الأكبر لابد وأن يكون بتاح مليح الوجه أو بتاح الحائط الأبيض الذى كانت زوجته سيخيت وابنه امنحتب ومع ذلك لانجد فى الكتابات السابقة أى ذكر لهم كذلك لا يمكن أن يكون الله المشار إليه ايزوريس لأن النصوص لم تكن جنائزية ولأن صفات هذا «الله» لم تكن صفات آلهة الموتى التى ذكرت فى نصوص تالية . من هو إذن هذا الله الذى أضفوا عليه هنا القدرة والعطاء وأداره العالم ؟ إجابة هذا السؤال هو أنه ذلك الله الذى أظهر رجاله الأقوياء على شاكلة بتاح حتب وآخرون صفاته بوضوح وظلت مميزة حتى فى تلك الفترات البعيدة عن زمن وجوده .. الله الذى كانوا يعتقدون أنه كان بالغ العظمة للدرجة التى لا يمكن معها أن يطلق عليه أى اسم سوى الكلمة المجردة «الله» رغم أنهم ــ وبدون شك ــ قد قدموا القرابين لآلهة معبد ممفيس على نهج مواطنيهم مع علمهم بأن الله مختلف اختلافاً بينا عن تلك الآلهة .

لنمض الآن إلى فترة الدولة الحديثة لنفحص عدد من أجزاء العمل المشهور والمعروف باسم «حكّم انى» أو «وصايا خنسو ــ حتب» التى نسخت عام ١٨٦١ بواسطة اى. دى. روج ثم نشرت بعد ذلك بخمسين عاماً بواسطة «شاباس» «CHABAS» والنص كتب على ورق بردى ووجد فى صندوق على أرضية مقبرة راهب مسيحى فى دير المدينة ويعتبر من وجهة نظر علم الخطوط القديمة أن تاريخ كتابتها يجب أن يرجع لفترة الأسرة الثانية والعشرين وإن كان التأليف الأصلى لها من المفترض أن يكون أكثر قدماً إذ يحتمل أن يكون قد كتب فى زمن الأسرة الثانية عشرة المقتطفات التالية ستشير إلى فكرة الله عند مؤلف هذه «الحكّم»:

١ ــ الـ الله لكى يعلى اسمه

٢ ــ الـ الله قاضى الـ حق

أو الله هو الحكم العادل بمعنى: الحكم الذى يحكم باستقامة بمعنى بالقانون والشريعة

٣ ــ امنح إلهك وسائل المادة

٤ ــ أعطيتك لوالدتك «الكاتب يقول لابنه» وحملتك كما حملتك فألقت على نفسها عبئاً ثقيلاً من أجلك.. ولم تلقه علّى.. وبعد عناء طويل حملتك فيه لأشهر ولدت فأرقدت نفسها تحت نيرك وأطعمتك من ثديها لثلاث سنوات.. ولم تضج منك.. وعندما ذهبت للمدرسة للتتعلم حملت الخبز والجعة من منزلها لأجلك وذهبت بهما كل يوم بدون توقف لمدرسك والآن أصبحت رجلاً واتخذت لك زوجة وأصبح لك منزل صن ابنك من الحسد وكما أنشأتك أمك أنشئه خشية ــ وهذا من حقها ــ أن ترفع

يديها لـ الـ لله وهو يصغى لدعائها (و يعاقبك)

٥- دع (الرجل) يعطى نفسه لـ الـ لله

حافظ على أن تجعل نفسك يومياً من أجل الـ لله

٦- باكر سيصبح مثل الـ يوم

المحراب الخاص بالله بغضه كلام كثير

يجعلكم يا مصليين مع قلب الحب كل الالتماسات

التى فى السر هو سينفذ أعمالك

هو سيسمع ماتقوله هو سيقبل قرابينك

٧- فى تقديم القرابين لإلهك تحمى نفسك ضد

الـ الأشياء التى يبغضها يا لاحظ بـ عينك

خطوطه كرس نفسك لعبادة

اسمه هو الذى أعطى أرواح للملايين

من الأشكال وهو الذى يعظم كل مـن

عظمة الآن الله لهذه الأرض يكون

الإله شـو هو الذى فوق الآفاق ومثيلاتـه

فوق الأرض أعطوا (لهم) منح من البخور مع

منح طعامهم يوميا

العبارات التي قدمناها سابقاً تزودنا بأفكار جديدة عن ملامح «الله» كما رسمها المصريون.. لقد أظهروا ايمانهم بأن هذا الكائن يحكم بالعدل ويستشعر الغيرة على مجده ويتقبل الصلوات والقرابين ويمنح المتضرع كل مايلتمسه منه وينفذ رغباته بشرط أن تتسم بالسرية وتقدم بقلب محب.

وفي الجزء السابع -المخصص للوعظ- نجد فصلاً دقيقاً بين الله والإله شو المقدم في النص بوضوح لا لبس فيه على أنه إله شمسي كذلك نجد تحديداً لخصائص كل منها فبينما شو ومن يماثله -كرب الآفاق- بمعنى السموات الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية والأرض- آلهة تعيش بينهم يقدمون لها يومياً مع قرابين اللحم البخور نجد على الجانب الآخر دعوة لعابد الله أن ينظر في الأرض ويفحص الأعمال العظيمة التي عليها ويتبصر بعمق في نعمه فهو واهب الحياة لملايين الكائنات ويتم تذكيره -كذلك- بأن عليه أن يكرس نفسه لذكره فالله يمجد من يمجده. وبطبيعة الحال لاتوجد حاجة هنا للاسهاب في وصف مدى سموق الأفكار التي تكلموا بها عن الله ولا حتى للإشارة إلى العديد من الجمل التي تطابق في معناها -وفي بعض الأحيان بنفس الكلمات- ما جاء في أسفار العبرانيين لأنها معروفة لنا جميعاً فمن منا لم تقابله عبارة «ضع في اعتبارك أعمال الله المدهشة» أو «هؤلاء الذين يمجدونني سوف أمجدهم».

الكلمة التي تقابل «مثيلاته» يصعب ترجمتها أو شرحها بالتفصيل ولذلك فمعناها العام واضح بما فيه الكفاية والمفروض أن نفهم منها «من تشبه شو» وهي بالتقريب الآلهة التي يُجلب من أجلها البخور والقرابين يومياً.

الجزء الثاني من هذه العبارات تكمن أهميته في أنه يؤكد ويطور الفرق بين مفهوم المصريين لله والآلهة فمؤلف «الحكم» مثله في ذلك مثل كاجيمنا وبتاح -حتب كان يكتب لابنه مجموعة من الأقوال المأثورة والتي كان يبغى منها ارشاده إلى أن يصيغ حياته طبقاً لها. وهذا العمل كما سبق وقلنا ليس له طابع جنائزي أي أن الله المشار إليه خلاله لا يمكن أن يكون ايزوريس والأدلة على ذلك فوق

الشبهات وإنما نقل الكاتب مما كتبه مؤلفو «الحكم» القديمة وبذلك نوه عن كائن كان مذكوراً من قبل لديهم .

فى «الحكّم» و«الأمثال» بشكل عام كلمة نيتر تقيد بالضرورة بشكل لافت للنظر بالأداة «با» PA للتعريف ولكن فى كل العبارات المقتبسة أعلاه لا توجد عبارة واضحة تفيد أن الله المشار إليه فيها هو إله وحيد لا يوجد آلهة أخرى غيره .

ومع ذلك ــ رغم أن هذا واضح تماماً ــ إلا أن علينا أن ننظر لنوعية أخرى من النصوص التى يوصف فيها أحد الآلهة الكبار بالوحدانية أو الوحدة ونرى كيف تطبق .

الإله تا ــ تونين TA - TUNEN يدعى «صانع البشر الاوحد ومجمع الآلهة» فى بردية «انى» صفحة رقم ١ سطر رقم ٦ .

الإله رع ــ تم يدعى «رب السماء ورب الأرض صانع الكائنات السماوية والكائنات الأرضية الإله الأحد الذى جاء للوجود فى الزمن الأول صانع العالم خالق الكائنات الفانية وصانع نو (السماء) خالق النيل وصانع كل ما هو موجود فى الماء ومانح الحياة له .. لا ضم الجبال بعضها ببعض جالب النساء والرجال والحيوانات والماشية وخالق السموات والأرض «فى بردية هنفر صفحة ١ سطر ٥» .

وفى نص هام آخر نقلت فيه كل صفات إله الشمس رع إلى آمون ــرع نجد عبارة يقال فيها عن هذا الإله أنه «الروح القدس التى جاءت للوجود قبل الزمن.. الإله الأكبر الذى يعيش فى او مع ماعيت» وماعيت هنا بمعنى النظام الذى لا يتوقف المنتظم غير المتغير.

ثم بعد ذلك «آمون ــرع هو السيخم المقدس (أى القدرة)، الإله المحبوب، الجبار، القدير فى صعوده رب السماء، القادر، خيبرا، الخالق لكل شيء كائن والذى لم يوجد عداه فى البداية».

البــوت الأولــى أعطى الميلاد لمجمعى الآلهة

جــاء للحياة الله كل خــلاله الواحد الأحد

هو صنع الموجود عندما بدأت الأرض فى الأيام الأولى

مختبىء لولادات متعدد الأشكال ليست معروفة نمــوه.

وهكذا تقدم لنا النصوص «تا ــتونين» أو «رع ــ تم» أو «ايزوريس» على أساس أنهم جميعاً يطلق عليهم الله الواحد ، نيتر ــأو-NET» ER - UA» وفى الجزء الأخير سنجد التعبير الهام «الله الواحد الأحد» يطلق على «آمون ــرع».

إذا تأملنا للحظة الأمثلة التى أوردناها سابقاً سنجد أن المصريين فى الوقت الذى كتبت فيه هذه الأجزاء المقتبسة أى قبل الأسرة الثامنة عشرة كانوا يضفون

وبشكل مستمر ــ ولدينا العديد من الأدلة التى تؤكد ذلك ــ الصفات الخاصة بايزوريس على جميع الآلهة التى على شاكلة رع مثل تم وخيبرا ــ اللذان فى حقيقتهما لا يزيدان على أن يكونا صورتين للإله رع ــ ومثل تونين أيضاً الذى كان يعتبر أحد الآلهة الشمسية وبالتالى أسبغوا على كل من تم وخيبرا وتونين وحتى رع نفسه كلمة «الواحد» ثم طبقوها بعد ذلك على كل الآلهة التى تعتبر ــ من جانب واحد على الأقل ــ إله شمسى وهكذا إذا فحصنا جميع النصوص التى ذكر فيها إله أو ربة بأنه «الواحد» سنجد أن سبب ذلك هو أن الكاتب قد منحه ــ سواء عن حق أو خطأ ــ بعضاً من صفات أو ملامح رع.

كذلك من السهل أن نرى من خلال المقتطفات الهيروغليفية التى قدمناها أنهم قد زودوا هذا «الله» بقدرات خلق لا يمتلكها إلا إله قدير. وهكذا قيل أنه هو «البوت» الأولى أو ــ المادة المقدسة ــ الذى جاء منه مجمعاً الآلهة. فى هذه الحالة يجب أن نفهم أنهما مجمع آلهة السماء ومجمع آلهة الأرض وليس المجمعان الكبير والصغير لآلهة هليوبوليس وأن كل إله جاء منه أو من خلاله.

كلمة إله هنا ــ من الواضح تماماً ــ أنها تعنى تلك التى لها مرتبة الوهية أقل أو تمتلك جزءاً من خصائص «النيتر» أو أى كائن يكون فى خدمة «البوت» العظيم تلك التى تشبه من يطلق عليهم «الوهيم» أو «الملائكة» فى الأسفار العبرية أو من يسمونها فى الادبيات العربية «بالجن الصالحين».

ثم يستطرد النص بأنه ــ أى الله ــ لم يَخْلق ــ فى الزمن الأولى ــ فقط كل ما هو كائن على الأرض ولكن فى هذا الزمن لم يكن هناك غيره... وهو تعبير قطعى لا يمكن أن يُنقض عن وحدة الله أو وحدانيته. هذه الصفة طُبقت فى البداية على رع أو إله قديم آخر مثل حورس ولكنها ظلت كامنة ــ فى رأى الكاتب ــ بالتأكيد فى عقول الطبقة المتعلمة فى مصر من الأزمنة الأولى وكانت محور تصورهم ــ فى كل العصور ــ عن الله.

بعد ذلك نجد فى النص أن البوت العظيم قد خلق مجمعى الآلهة «مختبىء فى الولادات متعدد الأشكال» وأن نموه أو تطوره غير معروف.

هذه طريقة أخرى ليقول ــ فقط ــ أن الوسيلة التى كان البوت يخلق بها الكائنات والأشياء وسيلة غير معروفة وأنه كان يظهر فى أشكال متعددة .

ويمكن أن نشير إلى جزء من الفصل السابع عشر من كتاب الموتى (سطر ٩) حيث نجد :

أنـــا الإله العظيم صانع نفسه نـــو أى

الذى صنع اسماءه مجمع الآلهة مثل الله

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن بخصوص هذا الكائن «من هو إذن ؟» .

والإجابة سنجدها فى الجملة التالية :

إنه رع الذى خلق أسماء من أجل أعضائه

والتى جاءت للوجود فى شكل الآلهة التى تتبع رع . فــى هـذا الجزء الذى اقتبسناه نجد أن النص قد أكد على قدرة البوت الأعظم على الخلق فهو الذى خلق فى البداية كلَ ما هو كائن حى ــ ثم يستطرد النص ــ بأنه قام بكل ما كان عليه أن يقوم به بمجرد تواجده الشخصى ــ كذلك نجد فى الجمل التى اقتبسناها عن كتاب الموتى تفسيراً آخر ــ طبقاً لعقيدة ما ــ يؤكد أن الذى خلق الإله «نو» ذاتياً كان الله الذى يجمع أسماء مجمع الآلهة العظيمة وطبقاً لعبارة أخرى نعرف أن الآلهة التى كانت فى موكب رع كانت تمثل أطرافه وأن هذه الأطراف أصبحت أسماء رع .

والنص الأخير تكمن أهميته فى أنه يقدم لنا الدليل المباشر على أن الإله «نو» قد نقل كل صفاته لرع فإذا أخذنا فى الاعتبار ما عرضناه من نصوص سابقة عن

أى « رع » قد نقل أيضاً صفاته إلى آمون ـــ الذى كان فى الأصل مجرد إله محلى لطيبة ـــ بدمجهما معاً فى آمون ـــ رع وأن هذه الطريقة كانت سائدة ـــ على الأقل ـــ فى عصر الأسرات فسيمكننا هكذا انقاص عدد الآلهة المصرية بنسبة كبيرة عن طريق تجنيب كل الآلهة الشمسية التى تحولت إلى نسخ من « رع ».

صفات وخصائص الأحادية أو الوحدانية التى أسبغت من البداية على الله العظيم خالق السموات والأرض وما بداخلهما تم نقلها إلى الآلهة الشمسية ـــ التى كانت تعتبر رمزاً مرئياً لله ـــ بأشكالها المختلفة ثم بعد ذلك ـــ وفى فترة لاحقة ـــ لا يزوريس. هذه المرحلة من مراحل الفكر الدينى التى يطلق عليها بعض الكتاب اسم «هينوثيزم» «HENO - THEISM» بمعنى عبادة إله واحد دون انكار عدد آخر من الآله قدمها لنا الاستاذ العلاّمة ماكس موللر لأول مرة من خلال الفيدا «VEDA» .. فهو يقول أنها مرحلة تختلف عن التوحيد وتسبقه. ثم يضيف «عندما كانوا يبتهلون لهذه الآلهة الفردية لم يتصوروا أنها آلهة محدودة بقدرات الآلهة الأخرى سواء الأعلى أو الأقل منها مرتبة.. لقد كان كل متضرع يتصور أن الهه يحمل مجمل صفات الآلهة الأخرى وكان يشعر ـــ فى ذلك الوقت ـــ أنه الإله الحق العلى المطلق.. وكان مجمع الآلهة على الرغم من التحديدات الفردية لعقولنا ـــ تورث خصائصها بكاملها لكل إله مفرد فتتوارى عن أنظار العابدين ولا يبقى إلا هو فى البوت ».

«إن هذا لصحيح تماماً لقد مرت الديانات المصرية ـــ وأثبتت النصوص الدينية ما يؤكد هذا ـــ بما أطلقوا عليه هينويثزم. ولكن أى هينوثيزم إنه نوع آخر عملى يختلف عن ذلك الذى قدمه لنا ماكس موللر أو هارتمان أو اسماس. بمعنى عبادة إله واحد فوق كل الآلهة الأخرى كإله قبلى أو رب قومى لشعب معين شبيه بالتوحيد مثل ما كان للاسرائليين القدامى حاكم مطلق يدين له شعبه بالطاعة العمياء.. هذا التوحيد العملى ـــ بالتأكيد يختلف تماماً عن التوحيد النظرى الذى هو أكثر قرباً من توحيد الآريين الذين توصلوا إليه عن طريق الأفكار اللاهوتية المتأملة فى الثالوث ».

هذه الجملة المقتبسة عن الأستاذ تايلى «TIELE» لم تكن عن الديانات المصرية ولكنها حالياً مناسبة للتعبير ــعن وجهة نظر الكاتب ــ فى موضوع التوحيد لدى المصريين ويمكننا الاستشهاد بها لهذا الغرض. والاستاذ تايلى الذى كان بدون شك حجة زمانه فى الديانات المقارنة لم يكن عالم مصريات من الصف الأول ولكنه ناقش النصوص بخبرة عظيمة لاتقل عن شاباس وبيرس ودى لاروج وآخرين ويعتبر رأيه ــإلى حد معينــ فى هذا الموضوع ذو نفع عظيم. وطبقاً له فالديانة المصرية تخضع لمظهرين متعارضين كلية ولايقبلان التوفيق الأول: فكر حى عن روحانية الله متحد مع أعلى درجات الفجاجة المادية فى تجسيد الآلهة المختلفة.. والثانى: فكر لا يقل عنه حيوية عن وحدانية الله مختلط مع تعدد يفوق حدود التصور للأشياء المقدسة. وفى رأيه أن الكهنة الأكثر تعليماً والذين كانوا يمثلون القوة الدافعة للتطور كانوا هم أنفسهم مرتبطين ــبنفس درجة العامةــ بتلك الأشكال والرموز ــالتى فهمتها الجماهير الجاهله بطريقة خاطئة أدت إلى انحرافات خطيرة ــوالتى جسد فيها المصريون الهتهم وتسببت ــبالمقارنة بتلك الأشكال النبيلة الحسنة التى كانت للآلهة الهلينية ــفى نفور الذوق المعاصر المهذب. وهو يرى كذلك أن العامة لم يشعروا بنفور تجاه المسوخ الممثلة لآلهتهم بل عكست على وجدانهم أصفى الأفكار عن الألوهية وأكثرها روحانية لأنها ــكما يبدوــ كانت تعنى معانى غامضة لها دلالات خاصة أما المتعلمون فقد فهموا معانى الرموز وعبدوا ــمن خلالهاــ ما أخفته من حكمة. بكلمات أخرى أحب الأميون آلهة متعددة بينما من كان قادراً على فهم الكتابة مثل الكهنة والمتعلمين فقد وائموا بين فكرة الإله الواحد خالق السموات والأرض وبين عدم قدرتهم على التعبير عنه بطريقة أفضل فأطلقوا عليه كلمة «آلهة».. فالكهنة ودارسو اللاهوت لم يجدوا تعارضاً بين اعتقادهم فى الله الواحد وبين أن يكون له هو نفسه أشكال متعددة».

نفس وجهة النظر هذه نجدها فى الأسفار العبرية.. فبرغم وضوح الوصايا «لا تجعل قبلى إلها آخر.. لا تصنع لديك صوراً منقوشة.. لا تحمل بغضاً لما فى

السماء الأعلى .. لاتركع لهم ولاتخدمهم » إلا أن الاسرائيليين لا ينتابهم أى شك عندما يصورون الله بين أبنائه . وهم ــ لمدة طويلة ــ استمروا فى عبادة عدد من الكائنات المقدسة جنباً إلى جنب مع «ياهو» حيث نقرأ فى «جوشا» «الله رب الأرباب .. الله رب الأرباب يعرف واسرائيل سوف يعرف» وفى «بسالم» حض على أن يقدم الشكر «لرب الأرباب الذى هو ابن الرب» . وهذا لا يمنع أن نجد أيضاً فى أماكن أخرى عديدة أن كلمة «آلهة» لاتعنى شيئاً مثل ما هو واضح من «صموئيل» حيث نجد أن ساحرة أندرو قالت للروح أنها «رأت الآلهة تصعد من الأرض» حيث الآلهة هنا تعنى إما كائن أثيرى أو كائنات روحية أخرى .

ولنعد للحظات لمناقشة وجهة نظر الاستاذ تايلى .. فما قرأنا نجد أنه كان محقاً ــ بالتأكيد ــ فى أن التوحيد فى مصر كان متقدماً على فكرة تعدد الآلهة لو أننا حكمنا على هذا من خلال نصوص عصر الأسرات .. ولكن إذا وضعنا الأدلة التى قدمتها الكشوف الأثرية الحديثة الخاصة بعصرى ما قبل الأسرات والحجرى فى الاعتبار فيجب أن نُعدل حكمنا هذا لنؤكد أن التعددية قد سبقت التوحيد .. إلا أنه فى نفس الوقت .. يجب علينا أن نتذكر ما سبق أن قدمناه عن أن الأفكار التوحيدية التى ظهرت فى أعمال كاجيمنا وبتاح حتب لم تكن مبتدعة خلال الفترة التى عاشا فيها وإنما ترجع ــ لأسباب عديدة ــ إلى فترات زمنية أكثر تبكيراً . هكذا ــ فالكاتب ــ على ثقة فى أنه إذا حدث فى يوم ما اكتشاف لنصوص مؤلفة خلال الأسرات الثلاث الأولى فى المقابر المصرية فسنجد أنهم قد عبروا عن فكرة الوحدانية بوضوح وتأكيد ودقة تماثل ما تم فى الأسرات التالية وأننا سنجد أيضاً ذكراً لآلهة مختلفة خلقها الله المدعو بالواحد وأنهم قد عبدوه بطاعة مؤكدة .

على العموم آخر ما توصل إليه الأستاذ «تايلى» هو أن الديانات المصرية فى بدايتها كانت متعددة الآلهة ولكنها مع الزمن تطورت فى اتجاهين متعارضين .. اتجاه تكاثرت فيه الآلهة عن طريق إضافة آلهة محلية والآخر اقترب فيه المصريون أكثر فأكثر من التوحيد .

فإذا تتبعنا آراء بعض كبار علماء المصريات بخصوص هذا الموضوع فسنجد أن دى لاروج عام ١٨٦٠ كتب «فكرة الكائن العلّى الذى أوجد نفسه .. الواحد القادر على التجدد الأبدى والخلود كإله له قدرة على خلق العالم وكل الكائنات الحية .. كذلك فكرة استمرار بقاء الروح المرتبط بالثواب والعقاب القائم على قواعد مقررة وثابتة لا تتأثر بانحراف أو نكوص هى أفكار تفسح لعقائد المصريين القدماء مكاناً مشرفاً بين ديانات العالم القديم» .

وفى مثال له عن «ديانة قدماء المصريين» كتبه بعد ذلك بتسع سنوات كنتيجة لدراسة مستفيضة متعمقة لعدد من النصوص الدينية أكد أن التسابيح الموجهة لله الواحد كانت تُسمع فى وادى النيل قبل أن يتواجد هناك ــ أى تايلى ــ بخمسة آلاف عام .. وأنهم كانوا يعتقدون فى الله العظيم الأحد خالق البشر وسانن الشرائع والمزود بروح خالدة لا تفنى» .

وفى وصفه لأهم الآثار التى فى المتحف المصرى ببولاق فى القاهرة قال ماريت بك «على رأس مجمع الآلهة المصرية إله واحد لم يولد ولا يمكن رؤيته فهو خالد مختف فى عمق جوهره المنيع خالق السموات والأرض وكل كائن حى وهو على كل شيء قدير .. هكذا يكون الله الذى تم ذكره فى المحراب الأول» .

كذلك «شابيس» له وجهة نظر مماثلة «الله الأحد الذى كان قبل الوجود والذى يمثل الفكرة النقية المجردة للألوهية لم يكن محدداً ــ بوضوح ــ من يكون من أعضاء مجمع الآلهة المصرية ولم يتم تجسيده طول الزمن فى أى إله فهو ليس بتاح أو سب أو تحوت أو رع أو حتى ايزوريس لقد كانوا يعتبرونه هذا أو ذاك فى بعض الأحيان حين يصفونها ببعض الملامح التى تماثل تلك المألوفة عن الله العلى الذى كانت له صفات وملامح فريدة تختلف عن تلك التى للآلهة المصرية التى لا تعد» .

م . بيرت يتبنى نفس وجهة النظر القائلة بأن المصريين آمنو بالإله الواحد الذى لا شريك له الخالد .. المخلد وهو يقول عند مناقشته للقضية أنه فى نفس

الوقت الذى كان الكتّاب يحفرون فيها على الحوائط أو ينسخون فوق البردى الكتابات التى تؤكد هذه العقيدة كان الفنانون ــ بشكل آخر ــ يصنعون تماثيل الآلهة برؤوس صقور وكباش وتماسيح أو ربات برؤوس لبؤات وقطط وبقرات. ثم يضيف ومع ذلك.. فالله الواحد الذى لا شريك له.. كان واحداً.. حتى بين آلهة المجمع ــ لأنه كان يحمل أسماء وأشكالاً متعددة وغامضة ومقدسة.. بمعنى أنه كان خلف كل الأشكال التى نقشوها على الحوائط والطقوس التى أقاموها للآلهة فى المعابد».

الدكتور بروجيش الذى يعتبر من أكبر المؤيدين لمبدأ اعتناق القدماء للتوحيد أضفى على كلمة «نيتر» أسمى المعانى الفلسفية التى سبق عرضها وهو لإيمانه ــ بوجهة النظر التى اعتنقها المصريون أنفسهم ــ بأن الآلهة جميعاً كانوا مجرد أسماء لصفات ــ الله الواحد ــ المختلفة فلقد تتبع من خلال الأدبيات الدينية والصلوات والتسابيح المقدمة لربات وآلهة مختلفة فى جميع العصور عدداً من الصفات والنعوت التى أسبغها عابدوهم عليها وبعد تصنيفها وتبويبها وترتيبها فى مجاميع وجد أنها تكون وصفاً لإله يصعب أن تجد ما يماثله خارج الكتاب المقدس. ومع ذلك فهناك من يعترض على أنه ما دامت هذه الصفات المبعثرة لم تطلق أبداً معاً فإن المصريين لم يعرفوا بالتالى فكرة الله الواحد واجد نفسه.. الموجود الباقى أبداً.. الدائم.. الباطن.. الخفى فى الأسم والرسم.. خالق السموات والآلهة والأرض والبشر وكل شىء والذى هو فى نفس الوقت الرحمن الرحيم الودود الناصر للضعفاء قبل الأقوياء.. العاطى.. الواهب.. الحافظ لكل من يقوم على ارضائه.. ولكن هذا الاعتراض لا أساس له ورغم أن هذه الصفات قد أطلقت على أعداد مختلطة من الآلهة إلا أننا يجب ألا ننسى أنهم ما كانوا يشتركون هكذا معاً بهذه الطريقة إلا إذا كان الكتّاب قد تعرفوا على الآلهة كمراحل أو ملامح للإله العظيم.. كذلك يجب أن نلاحظ أن هذه الملامح لم تطلق إلا على الآلهة التى خلقها الله وأنهم فى مصر كانوا يعتبرون الآلهة كائنات أدنى من الله العظيم الذى خلقها ولم يساووا بينه وبينها أبداً فى كافة الوجوه.

تبقى حقيقة أن توصل المصريين لمثل هذه الأفكار التى عرضناها هو برهان أخير على مدى عظمة ملامح ديانتهم وفكرتهم عن التوحيد واستطراداً لهذا يجب أن نكرر أن الله المشار إليه فى قواعد الدولة القديمة الفكرية قد احتل مكاناً مشابهاً لمكان «ياهو» عند العبرانيين أو الله عند العرب وأن الربات والآلهة التى كانت تنفذ رغباته وتقوم على ارضائه تناظر كبار الملائكة المتنوعة الشرير منها والتقى التى تمتلىء بها أدبيات العرب والعبرانيين.

ولا أدل على ذلك من تلك المعروفة لنا جيداً من سفر (٧١) حيث قيل «يا اسرائيل .. الهتنا ياهو.. هنا .. يا هو أحد» .. والكلمة العبرية אֶחָד تطابق فى المعنى المصرية «نيتر ــ أو» بمعنى «الله الواحد» إذا اعتبرنا أن «أو» تعنى «واحد» أما كلمات «الهتنا ياهو» ــ وهى منقولة حرفياً ــ فقد تكون كلمة «آلهة» «الوهيم» אֱלֹהִים, هذه قد ترسبت من مرحلة تعدد الآلهة التى كانت سائدة فى العبادة اليهودية القديمة وتعنى مجموع الكائنات المقدسة. ومن المحتمل أن تكون ــ عندما كُتب هذا الجزء من السفر ــ قد تطورت ليصبح معناها «إله اليهود العظيم» .. فى القرآن أيضاً رداً على سؤال أهل قريش ــ كما جاء فى كتب التفسير ــ عن خصائص الله الذى دعاهم إليه النبى محمد ﷺ أوحى إليه بأنه «الواحد» فإذا كانت لدينا الأدبيات التى كتبها العبرانيون القدماء والعرب أثناء فترة الدعوة المحمدية فقد نجد فى الغالب أن هناك عدداً من آلهة الفلسطينيين والعرب المحليين التى كانوا يطلقون عليها «الواحد» الذى هو فى حقيقته من قدسه فلاسفة الدولة القديمة فى أصول أفكارهم عن الله العظيم ونجحوا فى جعله مستديماً .. ومع ذلك فديانة المصريين نُظر إليها دائماً من وجهتى نظر متميزتين ومتعارضتين فبعض الاساتذة ومنهم شامبليون وفيميك ودى روج وشاباس وماريت وديفريا وبيرش وبروجيش يعتبرونها ديانة موحدة بينما يؤكد آخرين ــ وبدون أى تردد ــ أنها متعددة الآلهة والحكم فى هذا يرجع للطريقة التى ينظر بها كل منهم للموضوع . فماسبيرو يقول أنه وبروجيش ينظران بطريقتين مختلفتين للعقيدة المصرية ويضيف «إن أفضل عصور المصريين هى تلك التى تم فيها ايذاء القوميات الأخرى

ذلك الزمن الذى حفظت مدافنهم ومعابدهم لنا منه تماثيلهم وآلاف الأشياء الصغيرة الأخرى التى كانت محور حياتهم اليومية والتى وجهتنا إلى أن نحكم عليهم ــ من خلال أكثر الأشياء جمالاً وبهجة ونضع حضارتهم ــ بمرور الوقت ــ على قدم المساواة مع الحضارتين الرومانية واليونانية .. ولكن .. إذا اقتربنا أكثر وتأملنا فإن وجهة نظرنا هذه سوف تتغير فتحتمس الثالث أو رمسيس الثانى أقرب لنموذج قادم من وسط أفريقيا عنهما للاسكندر أو قيصر وهو ليس ــ بالتأكيد ــ خطأهما فقد جاءا مبكرين جداً فى زمن البداية ويجب أن يتحملا تبعات نضجهما المبكر. كذلك الفن والعلم والحرف ابتكروا الكثير وأنتجوا الكثير والأكثر من هذا لقد كانوا واعدين ولكننا وجدنا دائماً ــ كما هو الحال فى ديانتهم ــ أن الفجاجة تختلط فى كل مكان بالسمو وأن معظم أساطيرهم تناظر تلك التى لأكثر القبائل بربرية فى العالم القديم والحديث. والمصرى أظهر دوماً روحاً ميتافيزيقية تأكدت عندما زودته المسيحية بموضوع يناسب قدرات دهائه الفطرية ».

« ولكن أى نوع من الميتافيزيقا » ــ يتساءل السيد ماسبيرو ــ « يمكن أن تقدمه هذه الأفكار الساذجة عن الكون وما الذى توحى به من أشياء ؟ ».

ومع ذلك فالسيد ماسبيرو افترض نتيجة لوصف بورجيش لعالم المصريين بشكل أقرب لتصوره الشخصى ولاصطلاح معظم الأساتذة على فكرة وحدانية الإله المصرى أن الأساسيات ــ على الأقل ــ لابد وأن تكون صحيحة وأن الأوفق عدم الاستمرار فى إدانة هذه الرؤية ولكنه لم يستطع أن يتعامل مع الديانة المصرية إلا فيما تظهره من «تعددية آلهة بكل ما تحمله من تكرار وتناقض وأفكار هابطة أحياناً وقاسية أو مقززة ــ طبقاً للمقاييس العصرية ــ فى أحيان أخرى أو مع فصائل الآلهة النصف آدمية التى كلما ارتبط عابدوها بها أكثر أو حاولوا الفهم الأفضل كلما أصبحت تماثلهم أنفسهم أكثر فأكثر».

إن هذه الأفكار التى طرحها السيد ماسبيرو تعبر عن عدم تقبله لخصائص المصريين .. وتعارض بشكل مباشر وجهات نظر عدد من أفضل علماء المصريات فى القرن الماضى ــ وإن كانت تدل على أمانة ــ ولأنها قادمة من أحد الأركان

الأساسية فإن لها كل تقدير.. ولكن يبدو أن السيد ماسبيرو قد حكم على المصريين فى كافة العصور على ضوء معايير الديانة التى كانت سائدة فى مصر فى عصر ما قبل الأسرات عندما كان المصريون الأوائل ـ بدون شك ـ نصف بدائيين.. ونحن لا نجادل فى كون المصريين شعب أفريقى يحمل كل فضائل ورذائل شعوب وأجناس شمال أفريقيا لأنه أمر ثابت ولكن ادانتهم لكون ميتافزيقيتهم لا تتواءم مع المعنى العصرى للكلمة فهو الأمر الذى لا يؤخذ عليهم للحظة. لعدة أسباب أهمها أنه لا توجد لغة أفريقية واحدة تستطيع أن تستوعب التعبيرات اللاهوتية والتأملات الفلسفية.. وحتى لو افترضنا أن بعض الكهنة المصريين ذوى الإدراك والمعارف الأرقى قد حاولوا ترجمة مقال أو رسالة عن أرسطو إلى اللغة التى يزاملهم فيها كهنة غير متعلمين فكيف كان يمكنهم فهمها.. إن انخفاض البناء اللغوى للمصرية القديمة يمكن أن يجعل هذا الأمر مهمة مستحيلة فهم لذلك تجاهلوا أفكار كبار الفلاسفة الاغريق والتى تعود إلى بناء حضارى وفكرى غريب تماماً عن المصريين.

أما اشارته عن تأثير المسيحية على الميتافيزيقيا فى مصر فهى بدون أساس.. فكما يعرف كل من بذل جهداً فى قراءة الأدبيات القبطية أن الكثير من عقائدها خصوصاً المرتبط منها بالسيد المسيح قد نقلت أساساً عن الأساطير المصرية الهابطة التى كانت سائدة خلال القرون الأولى من الحقبة المسيحية فى مصر. وأن حياة شهداء الأقباط وتاريخ كنيستهم المبكر يظهران كيف استخدم المصريون روحهم الميتافيزيقية والطريقة التى تعاملوا بها مع المصطلحات اللاهوتية اليونانية أو اللاتينية والتى يمكن التعليق عليها ـ بشكل عارض ـ بأن المصريين عندما حاولوا التعبير عن الأفكار المختلفة المرتبطة بإله المسيحيين وتجسيد الثالوث كانوا مضطرين إلى استعارة نفس الكلمات اليونانية لعجز لغتهم عن التعبير عن الأفكار المجردة.

أما الصورة التى قدمها السيد ماسبيرو عن تصور المصريين للكون وأصل الآلهة والكائنات والتى أكد فيها على الجانب الأسطورى من سؤاله فيظهر منها أنه لم يتقدم ليطرق السبل التى أسس علماء مصريات آخرون عليها وجهة نظرهم عن

التوحيد فى مصر فضلاً عن أنه لم يلتفت لملامح هذا الجنس الخاصة أو لطبيعته الذهنية. عموماً.. بعد ماقيل كل مايمكن أن يقال ضد العقيدة المصرية تبقى حقيقة أن الديانة نفسها لم تكن قاسية أو مقززة أو تحتوى على أفكار هابطة ولكن الأساطير التى أصر كهنة حمقى على دسها هنا وهناك أخفت نقاء العقيدة وسمو الأفكار الخاصة بالتوحيد والخلود التى كانت موجودة ـ كما هو واضح ـ فى مصر ـ منذ الأزمنة المبكرة.. فى نفس الوقت إذا حاولنا الحكم على الديانات الشرقية الحديثة بنفس الطريقة التى حوكمت بها الديانة المصرية فلن تنجو من نفس النتائج واحدة منها الأمر الذى ينطبق أيضاً على بعض ديانات الشعوب الغربية. فالخرافات المنتشرة بين عديد من هذه الشعوب والتى يطلق عليها موحدة ـ وبعضها مسيحى ـ تعادل فى ضخامتها تلك التى للشعوب الوثنية.. وكمثال لذلك هؤلاء الذين يعيشون فى جنوب ميزوبوتاميا ويعرفون بمسيحيى سان جون أو عدد من الشعوب الناطقة بالعربية فى شرق السودان.. ومع ذلك لم يوجد من بدين شكل المسيحية القائم بين الأولين والتى لا نجد ـ بالطبع ـ من يمتلك الشجاعة أو التهور لمقارنتها بمسيحية رجال مثل كانون ليدون أو الكاردينال تيومان.. وبالمثل توحيد شعوب شرق السودان يواجه بإدانة عالمية ولكن لايمنعهم هذا من مزاولة طقوس على درجة عالية من الرخص والخيال وغرقهم فى شعائر مترسبة لديهم ـ فى أغلب الأحيان ـ من أسلافهم الوثنيين.

ومع ذلك فلحسن الحظ أن ملامح التوحيد فى الديانات المصرية تقوم على قواعد متماسكة للغاية لايمكن هدمها أو استسلامها لنظام الطقوس الرمزية المحكم التى شكلت مظهراً دائماً للعبادة المصرية.. فالتوحيد المصرى احتفظ دائماً بمكانة خاصة فى عقول الذين تعلموا بالقدر الكافى ليدركوا الأفكار التى تمثلها الرموز.

المصرى لم يخلط أبداً بين الله والآلهة ويبدو أنه قد ميز دوما بين الله وآلهة المدن.. وكمثال نجد فى الأعتراف السلبى رقم ٣٨ أن المتوفى قد قال «يا أوتو ـ ريخت يامن حضرت تواً من منزلك أنا لم أسب الله». وفى رقم ٤٢ قال:

«السلام على ــ أن اف ــ الذى جاء تواً من «أوكريت» أى العالم السفلى ــ أنا لم ازدر الرب الذى فى مدينتى».

أما عن الزمن الذى انبثقت فيه فكرة التوحيد لأول مرة فلا يمكن تحديده ولكنها فى أقدم أشكالها تتوافق ــ على الأقل ــ مع حضارة الأسرات فى مصر ويمكن أن نؤرخ لها بزمن أكثر تبكيراً ونحن مطمئنون. عموماً الأفكار التوحيدية لايمكننا أن نرجعها لشعب بعينه أو لزمن محدد والأمر سيان فى الفائدة أو الأهمية التى تعول على هذه المعرفة.. كل ما نستطيع الجزم به أنها كانت قائمة فى مصر قبل الميلاد بثلاثة آلاف وخمسمائة عام وبالتالى وطبقاً لهذه الحقائق نستطيع أن نؤكد أن التوحيد فى مصر كان الأقدم لكل ماعرفناه من توحيد. وبالطبع من السهل ــ بما فيه الكفاية أن نفهم أسباب ومقدار القلق الذى صاحب الأنظمة الكهنوتية لمختلف المدن وأدى بكهنة كل منطقة إلى محاولة اغراء شعبها الذى يعبد إلههم المحلى بأن هذا الإله أو ذاك هو الكائن الذى توحدت فيه خصائص الإله المحلى والآلهة الكونية وأنه هو الذى خلق السموات والأرض. كذلك الأسباب التى جعلت كتاب مثل كاجيمنا وبتاح حتب وأنى وآخرين أن يقدموها هى نفسها فى حكمهم المكتوبة.

فى بداية الزمن كان الإله حورس ــ الذى تجسد على هيئة صقر ــ هو الإله الأول الذى اختير ليعبد بشكل عام فى طول البلاد بهذا الأسلوب وتظهر أهمية وقدم هذه العبادة من الصور العديدة التى رسمت له ــ وحقيقة ــ أن خصائصه قد أسبغت ــ فى زمن تالى ــ على ابن ايزيس. الإله التالى الذى اختير ليمثل الإله العاقل للمصريين هو رع الذى لم يكن تجسيداً للسماء مثل حورس ولكن قدم كإله شمسى وأسبغوا عليه كل الأوصاف والقدرات والقوى التى كانت معروفة للمصريين جنباً إلى جنب مع الأوصاف والأشكال الخاصة بالإله حورس. ولكن ورغم أن عبادته كانت شائعة فى كل مصر ومعابده كانت المعابد الأكثر أهمية على الأرض لعدة قرون إلا أن هناك عدة قرائن تدل على أن المصريين لم يخلطوا أبداً بينه وبين الله فى أفكارهم.. ورغم وجود شبهة ظنون ــ غير مؤكدة بأن رع ــ

الذى هو روح أو إله الشمس ــ كان فى عقيدة ما صورة أو تجسيداً لله إلا أن الأفكار التى كانت أكثر شيوعاً ــ من أفكار تجريده عن طبيعته وكيانه ــ هى تلك التى ربطت بينه وبين رمزه المرئى الشمس كمصدر للدفء والقوة وبالتالى الحياة كما عرفها المصريون فى فترة مبكرة من تاريخهم .

فى دعاء للإله حابى إله النيل نجد فى جملة هامة منه أن المؤلف قد أسبغ على القوة المسببة للفيضان بعضاً من صفات الله الرئيسية حيث يخاطب الإلهين بتاح وخيمنو «إذا أخضعت الآلهة فى السماء فقد يسجدون على وجوههم وقد يغنى الجنس البشرى» . ومن سياق الكلام يظهر أن المؤلف قد بدأ دعاءه بتقديم تحية الاحترام لإله ممفيس المحلى «بتاح» والذى جعله على نمط «رب السمك» «خالق القمح والشعير» فيشير إلى صفاته المعروفة كصانع ماهر عظيم قائلاً : «السكون هو الرجس لاصابعك» بمعنى أن يد الله تكره البطالة أو أن اليد البطّالة نجسة .. ثم يستطرد بعد ذلك فيذكر خيمنو الإله المحلى للشلال الأول حيث كانوا يعتقدون فى يوم ما أنه كان منبع النيل فيقدمه على نمط «رازق الطعام والزاد» «خالق كل ما هو جميل» «رب اللحم المختار الطيب» «جاعل العشب ينمو لترعى فيه الماشية» «مالىء المخازن ومكوم الحبوب عالياً فى الصوامع» «راعى الفقراء والمحتاجين» «والذى يجعل المحاصيل تنمو فتفيض عن احتياجات البشر» «والذى قوته درع» .

بعد ذلك يوضح حقيقة أن إله النيل «حابى» «لا يمكن أن يرسم على الحجارة أو يصور فى الأوضاع التى يضع فيها تاجى الجنوب والشمال بثعبانيهما ولا تقدم له القرابين ولا يمكن احضاره ــ أيضاً ــ من مسكنه المجهول ومكانه الخفى والمعابد المنقوش عليها النصوص لا يمكن أن تحتويه لضخامته وقلب الإنسان غير قادر على استيعابه» .

هذا الكائن المشار إليه إله مادى وليس تصورى .. وإذا تكلمنا بطريقة أكثر بساطة وقدمنا تفسيرات أكثر واقعية لوجهة النظر هذه نستطيع أن نقول أن هذه

المقولة الهامة مقصود بها وصف مناعة كل من إله النيل وقدس أقداسه. تبقى حقيقة أن الإعلان عن قدرة وغموض وتخفى واستحالة وصف القوى التى تحرك إله النيل سواء بواسطة الكتابة أو الرسم أو النحت تدل على وجود أفكار سامية عن خصائص الله فى عقول الكتّاب المصريين.

ولكن جنباً إلى جنب مع الأفكار الأساسية عن حورس ورع وعمق عبادتهما فإننا نجد أن هناك إلهاً آخر كان له ثبات واستمرارية فى أفئدة المصريين جعلته يحتل مكاناً مختلفاً عن أى إله آخر فى الديانة المصرية وهو الإله ايزوريس.

أصل نشأة هذه الديانة غير معروف ولكن لا يوجد سبب للتشكيك فى أنه كان إله السكان الأصليين المحليين وأن عبادته قد تغلغلت بعمق فى مصر قبل عصر الأسرات. لقد كان إله جمع بين سمات مبدأ الخلود وملامح الزمن القديم وهو ـ كما يعتقد الكاتب ـ رمز التوحيد فى الديانة المصرية وايزوريس من الصعب تحديد الشكل الأصلى لعبادته أو حتى الحدس بها فكل ما نعلمه عن هذه البداية هو أن أبيدوس ومنذ عصور بالغة القدم كانت أحد مراكز عبادته الواسعة وأنه كان أحد أعضاء «البوت» أو مجمع آلهة هليوبوليس كذلك نعلم من دلائل أخرى أنه كان إلهاً شديد الأهمية فى تاتو وتسيريس فى الدلتا وأن معابده كان يؤمها الشعب بكثافة عالية.

قبل الأسرة الخامسة ـ كما سبق أن رأينا ـ كان ينظر إليه على أنه قاضى الموتى ومن الواضح أيضاً أنه كان قاضى أصحاب المقام الرفيع من الموتى.. ولكن يجب أن نضع فى اعتبارنا أن كهنة «رع» الذين كونوا فى هذا الوقت أكثر الانظمة الكهنوتية تسلطاً فى مصر حرصوا على أن يمنحوا ايزوريس فى السماء مكاناً أدنى من مكان «رع» حتى أفلت سلطة ملوك الأسرة السادسة وأعقبها تدهور قوة نظام «رع» الكهنوتى بصورة كبيرة ونمو ونجاح عبادة ايزوريس فى مقابلها.

مراحل أفول وصعود الإلهين خطوة بخطوة لا يوجد سبب هام لرصدها تفصيلاً هنا وسيكون كافيا أن نقول أنه فى هذا الزمن أى ما بين الأسرة السادسة

والأسرة الثامنة عشرة تم نقل كل صفات إله الشمس «رع» تقريباً إلى ايزوريس. وأن اسم «رع» قد تم ربطه بايزوريس كما حدث في زمن سابق عندما ربط تم أو حيروخوتي برع على هيئة «رع ـ تم» أو «رع ـ حيروخوتي».

وهكذا نجد في الفصل (CXXX) من كتاب الموتى أن المتوفى يقول: «أنا لن أستدير عائداً للخلف في الأفق لأنني رع ـ ايزوريس» وهو ما يدل على أنه في فترة مبكرة من الأسرة الثامنة عشرة تم اعتبار ايزوريس كإله شمسي. في الفصل (XVII) جعلوا المتوفى يقول: «أنا روح الله التي سكنت في الإلهين التوأم ...» وعلى هذا يأتي السؤال التالي: «ماذا يعني هذا؟» فتكون الإجابة: «إنها اشارة إلى ايزوريس الذي ذهب إلى تاتو ووجد هناك روح رع حيث عانق كل إله الآخر وانبثقت الأرواح الآلهية إلى الوجود داخل الإلهين التوأم».

هذه السطور تم تقديمها في بردية آني من خلال رسوم مميزة حيث نرى بناء على هيئة بوابة بين العلامتين ... وهو ما يدل على أن ما يحدث يتم في تاتو وفوق البوابة نجد الإلهين يقفان يواجه كل منهما الآخر رع على هيئة صقر يحمل فوق رأسه قرص الشمس وايزوريس» في شكل صقر برأس آدمي مرتدياً التاج الأبيض.. ومن النص نعرف أن كلا منهما قد اختلط بالآخر وتمثله وهكذا جلب ايزوريس لنفسه صفات وملامح إله الشمس «رع» مع احتفاظه بكل مميزاته الخاصة.. إن كهنة طيبة ـ هنا ـ اقترضوا من كهنة هليوبوليس إلههم ثم أعادوا انتاجه وروجوه في كلية لاهوت الجنوب فانتشر بشكل واسع بين الشعب حتى أصبحت كل مدينة كبيرة تمتلك معبداً مخصصاً له. من تسابيح هامة موجهة لإيزوريس تعود ـ في الغالب ـ إلى الأسرة الثامنة عشرة يظهر لنا كيفية تمثله لصفات الهة الشمس القديمة وكيف أصبح هو نفسه «رع».. وكيف يعيش قرينه المقدس في منديس وأنه ـ أي الإله ـ قد سكن في سيخم «حورس» رب «كيريت «QERET» بمعنى العالم السفلي وأن ممفيس تقدسه وأنه رب معبد هيرموبوليس حيث توجد الآلهة المحلية التي من بينها تحوت ومجمعه. ومن التسابيح نعرف أيضاً أنه قد

تم اشهاره على أساس أنه «روح ــ رع» وكل جسد هذا الإله وأن جوهره هو جوهر إله البداية «نو» وأنه كان الروح العظيمة والجسد الإلهى للسماء.

ونجد أيضاً بعد ذلك ــ أن من المفترض ــ أنه يخوض حرباً ضد الشيطان التقليدى «سيبا» «SEBA» ويهزمه لتجرؤه على شن الحرب ضد «رع» وأنه هو الذى نشر الحق والعدل ماعيت فى الكون. وايزوريس كما جاء فى التسابيح هو الذى صنع الأرض بيديه برياحها ونباتها وكل ماله ريش يطير والسمك والماشية وكل ما يدب على الأرض بأربع وهو الذى يمتلك الجبال والصحارى فى كل العالم وأراضى مصر تهلل لتتويجه فوق عرشه مثل أبيه «رع» والمجمعان الكبير والصغير يحبانه.. إنه قائد كل إله وأخ للنجوم».

أخيراً وكبرهان على المطابقة المطلقة بين «رع» و«ايزوريس» سنقتبس السطور التالية من الفصل CIXXXI من كتاب الموتى حيث نقرأ:

«أيها المبجل حاكم امنتيت وآن ــ نفر.. رب تاتشيسرت يا من تشرق فى السماء مثل رع.. بالحق جئت لأراك وأهلل لحسنك.

قرصك هو قرصه — أشعته هى أشعتك
تاجه هو تاجك — عظمته هى عظمتك
شروقه هو شروقك — والرهبة التى له هى الرهبة التى لك
بهاؤه هو بهاؤك — عبيره هو عبيرك
مجلسه هو مجلسك — قاعته هى قاعتك
عرشه هو عرشك — نقوشه هى نقوشك
وارثه هو وارثك — أوامره هى أوامرك
غموضه هو غموضك — وصفات الجلالة التى له هى صفات الجلالة التى لك
معارفه هى معارفك — أشياؤه هى أشياؤك
قدراته السحرية هى قدراتك وهو لا يموت وأنت لن تموت

وهو لم يهزم أبداً من أعدائه وأنت لن يهزمك أعداؤك الحسودون
الأشياء الشريرة لم تصبه والأشياء الشريرة لن تصيبك للأبد للأبد » .

بأى عبارات مجد المصريون عظمة وقدرة ايزوريس .. ولكنهم فى نفس الوقت لم يذكروا تلك الملامح التى حببت فيه عدداً لا يحصى من الأجيال المصرية .

من مئات النصوص الجنائزية وغيرها نعلم أن ايزوريس كان بشكل جزئى إله وجزئياً إنسان بمعنى أنه كان يمتلك طبيعتين ـ بعكس جميع الآلهة المصرية الأخرى ـ كذلك كان له جسدان أحدهما لإله والآخر بشرى وله روحان أحدهما روح إلهية والأخرى بشرية كذلك نفسان واحدة إلهية والأخرى بشرية والجسد البشرى طبقاً للتراث المدون بواسطة « بلوتارش » «PLUTARCH» عاش فى يوم ما على الأرض ومات بطريقة متوحشة بعد أن شوهه أخوه ولكن قرينته الأنثى نجحت فى أن تستخلص معرفة كلمات وطقوس محددة من الإله تحوت وتعلمت الطريقة المثلى لتلاوة هذه الكلمات وإقامة الطقوس وبواسطتها استطاعت أن توقظ الحياة فى الجسد الميت لايزوريس .

الإله تحوت كان يمثل ذكاء مجمع الآلهة وهكذا فالكلمات التى علمها لايزيس كانت كلمات إلهية ـ والتى يمكن أن نعتبرها ـ الأسماء المنطوقة التى يُحافظ بواسطتها على وجودهم .

والآن عندما بعث ايزوريس من الموت لم تستمر حياته على الأرض وإنما دلف إلى العالم الآخر حيث أصبح قاضياً وإله الموت .. وكما رأينا فقد جعلوه يمتلك كلا من صفات إله الشمس « رع » والله الواحد العظيم .

ونتيجة لذلك فلقد تصور المصريون ـ فى العصور المبكرة ـ أنه ما دام ايزوريس قد بعث إلى الحياة واكتسب الخلود عن طريق الكلمات والطقوس التى تعلمتها ايزيس من تحوت فإنهم يمكنهم أيضاً أن يبعثوا ويخلدوا لو أنهم امتلكوهما .

فابتكر الكهنة لذلك عدداً من الطقوس ونظموا مجموعة من الكلمات السحرية وأقنعوا الشعب بأن هذه الشعائر مطابقة لتلك التى أجرتها ايزيس وأن كلماتهم هى

نفس الكلمات التى بعثت بايزوريس للحياة .. وكانوا يقيمون مراسيم شعائرهم هذه ويتلون كلماتهم وهم يرتدون أزياء تجعلهم يماثلون الكائنات المقدسة ـ التى اعتبروا ـ أنها صاحبت ايزوريس أثناء قيامه.

فى زمن لاحق ـ عموماً ـ وضع المصريون ثقتهم فى ايزوريس نفسه وأصبحوا يوجهون له صلاتهم مباشرة ككائن بعضه إله والبعض الآخر بشر ذلك الذى أقام من الموت نفسه بدون أن يتعفن والذى منح ـ بواسطة طبيعته الإلهيـة ـ جسده الأرضى هبة الحياة الأبدية وجعل نفسه يستمتع بعدم الفناء وكان ذا مجد فى السماء .. المصريون أحبوا الحياة وكرهوا الموت .. لذلك عبدوا ايزوريس كإله عظيم ليس فقط لقدرته على الحفاظ على حياته الخاصة لمدى غير محدود ـ وهى العلامة المميزة المفترضة لخصائص إله ـ ولكن لأنه قادر ـ أيضاً ـ على منح الأجساد الفانية خاصية الحياة بعد موتها فى هذا العالم.

« يا صاحب العظمة .. يا إلهى الأب ايزوريس .. يا من أوجدت نفسك للحياة بواسطة أعضائك .. أنت لن تتحلل .. أنت لن تتحول لدود .. أنت لن تتعطن أنت لن يصيبك الفساد .. أنت لن تتعفن .. وأنا لن أتحلل .. أنا لن اتعطن .. أنا لن اتعفن .. سيكون لى وجودى .. سأعيش .. سأنمو .. سأستيقظ فى سلام .. جسدى سوف يرسخ ولن أسقط لأصبح أطلالاً .. ولن أدمر خارج هذه الأرض ».

ولأن الجسد البشرى لايزوريس قام من الموت فجسد كل بشرى يمكنه أن يقوم أيضاً من الموت ولكنه يحتاج لما امتلكه ايزوريس .. بمعنى الجسد الإلهى والنفس والروح والطبيعة التى جلبت لجسده البشرى ولروحه ونفسه البشريين البعث.

فى الأزمنة الأولى لعبادة الإله اخترع المصريون ـ كما رأينا ـ كلمات سحرية وشعائر خاصة بموضوع امداد الجسد البشرى بالقدرات الضرورية لبعث نفسه من الموت ولكن بمرور الوقت تأكدوا أن كلا من الكلمات والشعائر غير قادر على منح الميت خلود الحياة .. إن ايزوريس هو فقط الذى يستطيع بالقدرات التى يمتلكها أن يقدم لهم ـ بنفسه ـ ما يشتهونه بشدة .. بمعنى .. أن يزود أجسادهم الأرضية بالقدرة على أن تقيم نفسها ثانياً وتنعم بالحياة الأبدية .. إن ايزوريس كان

ـ بدون شك ـ الإله الوحيد الذى تثبت المصريون من استطاعته أن يمنحهم ديمومة الحياة والذى لا يوجد من يمتلك ـ غيره ـ القدرة على جعل « النساء والرجال يولدون ثانياً » .

لقد رأينا من قبل كيف أسبغوا عليه صفات الله العظيم الذى خلق كل شىء والآن نرى أنهم قد تصوروا فيه الإله القادر على هزيمة الموت والذى يقيم الأجساد من بعد موتها فى صور ظافرة وأنه هو الذى يعيد توحيد هذه الأجساد مع الأنفس والأرواح ويمنحها فى ملكوته حياة خالدة .

إن التصورات الفكرية التى أوجدت ايزوريس ظلت حكراً عليه ولم تمنح أبداً لأى إله آخر فرغم أنه قد جاء من نفس المنبع الذى أفرز الأطر الفكرية الخاصة بباقى الآلهة فاكتسب صفات الآلهة المصرية العامة إلا أننا لا نجد إلها آخر غيره يمتلك نفس السمات خلال الفترة التى صاحبت صعود الحضارة والأفكار السامية فى مصر فظل هو الإله الوحيد الذى توحدت فيه صفات الإله العاقل القدير الخالق الذى يحيى الموتى .

إله الشمس « رع » كان يدعى « واحد » وعدد قليل آخر من الآلهة التى اغتصبت خصائصه كان يطلق على كل منها « واحد » .. هذا فى الأزمنة المبكرة وهو أمر طبيعى فالمصريون عرفوا شمساً واحدة وسواء كانت هذه الكلمة تطلق على الجسم المادى للشمس كرمز للقدرة التى تظهرها أو أن هذه القدرة ـ كما يشار إليها فى الأدعية ـ لم تكن تعنى الكثير فإن لفظ « واحد » كان مناسباً لكل من الله والشمس .

من الهام ـ لاستكمال الجوانب المختلفة للموضوع ـ أن نشير إلى المكانة الهامة التى كان يتفرد بها ايزوريس ـ فى كتاب الموتى وفى النصوص الجنائزية حيث نجد أن ايزوريس ـ كما قدموه فى نصوص الأسرة الخامسة ـ كان « يزن الكلمات » ـ بمعنى أنه يفحص مختلف الكلمات والأعمال التى تمت أثناء حياة البشر بعد أن تترك الأرواح أجسادهم من أجل أن يثيبهم بقدر ما يستحقون . فى

الأزمنة التالية أشير إلى هذه الفكرة بواسطة النقوش التى يوزن فيها القلب الميت فى الميزان الكبير فى مقابل رمز «ماعت» أو القانون والصدق والعدالة.

ثم بعد ذلك عندما كان يرمز للضمير بالقلب أصبح يشترك أيضاً فى منظر فحص الكلمات والأعمال الخاصة بالمتوفى بقاعة «ماعت».

من الرسوم العظيمة لوزن القلب تلك التى وجدت فى صدر أجمل برديات كتب الموتى فى الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والتى كان مرفقاً بها أدعية مناسبة ونصوص الشعائر التى تمت فى قاعة ماعت وجدنا اثنين وأربعين محكّمة ــ وقد تكون آلهة ــ كان أكبرها ايزوريس الذى يرجع إليه كل المصريون بعد الموت.

لماذا كانت المحكمات اثنين وأربعين؟ لا نعرف ولكن من المحتمل كما تصورنا من قبل أن تمثل كل منها حياً من أحياء مصر فى عصر الأسرات المبكر. وبذلك تصبح قاعة ماعيت مكان التقاء مجموع محكمات القطر التى جاءت لتشهد ايزوريس وهو يحاكم الموتى. ويمكننا أن نضيف ولكن ما أسباب اختيار محكمات بعينها من المفترض أنها قد حضرت لتستمع إلى اعترافات عن خطايا لم تقترف؟ ونحن لا نملك معلومات عن طريقة اختيارها وقبولها فى قاعة المحاكمة كإجابة على هذا وإن كانت بعضها تبدو كما لو كانت آلهة مدن وأخرى كآلهة مقاطعات «نوم» فى نفس الوقت كان من بينها عدد قليل من آلهة الأزمنة المبكرة التى كانت معادية للمتوفى بالكامل. ولفشلنا فى أن نجد معلومات كاملة عن هذا الموضوع سنكتفى بالشىء الأكثر أهمية والمرتبط بتلك الجالسات فى قاعة المحاكمة كمحكمات وهو حقيقة أن هذه النقوش تبرهن على مدى ما كان لايزوريس من سلطة مطلقة على جميع آلهة مصر.

فى الصفحات السابقة تمت محاولة لتتبع تطور مفهوم الكائن الأسمى فى مصر منذ الأزمنة بالغة التبكير وحتى الفترة التى أصبح فيها ايزوريس مُنعم عليه بعديد من الخصائص والصفات التى لا تطلق اليوم إلا على الإله القدير.

والآن لايوجد شك فى أن المصريين عبدوا فى عصر ماقبل الأسرات أصناماً وحجارة وحيوانات ونباتات وأشجاراً وأنهم توصلوا لفكرة الآلهة التى كان جزء منها بشرى والآخر حيوانى فى نهاية مرحلة طويلة مما نطلق عليه فى زماننا «عبادة الأوثان» ثم تقدموا بعد ذلك عبوراً بالإله الحيوان الإنسانى إلى فكرة الإله البشرى وأخيراً طورت عقولهم فكرة التوحيد. المصريون ــ نستطيع أن نجزم منذ اكتسابنا لمعلومات مؤكدة عنهم أنهم قد تركوا ــ كشعب ــ عبادة الأصنام والحجارة ومعظم ما تحتويه هذه العبادة بالرغم من احتفاظ بعض مدنهم بعبادة عدد محدود من الحيوانات واستمرار الإشارة فى بعض أدبياتهم الدينية إلى عدد من الشعائر والعادات البدائية ــ وهو أمر لايدعو للاندهاش فهم ــ كما سبق ورأينا ــ قد حدثت فى عقولهم ــ بمرور الزمن ــ تغييرات كثيرة ولكن حجم التعديلات فى طقوس وشعائر دينهم بالمعابد التى صاحبت هذا التغيير كان محدوداً بمعنى آخر احتفظت العبادة من حيث الشكل فقط بما لم يعد يؤمن به أحد سوى عامة العامة وأورثته للأجيال التالية.

المصريون بعد الأسرة الرابعة كانوا ضحايا التقاليد المتحفظة ــ ويمكننا أن نضيف أيضاً ــ وضحايا كهنة هليوبوليس وطيبة الذين من أجل نفوذهم وثرائهم حافظوا على الأشكال القديمة التى بدونها كان من الممكن أن يكون تاريخ الديانة فى مصر مختلفاً تماماً فأفكار التوحيد التى عبرت عنها بوضوح تلك الحكم الأدبية الخاصة بالدولة القديمة كان من الممكن أن تتطور سريعاً وتنمو وكان من الممكن أن تطمس الباقى من العقائد القديمة بعد أن فقدت أسبابها وقيمتها وترسبت فى طبقات صلبة جنباً إلى جنب مع المذاهب الأرقى. ولكن للأسف تجمد التحلل الذى تكلمنا عنه بعد الأسرة الرابعة عبادة التوحيد بنفس القدر الذى أخذ فيه تطور الرسم والنحت وهاجم عقائد البلد والأفكار النبيلة ــ عن التوحيد ــ وأصبح من الصعب لغير المرئى منافسة ماهو ملموس من رموز يمكن تداولها حتى الزمن الذى عُرف فيه ايزوريس بأنه الإله الواحد مانح الخلود.

والمصريون على عكس الشعوب الأخرى مثلهم فى ذلك مثل ديانتهم وآلهتهم كانوا لا يحبون الغرباء ولا يثقون فى آلهتهم ودياناتهم وبالتالى لا يمكننا أن نطبق عليهم مقاييس أى قومية غريبة عنهم تنتمى إلى أى فترة زمنية من فترات التاريخ كذلك يجب ألا نناقش آلهتهم أو دياناتهم بمقاييس أى ديانة أخرى أو آلهة أى حضارة لاحقة كل ما نستطيعه لكى نعرف ما كانوا يعتقدونه أو يفكرون فيه هو أن نقرأ نصوصهم وندرس ما كتبوه. وهكذا لا يمكن أن نحكم بشكل نهائى على عقائدهم قبل التوصل إلى نشر جميع وثائقهم الدينية رغم أن الخطوط العامة لدياناتهم واضحة بما يكفى لتقنعنا بأنهم قد امتلكوا شكلاً عملياً جيداً من التوحيد والاعتقاد فى الخلود الذى كان قديماً للغاية ــ على الأقل ــ حتى ذلك التاريخ الذى بنيت فيه الأهرامات.



الفصل الرابع

المرافقات للآلهة فى الجنة

فى الفصول السابقة والتى خصصت للتأمل فى قضايا عامة عن الله والآلهة لم نتطرق لذكر مأوى هذه الكائنات الالهية أو من ترافقها .

ونصوص جميع العصور لاتفصح عن ذكر المكان المؤكد للجنة ولكن من المعروف أن المصريين أشاروا إلى أنها فوق السماء وكانوا يدعونها « بت » «PET» والتى يجب أن نفرق بينها وبين « نوت » «NUT» , لأن الأولى معناها جنة والأخيرة معناها سماء ولقد ذكروا دائماً سماوين سماء النهار , وسماء الليل , والرمز الهيروغليفى للسماء أو الجنة يجعلها تستند إلى دعامتين ويمكن أن نفترض أن المصرى البدائى قد اعتقد أن السماء ترقد على جبلين تأتى من أحدهما شمس الصباح وهو ما يسمى « باخاو » «BAKHAU» , وتولج فى الآخر ليلا عند غروبها ويسمى « مانو » .

فى الأزمنة الأولى كانت السماء لديهم تنقسم إلى قسمين فقط الشروق والغروب ولكن بعد ذلك تم تقسيمها إلى أربعة أجزاء وكان يرفع كل طرف منها إله .

التقسيم الأخير ــ فى الغالب ــ تم فى زمن سابق لكتابة نصوص الهرم حيث نجد أن السماء ــ التى تمثل أرضية سكن الآلهة ــ عبارة عن بلاطة حديدية شكلها مستطيل وترتكز على أربع دعامات كما يبدو من الكلمة الهيروغليفية , التى

استخدمت فى النصوص بمعنى مطر أو عواصف أو ما يشبهها كذلك من صورة أخرى فى هذه النصوص تظهر سقوط السماء وثقبها بالدعائم الأربع والتى تظهر مدى قدم هذا التقسيم.

وفى مرحلة تالية اعتقدوا أن أربعة آلهة بأيديها صوبجانات كانت تسيطر على أركان السماء وتسوسها بصوبجاناتها.

وهكذا نجد فى نصوص تيتا: «عندما ذهب تيتا فى اتجاهها أحضرت له الآلهة الأربعة الواقفة بصوبجاناتها السماء وكررت اسم تيتا لرع وأخذت اسمه لحورس الأفقين».

وفى نصوص عديدة تمت الإشارة للدعامات الأربع رافعة السماء وفى بعضها قيل أنها الأساسات التى تستقر عليها السموات الأربع وفى فترة أقدم نسبياً قيل أن السماء تحتاج لدعامة فى منتصفها مثل تلك التى فى الأركان وأن الإله الذى يقوم بدور الدعامة المتوسطة اسمه «هه» «HEH» وطبقاً لاسطورة تصور السموات برأس إنسان حيث القمر والشمس عيناه يفترض أن دعامات السماء هى ضفائر شعره الطويل المسترسل. وفى نصوص يونس إشارة إلى «الأرواح الأربع العجوزة التى تسكن فى خصلات شعر حورس وتقف فى الجزء الشرقى من السماء قابضات على صوبجاناتها.

الصولجانات الأربعة التى تمسك بها الدعامات هى أربعة آلهة والتى أصبحت فى النهاية الاتجاهات الأربعة الأصلية أمست «AMSET» إله الجنوب وحاب «HAP» إله اتجاه الشمال وتواموتف TUAMUTF إله اتجاه الشرق وكيبهسنوف QEBHSENNUF إله اتجاه الغرب.

هذه الآلهة الأربعة لعبت دوراً بارزاً مع المتوفى فى نصوص الهرم حيث قيل أنها «أطفال حورس» التى أحضرت

له عندما طلب فى يوم ما قارب عين «تم» الذى كان فى بحيرة «الخا» وفى مكان آخر تم حضها على أن تحافظ على حياته بقدراتها السحرية وبالتمائم، وفى النهاية قيل أن المتوفى أصبح أحد هذه الآلهة الأربعة أما المهام التى اسندت لها كآلهة جنائزية فى كتاب الموتى فسوف نناقشها بالتفصيل فيما بعد.

رئيس ساكنى السماء كان الإله «رع» الذى قيل أنه يجلس على عرش من حديد مزين جوانبه بوجوه السباع وله أقدام تماثل حوافر الثيران وحول رع ــ سواء سائرة أو جالسة ــ كانت الآلهة التى يقال أنها فى «موكب رع» وهذه تمثل نواة سكان السماء.. بعد هذه نجد مجمعات معينة من الآلهة تمثل أقسام الكون الثلاثة أى السماء والأرض والعالم السفلى أو «التوات»* ويفترض أن لكل منها مكاناً خاصاً فى سماء المصريين.

وفى السماء أيضاً كانت هناك فصائل أخرى من الكائنات يتقدمها وعلى رأسها هذه التى يمكن أن نسميها شيسو ــ حيرو «SHESU-HERU» أو شمسو ــ حيرو «SHEMSU-HERU» الاسم الذى ظهرت به فى نصوص الهرم

---

* توات تنطق فى بعض الترجمات دوات.

والذى يمكن ترجمته إلى «تابعى حورس» وهى فى حقيقتها كائنات تتبع حورس ابن ايزيس فى السماء حيث تقوم بخدمته وتنفذ مشيئته وإذا لزم الأمر تدافع عنه وتحميه.. ولقد احتلت مكاناً ذا أهمية رفيعة بين جمهور السماويين وذكرت بطريقة تجعلها ــ كما يظن فى الغالب ــ مساوية للآلهة.. فمثلاً يقال أن بيبى الأول كان «يسالمها» على الرغم من أنها «هى التى غسلته وتلت ــ بالنيابة عنه ــ الفصل الخاص بهذه التى ولدت والفصل الخاص بهذه التى بعثت»

بعدها يمكن أن نذكر العشمو «ASHMU» وهى فصيلة من الكائنات التى لا نعرف ملامحها وقد أشير إليها فى نص تيتا عندما ذكر السيخمو «SKHEMU».. وكلمة «عشم» عادة ما تترجم إلى «الشكل الذى يتبدى عليه الإله عندما يصبح مرئياً» ولكن فى الغالب كان لها معنى آخر أكثر قدماً.

أما الحينميمت «HENMEMET» أو الحاميميت «HAMEMET» فيبدو أنها كانت فصيلة من الكائنات التى كانت أو ستصبح بشراً. والمصريون أنفسهم لم يكن لديهم فكرة واضحة عن صفاتها. والجمل التى ذكرت فيها فى كتاب الموتى اختلف الباحثون فى فهمها.

* من دعاء موجه لرع «عندما يشرق تستيقظ الريخيت REKHIT أى (كائنات عاقلة) وتهلل من أجله الحميمت

* ايزوريس كان يدعى برب حاميميت فى «خر ــ اها» «KHER-AHA»

* المتوفى يقول فى الفصل XLII من كتاب الموتى «يمكن أن تجعلنى لا أؤذى البشر أو الآلهة الأرواح أو الموتى (المقضى عليهم) أو «بعت» «PAT» أو الريخيت أو الحاميميت».

وفى مكان آخر المتوفى يصلى «أن جميع الآلهة قد تصمت عندما تتكلم معى الحاميميت»

ويبدو من جملة فى حتشبسوت كما لو أن الكلمة
قد اكتسبت فى الجزء الأخير من عصر الأسرات معنى فصيلة من الرجال والنساء خصوصاً عندما تُعرف بالعلامات والتى تدل على عدد من البشر.

* كذلك تحدث رمسيس الثالث إلى «كل الآلهة والربات فى الجنوب والشمال ولكل البشر والبعت والريخيت والحاميميت»

أخيراً يعتقد أن طعام الحاميميت ـ كما يستدل عليه فى جملة مقتطعة من دعاء موجه لامون ـ رع ـ كان الحبوب حيث يقال أن هذا الإله هو صانع «الأعشاب الخضراء التى تمنح الحياة للحيوانات والماشية والنبات الذى تتغذى عليه الحاميميت».

أما عن خصائص فصائل من الكائنات السماوية التى تدعى «عفا» «AFA» ويوتن-نو «UTENNU» والتى ذكرت فى نصوص بيبى الثانى فنحن لا نعرف عنها شيئاً.

ونفس الشىء يمكن أن يقال عن كائنات ست والتى يمكن تقسيمها إلى طبقتين عليا ودنيا. والجزء المتقطع التالى سيرينا كيف ذكرت تلك الكائنات:

«أيتها السماء العظيمة.. مدى يدك إلى بيبى نفر ـ كا ـ رع أيتها السماء القادرة.. مدى يدك إلى بيبى نفر ـ كا ـ رع لأن بيبى هو صقرك الإلهى. بيبى قد حضر.. وظهر فى السماء واخترق قبه «QEBHU» بيبى يقدم تحية الاحترام لوالده وهو يرتفع مثل حورس.. بيبى وصل إلى المكان الذى هو فيه.. ووالده ضمن له أن يشرق مثل الشمس وأنشأ من أجله الربتين «ياتشيت» «UTCHATS» وعندما تقدم معه بيبى عظيماً مثل حورس ابن «نوت» ومثل الطفل ذى خصلات الشعر (بمعنى الهارب)

واضعاً التاج مصدراً الأوامر للآلهة يوتن-نوعفا فالآلهة التى تتبع بيبى كل هذه التى فى السموات وعلى الأرض جاءت لتقدم طاعتها واحترامها الثعبانين الدليلين المرافقين , [hieroglyphs] وابناء آوى والأرواح وكائنات ست العليا والدنيا ».

من الممكن أن تكون كائنات ست هذه ذات طبيعة تشبه طبيعة الآلهة التى كانت تعاون حورس فى الأزمنة المبكرة ثم بعد ذلك فقدت مراكزها كآلهة فى عصور لاحقة وأصبحت شياطين يرمز بها للشر.

بالإضافة لهذه ذكر فى نصوص بيبى الثانى سطر ٨٤٩ مراقبو مدينة بى PE ومراقبو مدينة نيخن «NEKHEN» . والتى منها يمكن أن نفترض أن مدنا بعينها [hieroglyphs], كانت تتمتع بحماية عدد من الآلهة التى كان من واجبها الإشراف على رعاية مصالحها فى السماء ــ ومما يؤكد هذا ــ ما وجدناه فى جمل عديدة وردت فى كتاب الموتى عن مجموعات من الآلهة كانت تسمى «الأرواح» لعدد من مثل هذه المدن ويتضح من وصفها أن كل مدينة كانت تمتلك روحاً ــ مثل أرواح البشر بعد الموت ــ لها القدرة على أن تطوف حولها عند طلبها.

وهكذا فنحن نجد على حائط المعبد الذى أقامته كليوباترا السابعة عند أرمنت (دُمر الآن) منظراً صورت فيه الملكة العظيمة وهى تلد ابنها قيصرون والربة نيز تحتضن ذراع الملكة والقابلة نتشمتشمت «NETCHEMTCHEMT» [hieroglyphs], تستقبل الولد فى حضور العديد من الآلهة والربات.. وفى الجزء العلوى من الحفر يوجد مجموعتان من أرواح المدن سبع على اليمين وسبع على اليسار والتى من المفترض أن تحضر ولادة الطفل لتضعه فى حمايتها. من بين أرواح المدن التى حضرت كانت أرواح طيبة أنت [hieroglyphs], ANT وهت [hieroglyphs] HET وكيسيت وأنت واهيت وحتب QESET, UNT, AHET, HETEP ويايا ع UAUAA [hieroglyphs] .. الخ كل روح كانت على هيئة صقر برأس آدمى وتضع على رأسها [hieroglyph] قرنين حول قرص فى مقدمته مجموعة حيات.

وإذا ذكرنا العديد من الكائنات خاملة الذكر التى كانت تدعى آلهة فلن تسعفنا المساحة المخصصة للحديث عنها فهى عملياً لا حصر لها ولذلك سنمر عليها لنشير إلى الأرواح والنفوس.. الخ التى كانت يطلق عليها هى والكائنات الحية التعبير «الأفراد الأحياء» «LIVINGONES» كما سنرى من جمل فى نصوص يونس (سطر ٣٠٦) حيث نقرأ:

«حياك الله يا يونس أنظر أنت لم تغادر الموت () ولكن كفرد حى () ذهبت لتأخذ مكانك فوق عرش ايزوريس صولجانك عب () فى يدك وأنت تصدر تعليمات لـ «الأفراد الأحياء».. صولجانك مكس () MEKES وصولجانك نيهبت NEHEBET فى يديك وأنت تعطى أوامرك لهؤلاء المجهول اقامتهم». ()

كذلك عندما أصبح الملك تيتا فى السماء وأعلن أن مقر قلبه «بين الأفراد الأحياء على هذه الأرض للأبد».

وهو ما يدل على أن المصريين تصوروا أن من الممكن للبشر أن يحصلوا على كل خصائص الكائن الإلهى ــ أو دعنا نقول الملاك ــ وفى نفس الوقت يستمتعون بتواجدين على الأرض وفى السماء.. هذه الفكرة ــ من المحتمل ــ أن تكون قد ظهرت لرغبتهم فى أن يوفروا لجثثهم تواجد مستقبلى بنفس الطريقة التى أوجدوا بها سكناً فى الجنة لأرواح الأبرار ونفوسهم فالسماء والأرض كانتا ــ عند المصريين ــ يكمل كل منهما الآخر وآلهة السماء كانوا يكملون آلهة الأرض والعكس بالعكس وبالتالى فتواجد الصفات الروحية والعقلية للبشر مع الآلهة فى الجنة كانت استكمالاً لحياتهم المستمرة بعد الموت فى مناطق ما على هذه الأرض.

نصوص الهرم كانت تظهر أن المصريين كانون ينظرون للعناصر الجوهرية من نظامهم ــ المادى والروحى ــ على أنها عناصر متغيرة يمكن تعديلها من حيث الكم أو الوظيفة وهم بمرور الزمن ومع ارتقائهم للدرجات المختلفة المؤدية إلى قمة حضارتهم قاموا بتغييرات عديدة تظهر نتائجها بوضوح فى مؤلفاتهم الدينية.

ففى عصر الأسرات المبكر اعتقدوا أن الحياة بعد الموت لا تزيد عن أن تكون استمراراً لحياتهم على الأرض ووضعهم للطعام فى مقابرهم يؤكد أنهم كانوا مقتنعين بهذا .. ولكنهم عرفوا ـ بعد ذلك ـ أن جسد الإنسان فى حياته الجديدة يمكن ألا يكون مماثلاً لهذا الذى امتلكه فوق الأرض رغم أنهما قد يكونا متشابهين من حيث الشكل .. وبالتالى افترضوا أن يوجد لكل إنسان جسد آخر ذلك الذى يراه المصرى فى أحلامه فى أوضاع مختلفة فأطلقوا عليه « كا » «KA» ; والكا تولد مع الإنسان وتبقى معه ـ عادة بلا عمل ـ وتستمر بعد الموت لا تترك الجسد فى المقبرة أبداً ما داموا يحافظون على وجودها عن طريق القرابين والأدعية التى كانت تقام فى المعابد الجنائزية فى كل العصور.

ومع ذلك نجد أن حورس كان يمتلك « كا » تعيش فى السماء ، كذلك تيتا له « كا » أحضرت معها طعام الملك وهكذا فبما أن « كاهات » البشر والآلهة كانت تعيش فى السماء كذلك عاشت « كاهات » المدن أيضاً مثل « كا » مدينة « بى » كما جاء فى نص تيتا (سطر٩٨) أن « رب الكاهات سبح لرع سواء فى ملكوت حورس أو فى ملكوت ست » .

الملك يونس أعلن أنه رئيس « الكاهات » ويقال أنه « جمّع القلوب معاً من أجل القائد ذى الحكمة العظيمة » . (يونس سطر٣٩٥) .

وهكذا نرى أن البشر والملوك كانوا يتواجدون فى السماء بعد موت أجسادهم وكانوا يمتلكون ظلالاً لها . وعندما أكل يونس أجساد الآلهة وتمثل كل نفوسها وأرواحها قيل أن « لهب يونس سرى فى عظامها لأن أرواحها كانت مع يونس أما ظلالها فكانت مع أشكالها . (يونس سطر ٥٢٣ وتيتا سطر٣٣٠) .

نفوس وأرواح البشر كانت تسكن السماء مع الآلهة والنصوص الدينية لكل العصور تمتلىء لآخرها بإشارات دالة على هذه الحقيقة بحيث لا نجد من الضرورى اقتباس نموذج لها .

النفس « با » «PA» , عادة ما كانت ترسم على شكل صقر برأس آدمى أما الروح « خو » «KHU» , فترسم على شكل طائر أو أبوقردان .

ويرتبط بالجسد ولكن بوظائف غير محددة ــ على قدر ما نستطيع اكتشافه ــ نجد «سيخم» «SEKHEM» وهى كلمة يمكن ترجمتها «قدرة» أو «شكل» أو حتى «قوة حيوية» وأخيراً الجسد المعظم الذى تتوحد فيه النفس والروح والقدرة واسم المتوفى ساكن السماء.

الجسد الجديد للمتوفى يطلق عليه اسم «سع-حو» «SAHU», والذى يمكن أن يطلق عليه ــ عمليا ــ «الجسد الروحى» وهو يخرج من الجنة ويتواجد عن طريق بعض الطقوس والأدعية التى يتلوها الكهنة عندما تدفن المومياء فى المقبرة.

وهكذا نرى أن قاطنات السماء قد تكونت من مجمعى الآلهة الكبير والصغير ومجمعات أخرى للآلهة ومن عدد ضخم من الكائنات يمكن أن تلائمها كلمة «الآلهة الدنيا» وفصائل عديدة من الكائنات التى تمتلك بعض خصائص جعلت المصريين يعتبرونها آلهة.

كذلك نجد الظلال والمثيلات والنفوس والأرواح والقدرات والقلوب والأجساد الأثيرية لهؤلاء الذين عاشوا على هذه الأرض وهم من الكثرة لدرجة أن فى الفصل IXIV من كتاب الموتى (سطر١٢) تم تقديرهم بأربعة ملايين وستمائة وواحد ألف ومائتى روح ولكننا لا ندرى هل هذا احصاء للأرواح التى تعيش فى السماء أم أنها الأرواح التى سكنت فى يوم ما جسداً بشرياً؟.

عن وظائف قاطنات السماء لا نعرف إلا القليل ولكننا رأينا أنه قد أوكل لبعضها مهام إدارة أمور هذا العالم وأخرى كانت مكلفة بتسيير الأجساد الإلهية والبعض كانت مرتبطة بمراكب الآلهة العظام وتصحبها فى واجباتها المبجلة عبر السماء. كل هذه كانت تصدح بالثناء على الإله «رع» كرئيس وملك للآلهة وتنشد الأدعية والتسابيح لوصف عظمته ومجده مثلما ينشد البشر أناشيد البهجة للشمس عند شروقها وغروبها.

الآلهة تغذى نفسها بطعام سماوى تزودها به عين حورس بمعنى : أنها ربطت وجودها بأشعة الشمس التى تضىء السماء فأصبحت بذلك كائنات أجسادها من نور.

والآلهة كما ذكر فى بيبى تقتات على نبات الحياة الذى كان ينمو قرب البحيرة العظيمة فى سيخيت حتب حيث اعتادت أن تجلس.

وهى فكرة تنتمى لمجموعة من الصور التى تصف الحياة المبهجة فى منطقة خصبة حيث القمح الأبيض والشعير الأحمر ينموان بكثافة لارتفاعات كبيرة وحيث تمتلىء عدة أنهار بالمياه وحيث نجد كل مايسر القلب وتشتهيه الأنفس.

فى مكان آخر نقرأ عن «طعام وخمر الخلود» أى بمعنى الطعام والخمر اللذان لايتلفان ولاينالهما القدم.. وهناك أيضاً شجرة التين المباركة ( ) وعنب الجنة ( ) والفاكهة والطعام الذى يأكله الأبرار هو ذلك الذى نمى على فروع شجرة الزيتون التى تظلها عين حورس (يونس سطر٢٠٠) وأخيراً نجد أن الأبرار يكتسون بثياب تشبه تلك التى للآلهة وهم أيضاً لهم أثواب كتان بيضاء وينتعلون صنادل بيضاء.

كل هذه التفاصيل التى تصف الملامح البسيطة للجنة التى تخيلها المصريون البدائيون توضح لنا أنها لم تكن أكثر من استكمال سماوى للمزرعة أو العزبة الأرضية. وأن كل مايشتهيه المصرى فى حياته الأخرى هو النبيذ والتين والزيتون والقمح ليصنع منه الخبز والشعير ليخمر الجعة.. وأن مقامه السماوى ــ كما توقع ــ يفيض بالأنهار الممتلئة بالماء بحيث لايحتاج رفعه لجهد وأن الآلهة سوف تقوم

بالحرث نيابة عنه ومراقبة المحاصيل حتى لا يصيبها الدمار أما هو فيرتدى ملابس بيضاء نظيفه وصندلاً أبيض ويعيش فى سعادة.

هذه الجنة البسيطة تختلف اختلافاً كبيراً عن جنة العبرانيين أو فردوس المسلمين بما فيهما من لذات حسية وشهوانية من مختلف الأنواع وما فيهما من لحوم وشراب وحلوى فاخرة.

ونحن نعرف من جملة أو اثنين من نصوص الأهرام أن جنتهم فيها نساء ولكنهن ذكرن بنفس الطريقة التى قيل بها أن هناك ربات.

فهم لا يتحدثون عنهن كمصدر ترغيب رئيسى فى الجنة أو كحور العين اللائى ذكرن فى وصف العرب للجنة.

وجنة المصريين ــ فى حدود معرفتنا ــ لم يكن بها آلات موسيقية والأصوات الوحيدة المسموح بها ــ يجب أن تكون أغانى الآلهة أثناء أداء مهامها أو تراتيل تكبيرات التسبيح للإله العظيم.

أما ما يفعله الوجيه المصرى هناك فهو نفسه ما كان يفعله فى اقطاعيته البعيدة عن المدن.. يغتسل ويدهن نفسه بالزيوت.. ويلبس كتاناً نظيفاً ويجلس تحت أشعة الشمس فى الصباح ممتلئاً بالكرامة ويعامله جيرانه ومن هم أدنى منه بالاحترام.. وأقصى ما يتمناه المصرى أن يكون لديه حبوب وأعناب وزيوت بكثرة وعدد كاف من العبيد ينفذون طلباته ويؤكدون عزه وهو يتحرك من قرية إلى قرية. وهو يكرم والدته.. وعادة ما يتزوج عدداً محدوداً من الزوجات ويمكن أن تكون بينهن أخت أو نصف أخت أو ابنة عم ويهتم كثيراً بأن تكون لديه ذرية كبيرة من الرجال.

ونحن نلاحظ من نصوص الهرم أن عائلات الملوك الموتى لم تذكر أبداً وأنهم لم يدونوا أى شيء عن زوجاتهم.. رغم أن يونس (فى السطر ٦٢٨، ٦٢٩) قيل أنه «يأخذ النساء من أزواجهن [hieroglyphs] وقتما يحب وكيفما

يحب » فى نفس الوقت قيل أن ايزيس قد حضرت للملك تيتا الذى توحد معها وأن الربة حملت مثل نجمة وولدت حورس ست.

وحورس ست هذا أصبح زوجا للربة « موت » وأيضاً للسيدة الصغيرة التى أحضرت له طعامه واللتين كانتا ــ رغم كل شيء ــ كائنتين سماويتين نورانيتين ولكن الترجمة الحرفية للنص أخفت ذلك وجعلتها ربة وسيدة.

كانت خياة المصريين البدائيين فى جنتهم بسيطة بساطة حياتهم فوق الأرض فغاية ما كانوا يرجونه هو أن يستمتعوا فيها بحالة استرخاء وسلام كريم بدون حرب أو شغب أو كفاح.. ولم نسمع أن فى جنتهم أرضاً مفروشة بالدقيق الأبيض أو العطر أو أن حجارتها من اللؤلؤ وسيقان أشجارها ذهب ومساكنها مسكوة برقائق الذهب والفضة أو أن بها أنهاراً يجرى فيها اللبن والعسل والخمر أو أن بها عدداً لا يحصى من الصبايا المطهرات بالمسك واللائى يعشن فى سرادقات من اللؤلؤ متحررات من أوزار جنسهن.

كذلك فإن وسيلتهم للوصول إلى الجنة كانت ذات أفكار بسيطة وبدائية مثل الجنة نفسها.. فالمصريون تخيلوا أن بإمكانهم التسلق للوصول لها بأن يذهبوا للجبال التى تلامس قممها ــ فى بعض الأماكن ــ أرضيتها الحديدية. وفى فترات تالية

اعتقدوا فى ضرورة وجود سلم.. خاصة هؤلاء الذين عاشوا فى أماكن بعيدة عن الجبال.. حيث نجد فى عديد من المقابر نموذجاً لسلالم وضعت بحيث يستطيع المتوفى استخدامها فى الوقت المناسب.

وحتى الإله ايزوريس ـ كانوا يعتقدون ـ أنه فى حاجة إلى سلم ولمساعدة «رع» و«حورس» أو «حورس» و«ست» له ليتمكن من الصعود.

إن فكرة الاحتياج إلى سلم انغرست بعمق فى ضمير المصرى بحيث أنهم رسموا صوراً له على برديات كتاب الموتى الذى كان يوضع فى المدفن عندما توقفت عادة وضع نماذج السلالم فى المقابر.

ونموذج السلم يمكن أن يرتفع بالطول الذى يرغب فيه المتوفى بتلاوة بعض الكلمة ذات القدرة.. وبطرق مماثلة يمكن تحويل صور السلالم المرسومة على البرديات إلى سلالم حقيقية.

الحقائق المذكورة أعلاه تظهر أن المصرى لم يحرر نفسه أبداً من الأفكار المادية عندما كان يتصور الجنة لذلك كانت وسيلته ـ للوصول إليها والتمتع بالخلود والسعادة فيها ـ هى أعماله الشخصية. كذلك نجد أنها فى الفترة المتأخرة من عصر الأسرات كانت أكثر مادية ثم وبعد مدة ـ وإذا احتكمنا للنصوص ـ تكشفت لهم فكرة بعث الجسد الطبيعى الفعلى فأصبحت الحياة بعد الموت لا تعدو أن تكون أكثر من استمرار للحياة على الأرض.

عنوان الفصل CX من كتاب الموتى يوضح أن النص التالى سيمنح الإنسان القدرة على «فعل أى شىء كإنسان يعيش على الأرض» لو أنه صلى هكذا.

«هل يمكننى أن أصبح» خو «KHU» فيها ـ بمعنى روح فى سيخيت حتب أو حقول الاليسيان SEKHET-HETEP OR ELYSIAN FIELD هل يمكننى أن أتناول طعامى فيها أن أشرب فيها أن أحرث فيها أن أجدّ فيها أن أقاتل فيها أن أمارس الجنس فيها هل من الممكن أن تصبح كلماتى مسموعة فيها وألا أكون فى وضع العبودية فيها .هل من الممكن أن أكون فى وضع السلطة فيها».

وهو أيضاً يرغب أن يكون معه فى سيخيت حتب والده ووالدته ــ ويمكن أن نخمن أيضاً ــ زوجته وأولاده كما أنه يرغب فى أن يكون معه الاهه أو الهه مدينته ولكننا لا نجد أى ذكر فى هذه الجمل فى أنه يرغب فى عبادة أو تمجيد إله السماء أو حتى الإله العظيم الذى قيل أنه ينمو ويعيش فيها.

وإن كنا نجد فى مكان آخر من الصلاة أنه يقول:

يا ياخ UAKH إذا دخلتك.. أنا آكل طعامى.. أنا لى حرية اختيار قطعاً من لحم الثيران والدواجن وطيور «شو» التى منحت لى.. وأنا أغطس فى بحيرة تشسرت.. أبقى هناك لأن كل آثامى قد غادرتنى.. الإله الأكبر ينمو فيها ويعيش.. وجدت طعامى فيها وإصطدت الدواجن وتغذيت على أفضلها ورأيت ايزوريس أبى وتطلعت إلى أمى ومارست الجنس».

ونحن نعرف أن المتوفى فى الفترات التالية من تاريخ الأسرات كان يجد فى كل جزء من حقول «اليسيان» عناصر متعة جديدة.. ومع ذلك ورغم كل تناقضات ومادية جنة المصرى إلا أنها كانت أفضل وأكثر نقاء من تلك التى لشعوب معاصرة عديدة والتى تم خلقها من خلال فكر أكثر ذكاء وحضارة أكثر تقدماً.

الفصل الخامس

العالـــم السفلـــى

فى الفصل السابق عن الله والآلهة تحدثنا عن أن المصريين فى العصور بالغة القدم اعتقدوا أن الآلهة تحركها غرائزها وتكبر وتموت مثلها مثل البشر. بعد ذلك اعتقدوا ــ بشكل أو آخر ــ أن أجساد الآلهة هى فقط التى تموت وهكذا أوجدوا فى نظامهم الدينى مكاناً تذهب إليه أرواح الآلهة مثلما أوجدوا مكاناً تذهب إليه أيضاً نفوس النساء والرجال الموتى.. هذا المكان لم يتفق كتّاب النصوص على موقعه الفعلى ولكنهم من البداية وحتى النهاية ــ مهما كانت الأفكار التى خامرتهم عنه ــ كانوا يدعونه «توات» «TUAT» .

هذه الكلمة تترجم عموماً إلى «العالم السفلى» ولكن فليكن من المعلوم بجلاء أن هذا العالم لا يعنى عالم أسفل عالمنا وأن هذه الترجمة قد شاعت لأن المعنى الحقيقى للكلمة غير معروف فهى قديمة جداً وتعبر عن مفاهيم صاغها المصريون الأوائل ــ ومن المحتمل أن تكون ــ غير معروفة لخلفائهم الذين استخدموا الكلمة دون أن يرهقوا أنفسهم فى تحديد معناها الفعلى. وترجمة الكلمة إلى جحيم غير صحيحة أيضاً لأن مفهوم الجحيم لدى المعاصرين يمثل أفكاراً غريبة على أغلب المدارس الدينية المصرية ــ عموماً ــ مهما كانت الدلالات الخاصة بكلمة «توات» سواء كانت مكاناً لعقاب الأشرار كما فى عصور لاحقة أو غيره فمن الثابت أن فى البداية كانت تعتبر المكان الذى تمر من خلاله الشمس الهالكة «رع» بعد غروبها أو موتها فى كل مساء فى رحلتها إلى الجزء الذى تشرق فيه من السماء مجددة كل صباح.

من نصوص الأسرة التاسعة عشرة علمنا أن «توات» لاتقع أسفل أرضنا ولكن بعيداً خلف الأرض ـ ممكن فى السماء ـ وبالتأكيد قرب الجنة حيث تسكن الآلهة.. لقد كانت مملكة ايزوريس الذى ـ طبقاً لعديد من النصوص ـ يحاكم فيها الموتى وله هناك كامل السلطة على آلهة الموت والموتى أنفسهم. «والتوات» يفصلها عن عالمنا سلسلة من الجبال فهى تتكون من واد عظيم الاتساع مغلق بأحكام من كل جانب بالجبال التى تفصله عن الأرض من اتجاه وعن السماء من اتجاه آخر. وبالمناسبة نحن نعرف أن العبرانيين يفصلون بين المذنبين والأبرار بحائط وأن عازر كان مفصولاً عن ديفيز فى الجحيم بواسطة هوة عظيمة وأن المسلمين كذلك يفصلون الجنة عن النار بجبل الاعراف الذى يضيق عرضه لدرجة أن الواقفين فوقه يمكنهم إدارة الحوار مع الابرار والمذنبين فى كلا الجانبين.. وأن هؤلاء الذين يقفون على «الاعراف» أما أن يكونوا ملائكة فى أثواب بشرية أو أنبياء وقديسين وأولياء أو هؤلاء الذين كانت أعمالهم الطيبة على الأرض قد توازنت تماماً مع الشريرة ولا يمكن ايداعهم فى أى من الجنة أو النار.. إلا أن النصوص الإسلامية لاتوضح ما إذا كانت تعتبر هذه المنطقة مكاناً للتحفظ عليهم أو لتطهيرهم من عدمه ؟

مما سبق نرى أن كلا من العبرانيين والمسلمين ـ بشكل مؤكد ـ قد استعاروا أفكارهم عن المنطقة العازلة بين الجنة وجهنم من التوات المصرى الذى يجرى فى واديه نهر يشبه النيلين الأرضى والسماوى وعلى جانبيه تعيش وحوش هائلة وشياطين وعفاريت بأشكال وأحجام لا يمكن تخيلها وأرواح شريرة لا حصر لها تعتدى على أى كائن يخترق هذا الوادى. على تابوت حجرى لسيتى الأول رسم يمثل عملية الخلق ومنه نرى أن «التوات» يرتبط بجسد ايزوريس المنحنى على هيئة طوق بطريقة تجعل أصابع قدميه تلامس خلفية رأسه وتقف عليه الربة «نوت» تسند بكل من كفيها قرصاً للشمس.. من هذا الرسم يمكن أن نستخلص أمرين الأول أن ايزوريس هو تجسيد للتوات والآخر أن هذا الوادى مستدير ضيق يبدأ من حيث تغرب الشمس وينتهى فى المكان الذى تشرق منه.

والتوات مكان مرعب بسبب الوحوش والشياطين والكائنات التى تتسكع فيه ويتزايد هذا الرعب بغياب الضوء الكامل فى عمق ظلام الليل.

وهكذا.. فكون التوات مكان الظلام والكآبة أمر طبيعى لأنه ــ كما تحققنا ــ كان طريق الشمس الميتة بين غروبها فى يوم وشروقها فى اليوم التالى والفكرة التى وجدناها منسوخة عنه فى برديات الدولة الحديثة تنتمى لأزمنة مختلفة ويمكننا بسهولة أن نكتشف أن كتّاب طيبة الذين وصفوها ورسموا كائناتها قد جمعوا كما هائلاً من الروايات القديمة والأساطير التى أفرزتها كل مراكز الديانة الكبيرة فى مصر بهدف أن يجعلوها جميعاً جزءاً من نظامهم الخاص بإله طيبة الأعظم آمون ــ رع ــ وهو أمر لا يثير الدهشة ــ فنحن نعلم أن كهنة هليوبوليس قد نجحوا من قبل فى أن ينشروا نظامهم اللاهوتى فى طول مصر وعرضها بتمثل الهتهم للآلهة القديمة وبالتدليل على أن نظرياتهم تحتوى على كل المطروح بواسطة الأنظمة الكهنوتية للمدن الكبرى كذلك فعل كهنة آمون ــ رع الذين نجحوا بنفس الطريقة فى أن يقنعوا كهنة المدن الكبرى الأخرى بعظمة وتفوق الههم وهكذا وجدنا أن الكتبة والناسخين فى طيبة الذين كانوا يعلمون تماماً أن كل نوم أو مدينة كبيرة مثلما كان لها مجمع الهتها كان لها أيضاً عالمها السفلى الخاص كونوا «التوات» الطيبى من مجموع هذه العوالم السفلية المتجمعة لديهم وباسمائها المختلفة والهتها ذات الأهمية المحلية المحدودة.

أكثر هذه العوالم انتشاراً كان «امنتيت» «AMENTET» والذى يعنى «المكان المختفى» والذى يبدو أنه كان ــ فى الأصل ــ مكان إله أبيدوس المحلى حاكم عالم الموتى ان ــ حر والذى كان لقبه خينتى أمنتيت أى أو بمعنى «الذى هو رئيس للأرض الغير مرئية» وعندما أفلت أهمية أن ــ حر بظهور ايزوريس خُلع على القادم الجديد نفس اللقب وأصبح أحد ألقابه.. ولكن لابد وأن يكون هذا ــ الاغتصاب للقب ــ قد تم فى عصور مبكرة للغاية حيث نجد فى نصوص الأسرتين الخامسة والسادسة أن أمنتيت كان اسماً شائعاً ــ فى ذلك الوقت ــ للدلالة على العالم السفلى وان كان يبدو أن الفكرة نفسها قد طورها منذ زمن

سابق بكثير كهنة «النومات» حيث طابقوا بين رحلة الشمس اليومية ودورة حياة البشر فغروب الشمس كان يعنى لديهم مايعنيه الموت للإنسان وبالتالى فشروقها المجدد كل صباح ـ فى جسد جديد ـ حفز الكهنة الراغبين فى حياة ثانية لأن يصيغوا نظاماً لاهوتيا يُسمح فيه لأرواح البررة ـ عن طريق أداء مجموعة من الشعائر الخاصة ـ أن يصاحبوا إله الشمس فى قاربه ويمروا من خلال أجزاء سبق وصفها لهم من التوات.. وبالتالى وجدنا أن عدداً كبيراً من الأرواح المطهرة كانت تسعى لتجد لنفسها مكاناً فى قارب إله الشمس الميت ليحميها ويرشدها ـ رغم موته ـ خلال رحلتها فى مملكة الموتى التى يحكمها ايزوريس لتجديد حياتها مثلما يجدد حياته ونوره بمجرد خروج قاربه من النهاية الشرقية للتوات وبدء يوم جديد.

هذه الصورة كانت منتشرة ولها شعبية واسعة خصوصاً عندما يصبح بطلاها «رع» و«ايزوريس» اللذان يقوم كل منهما بدوره بطريقته الخاصة ليوفر السعادة والحياة الأبدية لأرواح الموتى.

فالكهنة بمجرد أن قرروا وجود التوات نشروه بين الشعب ـ بشكل واسع ـ بكائناته الخيالية المؤذية لأرواح الموتى وابتكروا لكل منها صفات أظهروا فيها تميز كل منطقة من مناطق التوات المختلفة. مثل هذه الأوصاف سُمح بكتابتها فى البداية ـ فى أطر مبسطة ـ وبأسلوب يجعلها تحتوى على كل ماجاء بالنصوص التى سبق تأليفها لصالح الموتى ولكن فى النهاية أصبحت أكثر اتقاناً وتمت محاولات لعمل رسوم تجسد المخلوقات التى أوجدوها هناك فى كتب تحتوى على تصنيف ووصف تفصيلى لها و«للتوات» يصور بشكل أقرب للحقيقة صور تلك الأعداء التى ستقابلها روح المتوفى هناك جنباً إلى جنب مع قوائم تحتوى على أسمائها بحيث يؤمن لها ـ مادام معها نسخة من هذا الكتاب ـ الا تضل طريقها وأن لايفتك بها كائن من الكائنات التى ستحاول أن تعترض طريقها وتمنع وصولها إلى قارب «رع».

العمل الأدبى الدينى الذى يطلق عليه المصريون «الخروج بالنهار» كان يزود الروح بعدد من كلمات القدرة والصلوات والتعازيم والأدعية التى كانت تعتبر ـ حتى فى الدولة القديمة ٣٥٠٠ ق.م ـ من التراث بحيث كان لزاماً على كهنة هليوبوليس أن يضيفوا إليه فصولاً جديدة أو يعدلوا من بعض فصوله القديمة ليجعلوا منه عملاً جنائزياً مناسباً لمتطلبات الأجيال الجديدة.

أما كهنة طيبة من الدولة الحديثة حوالى ١٦٥٠ ق.م فقد حافظوا بتوقير شديد على هذا العمل المنسوخ عن نظام هليوبوليس الكهنوتى القديم ولكن لكونه يحمل العديد من الأفكار والصور عن أشياء مضادة لمعتقداتهم فى كثير من فصوله لذلك ألفوا عملين آخرين يمكن أن نطلق عليهما «الكتاب الذى يسرد كل ما يتصل بالتوات» والآخر «كتاب البوابات» فى أولهما «الشات ـ أم ـ توات» «SHAT- AM- TUAT» نجد أنه قد جُمع فيه معاً كل الأفكار التى أنتجها النظام الكهنوتى فى هليوبوليس عن حياة روح الإنسان بعد الموت ولكنها نسخت بمهارة بحيث استغل كهنة طيبة النظام الدال فيها على كمال وسموق «رع» إله هليوبوليس الكبير للتدليل على عظمة ونفوذ «أمون ـ رع» إله طيبة العظيم ورفعه إلى المكانة التى يرجونها له فأصبح اسمه «ملك الآلهة ورب العرشين الأرضيين» والعرش هنا ليس عرشاً ملكياً ولكنه مجموع قُدْس أقداس كل الآلهة التى تعيش على الأراضى الواقعة على ضفتى النيل.

فى اللاهوت الهليوبوليسى احتل ايزوريس مكاناً أدنى فى البوت أو مجمع الآلهة وكان لا يزيد عن أن يكون أكبر آلهة الموت التى عُبدت فى الدلتا.

وهكذا نجد أنه كان يحتل مكاناً أدنى من رع فى كتاب «هذا الذى فى العالم السفلى» حيث صنع عالمه السفلى ليكون جزءاً من التوات الذى يمر فيه الميت ليلاً.

أما فى «الشات ـ ام ـ سباو «SHAT- EM- SBAU» ذلك الكتاب الذى كان المقصود فيه أن يصبح دليلاً تستخدمه

الروح لتتمكن من أن تجد طريقها بنجاح وراحة فى التوات ــ فقد كان ايزوريس ــ على العكس الإله الأكبر من كل الآلهة وكان العمل بكامله ــ تقريباً ــ مكرساً لوصف أقسام ملكوته ــ وفى الحقيقة ــ إذا تأملنا كتابى «شات ــ أم ــ توات» و «شات ــ أم ــ سباو» سنجد أنهما ينتميان إلى مدرستين لاهوتيتين مختلفتين فالأخير ــ فى أقصى أشكاله البدائية ــ كان أقدمهما حيث تم تصور حياة البشر بعد الموت على أساس أنها استمرار لوجودهم على هذه الأرض أكثر منها حياة جديدة تماماً.. بينما نجد فى المتقدم أن الحياة المستقبلية تمضى بكاملها بصحبة إله الشمس.

فى «شات ــ أم ــ سباو» نجد أن كهنة «آمون ــ رع» قد جعلوا هدفهم الأساسى المحافظة على صور حقول الاليسيان المتداولة بكثرة فى كتاب «الخروج بالنهار» بكل مباهج عناصرها فقدموها بإسهاب بحيث أصبح وثيقة مجمعة لها.. ولكنهم فى نفس الوقت أضافوا عقائد اهتموا بجعلها تتوافق مع النظريات السابقة ــ عن تفوق رع المطلق ــ لخدمة أهدافهم لجذب كل العقائد الدينية المختلفة ــ عندما أسسوا فى يوم ما سلطة آمون ــ رع ــ وجعلها تتوافق مع نظمهم ليساعدوا فى تأكيد فكرة الأخوة المشتركة بين آمون ــ رع وباقى الآلهة دون أن يفقدوا شيئاً.

لقد كانوا متأكدين ــ بشكل أو آخر ــ من تدفق قرابين وهدايا أهل طيبة المؤمنين ولكنهم كانوا يودون ــ أيضاً ــ جذب جزء من عابدى ايزوريس الذين يحجون إلى أبيدوس ــ والتى كانت تعتبر ــ عن حق أو خطأ مكان دفن الإله ــ بعد أن انتهى القتال الذى نشأ بين ملوك الجنوب والشمال كما نعرف من تاريخ مصر ــ للسيطرة على البلد ــ ومنحت جبهة القتال ملوك الجنوب النصر الذى جعلهم سادة مصر فى الدولة الحديثة ومطالبة الكهنة لالهم بنفس القدر من التفوق بالتبعية. وهكذا جاءت انتصارات الملوك المحاربين العظام فى الأسرة الثامنة عشرة لتطلق الطموح الدينى لدى كهنتهم لأقصى درجاته ويصبح بذلك لآمون ــ رع السيادة على ايزوريس.

فى كل من كتابى «هذا الذى فى العالم السفلى» و«كتاب البوابات» تم تقسيم التوات إلى اثنى عشر قسماً كل منها يناظر ساعة من ساعات الليل وهذه الأقسام سميت بحقول «سيخيت» «SEKHET» أو مدينة «نوت» «NUT» أو ساحة «عرريت» «ARRET» أو دائرة «كررت» «QERERT» وفى الفصل CXIIV من كتاب الموتى وطبقاً لبرديات «نو» نجد أن العرريتات «الساحات» كان عددها سبعة ولكل منها بوابة للحراسة ومراقب ومنادى بالأسماء الآتية:

١ ـ العرريت الأولى: ١) سيخيت ـ هرا ـ اشت ـ ارو كحارس.

٢) سميتو كمراقب.

٣) هو ـ خيرو

٢ ـ العرريت الثانى: ١) تن ـ يهتى.

٢) سيكت ـ هرا

٣) سابس SABES

٣ ـ العرريت الثالث: ١) أم ـ هوت ـ انت ـ فى

٢) ريس ـ هرا

٣) وعاو UA'AU

٤ ـ العرريت الرابع: ١) خنسو ـ حرا ـ اش ـ خيرو

٢) ريس ـ اب RES-AB

٣) حرا ـ خيف ـ آتو NETEQA-HRA-KHEF-ATU

٥ ـ العرريت الخامس: ١) عنخ ـ ام ـ خنتو

٢) اشبـو

٣) تب ـ هر ـ خيهات

٦ــ العرريت السادس: ١) اخين ــتاوــ كــ هاــ خيرو

٢) ان ــهــر

٣) ميتس ــهــراــ اريــ شي

٧ــ العرريت السابع: ١) ميتس ــسن

٢) آه ــخيرو

٣) خفيس ــهرا ــخيمنو

وفى فصل (CXIV) من كتاب الموتى الصادر عن طيبة ومنقح عن سايس نجد أن منطقة نفوذ ايزوريس بمعنى سيخيت عارو تحتوى على أربع وعشرين بوابة وكل منها لها اسم طويل جداً ويحرسها إله.

أسماء الآلهة العشرة الأوائل لهذه البوابات هى:

١ــ نرى NERI

٢ــ مس ــبيه MES-PEH

٣ــ ارتاتسيبنكا ERTAT-SEBENQA

٤ــ نجاو NEKAU

٥ــ هنتى ــركو HENTI-REQU

٦ــ سماميتى SEMAMTI ٧ــ اكنتى AKENTI

٨ــ خوتشت ــف ٩ــ تشيسف THESEF

١٠ــ سيخين ــأور SEKHEN- UR

هذه الأسماء أخذت من بردية «نو» (صفحة ٢٥) ولكن الأسماء التالية جاءت من برديات «تورين» التى حققت بواسطة «ليبسيس» LEPSIUS عام ١٨٤٢ وحددت التعديلات التى تمت فى الأسماء:

١ــ نيراو NERAU

٢ــ مس ــبتاح MES- PTAH

٣ــ بــك PEQ

٤ــ هوتيب HU- TEP

٥ــ ارتا ــهن ــار ــريكا ERTA - HEN-
ER- REQA

٦ــ سامتى SAMTI

٧ــ ام ــنيت
AM- NIT

٨ــ نتشيسز NETCHSES

٩ــ خاو ــتشيت ــف KHAU- TCHET- F

١٠ــ سيخين ــاور SEKHEM- UR

أسماء جميع البوابات لم تتغير سواء فى النصوص الخاصة بطيبة أو أو سايس. ولكن أسماء الحراس الآلهة للبوابات من الحادية عشرة حتى الحادى والعشرين لم تتطابق.

*

منطقة نفوذ ايزوريس أو «سيخت عاررو» AARRU كما جاءت فى الفصل CI و CXLIX مقسمة إلى خمسة عشر «عآت» AATS ومسماة كالآتى:

عآت ١) سيخيت اررو وإلهها رع ــحيرو ــخوتى RA- HERU- KHUTI

عآت ٢) ابت ــإن ــخيت واهها فا ــاخ FA- AKH

عآت ٣) تو ــكا ــات TU- QA- AAT

عآت ٤) الـ «اات» الارواح

عآت ٥) امهيت AMMEHET

والاهها سيخر ــ رمو SEKHER- REMU

عآت ٦) اسست ASSET

عآت ٧) هــا ــ سيرت AH- SERT

والإله فا ــ بت . FA- PET

عآت ٨) ابت ــ انت ــ كاهو

عآت ٩) اتو ATU والإله سيبت SEPT

عآت١٠) انت UNT والإله حيتميت ــ بايو
HETEMET- BAIU

عآت ١١) ابت ــ نت APET- NET

والإله اه ــ سيخمو AA-S

عآت ١٢) خير ــ اها KHER- AI

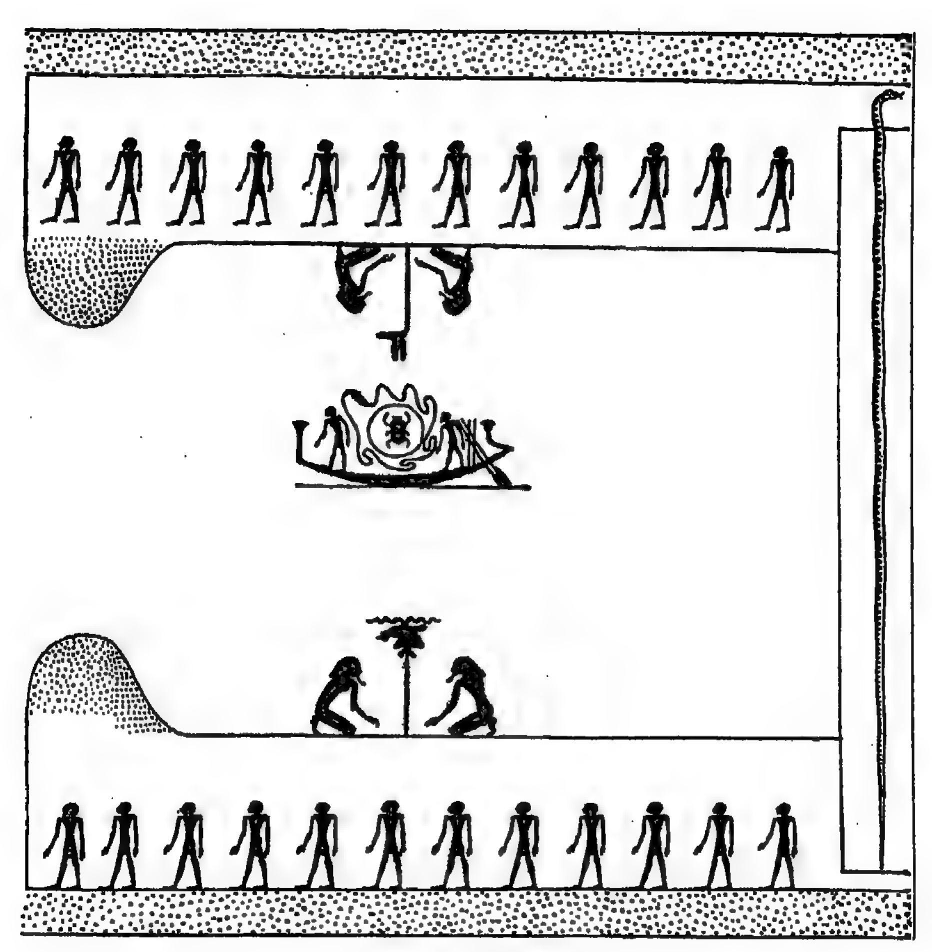
والإله حابى (النيل) HABI

عآت ١٣) ارتو ــ شي ــ ان ــ نسرت ــ ف ــ ام ــ شيت
ARTU- SHE- EN- NESERT- F- SHET

عآت ١٤) اكيسى AKESI والإله ما ــ زيت ــ ف
MAA- THET- F .

عآت ١٥) امنت نفرت اى «أمنت الجميل» AMENTET- NEFERT
حيث كان طعام الآلهة هناك الكعك والجعة .

لشرح أقسام مملكة ايزوريس المختلفة ــ من الطبيعى أن نقدم وصفاً ملخصاً لما يحتويه «كتاب البوابات» والذى يظهر منه ــ ومن مقتطفات أخرى لمقطوعات عديدة رسمت على جدران مقابر وادى الملوك بطيبة ــ أن كهنة طيبة حاولوا أن



الساعة الأولى من الليل

يجعلوا عبادة «رع» متوافقة مع عبادة «ايزوريس» بشكل كان سيجعلنا نعجب إذا باءت هذه المحاولة بالفشل.

فى نسخة فاخرة من هذا النص مزودة برسومات توضيحية وجدت فى التابوت المرمرى الشهير لسيتى الأول ـ ومحفوظة الآن بمتحف سير جون سوانى ـ نجد ـ كما أشار م. جيكوير ـ مشاهد جديرة بالاهتمام لم تكن شائعة ولم نجد نسخاً منها إلا فى المقابر الملكية فقط.

والتوات طبقاً لكتاب البوابات واد ضيق طويل ذو منحدرات رملية يقسمها إلى شريطين متساويين النهر الذى تبحر فيه مركب الشمس وقد صمم بحيث ينقسم إلى اثنى عشر «نوم» أو جزء تناظر ساعات الليل.

فى الجزء الأول أى فى الساعة الأولى. نجد جبل الغرب مقسوماً إلى قسين بطول الجزء السفلى من المسار والذى يمثل مدخل التوات من عالمنا هذا.

فى الجانب الأيمن نجد مقياساً على هيئة رأس ابن آوى وآخر على الجانب الأيسر برأس كبش كل منهما يعبده إله الجبل ست, وإله التوات. وعلى اليمين نجد الآلهة الاثنى عشر للجبل وعلى اليسار اثنى عشر إلها «لست امنتيت». فى الوسط يوجد قارب الشمس الذى يتوسطه قرص شـمس بداخله خنفساء والقرص محاط بثعبان ضخم مطوى وملتف بحيث يمسك ذيله بفمه.

فى مقدمة القارب يقف الإله سا, SA وفى المؤخرة يقف الإله هيكا HEKA' إله الكلمات السحرية.. والقارب يتحرك فى اتجاه بوابة مغلقة يحرسها ثعبان ضخم يقف على ذيله ويحمل اسم ساع ـ ست SAA-SET هذه البوابة تمثل بداية الجزء الثانى أو الساعة الثانية وعندما يمر منها الإله «تبكى كل القاطنات فى ست, وتصيح».

الساعة الثانية من الليل

الساعة الثانية

على اليمين نجد أربعة وعشرين شكلاً بشرياً لهؤلاء الذين يصلون «لرع» على الأرض والذين يوجهون كلمات القدرة ضد رئيس الشياطين ابيب. في الوسط نجد قارب الشمس الذى يقف فى وسطه الإله فى قدس الأقداس له رأس كبش ويمسك بيده صولجاناً والمحراب يحميه الثعبان ميهن MEHEN والثعبان يقف رأسياً أمامه على ذيله والقارب يجرة أربع كائنات من التوات, ويستقبله سبعة آلهة اسماؤها:

١) نبميه, NEPMEH ٢) نبهـا, NENHA
٣) بـا ٤) حـورس ٥) يا ــ اب UA-AB,
٦) خيمنو
٧) ستشيت والآلهة الستة لعكيت, AQET وإله ممسكاً بعكاز.

على الجانب الأيسر من القارب الإلهى يوجد ١) الإله «تم» مستنداً على عصاه, أربعة رجال موتى راقدون على ظهورهم وعشرون رجلاً يقفون وذراعاً كل منهم مربوطتان معاً خلف ظهره وهم حسب ترجمة م. ليفيبور للنص «المجرمون فى عالم رع هؤلاء الذين سبّوه على الأرض هؤلاء الذين لعنوه وسخروا منه الذين عبثوا بالعدالة هؤلاء الذين نطقوا بالكفر ضد «خوتى» «KHUTI».

البوابة التى يقترب منها الإله الآن تختلف عن الأولى ولكنها تماثل كل البوابات الأخرى التى عليه أن يجتازها. الفتحة محصنة كقلعة بإنشاءات أكثر تقدماً وفى الحائط مدخل لمر يستمر بين حائطين بأعلاهما مجموعات من رؤوس الحراب. هذا الممر ينحنى بزاوية قائمة وبكل ركن من أركانه يوجد ثعبان تخرج من فه كرات نار تملأ كامل طول الممر.

فى كل نهاية من نهايتى الممر يوجد إله على هيئة مومياء الأول يسمى عم ــ ايا ــ كاه ــ ف, «AM-AUA-QAH-F» والآخر يسمى سيخابسنفونين SEKHABSENFUNEN.

الساعة الثالثة من الليل

والبوابة نفسها اسمها سيبتيت ــ يااياى Septet-

AQEBI «أقبى» واسم الثعبان الحامى لها ويقف على ذيله Uauau

. ومدخل البوابات يحميه أيضاً تسعة آلهة فى شكل مومياوات

والتى تمثل مجمع الآلهة الثانى وباب البوابة يفتح على القسم

الثالث من التوات أو الساعة الثالثة. الباب يسمى سيتيت ياياء ستت سبن رع

.

فى الجانب الأيمن لقارب الإله يوجد اثنا عشر إلهاً مقدساً من التوات كل منها فى محرابه وجميع الأبواب مفتوحة يليها اثنا عشر إلهاً من بحيرات النار.

وفوق الاثنى عشر محراباً يرقد ثعبان ضخم وأمام كل إله من بحيرة النار توجد سنبلة قمح. فى الجانب الأيسر ١) الالـه تم ٢) الثعبان ابيب

٣) تسعة آلهة تسمى «الرؤساء الذين يعبدون ابيب»

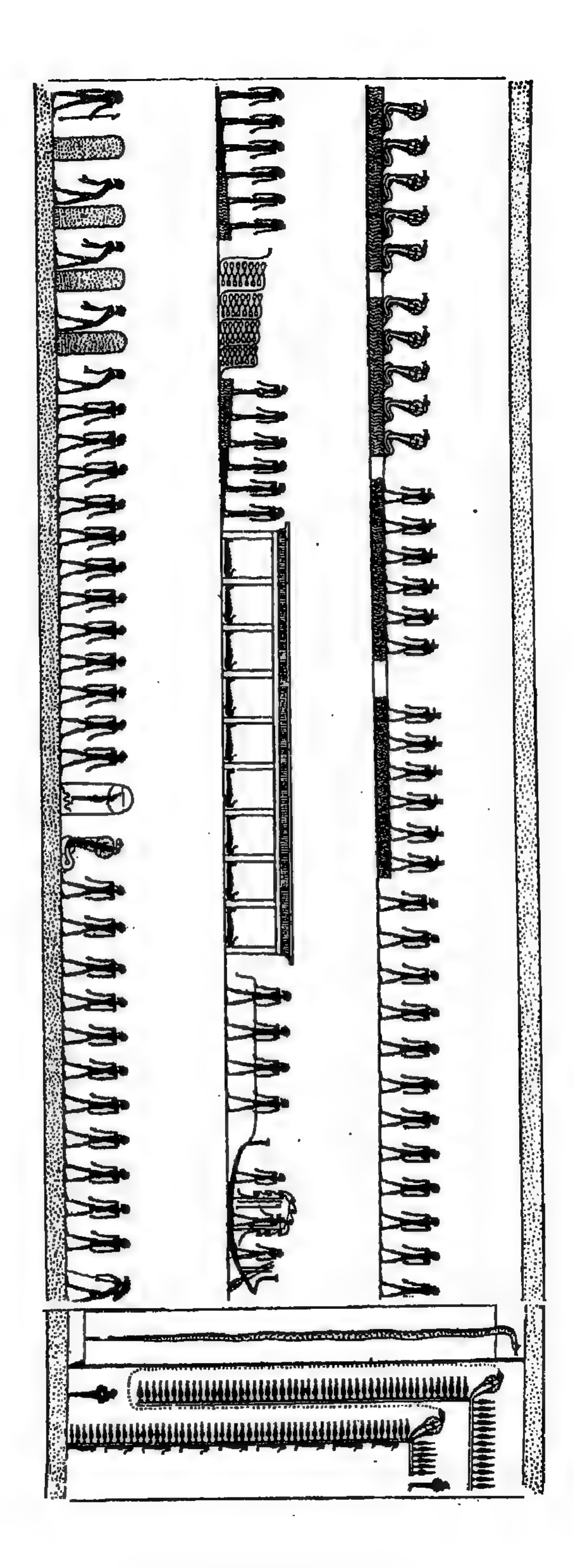
٤) تم والآلهة التسعة للأشياء ومركب الشمس فى وسط هذا الجزء يسحبه ثمانية آلهة من آلهة التوات ومنتصف الحبل مربوط بكمرة (فى كلى من نهايتيها) رأس ثور هذه الكمرة يرفعها ثمانية آلهة على شكل موميات ويجلس فوقها سبعة آلهة يقف أمامها وخلفها ثوران.. فى نهاية القسم يقف أربعة آلهة مكفنة فى شكل موميات.

الآلهة التى على يسار مركب الشمس تحت قيادة «تم» تكون مجمعين للآلهة لها واجبات محددة هى تنفيذ أوامر الرب فيما يخص ذبح كبير الشياطين ابيب. وهذا الوحش يسحر بتلاوة بعض التعازيم عليه ثم تفصل رأسه بعد ذلك ويقطع جسده إلى أجزاء عند الوصلات.. عندما يعبر الإله الساعة الثالثة ويغلق الباب يعلو صوت نحيب كل الكائنات المقدر عليها أن تظل فيها.

بوابة القسم الرابع أو الساعة الرابعة نبت ــ اس ــ تشيفو

NEBT-S-TCHEFU واسم الثعبان الحامى لها ويقف على ذيله تشيتبى

TCHETBI والالهان المومياوان الواقفان واحد فى البداية والثانى فى نهاية الممر



الساعة الرابعة من الليل

اسمها على التوالى نينوار بستا NENUERBESTA وسيتاتا SETA-TA . والآلهة التسعة التى تحمى البوابة هى المجمع الثالث للآلهة .

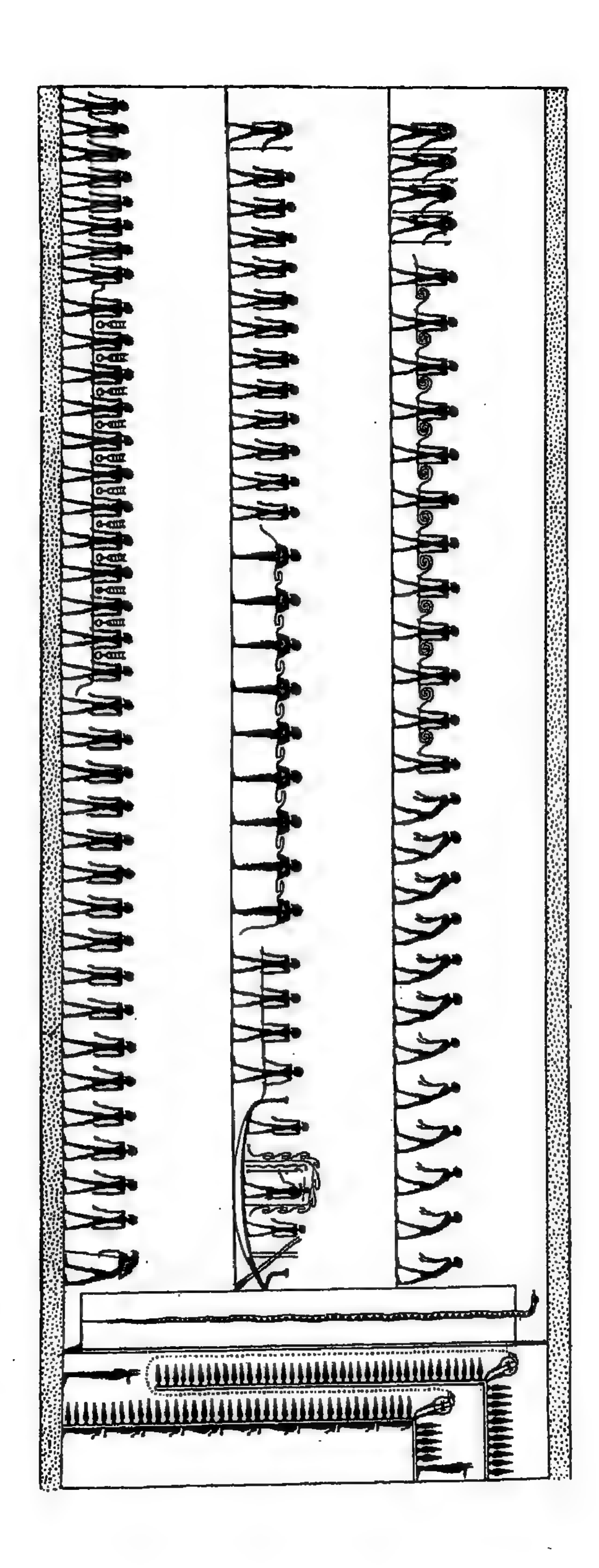
الساعة الرابعة من الليل

على الجانب الأيمن من القارب الإلهى يوجد اثنا عشر إله والتى يطلق عليها « التى تحضر بديلاتها » واثنا عشر شكلاً برؤوس ابن آوى تسير على بحيرة الحياة وعشرة ثعابين وإليها جميعاً يوجه إله الشمس كلماته المرحبة وهى تحييه بما يناسب الموقف والثعابين التى تسمى « هذه التى تعيش » تؤمر بأن توقف شعلات النار التى تطلقها على أعداء رع وهى تقول له : « احضر لنا ووحد نفسك مع تانن TANEN » .

على الجانب الأيسر من القارب يوجد حورس الأكبر الذى يتبع أحد عشر شكلاً بشرياً يتبعون بدورهم ثعباناً يسمى « لهب » إلى محراب به الإله ايزوريس الذى يرتدى تاج الجنوب ويقف فوق ثعبان. خلف ايزوريس اثنا عشر إلها « التى خلف المحراب » وأربعة آلهة تشرف على حفرات بالأرض وأمير الفناء الذى يمسك صولجانا فى يده اليسرى وعلامة فى يده اليمنى .

فى الوسط نجد قارب الشمس يسحبه ــ كالمعتاد ــ عبر النهر فى التوات أربعة آلهة وهو يقترب من مبنى ــ يبدو كما لو كان ــ ضريحاً به سبعة معابد فى كل منها إله . محنط يرقد مستوياً على ظهره هذه تسمى « الآلهة التى فى موكب ايزوريس فى كهوفها » فى نهاية المبنى توجد مجموعتان كل منهما تتكون من ست نساء واللائى يمثلن ساعات التوات الاثنتى عشرة ويوجد بينهن الثعبان هيريريت HERERT بلفات وطيات عديدة . ويقال أنه يلد اثنى عشر صغيراً لتفنى الساعات .

فى هذا الجزء كما فى الأجزاء الأخرى يخاطب « رع » الكائنات التى فيه ويرتب طريقة تزويدها بالطعام ويذكرها بواجباتها تجاهه كخالق لها .



الساعة الخامسة من الليل

بوابة القسم الخامس أو الساعة الخامسة تسمى اريت
والثعبان الحارس يحمل اسم تكا ـــ هر والمومياء التى تحمل رأس ابن آوى فى بداية الممر تسمى عاو AAU والذى فى الطرف الآخر هو تيكيمى TEKMI وبطول مواجهة الحائط يوجد تسعة آلهة محنطة تمثل المجمع الرابع للآلهة.

على يمين القارب يوجد: ١) اثنا عشر عابداً فى التوات.

٢) اثنا عشر حاملاً للحبل .

٣ـــ أربعة آلهة ممسكة بالصولجانات. هذه الكائنات يقال أنها «هذه التى كانت تعرف رع على الأرض والتى قدمت له القرابين وفى المقابل منحها رع اللحم والشراب فى أكثر الأماكن تقديساً فى الامنتيت» وقال لها: «أنا راض بما قدمتيه لى سواء كنت مُشرقاً فى السماء الشرقية أو كنت فى معبد عينى » وبذلك فهى تأكل من الطعام الذى يأكل منه رع وتقدم لها القرابين على الأرض فى مقابل المديح الذى وصفت به رع فى امنتى.. الكائنات حاملة الحبل يقال أن ـــ من المفترض ـــ أنها تقيس حقول الأرواح وحبالها يفترض أنها تمثل العدالة.. بمعنى شريط القياس الذى يمثل العدل والقانون.. ورع يقول لها: «قانونك هو سراط امنتيت».

على الجانب الأيسر من مركب الشمس نجد:

١) حورس الأكبر يستند على عصا.

٢) ستة عشر رجلاً أربعة منهم أى مصريون وأربعة من أمو وأربعة زنوج وأربعة من ليبيا

٣) اثنى عشر رجلاً يدعون «هؤلاء الذين يحملون السلالم (؟) فى أمنت والذين يمسكون بالثعبان الطويل».

٤) ثمانية حكام عشائر مقدسون فى أمنت.

والإله يخاطب هذه الفضائل الأربعة وحورس ـ الذى يوصف بأنه الساكن فى توات مصر والأرض الحمراء قائلاً : « أنتم دموع عينى فى اسمائكم البشرية وهو يقول بعد ذلك للأمو والزنوج والليبيين أنه قد خلقهم وأن الربة سيخيت هى التى أعتقت أرواحهم فى النهاية يخاطب حاملى السلالم ويطلب منهم قياس الأرواح المقدر لها الفناء وتدمير الأرواح التى تقرر تدميرها . هذه الكائنات هى المسئولة عن تحديد طول الفترة التى يجب أن تمضيها الروح فى الامنتيت وهو مايوضح بدون شك أن المصريين كانوا يؤمنون بتطهير الأرواح .

فى مركز هذا القسم نجد أن قارب الشمس يجذبه أربعة آلهة مخصصة له كما حدث من قبل وأمامها يوجد تسعة آلهة بأكواع بارزة وأكتاف مغطاة وتسمى « ممسكة اينوتشى » ENNUTCHI أى الثعبان كل منها مربوط بالآخر بواسطة حبل وتتبع أثنى عشر رجلاً الذين بوصفون بأنهم « أرواح الرجال الذين فى التوات » وكلا المجموعتين من الكائنات تتجه إلى إله يمسك بصولجان فى يده ويسمى هر ـ كينبيت ـ ف HER- QENBET دور هذا الإله أن يستدعى الأرواح الطيبة ويسكنها فى مقر تلك التى تعيش جواره .

« رع » يكلم الآلهة التى تقطر مركبه ويطلب منها أن تشد بهمة وأن تكون أذرعها قوية وأطرافها متينة وأقدامها طرية وأرواحها جسوره وتمهد طريق النجاح له ليصل إلى الدوائر المختفية بعد ذلك يخاطب الأشكال التى تغطى أكتافها والتى تحمل الثعبان اينوتشى ويطلب منها أن تسحبه ويمدح هؤلاء الصادقين فوق الأرض ومجدوا أسماء الله وأصدر مرسوماً يمنحهم كعكاً لأرواحهم وهواء لأنوفهم وأعشاباً خضراء من سيخيت عارو ومكاناً بين آلهة الحق والعدل فى الركن الذى يسكن به « رع » حيث تجهز مجمعات الآلهة كلمات « القدرة » أو القسمة والنصيب .

ويلاحظ هنا أن الوعظ أخذ بما هو أساسى فى ديانة ايزوريس وبذلك لا نعجب أن كتاب البوابات لم يلق القبول والشعبية لدى كهنة آمون.

اسم بوابة الجزء السادس أو الساعة السادسة هو نيت ـ عها NEBT- AHA وحارس المدخل اسمه ماعاب MAA- AB «يمين القلب» والذى فى النهاية اسمه شيتا ـ آب SHETA- AB «قلب سرى» والحائط يحميه اثنا عشر إلهاً فى أشكال محنطة التى تسمى «الآلهة والربات التى فى هذه البوابة» خلف الحائط توجد حجرة تعلو حوائطها أسنة رماح مصفوفة وبالداخل نرى الإله ايزوريس يجلس على قمة بسطة تمثل نهاية تسعة سلالم على كل واحدة منها إله وهكذا تم تمثيل مجمع آلهة ايزوريس هنا.

ايزوريس يرتدى تاج القطرين ويمسك بيده الصولجان وبالأخرى رمز «الحياة»... يقف أمامه شكل محنط يمثل قائم ميزان بكفتين يمكن اعتباره تجسيداً لميزان المحكمة الكبير الذى نعرفه من صوره المنقوشة على البردى. فى كفة من كفتى الميزان يوجد طائر الشر وبالقرب من الميزان مرسوم قارب داخله قرد ممسكاً بعصا يسوق خنزيرا أمامه فى الجزء العلوى من المنظر رؤوس أربعة من «المها» ورسم للإله أنوبيس. النص الصعب الذى يصاحب هذا المنظر مكتوب فيه أن «أعداء ايزوريس بين أقدامه والآلهة والأرواح أمامه وهو خصم المذنبين يسحق الأعداء ويدمرهم ويتسبب فى ذبحهم».

«حامل الماتشيت وداعم الموازين يحميانه وهو الذى فى امنتيت وهو الذى أشرق فى التوات وهو الذى يمر خلال الظلام والظلال . بأعلى توجد السعادة وبأسفل العدالة والحق (⌸) الإله يستريح ويعطى إشارة لماعيت التى صنعها . القرد فى القارب يعاقب الخنزير وعندما يرتفع الإله يقول انوبيس «أنت يا من أحضروا كلماتك لى ــ صحيحة كانت أو مختلقه ــ تذكر أن تحوت هو الذى سيزنها» .

ثم نقرأ أن ايزوريس «عندما يبدأ فى وزن الكلمات يطرد الشر ويصبح قلبه عادلاً ويمسك بالكلمات يضعها على الميزان فى المكان المقدس حيث تقام المحاكمة لكل ما خفى من أشياء غامضة خاصة بالأرواح» . كذلك هو الإله الذى يشرق «وهو الذى صنع كل الكائنات التى تعيش فى التوات» .

أما رؤوس «المها» الأربعة فالنص غير واضح فى معناه ولكنه يسرد أن سكنها فى الامهيت وهو حى من أحياء حقول الاليسيان وأنها تحمى أو تخفى الأرواح .

وهنا يجدر بنا الإشارة ــ بشكل عاجل ــ إلى مكان الأقسام الستة السابق ذكرها ــ فى التوات .. فنحن إذا اعتبرنا أنه كان واديا دائريا ينحنى من الغرب حيث تغرب الشمس ويتجه للشمال ثم يدور حوله متجهاً إلى الشرق حيث تشرق الشمس ثانية .. وإذا تصورنا أن جميع الأقسام متساوية فى الطول .. فيمكننا أن نؤسس على هذا أن الأقسام الستة ينحصر مكانها ما بين الغرب والشمال تماماً وهو أمر مقصود فى الغالب لأن أقصى شمال التوات يمكن أن يضم الجزء الأكبر من الدلتا حيث تتركز عبادة ايزوريس فى منديس وبوستريس وكان من الواجب جعل مملكته الأرضية تناظر تلك التى كان يسيطر عليها فى التوات .

وبالتالى فعلى عكس الأجزاء الأخرى نجد أن الجزء السادس هذا لا توجد به أى إشارة أو تمثيل لرع والنصوص التى تخص هذا الجزء لا تذكر حتى اسمه وهو السبب الذى جعل «كتاب البوابات» ــ كما ذكرنا ــ عملاً غير متداول بين جميع العابدون للإله الأعظم فى طيبة .

والكتاب جعل من ايزوريس الحاكم المطلق فى ولايته وأزاح رع أو آمون ـ رع حيث نجد أيزوريس يجلس على بسطة قلبة السلم الأمر الذى يفسر ما جاء فى كتاب الموتى عن الإله « الذى هو فوق سلمه » وتوضح من هو الإله الذى يرقص الملك أمامه والممثل على اللوحة الخشبية فى سميتى.

بوصول إله الشمس رع إلى أقصى الشمال من التوات كان عليه أن يتجه إلى الشرق حيث القسم السابع أو الساعة السابعة.

الثعبان حارس البوابة يسمى عخان ـ معاتى AKHAN- MAATI وحارس نهاية الممر يسمى شبى SHEPI ولكن عدم وجود رسم لهذا القسم جعل من المستحيل معرفة أسماء البوابة وحارس المدخل.

على الطرف الأيمن من القارب الإلهى يوجد عدد من الكائنات تحمل حبلاً والذى كان من المعتاد صنعه ليمثل ثعباناً وعلى الجانب الأيسر:

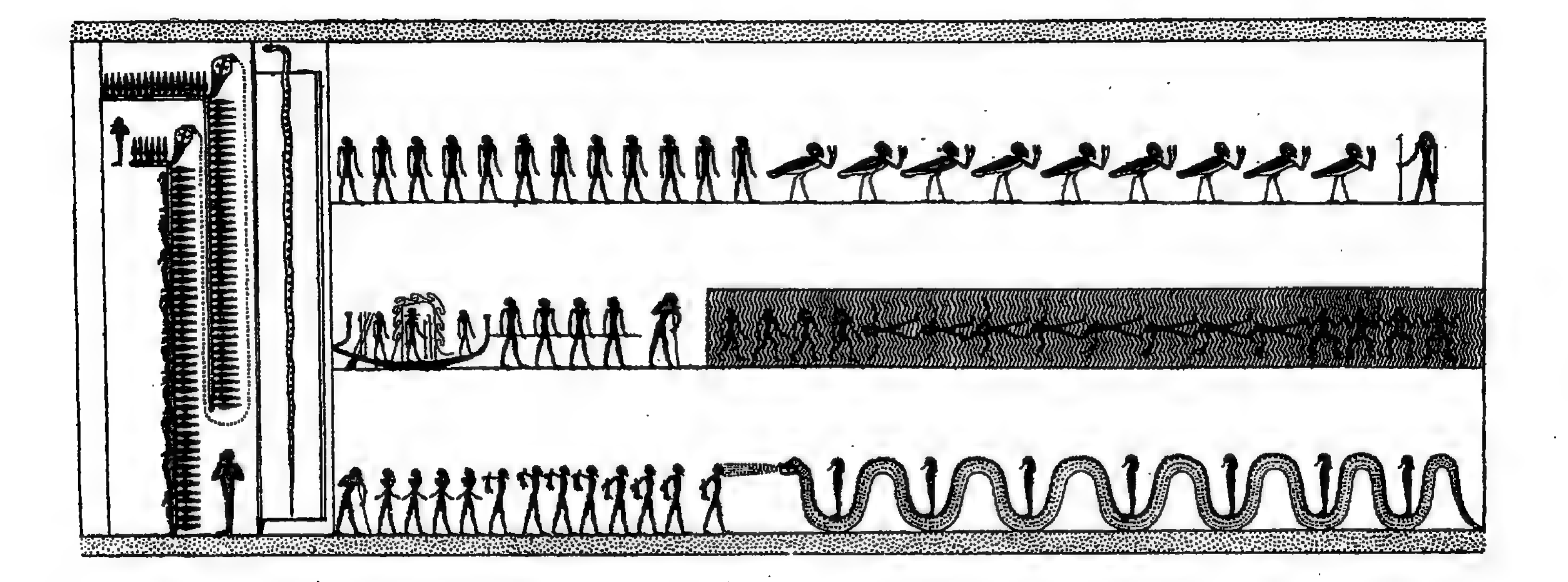
١) إله ينحنى على عصا يسمى من ـ شيتا MEN- SHETA « منشأ الأسرار».

٢) عدد من الأشكال المحنطة المتكئة على ارائك والتى توصف « بالأرواح القريرة » . هذه الكائنات يأمرها رع بأن تعرى أنفسها وتبعد الظلام.

فى الوسط نجد القارب الشمسى مربوطاً ويجذبه للأمام أربعة آلهة من التوات كما سبق. ويسير أمامها اثنا عشر إله بصوبجاناتها وأربعة أشكال محنطة تزعق على سكان هذا الجزء من التوات بأن «تسبّح لرع لأنه سيزن الكلمات ويدمر اعداءها » .

بوابة القسم الثامن أو الساعة الثامنة تسمى بيخّى BEKHKHI واسم الإله الثعبان الذى يحميها ست حرا SET- HRA

حارس مدخل الممر يسمى بنن BENEN وحارس المخرج يسمى حبتا ـ تا والحائط تحميه تسعة آلهة محنطة فى الجانب الأيمن



الساعة الثامنة من الليل

من مركب الإله يوجد:

١) اثنا عشر كائناً بأشكال بشرية والذين يطلق عليهم «رؤساء الحكام الذين يمنحون خبز ماعيت والأعشاب الخضراء لأرواح تا ــ نسر سر».

٢) تسعة أرواح على هيئة صقور برؤوس آدمية بلحى وأيدى مرفوعة فى وضع العبادة هذه هى «أرواح تانسرسر التى تأكل الخبز والأعشاب الخضراء بأمر رع» TA- NESERSER .

على الجانب الأيسر من مركب الشمس نجد: ١) حورس مستنداً على عصا.

٢) اثنا عشر رجلاً يمثلون أعداء ايزوريس «الذين حرقوا بالنار» ذراعاً كل منهم مربوطتان معاً خلف ظهره وكل مجموعة من أربعة لها طريقة مختلفة فى الربط أمام الأول يوجد ثعبان ضخم يسمى خيتى KHETI يطلق تياراً من النار فى وجهه. وتقف على ظهر الثعبان سبعة آلهة.

الرجال الاثنا عشر هم هؤلاء الذين استخفوا بسلطان ايزوريس ومحوا صوره من المعبد فوقّع عليهم حورس العقاب بناء على أوامر رع والعقاب هنا هو افناء أجسادهم وأرواحهم والذى أقسم الثعبان خيتى بناء على أوامر حورس ــ أن يقوم به كعقاب لهؤلاء الأشرار.

فى وسط هذا القسم يوجد:

١) مركب الشمس مقطوراً بواسطة أربعة آلهة كما حدث من قبل.

٢) الساكن فى «نو» مستنداً على عصا.

٣) البحيرة المستطيلة التى بها ستة عشر رجلاً وأربع سيدات يسبحون أربعة طائفون وثمانية يعومون وأربعة يغطسون الإله الذى يسحب القارب يقول لهم: «فلتسبحوا لروح الإله رع فى السماء ولتعبدوا جسده على

الساعة التاسعة من الليل

الأرض لأن السماء تتحد بروحه والأرض تتجدد بجسده.. سبحانك.. نحن نفتح من أجلك السماء ونجعل من أجلك طريق اكرت مستقيماً استقر بنفسك يا رع فوق أشيائك المختفية. والمستور يُعبد فى أشكالك». كذلك يخاطب ساكن «نو» هؤلاء الذين فى البحيرة أيضاً.

بوابة القسم التاسع أو الساعة التاسعة تسمى أعت شف شفت AAT-SHEFT-SHEFT والثعبان الحامى لها يسمى آب تـا وحارساً الممر هما انهيفتا ANHEFTA وارمن تا ERMEN-TA والحائط يحرسه تسعة آلهة فى شكل مومياوات.

على الجانب الأيمن من القارب الشمسى نجد:

١) آلهة الجنوب الأربعة كل منها يرتدى التاج الأبيض وتقبض على حبل يمسكه ــ أيضاً ــ رجل يدعى «رئيس المقدمة»، بين الرجل والآلهة الأربعة قائم مرفوع بواسطة حبل يعلوه رأس ذات لحية عليها تاج أبيض.

٢) أبو الهول برأس صقر يرتدى التاج الأبيض يعلوه رأسا حورس وست ويقف على ظهره شكل آدمى.

٣) آلهة الشمال الأربعة كل منها يرتدى التاج الأحمر وتقبض على حبل يمسكه أيضاً رجل يدعى «رئيس المؤخرة» وبين الرجل والآلهة الأربعة قائم مرفوع أيضاً بواسطة الحبل يعلوه رأى ذات لحية فوقها تاج أحمر.

٤) شخص يسمى «أبو» يمسك بالثعبان شمتى SHEMTI الذى له فى كل نهاية من نهايتى جسده أربعة رؤوس.

٥) شخص يمسك الثعبان باث BATH والذى له رأس فى كل نهاية من نهايتى جسده ويقف على ظهره ثعبان يسمى تيبى له عند كل طرف من طرفى جسده أربعة رؤوس بصدور وأذرع وأربعة أزواج من السيقان الآدمية.

٦) رجلان يمسك كل منهم بحبل (؟).

على الجانب الأيسر من قارب الإله نجد:

ستة عشر رجلاً يمثلون * أرواح من امنتيت * التابعين لتحوت * التابعين لحورس * التابعين لايزوريس.

أول أربعة لها رؤوس بشرية ثانى أربعة لها رؤوس أبى قردان ثالث أربعة لها رؤوس صقور أما الأربعة الأخيرة فرؤوسها رؤوس كباش.

هذه الكائنات الست عشرة تسحب حبلاً مربوط به ثعبانان بأربعة رؤوس اثنان فى كل طرف من جسدهما ولهما فى كل نهاية مجموعة واحدة من الأرجل يستند عليها الثعبان الأكبر.

الثعبان يسمى خبرى وعلى طية من طياته يحط النسر حيرو تواتى HERU-TUATI فى الطرف الآخر من الحبل توجد ثمانية على هيئة بشرية يسمون أخميو AKHMIU فى مركز هذا القسم نجد قارب الإله مسحوباً كما وجدناه من قبل يسير أمامه:

١) ست كائنات على هيئة بشرية وأربعة قرود وأربع نساء وكل منها تمسك حبل (؟) فوق رأسها.

٢) ثلاثة رجال يمسكون بحبل ملقى على رأس وممسوك بيد كائن منبطح له أذناً جحش والذى يسمى «إاى» بمعنى جحش. كل رجل من الثلاثة يمسك بحربة وهو على وشك قذفها على الجسد المنبطح والذى يوجد أمامه * الثعبان أبيب * التمساح الذى له ذيل برأس ثعبان والمسمى شيسشيس SHESSHES الكائنات الموصوفة هنا هى تلك التى تعمل السحر من أجل رع لحمايته من كبير الشياطين أبيب وتأمره بأن يحضر إلى السلخانة لكى يذبح وهى تقول: «السلخانات ضدك وإله الااى ضدك» الكائنات الثلاث الموجهة حرابها لابيب وظيفتها أن تدمر بالكامل الثعبان سيسى وتمسك بثبات الحبل القابض على «إاى»، ولا تدع هذا الثعبان ينهض فى اتجاه قارب الإله

بوابة القسم العاشر أو الساعة العشرة تدعى تشيسريت TCHESERIT والإله . الثعبان الحامى سيزو SETHU وحارساً الممر هما نيمى NEMI وكيفى KEFI ويحمى الحائط ست عشرة حية .

على الطرف الأيمن من مركب الإله يوجد :

١) أربع كائنات يمسك كل منها سكين وحبل (؟) .

٢) أربع كائنات تماثلها فى تسليحها ولكل منها رأس مكونة من أربعة ثعابين هذه الكائنات تسمى انتيو وحنتو بالتتالى .

٣) الثعبان ابيب «الذى صوته يتردد فى التوات» ممسوك بواسطة سلسلة يقبض عليها أربعة كائنات ستيفيو واثنا عشر إله ويد قوية تسمى «الجسد المختفى» . على السلسلة قرب رأس ابيب ترقد متمددة الربة العقربة سيركيت وخلف اليد وممتد خارج من السلسلة نجد :

* سب الذى يقبض على سلسلة صغيرة متصلة بالثعبان باميمتى . UAMEMTI .

* ومست ، وحابى ، تيوامتيف ، وكيبهيسنوف . وفى النهاية يقف خينتى امنيتى أو ايزوريس . الكائنات التى على هذا الجانب من التوات وظيفتها تدمير ابيب وخصوم إله الشمس بحيث لا تستطيع مهاجمة مركبة عندما يبحر بها فى الممر الضيق .

على الطرف الأيسر من قارب رع نجد :

١) الاثنى عشر أخمو ـــ سيكو AKHMU-SEKU ممسكة بمجاديف ،

٢) اثنى عشر سيدة يمثلن الساعات .

٣) أربعة آلهة تحمل صولجاناتها وهى بانت ، سيشا ، وكا ـــ امنت ، ورينين ـــ سيبو .

الساعة العاشرة من الليل

٤) قرد فوق مقياس وفوق رأسه نجم يوصف على أساس أنه إله رزينو بمعنى (سوريا) .

٥) عين ياتشات فوق مقياس . UATCHAT .

٦) إله ممسك صولجانـاً .

في المنتصف من هذا القسم نرى قارب الإله مسحوباً كما هي العادة بواسطة أربعة آلهة . وأمامه يوجد :

١) الإله النجم انتى .

٢) الآلهة الأربعة سيخيت وعبش , وسيرج , وحورس .

٣) ثلاثة آلهة نجوم والتي تربط قارباً صغيراً حيث يوجد « وجه القرص » , وثعبان .

٤) حية مجنحة تسمى سيمى , SEMI تقف على ذيلها .

٥) إله يسمى بسى , يطلق لهباً على مقياس محاط برأس حيوان له قرنان .

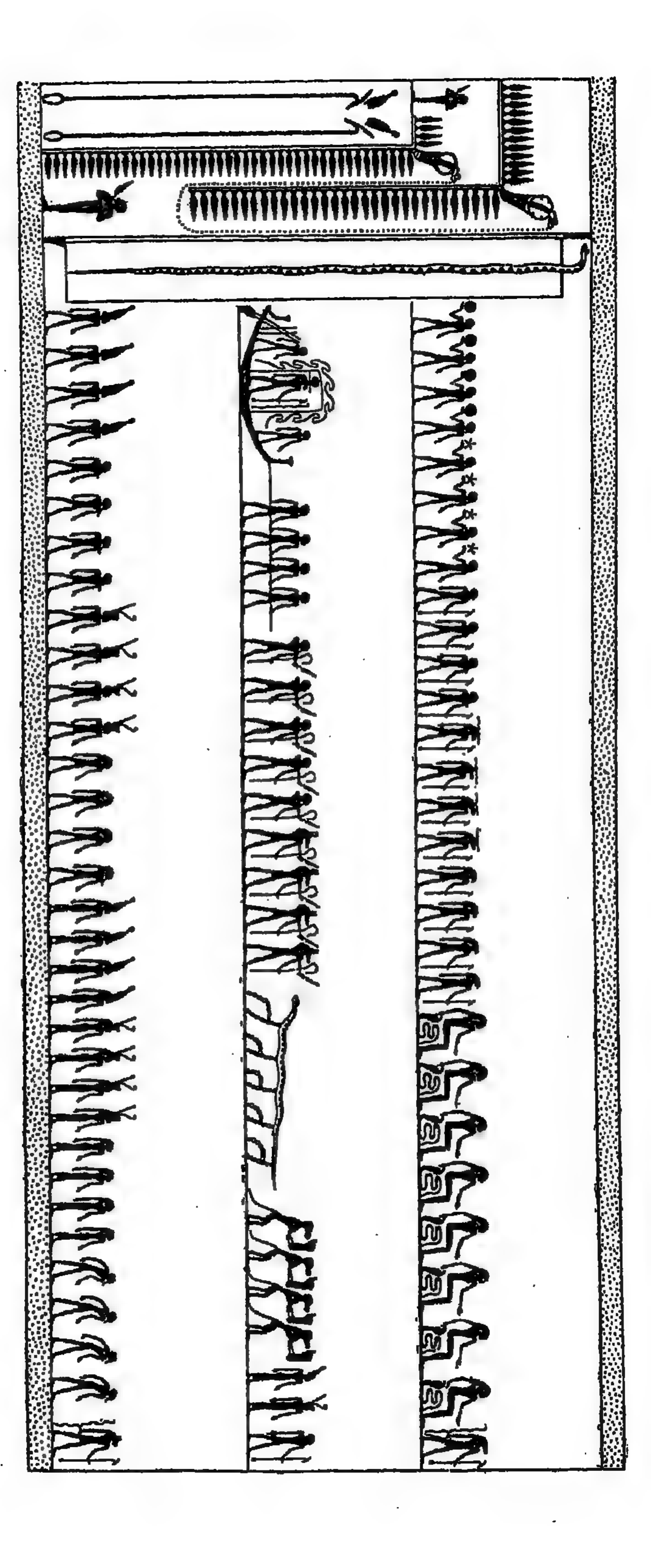
٦) ثعبان يسمى عنخى , ANKHI يلتف حول إله مزدوج محنط بذقن يخرج من جانبي جسده .

٧) أربع نساء أيديهن مرفوعة في وضع العبادة ويسمين « العابدات »

٨) الإله المزدوج حورس ــ ست برأسين وزوجين من الأذرع والأيدى وجسد واحد يقف فوق مسرح يخرج منه ثلاث حيات .

كل هذه الكائنات من المفترض أن توظف في مساعدة « رع » ليستكمل رحلته خلال القسم العاشر وليجد طريقه إلى منطقة الشروق ومن الواضح أن تمثيل معظمها بالنجوم كان للدلالة على التبشير بقرب حلول الفجر .

بوابة القسم الحادى عشر أو الساعة الحادية عشرة تدعى , شيتا ــ بسو وحارسها يسمى امنت ــ اف



الساعة الحادية عشرة من الليل

وحارس الممر يسميان ميتس وشيتو

قبل الحائط يوجد صولجانان ضخمان يعلو كل منها التاج الأبيض أحدهما يسمى سار , أى ايزوريس والآخر حورس.

فى الجانب الأيمن من مركب رع يوجد :

١) أربعة آلهة تسمى «حاملة النور» تمسك بأيديها اليمنى أقراص شمس.

٢) أربعة آلهة يطلق عليهم «حاملة النجوم» تمسك كل منها بيدها اليمنى نجما.

٣) أربعة آلهة «التى سترحل».

٤) الآلهة التى لكل منها رأس كبش با , وخيمنو , وبنتر وتنت

٥) أربعة آلهة لكل منها رأس صقر حورس وحورس سيت وسيت و« الذى هو فى قاربه المزدوج» ,

٦) ثمانى سيدات يمثلن الساعات تجلس كل منهن فوق ثعبان ملتوى وتمسك بيدها نجما ويطلق عليهن «الساعات الحافظات»

٧) الإله «سوبيك ــ رع» برأس تمساح.

كل هذه الكائنات تمثل النجوم التى ترشد قارب رع إلى اتجاه اشراقة النهار لأنها ترغب فى رؤيته يطفو مرة أخرى فوق صدر «نوت» وعندما يستقبله الإله الذى هو «ساعد السماء نو» تهلل بسعادة مع النجوم التى تحملها وتذهب إليه فى حضن نوت باعالى السماء.

والشىء بالشىء يذكر ــ فقد نلاحظ أن تسبيح النجوم لرع عند شروق الشمس يذكرنا بتعبير مشابه فى أيوب XXXVIII «عندما تغنى نجوم الصباح معاً وكل أبناء الله يصيحون فى جذل».

فى الجانب الأيسر من قارب رع نجد :

١) كائنات أربعة ترتدى تيجاناً بيضاء ويطلق عليها سيزنيو ـ تب

٢) آلهة أربعة ذات لحى أكبيو أى « النواحون » . AKEBIU

٣) كائنات أربعة خينميو ترتدى التيجان الحمراء .

٤) أربعة آلهة ذات لحى أسمائها رنّيو .

٥) اثنتى عشرة ربه هى الزوجات أو قرينات المجموعات الثلاث السابقة من الأرباب .

٦) أربعة آلهة بجسد منحن .

٧) الربة ذات رأس القطة ماتى .

هذه الكائنات من المفترض أنها تضع التيجان البيضاء على رؤوس الآلهة التى تسير فى موكب « رع » ورغم أنها غير مسموح لها بمغادرة هذا القسم من التوات أو عبور البوابة إلا أن أرواحها ترتفع لأعلى. وبعد عبور رع خارجاً من الامنتيت تصبح مهمتها البكاء من أجل ايزوريس وأن تتبعه بأرواحها على .أن تظل أجسادها ـ بالطبع ـ فى أماكنها كما أن عليها أيضاً تأثيث واقامة العدالة « ماعيت » فى هيكل رع . وهى التى تقرر أيضاً الزمن الذى يجب أن تمضيه فى التوات المحكوم عليها بالبقاء هناك والفترة التى يجب أن يعيشها آخرون فى الجنة . ولكنها « تقطع شعورها حزناً أمام إله انتيت الأكبر لأنها رغم نجاحها فى طرد ست من البوابات إلا أنها هى نفسها غير مسموح لها بالولوج إلى السماء العليا » .

فى منتصف هذا الجزء كالمعتاد نجد قارب رع مقطوراً بواسطة أربعة آلهة ويسبقها :

١) مجموعة من تسعة آلهة يمسك كل منها بسكين فى يده اليمنى وصولجانا فى اليسرى الأربعة الأوائل لها رؤوس ابن آوى والمجموعة تسمى « الآلهة التسعة التى أبادت ابيب » .

٢) الثعبان ابيب مربوط للأرض بخمس سلاسل والتى تدعى « الآلهة المنتجة للرياح » .

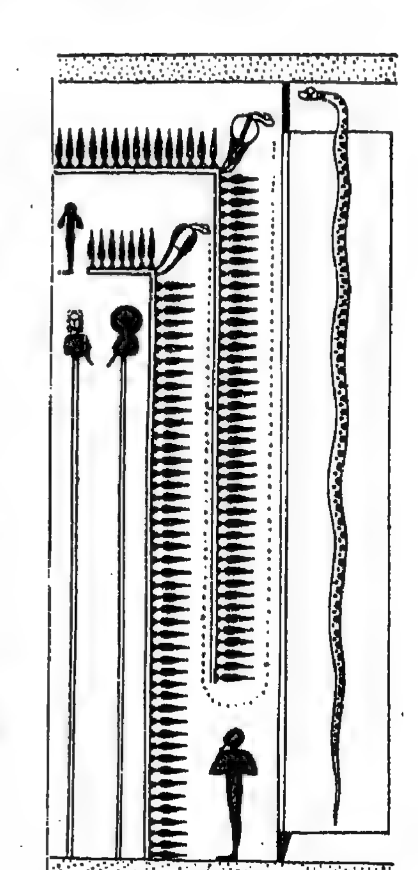
٣) أربعة قرود يمسك كل منها أمامه كف يد ضخم .

٤) إله امنتى , مرتديا تاج الجنوب .

٥) ربة الشمال هيرتى مرتدية تاج الشمال .

٦) الإله سيبختى SEBEKHTI

هذه الآلهة التى فى التوات تقول : « هذا هو مخرج امنتيت ومكان الراحة فى قسمى نو (والإله) جعل فى يد نو جميع تغيراته. هذا الإله لا يدخل السماء ( ) ولكنه يفتح التوات لأعلى خلال تحولاته (التى تتم) فى نـــو. ما يفتح التوات على السماء هما يدا الإله الذى اسمه مستور . هو يعيش فى الظلام المتصلب . ورع يظهر (فيه) قادم من الليل.



هذه التى فى هذا القسم تمسك سكاكينها بأيديها وتقبض على أسلحتها وتضرب أبيب وتقوم بذبحه وقذف أوصاله التى فى السماء. الإله يحصى أعضاءه بعد أن يفتح المستتر (ذراعيه) لعين حورس « الدودة ( ) التى فى هذا الرسم » تقيد بواسطة « أبناء حورس » الآلهة الأخرى « تهتف لرع فى الأفق الشرقى من السماء والقرود الأربعة ترشد هذا الذى خلقها لمكان بدلائه ( ) اثنان على يمينه واثنان على يساره ».

البوابة الخاصة بالقسم الثانى عشر أو الساعة الثانية عشرة تسمى تيسيرات بايو بمعنى « الأرواح الحمراء » والثعبان الإله الحامى يسمى سيبى والحارسان للمر هما باى أخيخى .

فى مقدمة الحائط يوجد قائمان كل منهما يعلوه رأس ذات لحية أحدهما عليه قرص الإله «تم» وعلى الآخر خنفساء الإله «خيبرى» بمعنى شكلان من أشكال الإله الشمسى.

قريباً من بوابة «الأرواح الحمراء» توجد بوابة الإله الثعبان ريرى والتى تُخفر جانبيها بثعبانى ايزيس ونفتيز على كل جانب واحد منها. عندما يمر «رع» من هذين البابين يخرج من التوات سالماً ويطفو قاربه على مياه نو أى السماء وفى المنظر الذى رسم ليسجل خروجه من البوابة نرى أن القارب يضم بداخله الخنفساء خيبرا وقرص رع والآلهة الخمسة سب وحك وحيكا وحو وسا والربتين ايزيس ونفتيز وثلاثة آلهة.

ونرى الإله نو ، . ممسكاً بالقارب بيديه «الخارجتين من الغمر ترفعان هذا الإله».

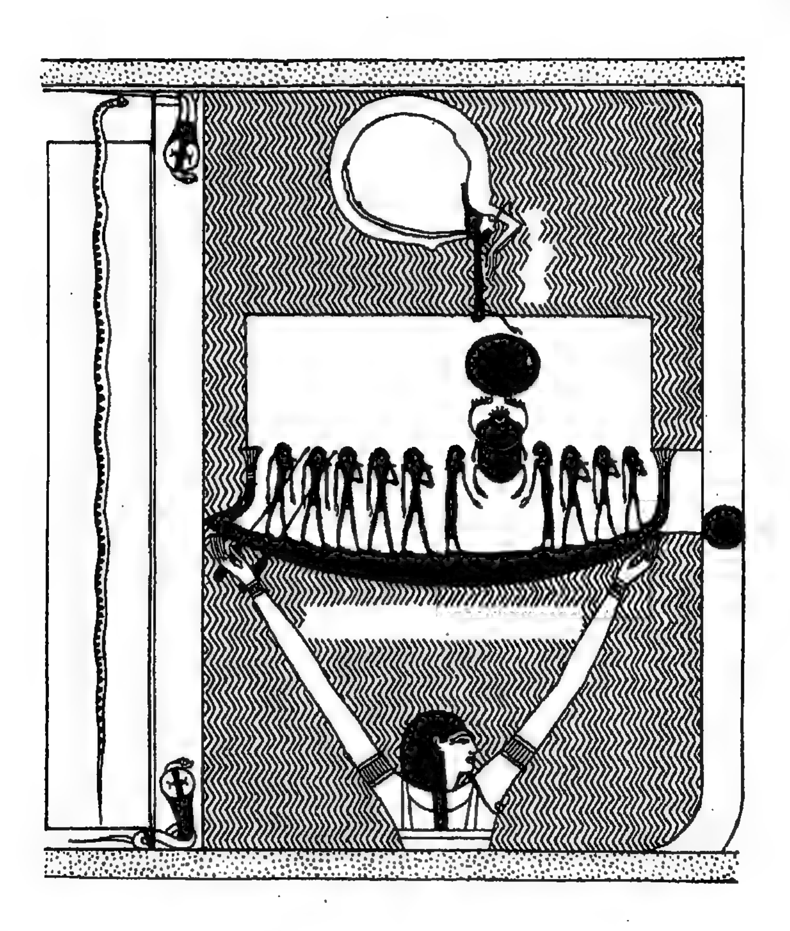
فى مكان بعيد قليلاً عن القارب نجد ما يشبه جزيرة صنعها ايزوريس بجسده المنحنى بشكل يجعل أظافر قدميه تمس ظهر رأسه والنص يقول أن ايزوريس هو الذى يكون بجسده الحدود الخارجية للتوات.

عند رأس الإله تقف الربة نوت بذراعين مفرودتين مستعدين لاستقبال رع ... وهكذا يصل الإله إلى نهاية التوات ويمر من خلال فتحة من حدوده والتى لونت باللون الأسود ومنقطة بنقط حمراء.

وهكذا نرى أن رع قد ظهر فى كل أقسام التوات كإله قدير عدا قسماً واحداً كان مكرساً لايزوريس لم يظهر فيه رع أو اسمه.

والآن يمكننا تجاوز هذا الكتاب والانتقال لمناقشة مضامين كتاب آخر مشابه اسمه كتاب «هذا الذى فى العالم السفلى». هذا العمل رغم وفرة المراجع المتضمنة لنصوصه ورسومه إلا أننا لم يصلنا منه سوى نسختين يظهر منهما أنه كان ذا حجم معين مما دعا المصريين الذين استحال حصولهم على نسخ كاملة منه ــ أو دفع قيمتها ــ إلى استخدام ملخصات له كتبت فى تاريخ سابق كثيراً على عصر

الأسرة الواحدة والعشرين ــ أى حوالى ١١٠٠ق.م ثم بتتابع الزمن أصبحت هى النسخة الشائعة. هذه الملخصات التى سماها م. ماسبيرو «مختصرات» وم. ليفيبور «خلاصة» «R'ESUME» . كان يفترض بالطبع أن تحتوى على كل ما هو ضرورى ونافع للمتوفى.. لذلك أصبحت منتشرة جداً فى طول مصر وعرضها.



فى مقبرة ستيى الأول وجدنا نسخة من النصوص الكاملة مزودة بالرسوم التوضيحية للساعات الاحدى عشرة الأوائل ومعها أيضاً نسخة من الملخص.. ولأن من الصعب فى حدود هدف كتابنا هذا أن نقدم وصفاً تفصيلياً للنص الكامل لذلك سنكتفى هنا بعرض الملخص فقط.

العمل الكامل معنون بـ « البداية لقرن الغرب الحدود البعيدة للظلام الكثيف »
« قرن الغرب » هنا تعنى أبعد نقطة
حيث تغرب الشمس
اما كيكيو سامو بمعنى « الظلام الكثيف » KEKU SAMU أو « الظلام الصلب »
فتشير إلى أقصى نهاية للتوات حيث رسمت على هيئة حائط أسود منقط فى كل مكان بنقط حمراء ويحتوى على فتحة يدلف من خلالها قارب رع كل صباح.
العمل الأصغر الذى سنستعرضه الآن كان يسمى « ملخص هذا الكتاب »
وفيه نجد أن الساعة الأولى من الليل » يوشميت ـ هاتو ـ خيفتى رع بمعنى « محطمة جباه أعداء رع » والمكان الذى يمر الإله إليها من خلاله يوصف بأنه « عرريت » بمعنى الصالة أو الغرفة التى توصل للتوات. وهو مكان يختلف تماماً عن أى جزء من أجزاء التوات لأن عندما يكون رع فى هذه الصالة لا يعتبر أنه قد دخل هذا الوادى المقبض بعد.

ومع ذلك فهو عندما يصل إلى هنا يتحول إلى كائن مختلف تماماً عن ذلك الذى كان يبحر فى السماء خلال اليوم. فهو قد أصبح شمس الليل بعد أن كان شمس النهار. بمعنى إله ميت ـ وفى الحقيقة ـ مجرد ـ جسد ميت يسمى اف ، AF أى « لحم » ويصور على هيئة رأس كبش يعلوه قرص الشمس.

وهو يغير قاربه الذى يبحر فيه أيضاً فخلال النهار يسافر فى قارب آتيت ، ATET بينما يبحر بطول نهر التوات فى قاربه الذى يستخدمه خلال الفترة من الظهر حتى الغروب ويسمى قارب سكتت ، SEKHIT . فى القارب مع الإله الميت آف نجد:

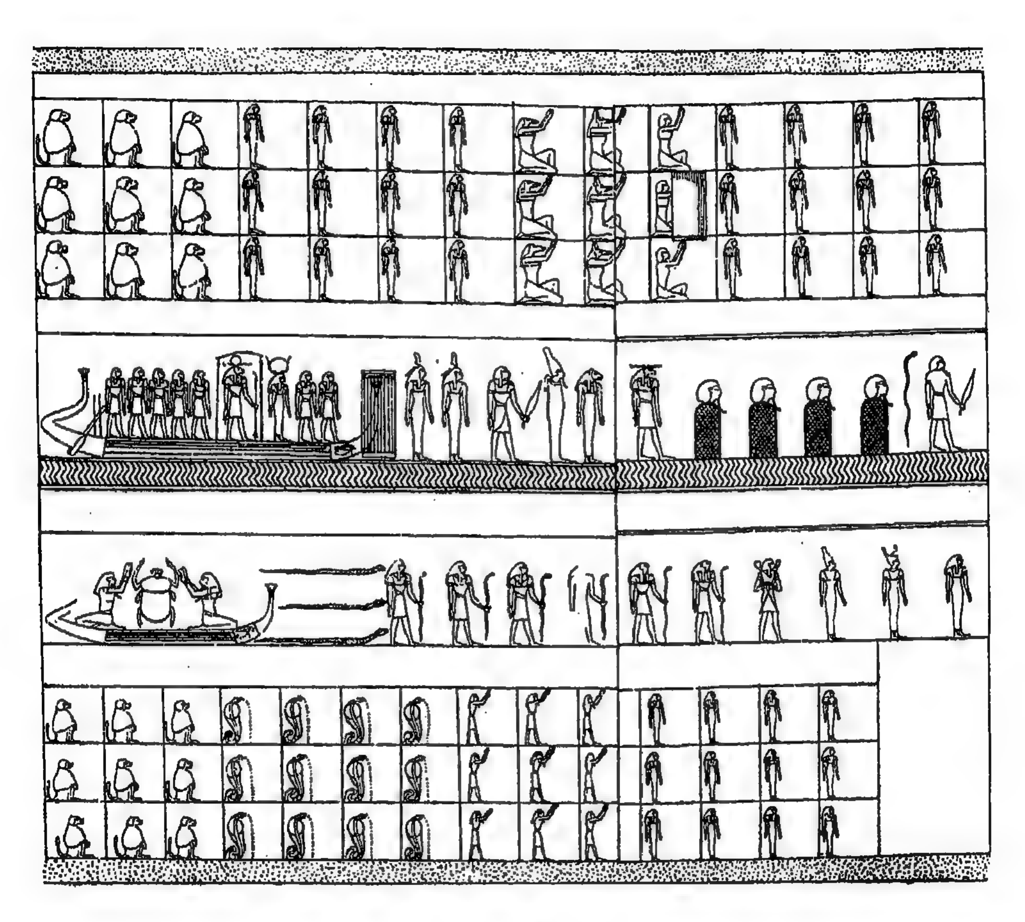
آب يات (الفتاح) وسا SA
حيرو حيكنيو HERU-HEKENU ونهيز NEHES
وقرين شو ، SHU وحو ، HU

وربان المركب والتى فى حقيقتها شخصيات سماوية متغيرة تمثل الربة المحلية لكل ساعة وهى التى ــ من المفترض ــ أنه قد أوكل لها أن تدل قارب الإله أثناء ابحاره فى منطقة بعينها من التوات لأنها تعرف طريقها فى دروبها ولها القدرة على إصدار التعليمات المناسبة للربان لتسهل عليه عملية الابحار فى أجزاء النهر الصعبة.

سكان الساعة الأولى يبدو كما لو كانوا ١) القرود التى تفتح أبواب العرريت للإله. ٢) الكائنات القادرة على التسبيح بأغانى التبجيل لرع. ٣) تلك التى ستقود مركبته خلال هذه القاعة للوصول إلى التوات. ٤) عدد كبير من الكائنات السماوية المجهولة التى ذكرت فى النصوص. ٥) أرواح الموتى الذين صعدوا من الأرض إلى هذا المكان المتوسط وينتظرون الأذن لهم بالدخول إلى قارب رع حيث يسعدون باتمام الرحلة والأرواح الأخيرة لا نعرف سبب وجودها فى هذا المكان ومن المحتمل أن تكون الأرواح التى تخص نساء ورجالاً لم يكن لديهم القدرة ــ عندما كانوا على الأرض ــ على أن يوفروا لأنفسهم الطقوس المعقدة والمكلفة والتعاويذ العديدة التى كان الكهنة يقومون بها ويعتقدون أنها كانت ضرورية لتحقيق سلامة الروح فى التوات.

فى النص الشارح للساعة الأولى نقرأ:

«هذا الإله دخل من الأرض إلى العرريت عند الأفق الغربى ويجب عليه أن يسافر مائة وعشرين اترو» «ATRU» ( ) فى هذه العرريت قبل أن يصل لآلهة التوات. اسم أول الأقطار التى سيصلها هو نت ــ رع ( ) ورع منح الآلهة التى فى معيته أراضى هناك وبدأ فى إصدار تعليماته ومراسيمه لما ستقوم آلهة هذا القطر بعمله فى التوات. كل من يتعرف على الأشياء المستورة فى التوات ويقلدها ويعرف أنها تشبه الواحد العظيم نفسه سيرى مدى فائدتها على الأرض وستجعله فى وضع أفضل عندما يذهب إلى التوات الكبير».



الساعة الأولى من الليل

من الجزء السابق اقتباسه سنجد أنه قد أطلق على هذه المنطقة كلمة «قطر» وهو ما يظهر سبب اعتبارها جزءاً من عالمنا هذا.

كذلك نجد أنهم قد حددوا طولها بدقة بمائة وعشرين اترو.. والاترو فى الغالب مساوى σχοῖνος, اليونانى أو الفيرلونج الانجليزى (حوالى ١/٨ ميل) وبالتالى فالمنطقة التى يقطعها «رع» خلال غروب الشمس فى ساعته الأولى أكبر بقليل من خمسة عشر ميلا.. ومع ذلك.. فحتمل أن الـ١٢٠ اترو تمثل مسافة أكبر من الأميال الخمسة عشر لأننا سنجد أن الساعة الثانية بعد ذلك توصل رع إلى منطقة نفوذ ايزوريس وهى مسافة تزيد ــ بالطبع ــ عن خمسة عشرة ميلاً من طيبة.

اسم الساعة الثانية هو شيسات ــ ماكيت ــ نب ــ اس SHESAT-MAKET -NEB-S بمعنى «هى التى تعرف كيف تحمى ربها» اسم البلد الذى تتخلله هو ار ــ نيس Ur-nes والذى يقارنه الدكتور بيرش ويعتقد أنه يقابل الكلمة اليونانية οὐρανός هذا الاسم فى الغالب يبدو كما لو كان يدل على اسم نيل القسم الثانى من التوات على أى حال لم نجده يستخدم بعد ذلك فى أى قسم أو ساعة أخرى إلا بالمصادفة.

النص الشارح يقول:

«هذا الإله العظيم وصل بعد ذلك إلى ار ــ نيس التى يبلغ طولها ثلاثمائة وتسعة اترو وعرضها مائة وعشرون اترو (أى أن القسم عبارة عن ٥٠×١٥ ميل) اسماء آلهة هذا القطر هى «أرواح التوات» ومن يعرف أسماءها سيصبح معها وسيمنحه الإله الأعظم الحقول التى فى ار ــ نيس وسيقف مع الآلهة الواقفة وسيتبع بعد ذلك الإله العظيم. وسيجد طريقه خلال التوات وسيرى جدائل الآلهة التى لها شعر مسترسل تطأ «أكل الجحوش»

الساعة الثانية من الليل

(𓀭𓈌𓅆𓅆𓅆) وبعد أن يُصنع الجزء غير المسكون من الأرض سيأكل عيشاً فى قارب الأرض (𓈌𓅆𓅆) وهناك سيمنح أوائل الأشياء التاتوبا .(𓀭𓅆𓈌) « TAIUBO ».

النص أضاف بعد ذلك أن هؤلاء الذين رسموا صوراً لهذه الأرواح التى فى التوات وقدموا القرابين لها على الأرض سيكسبون عن هذا فوائد جمة تساوى مليون ضعف (بعد الموت) ثم يستطرد بأنه سيصبح من المفيد لهم فى التوات أن يعرفوا الكلمات التى يخاطب بها الآلهة الإله الأكبر.

الآلهة التى لها شعر طويل مسترسل هى أطفال حورس ميسازا وحابى وتواموتيف وكبهسنيف ولكل منها ضفيرة أو خصلة من الشعر والتى أصبحت بعد ذلك صولجاناً داعماً يحمل أحد الأركان الأربعة للسماء. هذه الآلهة الأربعة أصبحت فى فترة لاحقة آلهة الاتجاهات الأصلية وسادة أركان السماء الأربعة. وأكل الجحش ـ بالتأكيد ـ هو ثعبان الظلام الضخم ـ والجحش الذى سيؤكل هو شكل من أشكال الإله الشمسى والذى كان بينه وبين الثعبان حرب مستمرة ولقد رُبط الجحش بالإله الشمسى لكونه يمتلك قدرات ذكورة ضخمة. أما قارب الأرض فكما يقول ماسبيرو هو الاسم الذى يطلق على قارب رع عندما يصل للأرض وتاتويا يحتمل أن يكون إلها أرضيا.

الجزء المصور من الساعة الثانية يظهر أن قارب رع مسبوق بأربعة قوارب أخرى.

القارب الأول: فى نهايته رأسان بشريان وعلى جانبه رسم للسماء 𓇯 ويا تشيت 𓂀 ويستقر فى وسطه القمر على قاعدة وخلفه الربة التى ترفع ريشة العدالة ماعيت.. ويعتبر هذا القارب قارباً خاصاً بايزوريس ـ ممثلاً بالقمر ـ الذى كان أحد أرواح التوات.

القارب الثانى: فى نهايتيه أيضاً رأسان بشريان يعلو كلا منهما ريشة آمون 𓆄 ويوجد به آلة موسيقية (صلاصل) ـ هى شعار حتحور ـ يحيط الآلة الموسيقية

من جانبيها ربتين ربة على كل جانب وفى المقدمة يوجد جعران هذا القارب يعتبر قارب ايزيس التى كانت واحدة من أرواح التوات.

القارب الثالث: فى مقدمته التاج الأبيض وفى المؤخرة التاج الأحمر وفى الوسط بين شاخصين يمثلان رمزى الالهين انبو (انوبيس) وآبوات. توجد سحلية ضخمة يخرج من ظهرها رأس بشرى وتاج أبيض. هذا قارب الإله الفتاح لكل الطرق والذى كان أحد أرواح التوات.

القارب الرابع: به حيتان فى المقدمة والمؤخرة وفى الوسط توجد سيدة راكعة بدون ذراعين وعلى جانبيها امرأتان بدون أذرع أيضاً. وفى كل نهاية من نهايتى القارب يوجد نبات أو شجيرة هذا القارب هو قارب نيبر إله الحبوب والمزروعات وأحد أشكال ايزوريس وهو أيضاً أحد أرواح التوات.

الآلهة التى تخدم ايزوريس فى الساعة الثانية هى:

ايزيس المنتقمة	سب الركنين
خيمنو الركنين	تحوت على سلالمه
أفو على سلالمه	كيتوت تن با
خيرب ــ هو ــ خيفى	حيرو ــ توات
سبن هيسك خاييت	الإلهين الفردين نيز
أعنع	الإله ذا الوجهين

حورس ست ميست ــ ان سار

مت ان سار أحد أشكال ايزوريس

والربة ذات رأس الأسد سيسينت ــ خو

خلف هذه تأتي سبعة ربات :

١) مست تشيس　　　٢)عمعم ميتو

٣) حر ــ تيايو　　　٤) سيخت طيبة

٥) امت تشيريو　　　٦) امنت نفرت

٧) نيت تب امنت

على الجانب الآخر من قارب الإله نجد :

نيبيو Nebui　　　بسا بس يا Besabes-uàa

نبر Nepr　　　تبو Tepu　　　هتش ـ ع Hetch-á

عب　　　نيبن Nepen　　　آر است ــ نيتر

عمو ــ آه Amu-àa

حيرو ــ حابيت Heru-khabit.

انوبيس وايزوريس ان نفر وخوى Khui وحورس ذا الوجهين بمعنى حورس وست

وحن حيرو Hen-Heru,　　　وحن Hun

حاتشتشو Hatchetchu　　　رنبتي Renpti

ماخي Makhi　　　نيهر Nehr

عفاو Afau　　　فا تراو Fatrau

هذه الآلهة جميعاً تعبد الإله العظيم وتدله على الطريق الصحيح وعندما يتركها تبكي .. البعض منها يحمل له صلوات الذين يعيشون على الأرض والبعض الآخر يقود الأرواح التي تحررت من أجسادها لتكتسب أشكالاً جديدة وأخرى تحدد فصول العام .. وهي جميعاً عندما يخاطبها « رع » وتسمع صوته تعود للحياة وتتنفس

ثانياً .. و« رع » هو الذى يمنحها وافر الطعام ويأمر الآلهة بأن تقدم لها الماء كى تشرب .. أما المتمردة عليه فإن قلوبها تحترق فى النار. وهكذا يتضح من النص السابق أنه وبرغم أن ايزوريس كان الإله الأكبر للساعة الثانية من الليل إلا أن « رع » كان بمثابة رب ايزوريس الأعلى وهو أيضاً يقدم للموتى هباته وعطاياه مثل ايزوريس .. فى نفس الوقت نرى أن أتباع ايزوريس مكلفة بخدمة رع وأن من مهامها الأساسية ــ التى لا تثاب عليها ــ مراقبة أعداء « رع » التى تتربص دائماً بزورقه لمنعه من التقدم .. وهكذا تظل دائماً فى نفس أماكنها تؤدى نفس المهام .

من النص السابق قد يستنتج القارىء بعض الأفكار التى قد تختلف عن ما تطرحه الأجزاء المرسومة ــ للساعة الثانية ــ وما يستخرج عنها من الملخص. وبرغم أن هذا الملخص يفترض فيه أنه يحاول امداد الأرواح بأسماء الآلهة والكائنات المختلفة التى بها إلا أننا نجده خالياً منها بحيث لا يوجد أمامنا إلا أن نفترض أنهم قد تعلموها من قبل عندما كانوا بأجسادهم على الأرض. أما فى النسخة الموسعة فسنجد وصفاً فى غاية الأهمية يظهر مدى ثانوية الدور الذى كان لايزوريس ــ كما قدمه كهنة آمون ــ رع ــ بالمقارنة برع أثناء عبوره التوات .

الساعة الثالثة

النص الوصفى للساعة الثالثة التى تسمى نت بايو [hieroglyphs] يقول : « هذا الإله العظيم يصل بعد ذلك إلى بلد هؤلاء الذين يُذبحون » ([hieroglyphs]) وهو يجدف فوق مجرى ايزوريس ([hieroglyphs]) لمسافة ثلاثمائة وتسعة اترو طولاً ومائة وعشرين اترو عرضا ــ بمعنى أن هذا القسم مساحته (٣٨,٥ × ١٥ ميل). هذا الإله العظيم يصدر تعليماته للآلهة التى تتبع ايزوريس فيما يخص هذه المدينة ويمنحها اقطاعيات من هذا البلد. أسماء الآلهة فى هذه الحقول هى: « الأرواح المختفية » ([hieroglyphs]), وكل من كان فى استطاعته معرفة أسمائها سيصعد إلى المكان الذى فيه ايزوريس وسيمنح له الماء ليروى حقوله اسم هذا الحقل هو نت ــ نب ــ يا ــ خيبراتيو ([hieroglyphs])

وكل من استطاع أن يرسم هذى الأرواح المختبئة معاً ويصور الأشياء المختفية من التوات التى تبدأ من الغرب ستصبح ذات فائدة عظيمة ـ حقاً ـ له ليس فقط فوق الأرض ولكن فى العالم السفلى أيضاً وكل من استطاع أن يعرفها سوف يعبرها (بدون أذى) وهى تزجر ولن يقع فى مراجلها .

وكل من استطاع أن يعرف هذه الأشياء سيلتصق بمكانه وسيحصل على خبزه مع رع .

وكل من استطاع أن يعرف هذه الأشياء ـ سواء كان روحاً أو كائناً ـ فسيحرك ساقيه وفقاً لرغبته ولن يدخل أبداً مكان الفناء وسيظهر فى أشكاله ويستنشق الهواء فى ساعته المحتومة » .

الجزء المرسوم للساعة الثالثة يمثل قارب رع وهو يبحر فوق « مجرى ايزوريس مسبوقاً بثلاثة قوارب كل منها يحركه رجلان بيد كل منهما مجداف وجميع الكائنات بهذه القوارب هى أشكال متنوعة لايزوريس والآلهة التى تقف على جانبى المجرى تدور فى فلكه أو من مجمعه وهذه لها أجساد ذات لحم توحدت مع ظلالها تتكلم من داخل نفوسها وبمجرد أن يحدثها رع تجيب الإله وتسبح بمحاسنه ونعمه وهو معها ولكن صيحات فرحها هذه تتحول إلى نواح ونحيب عندما يغاردها فهى لا تستطيع أن تتبعه لأن مهمتها حراسة أقسامها وتدمير أعداء « رع » لتؤمن حياته وتجعل النيل يفيض .

من بين آلهة هذه الساعة الأشكال التسعة للإله ايزوريس :

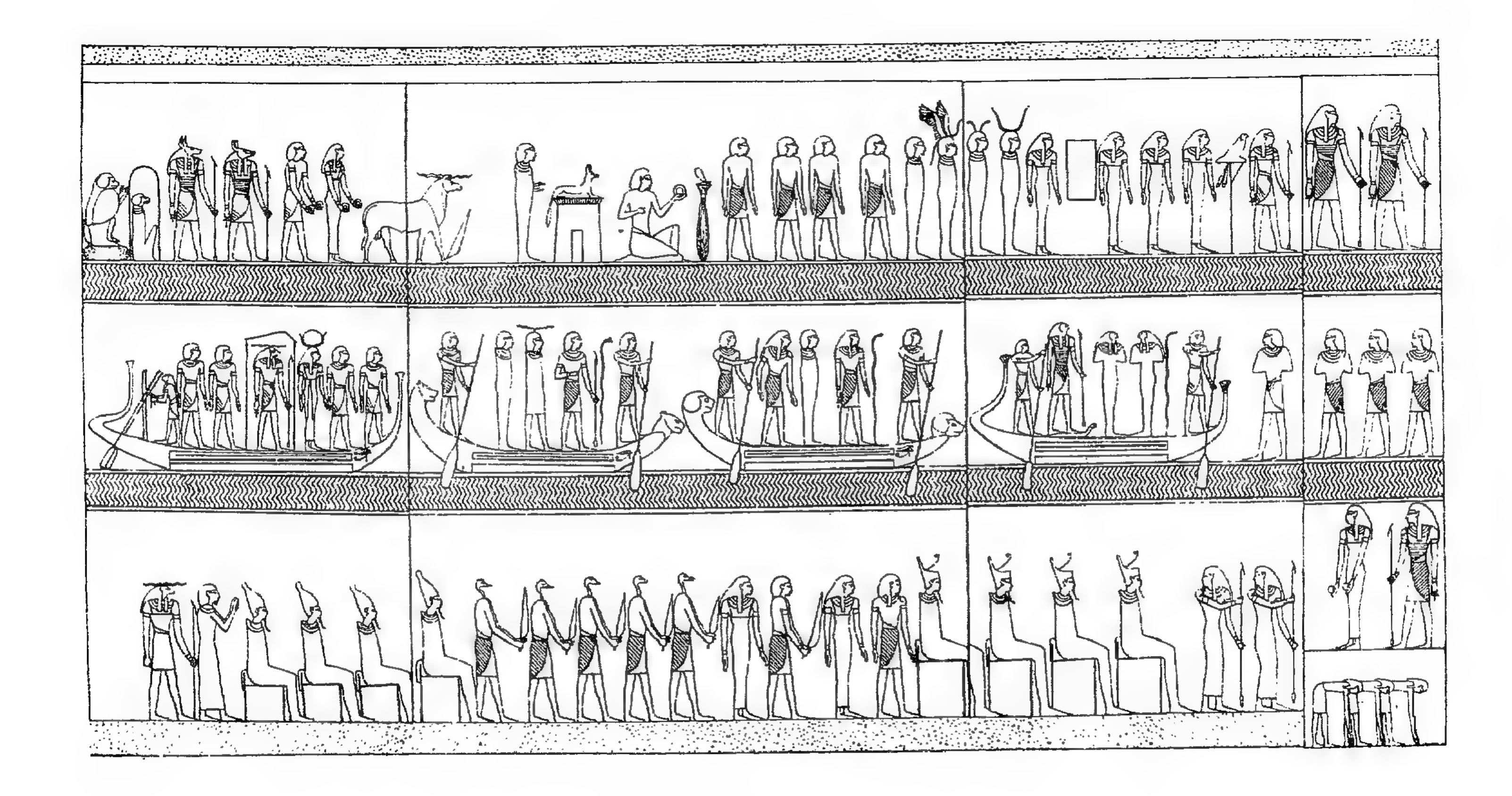
ايزوريس إله امنت ; ايزوريس خنتى امنت ;

ايزوريس العرش ; ايزوريس قاهر الملايين ;

ايزوريس قرين امنت ; ايزوريس على سلمه ;

ايزوريس أمير الآلهة ; ايزوريس ملك الدلتا ;

ايزوريس سع-حو .



الساعة الثالثة من الليل

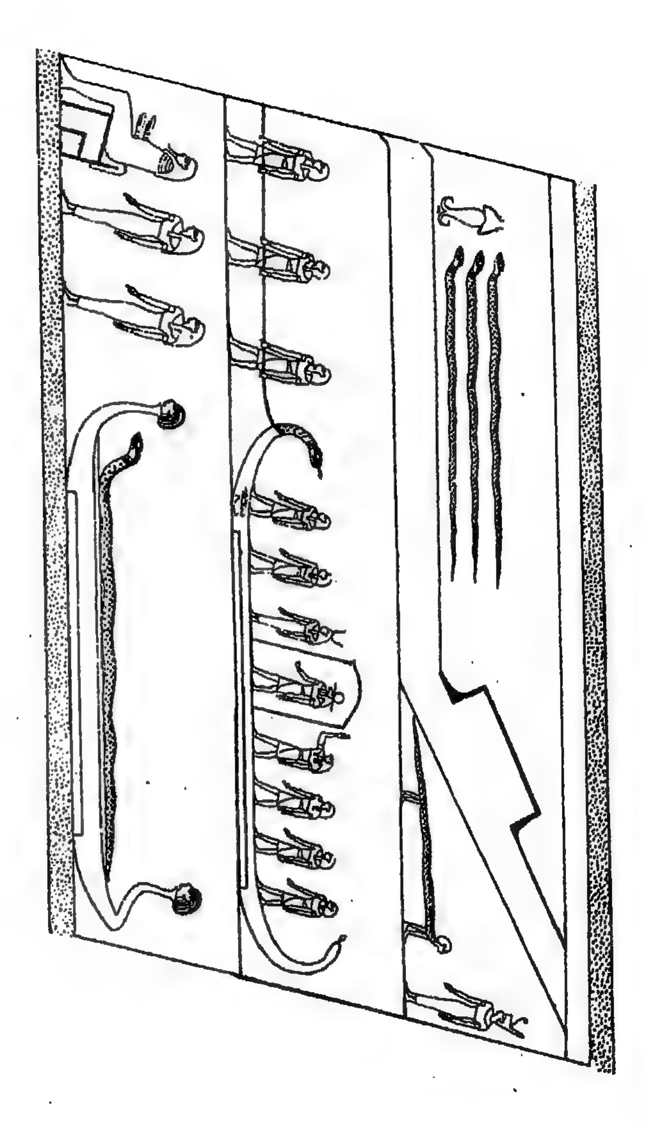
مهام هذه الكائنات واضحة من اسمائها فهى تشير إلى التدمير بشكل أو آخر وفى نص توضيحى نعرف أنها التى «تمزق وتقطع الأرواح وتسكن ظلال الموتى والتى تجر لصوص المقابر لاماكنهم فى السلخانات» ويضيف أنها «تطلق اللهب وتتسبب فى خلق النار وقطع رؤوس أعداء رع بسيوفها».

.حاكم هذه المنطقة المجتازة فى الساعة الثالثة يسمى خاترا KHATRA ونحن نعلم من حديث «رع» أن سكان هذا الحى الأسطورى الذى يحكمه قد خلقهم «رع» خصيصاً لكى يتبعوا ويحموا ايزوريس. فهو يقول لهم: «أنتم يا من أخفيتكم ووضعت أرواحكم فى مكان سرى. يا من جعلتم اتباعاً لايزوريس للدفاع عنه ولترافقوا صوره ولتضعوا نهاية لهؤلاء الذين يهاجمونه».

(وأنت ياايزوريس الإله «حو» كذلك خلفك يدافع عنك ويرافق صورك ويدمر الذين يهاجمونك.. «حو» معك وكذلك «سا» معك ياختنى امنت نفوسك تكونت أشكالها.. نفوسك بقدراتها السحرية جعلت وجودك فى الحياة مؤكد.. نفوسك تستنشق الهواء من خلال فتحتى أنفك وتنظر من وجهك وتستمع بأذنيك وتكتسى بثيابك وتربط بشرائط لفافاتك.. ولديها القرابين المقدمة لك فى المواسم بواسطة كهنة الله الذين امتلكوا من أجل فائدتك ورفاهيتك الاملاك الذين لن تهبط أرواحهم ولن تفنى أجسادهم. (أيها الروح الخفيه) أنا أقول افتح لى دوائر أسرارك وتجل فى مكانك لأننى جئت لأرى أجسادى وأعتنى بشبهائى التى التوات.

أنت الذى احضرتنى إلى هنا ومنحتنى الصلاحيات للوصول إليها.

ياايزوريس الآن أقود روحك للسماء وأنت ياختنى أوكـريت أقود روحك للأرض الهتك خلفك وأرواحك أمامك وأشكالك وموجوداتك حولك تمتلك كلمات القدرة يا ايزوريس وأنت أيتها الأرواح التى تتبع ايزوريس خذى كلمات قدرتك. سأرتفع فوق الأرض والنهار خلفى وسأمر فى الليل ونفسى ستعيد ربط نفسها بأشكالك خلال النهار وسأوفى بطقوس الليل التى تحتاجها فلقد خلقت أرواحك



الساعة الرابعة من الليل

من أجل استخدامى لذلك قد تبقى خلفى وما قمت به من أجلها سيحفظك من السقوط إلى مكان الفناء».

الساعة الرابعة

الساعة الرابعة من الليل والتى تسمى سيخموس SEKHEMUS تؤدى بقارب إله الشمس إلى منطقة ذات ملامح تختلف تماماً عن المناطق السابقة. والنص المفسر يقول:

جلالة الإله الأعظم وصل بعد ذلك إلى القسم المستور من الامنتيت حيث أنجز تصميم الآلهة التى هناك عن طريق صوته دون أن يراهم.

اسم هذا القسم هو عنخيت خيبرو ANKHET-KHEPERU ( ) واسم بوابته هو امنت سزاو « AMENT-STHAU » ( ) وهذا الذى يستطيع معرفة خطة المسارات المختفية لـ رى ستاو ( ) Re-stau والطرق الملتوية المؤدية لاممحيت ( ) Ammehet وللبوابة المختفية التى فى أرض سيكر هو الذى سيأكل على رمالها الخبز الذى تم اعداده لأفواه الآلهة التى تعيش فى معبد تم.. وهذا الذى سيعرف هذه الأشياء هو الذى سيتعرف على الممرات الصحيحة وسيكون لديه القدرة على السفر فى طرق رى-ستاو وأن يرى العلامات المرشدة فى الاممحيت».

ودائرة الاممحيت هذه كما نعلم من الفصل CXLIX من كتاب الموتى هى العات السادس (AAT) أو حى من أحياء ملكوت ايزوريس ويشرف على ادارتها الإله سيكر. والمتوفى يخاطبها هكذا «السلام عليك يا أممحيت أيتها المقدسة عند الآلهة والمختفية عن الأرواح ومهلكة الموتى.. اسم الإله الذى يسكنك هو سيخر ـات (أو سيخر ـريو) السلام لك يا أممحيت جئت لأرى الآلهة التى تسكنك اكشفى عن وجوهك واخلعى اردية الرأس عندما تقابلينى لأننى ـانظرى ـ أنا إله قادر بينك ولقد حضرت لأجهز لك المؤن.. لا تجعلى لسيخر ـات السلطة علىّ

وامنعى الآلهة الذابحة من متابعتى ولا تجعلى الشياطين القاتلة تتبعنى ولكن اجعلينى أتغذى على قرابين المدافن معك».

النسخة المصورة من الساعة الرابعة تظهر لنا قارب الإله رع يمر خلال إقليم جديد تماماً حيث توجد المنطقة التى يحكمها الإله سيكر والتى - فى حقيقتها - تعج بالثعابين الضخمة المرعبة هنا لا يوجد نهر بشاطئين محاطان بالآلهة ونفوس الموتى ولا توجد حقول كى يوزعها رع على تابعيه أو تابعى ايزوريس الأوفياء ولا يوجد هناك إلا عدد محدود للغاية من الكائنات التى تقوم بخدمته وهو مضطر لأن يركب نوعاً آخر من القوارب وإله النهار مجبر هناك على أن ينزلق خلال ممرات مظلمة وأرض مقبضة وفى الغالب دون أن تتبعه آلهة.

«رع» يقف فى محراب بقاربه كما حدث من قبل ولكن القارب نفسه على هيئة ثعبان برأسين عند كل طرف من أطراف جسده رأس. والقارب يسحبه فوق الأرض الرملية الخاصة بالإله «الذى هو فوق رماله» آلهة من مجمع أيزوريس التى يختلط معها - بأى شكل - آلهة مجمع «بتاح - ممفيس».. وايزوريس نفسه يختلط مع سيكر ويصبح ايزوريس - سيكر.

المجرى أو الطريق الضيق فى رى - ستاو له ثلاثة أبواب والتى تسمى:

معتيس - سما - تا، Mâtes-sma-ta.

ماتيس - ماو - عت، Metes-mau-ât,

ماتيس - نيحح and Metes-neheh.

والتى بواسطتها تقسم إلى ثلاثة أقسام الجزء الأول لا يداخله الإله «رع» أو يسافر فيه ومع ذلك فالباب يطيع صوته وفى الجزء الثانى لا يظهر لا يمكن رؤية جسد سيكر الذى هو فوق رماله فى شكل مختف. والجزء الأخير لا يمر من خلاله إلا سيكر لأن الإله والأرواح والموتى لا تستطيع المرور منه. وهو مملوء بالأرواح التى تم تدميرها بواسطة النار الخارجة من فم الربة أم - أميت AM-AMIT

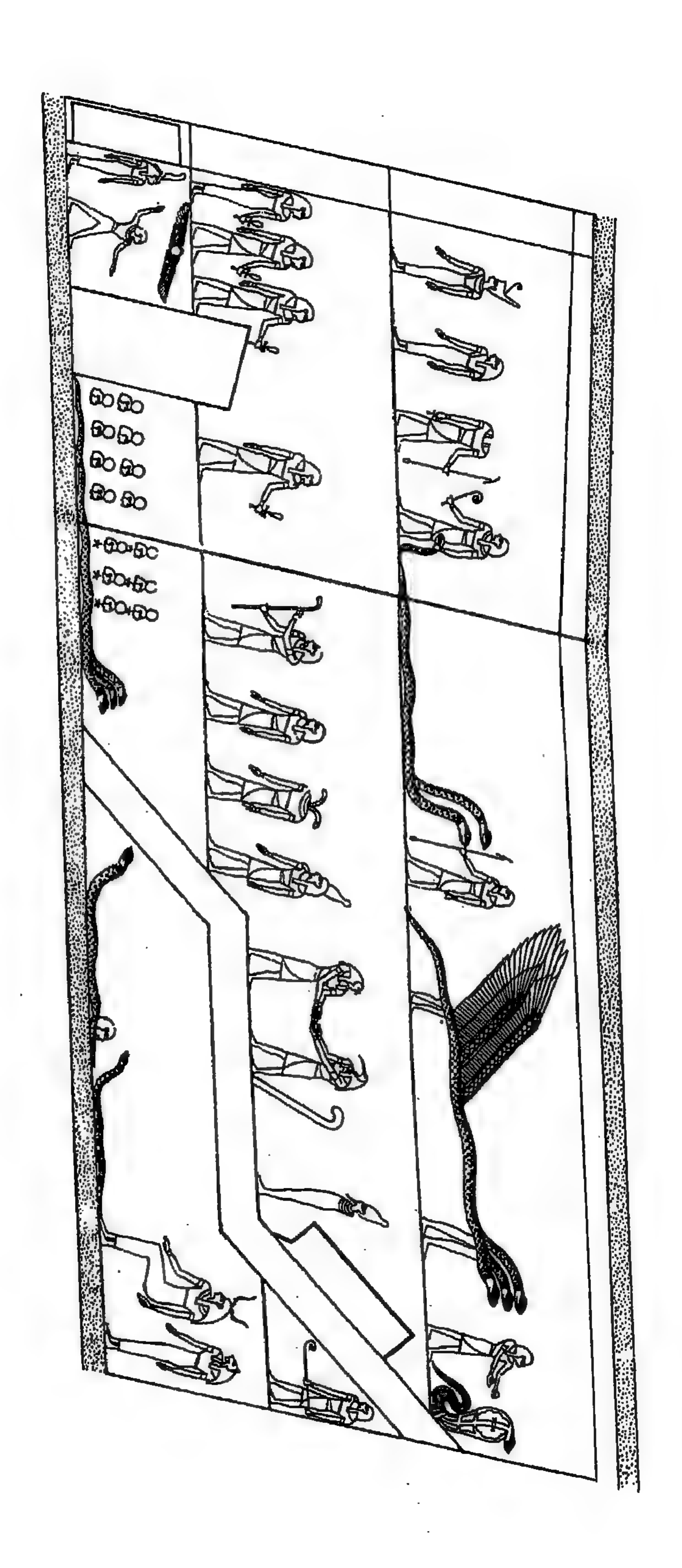
المنطقة التى يسافر خلالها رع ممتلئة بظلام كثيف لايمكن اختراقه حتى بواسطة الضوء الذى عادة مايصدره الإله وللتغلب على هذه الصعوبة استعان بضوء لهب الشعلات النارية الخارجة من فى الثعبانين اللذين يشكلان جسد قاربه .

بين الآلهة التى تسير أمام القارب نجد تحوت وحورس اللذين يقفان يواجه كل منهما الآخر بأذرع ممتدة تمسك ياتشيت , التى تدل هنا على الإله سيكر. الثعابين التى تمر على الإله من أنواع متنوعة وأحجام مختلفة. الأول يسمى هيتش ناو . Hetch-nāu, يرقد بكامل طوله فى قارب ينتهى كل من طرفيه برأس آدمى وهو حارس سيكر، والثانى له رؤوس ثلاث ويسير على الأرض بأربعة أرجل وأقدام آدمية .. والثالث يدعى امن ; والرابع حيكنت . Hekent, له رأس آدمى تنمو خارج جسده فوق ذيله تماماً ، الخامس منمين وله رؤوس ثلاث Menmenu, ويحمل فوق ظهره أربعة عشر نجماً وأربعة عشر رأساً بشريا يعلوها أقراص شموس .

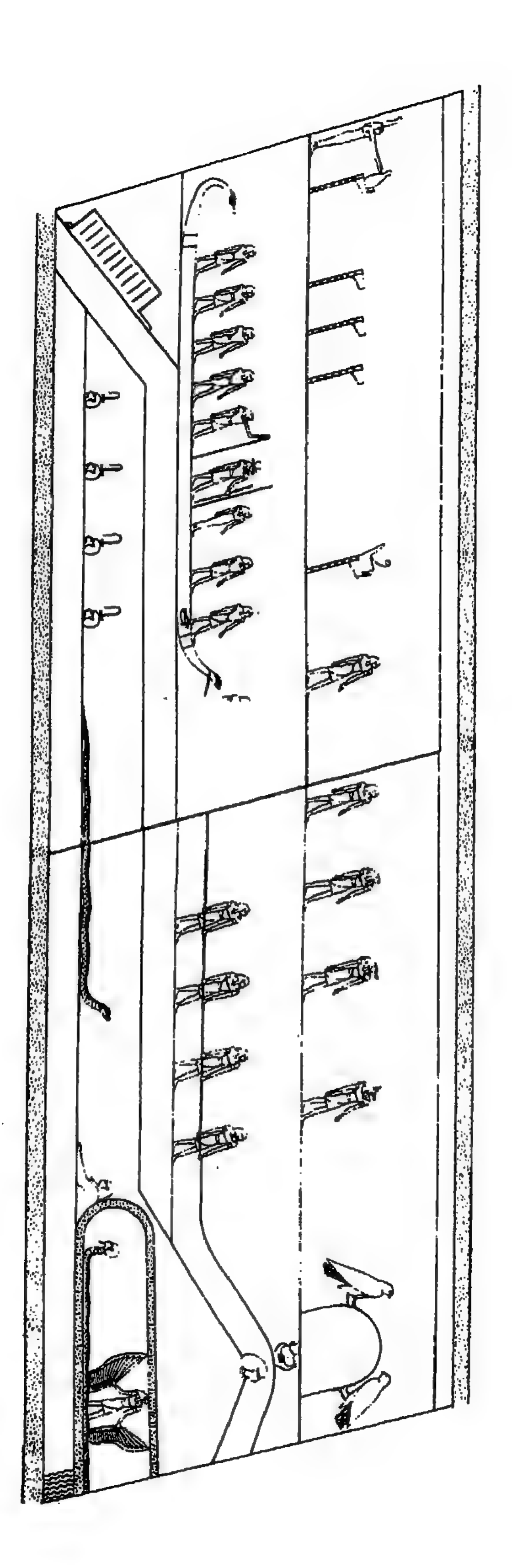
بعد ذلك نجد ثلاثة ثعابين ضخمة قريباً من العقرب الكبيرعنخيت ANKHET , وحيات ضخمة والتى يسكب رجل من أجلها قرابين خمر وهناك أيضاً ثعبان بثلاث رؤوس وله أجنحة ويتحرك على أربعة أرجل وأقدام بشرية والثعبان نحيب ـــ كاو , Neheb-kau, الذى له فى طرف من أطرافه رأسان وفى الآخر رأس .

كل هذه الوحوش يقال إنها تقوم برحلتها يوميا حول منطقة الساعة الرابعة وتفتات على ما تجده فى طريقها .

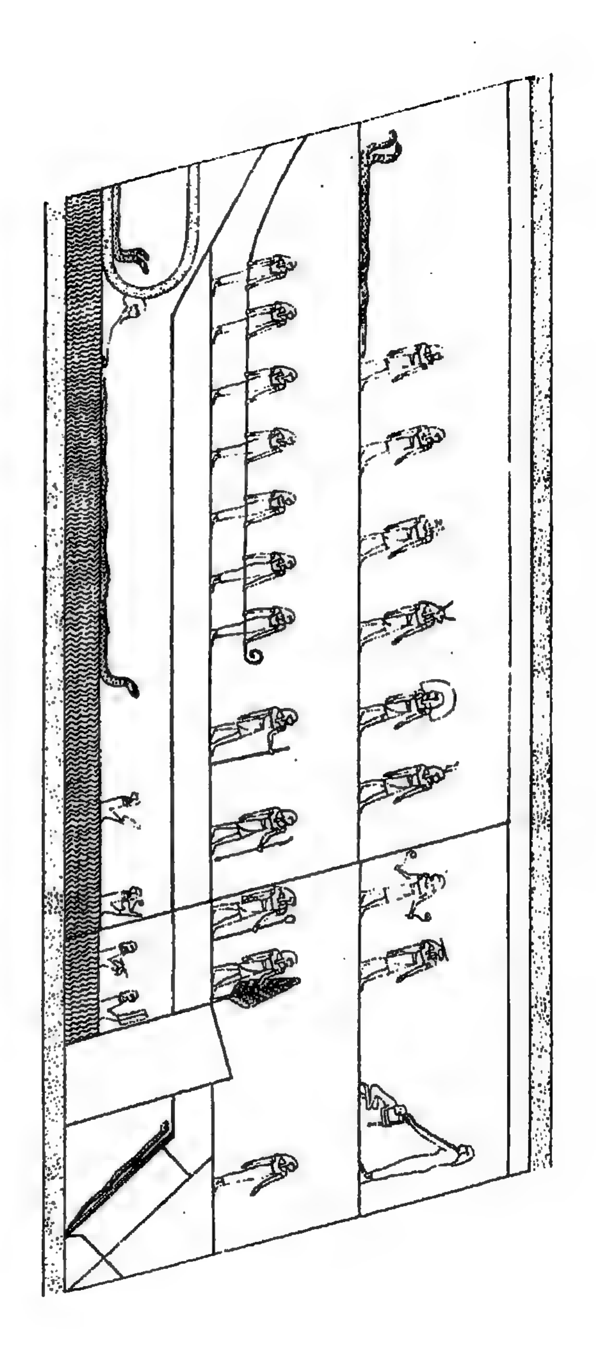
الساعة الماضية كما رأينا كانت تقع فى محمية سيكر ولكن الساعة الخامسة والتى سميت هر ـــ ابت ـــ يا ـــ اس كان لها وضع خاص فقد كان بها عاصمة الأقليم فالنص الشارح يقول : «هذا الإله العظيم تسحب مركبته على الطرق العادية فى التوات وفى البقاع المستورة من (الإله الذى فوق رماله) سيكر وهو لا يطل على ـــ ولا يرى ـــ الأشكال المختفية من الأرض التى بداخلها لحم هذا



اشكال الساعة الرابعة



الساعة الخامسة



الساعة الخامسة من الليل

الإله. الآلهة المصاحبة لهذا الإله سمعت صوت رع ــ حيرو(؟) وهى تعبده فى مواسم هذا الإله». اسم بوابة هذه المدينة هو عهع ــ نيترو Ahá-neteru. واسم هذا المكان هو أمونت. Ament, الذى توجد به الطرق السرية لامنت وأبواب منزل أمونت ومسكن ( ) أرض سيكر ولحمه وأعضاؤه وجسده فى أشكالها الأولية.

أسماء الكائنات الموجودة فى هذا المكان هى «بايو ــ امو ــ تيوات» BAIU AMU TUAT بمعنى «أرواح فى التوت» والأشكال التى فى ساعاتها وكياناتها المختفية لايمكنها رؤية أو الأطلال على الأشكال التى لسيكر نفسه وكل من استطاع أن يصور الأشياء التى فى أمونت فى التوات جنوب المنزل المختفى.. وكل من استطاع أن يعرف هذه الأشياء فإن روحه ستكون فى أمان وسيكون راضياً بعطايا سيكر وخيميت ( ) ولن يُمزق جسده إلى قطع وسيصل إليها فى سلام.. وكل من استطاع أن يقدم القرابين لهذه الآلهة فوق الأرض سوف (يجد) أنها ذات فائدة له فى التوات.

الجزء المرسوم للساعة الخامسة يظهر لنا «رع» مسافراً فى قاربه الثعبانى والذى يجرى سبعة آلهة وسبع ربات التى تمثل آلهة أربعة عشر يوماً من الشهر وقبلها يوجد رؤوساء الآلهة الحاكمة بمعنى حر ــ خو HER-khu. ان ــ حتب An-hetep. حر ــ حيكوى Her-hequi حتش مت Hetch-met.

فى طريق الساعة يصل رع إلى رابية رملية يعلو قمتها رأس امرأة يستقر فوقها الجزء الأمامى من منتصف جعران أى ما نرى فقط ــ كرمز للإله خيبرا ــ هذه الرأس تحدد مكان مسكن سيكر المختفى. وعندما يتوهج الجعران فوقها فإن الإله خيبرا يدير حواراً مع هذا الإله، أرض سيكر تحت هذه الرأس مباشرة ولها شكل وتسمى «أرض سيكر المستورة التى تحرس اللحم المختفى» ويحيطها سور من الرمل فى نهايتيه ــ خارج الحائط ــ يوجد أبوهول برأس رجل وجسد أسد. داخل هذه

الأرض ثعبان مجنح برأسين وذيل ينتهى برأس بشرى وبين الجناحين يوجد رسم للإله سيكر الذى له رأس صقر. هذا الثعبان الوحش يمثل الإله وهو يحرس خياله الشخصى. أما تمثالا أبوالهول فيتم حراستها بواسطة ثعبانين تيبان Tepan, وعنخ آباو الثعبان الأول يمكنه أن يدخل أثناء وجود هذا الإله ويحمل له يومياً القرابين التى يقدمها الأحياء أما الثعبان الثانى فلا يغادر مكانه أبداً ويقتات على اللهب الذى يخرج من فه شخصياً.

أمام الثعبان الثانى نجد أربعة آلهة جالسة وتحمل على ركبها نماذج «الرموز المختبئة» لسيكر بمعنى وتستريح على شاطىء بحيرة تسمى نوت NUT ونوت هذه بحيرة مياهها مثل النار تحرق من يتواجد بداخلها لذلك نجد على كل رأس من رؤوس الآلهة الأربعة المشرفة على من فيها رمزاً من رموز النار. والبحيرة يحرسها مجمع آلهة رع ممثلاً فى تسعة فؤوس وخمسة آلهة. قبل أن يمر رع خلال الساعة الخامسة يصل إلى حجرة ضخمة ذات سقف مقبى مملوء بالرمال وتسمى بمعنى ليل. على كل جانب من جوانبها معلق صقر من مخالبه وفى الجزء الأسفل يظهر جعران نرى نصفه فقط هذا الجعران أو خيبرا يمثل منشأ الحياة وعندما يتم جر قارب رع أعلى الرابية الرملية ــ التى سبق وصفها ــ يفترض أنه سيقفف فوقها ــ خلال مروره ــ وعندما يفعل هذا فإنه يذهب إلى الإله الميت ويعيده إلى الحياة ثانياً.

الحجرة يحرسها الثعبان ذو الرأس المزدوج المسمى تر Ter, وعليه أن يراقبها بحماس ليمنع دخول أى شخص يمكن أن يدمر أو يثير الفوضى فى أصل الحياة، بعيداً قليلاً عن الحجرة الرملية توجد مجموعة من سبعة آلهة مهمتها اليومية التفتيش على ذبح الموتى فى التوات وافناء أجسادها بلهب يخرج من أفواهها.

أبعد قليلاً توجد الربة التى «تقتات على دماء الموتى» والتى رسمت فى وضع المشغولة بذبح رجل حكمت عليه الآلهة بالإعدام.

عندما يصل قارب رع إلى نهاية الساعة الخامسة يرى نجم الـ «إله الحى الذى يجول ويجول ويرحل». دكتور بروجيش ومن بعده م.

ماسبيرو وآخرون أشاروا إلى أن هذا النجم هو كوكب المريخ ـ نجم الصباح ـ والإشارة ـ بدون شك ـ صحيحة وتدل على حقيقة هامة فكما أشار م. جاكوير نجد أن رمزين للجعران يتقدمان من الليل ليوجدان لنفسيهما مكانين فى قارب رع وهو ما يظهر لنا أن محمية سيكر رغم اقتصارها على ساعتين إلا أنها جاءت فى مكانها الطبيعى فى التوات حيث شكلت ـ بالتأكيد ـ فى يوم ما جهنم كاملة .. وأن الحدث النهائى الذى جرى فيها هو شروق الشمس.

الساعة السادسة

الساعة السادسة التى كانت تسمى «مسبريت ـ ارات ـ ماعتو» توصلنا إلى قرب منطقة عبادة ايزوريس فى الدلتا.

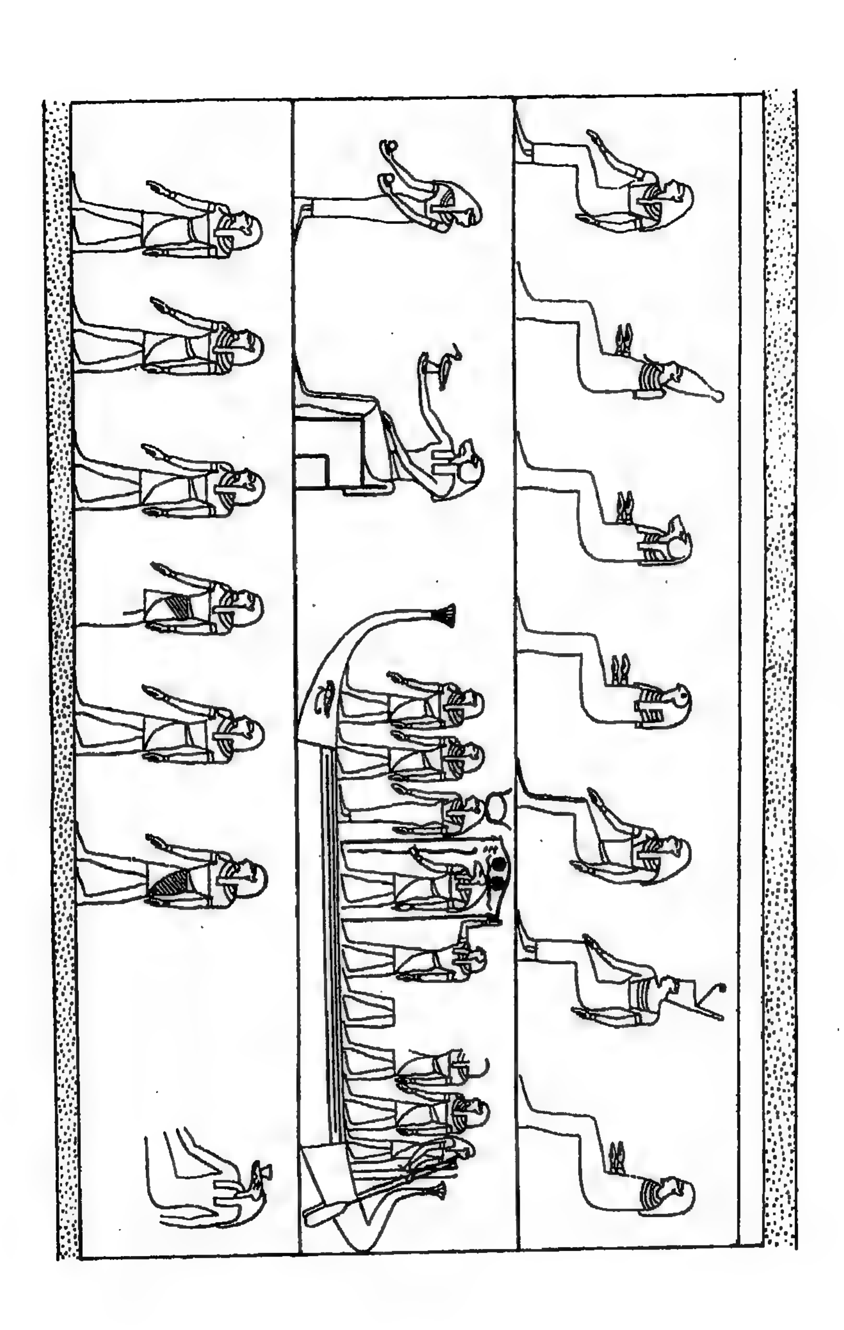
MESPERIT-ARAT-MAATU, *

النص الشارح يقول :

«عندما وصل الإله العظيم إلى المياه العميقة ـ التى هى سيدة آلهة التوات ـ حادث الآلهة التى كانت هناك ـ وأصدر أوامره بأن تتسلم ما وهب لها ( ) فى هذه المدينة ثم أبحر فى هذه (الحقول) التى منحها لها بقاربه وأمرها (أن تحصل) على حقولها لقرابينها ومنحها الماء من أجل قنواتها كما كان يتم كل يوم فى التوات».

اسم بوابة هذه المدينة هو سبت ـ متيو ( ) Sept-metu الممر المختفى لامنت على النبع الذى يبحر فيه الإله العظيم بقاربه لينفذ مهام آلهة التوات وليجمع اسماءها والانماط التى استقرت عليها أشكالها. وكل ما يتعلق بساعاتها المستورة وما يشبهها من مخفيات التوات غير المعروفة .. جلالة هذا الإله مطلقة وهو يمنح عطاياه الآلهية للآلهة التى فى التوات ويقف قريباً منها .. وهى تشاهده ويمنحها السيطرة على حقولها وعلى القرابين التى خصصت لها وهى تستمد وجودها من أوامر هذا الإله العظيم الذى لكلماته القدرة على الولوج داخلها. اسم هذا الحى هو ميتشبت ـ نيبت ـ تواتـو * ( ) Metchet-nebt-Tuatiu

الساعة السادسة من الليل



الساعة السادسة

الجزء الثالث من هذا النص يعد هؤلاء الذين يمتلكون صوراً للساعة السادسة بأن يشاركوا فى الهبات التى قدمت للآلهة التى فى موكب ايزوريس وأيضاً فيما سيقدمه لها أقاربها من قرابين على الأرض .

النسخة المرسومة من الساعة السادسة تظهر لنا أن رع لم يعد فى حاجة إلى قاربه المصنوع من جسد ثعبان بعد مروره من اقليم سيكر وأنه يقف مرة أخرى فى قاربه القديم ويبحر فوق مياه نبع التوات . أمام قاربه يوجد :

١) تحوت والذى يسمى هنا خنتى توات KHENTI-TUAT ويمثل بإله له رأس كلب يمسك بيده اليمنى الممتدة أبى قردان .

٢) الربة امنت ــ سيموــ ست Ament-semu-set, التى يوجد أمامها منزل كبير به ستة عشر قسماً فى كل قسم اله محنط والتى تمثل أربعة ملوك من الجنوب وأربعة من الشمال وأربعة حتبتيو , Heteptiu, وأربعة أرواح فى منزل ايزوريس الريفى .

وجميعها تحرس الثعبان الضخم ذى الرؤوس الخمس اش ــ حراو , Ash-hrau, الذى ينحنى جسده فى شكل بيضاوى غير منتظم بطريقة تجعل ذيله يلامس أحد رؤوسه تقريباً . على ظهره داخل الشكل البيضاوى يرقد إله يسمى آفو بمعنى لحم وهو يلمس بيده اليمنى رجل جعران ممسكاً به ويمكننا أن نفترض أنه يمثل الجسد الميت لخيبرا وهو عكس إله الشمس فى قاربه الذى يسمى « لحم رع » .

الآلهة الستة عشر التى ذكرت انفا خاطبها رع الذى أمرها بأن تكون سعيدة بما منحها وأن تحميه وتذبح الثعبان أبيب فأنصتت لصوته والنص أضاف بأن صوت رع هو الذى سيجعل الإله الساكن طيات جسد الثعبان اش ــ حراو الذى فوق رأسه جعران يتحرك .

مع تلك لابد من ذكر المجمع المزدوج لايزوريس أحدهما يتمثل فى أشكال بشرية تجلس على عروش غير مرئية وهى :

حتب حنتى توات , hetep-Henti-Tuat, أست ــ أمحيت

Ast-amhit,

Asar-am-ab-neteru ازار ـ أم ـ اب ـ نيترو

حيرو خيني أحت ـ ف بنتي ارا أحت ـ أف

Benti-ar-aht-f,

ماعاب ـ خنتي أحت ـ ف

وثلاثة آلهة غيرها لم تكتب اسماؤها.

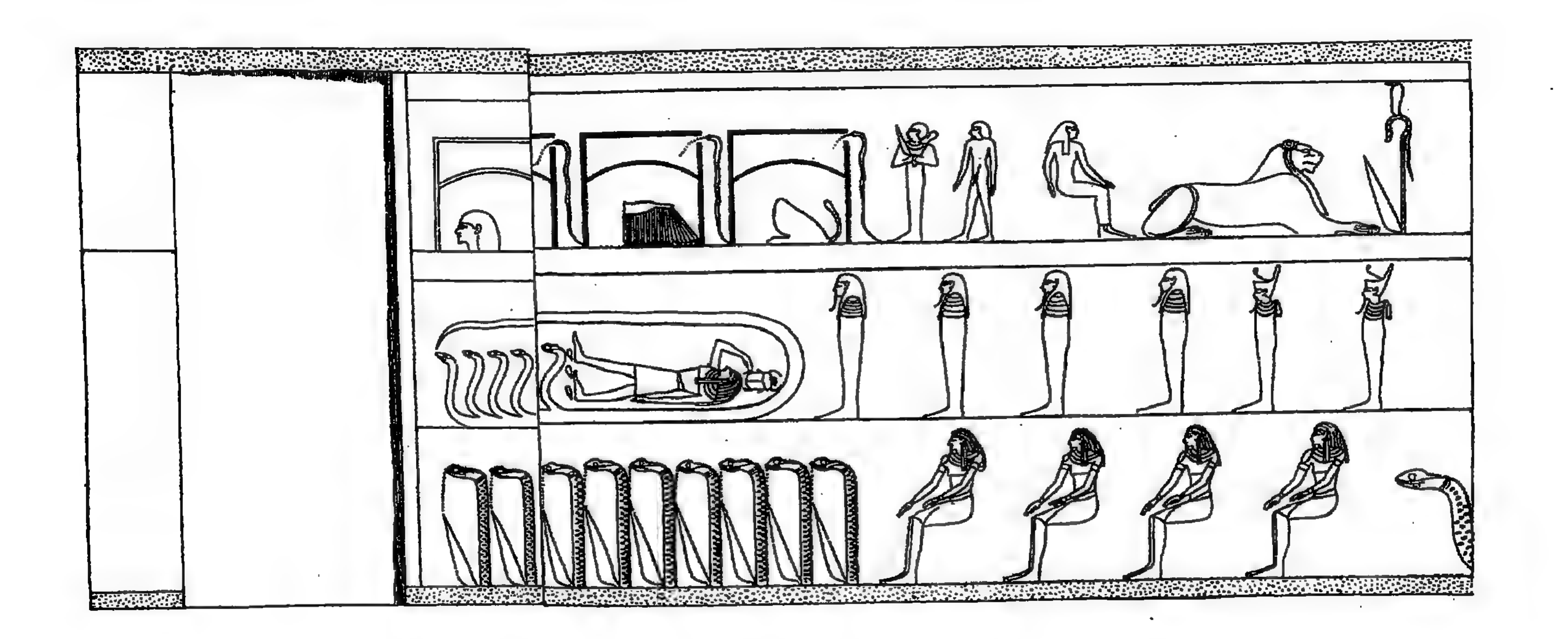
المجمع الثاني يتكون من تسعة آلهة تمثل بتسعة صولجانات كل منها له سكين مثبت في قاعدته ويعلوه تاج الثلاثة الأوائل التاج الأبيض والثلاثة الثانية التاج الأحمر والثلاثة الاخارى الحية .

بعد ذلك الإله الأسد كا ـ هيمهيم مع ايزيس وحورس والأشكال المحنطة المسلحة ب ـ , and, التى تحرس منازل رع الثلاثة والتي يحمي كل منها ثعبان يقف فوق ذيله ويخرج من فمه ناراً.
المنزل الأول يسمى هيت ـ توا ـ رع Het-tua-Râ ورمزه والعلامة .

المنزل الثاني يسمى هيت ـ خير ـ اها ـ رع ورمزه .

المنزل الثالث يسمى هيت ـ تمتت ـ رع Het-temtet-Râ, ورمزه رأس زجل.

على الجانب الأيسر من قارب إله الشمس يوجد إلهان اسماءهما غير معروفة وأحى Ahi, ونيتش ـ اتيف Netch-âtef, عنخ ـ هرا Ankh-hrâ, ومت ـ هرا Met-hrâ, وست ـ هرا (Sept-hrâ) ونتش بواتي; والربات انزز وهمت Hemt, وهن هينيز وسحيز والثعبان المخيف عم ـ خو Sehith, والذى يحمل على ظهره أربعة رؤوس لابناء حورس ميسزا وحابي وتيوماتيف وكيبهسنيف .



استكمال الساعة السادسة من الليل

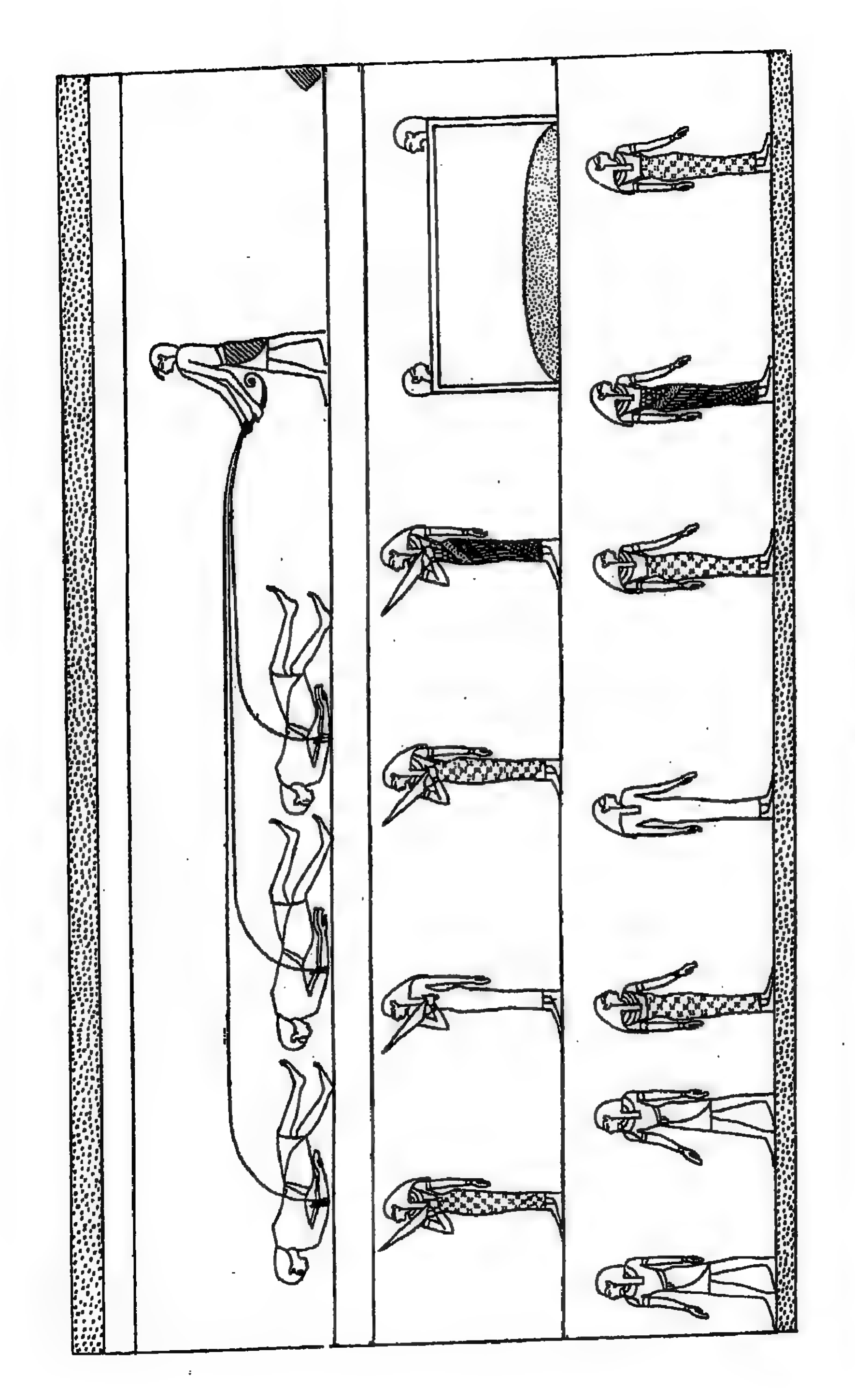
واجب هذا الثعبان افناء الظلام والأرواح التى لأعداء رع والتى تُخرب فى التوات. ويتبع الوحش بعد ذلك أشكال ايزوريس الأربعة وهى: ١) كاى ٢) منى ــ ريت Meni- ret. ٣) ارت Urt ٤) اينن ريتيو وتسعة ثعابيــن تقــذف اللهب من أفواهها ومسلحة بالسكاكين وهى: ــ تا ــ زينين Ta-thenen. وتم وخيبرا وشو وايزوريس وحورس وابو Apu. وحيتبوى Hetepui. واجب هذه الآلهة يتركز فى تدمير أعداء خيبرا وقطع دابرهم وهى تعيش فى «نو» وفى مياه تاه ــ زينين وبواسطة قدرات خيبرا السحرية تتنفس يومياً من خلال كلام رع.

الساعة السابعة

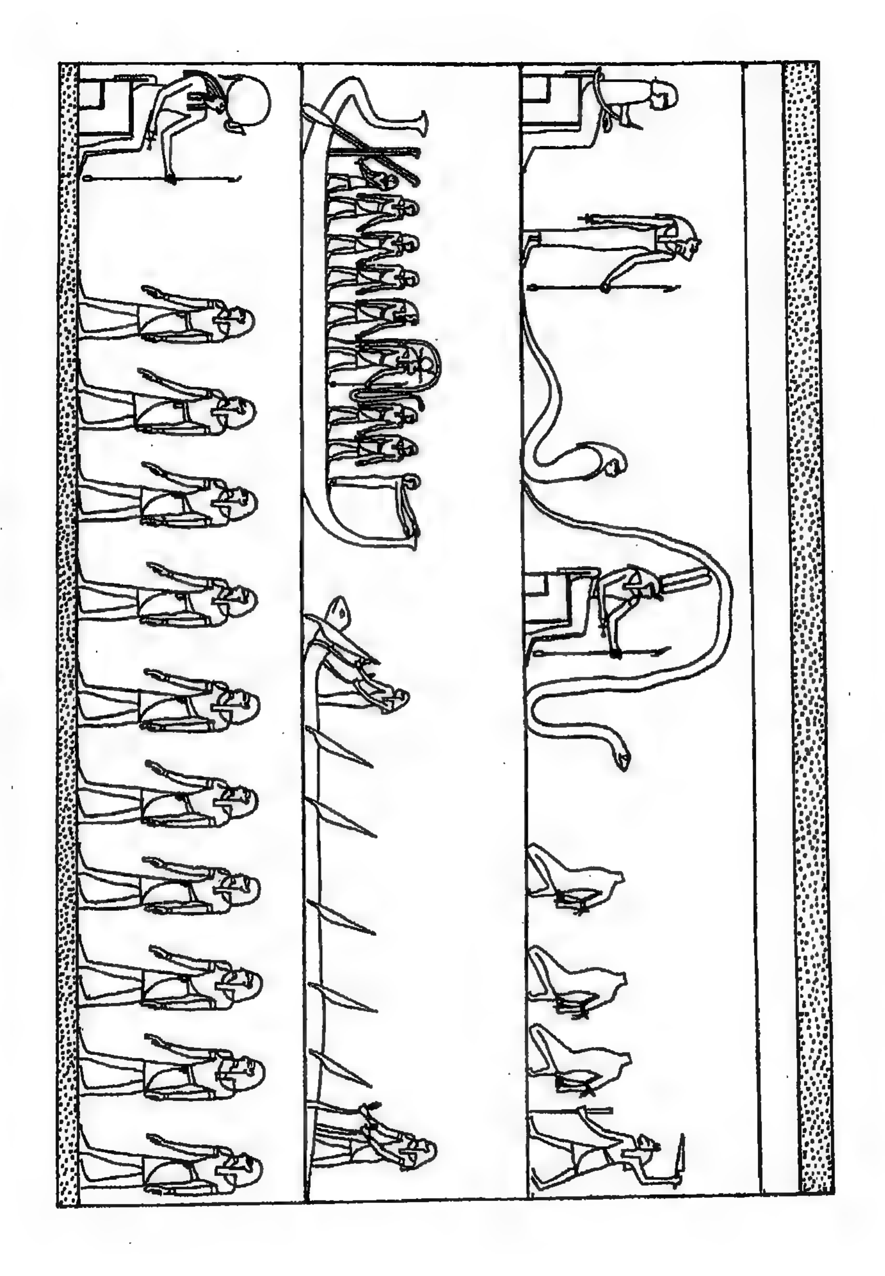
الساعة السابعة التى تدعى خيسف ــ هاء ــ هنسيج ــ نيها ــ هرا تأخذنا إلى المنطقة التى بها المسكن المستور للإله ايزوريس تبحيت (Tephet) النصوص الشارحة تقول:

«عندما يصل جلالة هذا الإله العظيم إلى مسكن ايزوريس المستور تبحيت يخاطب الآلهة الموجودة هناك بكلمات مناسبة هذا الإله يصنع لنفسه أشكالاً أخرى لسكنه المستور بحيث يستطيع أن يضلل أبيب بواسطة كلمات ايزيس وكلمات سر Ser. السحرية. بوابة هذه المدينة ــ التى يسافر فيها الإله ــ تسمى بوابة ايزوريس ( ) واسم المدينة تبحيت شيتات Tephet-shetat ( ). هذا الإله العظيم يمر خلال الطرق المختفية لامنتيت فى قاربه الذى له قدرات سحرية وهو يسافر فوقها عندما لا يوجد بها تيار ماء وعندما لا يسحبه أحد.. وهو يفعل ذلك بقدرة الكلمات التى تخرج من فه شخصياً.. فى هذه المنطقة يُحدث بواسطة السكين جروح فى ابيب الذى مكانه فى السماء».

الإنسان الذى سيرسم صورة لهذه الأشياء التى فى شمال المسكن المستور فى التوات سيجنى فائدة عظيمة سواء فى السماء أو على الأرض والذى يعرفها سيكون مكانه بين الأرواح القريبة من رع وهو الذى سيتلو كلمات ايزيس وسار وسيصد



الساعة السابعة من الليل



الساعة السابعة من الليل

ابيب فى امنيتيت وسيجد لنفسه مكانا فى قارب رع سواء فى السماء أو على الأرض. أما الرجل الذى يجهل هذه الصور فلن يكون قادراً ابداً على أن يصد الثعبان نيها ــحرا.

ثم يكمل النص «منخفضات أراضى الثعبان نيها ــحرا طولها ٤٥٠ كيوبت وتمتلىء بثناياته ولكن فوق جزء معين هناك يسافر هذا الإله العظيم ليس فى الوقت الذى يسافر فيه إلى السكن المستور لايزوريس لأنه يسافر فى هذه المدينة على هيئة الإله ميهن .( ) Mehen. نيها ــحرا لن يشرب أبداً مائه وهو يعرف هذا والروح التى تعرفه لن يتغلب عليها عنف الآلهة التى فى هذه الدائرة والتمساح عب ــشى ( ) AB-SHE لن يأكل أبداً روح الذى يعرفها». مما سبق نعرف أن قارب رع قد وصل إلى مناطق ضحلة فى المجرى السماوى حيث لا توجد مياه كافية لطوافه وابحاره أو حتى تسمح بأن يُسحب وبالإضافة لذلك فالثعبان نيها ــحرا يعارض تقدمه فى هذا المأزق تدخل ايزيس الساحرة العظيمة القارب وتقف فى المقدمة تنطق بالكلمات التى تجعله يكمل مسيرته.

نيها حيرا كما نرى من النسخة المرسومة للساعة السابعة يقبض عليه كل من سيركت SERQET وهر تيو ــاف Her-tesu-f, بواسطة أربطة ويثبت للأرض بواسطة ست سكاكين وهكذا يتحرك رع مع الثعبان ميهن الذى يحيطه على هيئة ناموسية بدون موانع أو عوائق.

خلف الثعبان الخرافى تقف أربع ربات كل منها مسلحة بسكين ضخم والتى مهمتها حراسة مقابر أشكال ايزوريس الأربعة أسماء الربات تمتيس تــنــيس نــاكــيس Nåkith, حيــتميتــت Hetemitet, وواجبها أبعاد أعداء رع وتمزيق الثعبان ابيب إلى قطع بسكاكينها المرعبة كل يوم.

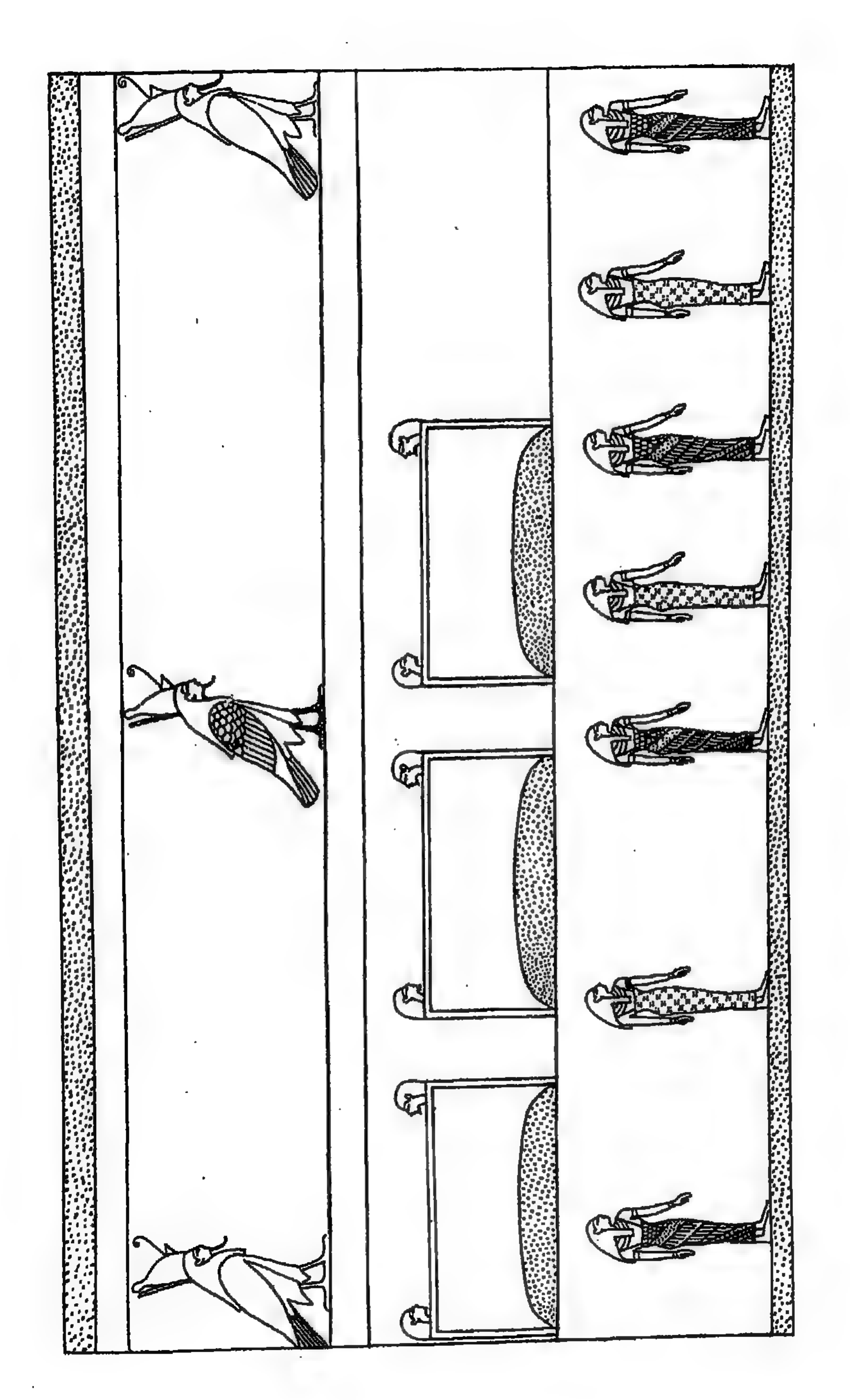
قبور ايزوريس الأربعة عبارة عن مبان مستطيلة بداخل كل منها سرير أو تبة صغيرة من الرمال حيث ترقد تحتها أرواح الإله الميت والمعروفة بأسماء تم وخيبرا ورع وايزوريس عند كل نهاية من نهايتى كل مقبرة توجد رأس بشرية والتى يقال

أنها تخرج من مدفنها عندما تسمع صوت رع وأنها «تأكل أشكالها الشخصية» بعد مروره بمعنى أنها تختفى عن النظر.. وهى ـ بدون شك ـ تشير إلى عادة من عادات عصر ما قبل الأسرات حيث كان يذبح العبيد عند قبور الملوك والنبلاء أو إلى عادة قتل البشر ـ التى كانت سائدة فى أجزاء عديدة من العالم ـ ووضع أجسادهم تحت أساسات المبانى التى تحت الإنشاء لكى تقوم أرواح المذبوحين بحمايتها وإبعاد الأرواح الشريرة عنها.

وهكذا فالرؤوس البشرية التى فوق مقابر ايزوريس ـ من المحتمل ـ أنها تمثل هذا التقليد أو تقاليد أخرى مماثلة بحيث يتم تضحية بشرية عند المقبرة عندما يدفن ايزوريس. وجهة النظر هذه ناقشها جيداً م. ليفيبيور M. LEFEBURE الذى قدم الكثير من التفسيرات للعادات الجنائزية والدينية لقدماء المصريين وأشار إليها أيضاً هواربوللو HORAPOLLO الذى قال أنهم عندما كانوا يرغبون فى تمثيل كلمة φυλακτήριον كانوا معتادين على رسم رأسين بشريين أحداهما لذكر والأخرى لأنثى بحيث ينظر الذكر للداخل والأنثى للخارج هذه الرؤوس وظيفتها إبعاد هجمات أى أرواح شريرة حتى لو لم تكن معروفة لديها.

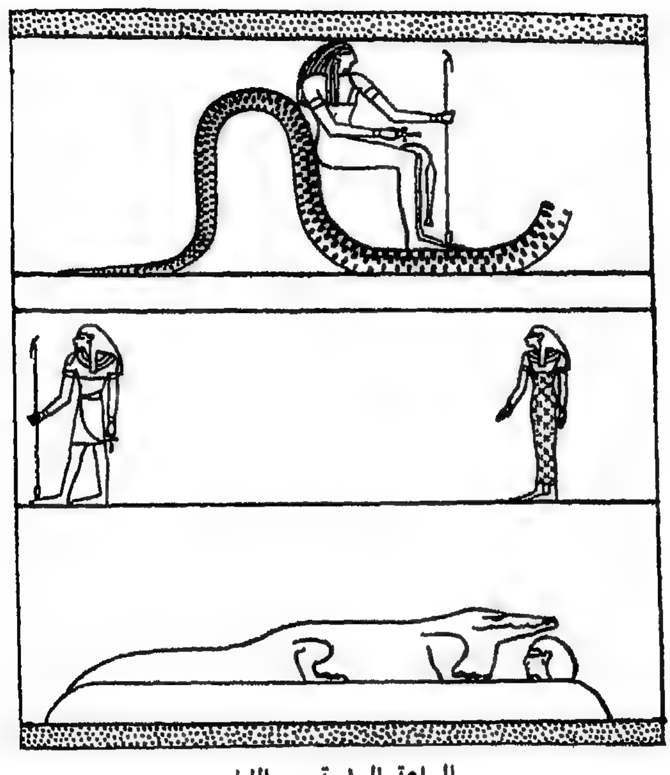
الرسومات الأخرى لهذه الساعة تظهر الإله اف ـ أسار AF-ASAR [hieroglyphs] بمعنى «لحم ايزوريس» يجلس تحت ناموسية صنعت من جسد شكل من أشكال الثعبان ميهن يسمى عنخ ـ ارو تشيفار ANKH-ARU-TCHEFAU [hieroglyphs] مع الثعبان ذو الرأس البشرية عتخيتيز Ankhtith, [hieroglyphs] وتجلس خلفه الربة ذات رأس الأسد حيكينز [hieroglyphs] Hekenth, ويوجد الإله شيبيس ـ [hieroglyphs] Shepes, أحد أشكال تحوت على بعد قليل منه.

أمام الإله تركع ثلاثة أشكال قطعت رؤوسها ربة برأس قطة وعلى الأرض ترقد ثلاث كائنات قيدها الإله أنكو ANKU [hieroglyphs] وهذه تمثل أعداء ايزوريس التى اقتلعت ارواحها ومزقت خيالاتها لقطع صغيرة لأنها تمردت على رب التوات قبلها توجد ثلاثة صقور برؤوس بشرية ترتدى تاج القطرين وتمثل أرواح «الأحياء» لذلك نجد قريباً منها الإله اف ـ تم AF-TEM [hieroglyphs]



الساعة السابعة

بمعنى «لحم تم» يجلس على عرش فوق ثعبان بين آلهة هذه الساعة ويوجد على الجانب الأيسر «حورس على عرشه» وأمامه مجمع الآلهة التى انضمت له بنجومها ربات الساعات الأثنتى عشرة. فى مواجهة هذا المجمع نجد التمساح عب ـــشاة ـــأم ـــتوات ، ـــ الذى يمثل حارس مقبرة ايزوريس وما فيها.



الساعة السابعة من الليل

عندما يمر رع بالتمساح الذى يوصف بأنه «ايزوريس عين رع» ـــيسحره بكلماته فيصير عاجزاً طالما كان الإله يتكلم معه.

ايزوريس المتوفى الذى فى باطن الأرض أسفل التمساح يرفع رأسه بحيث يستطيع هو أيضاً مشاهده إله الشمس. أتباع ايزوريس تنتهز فرصة تطلعه إلى رع وتتطلع أيضاً دون المخاطرة بأن يفنيها الوحش المسحور مؤقتاً.

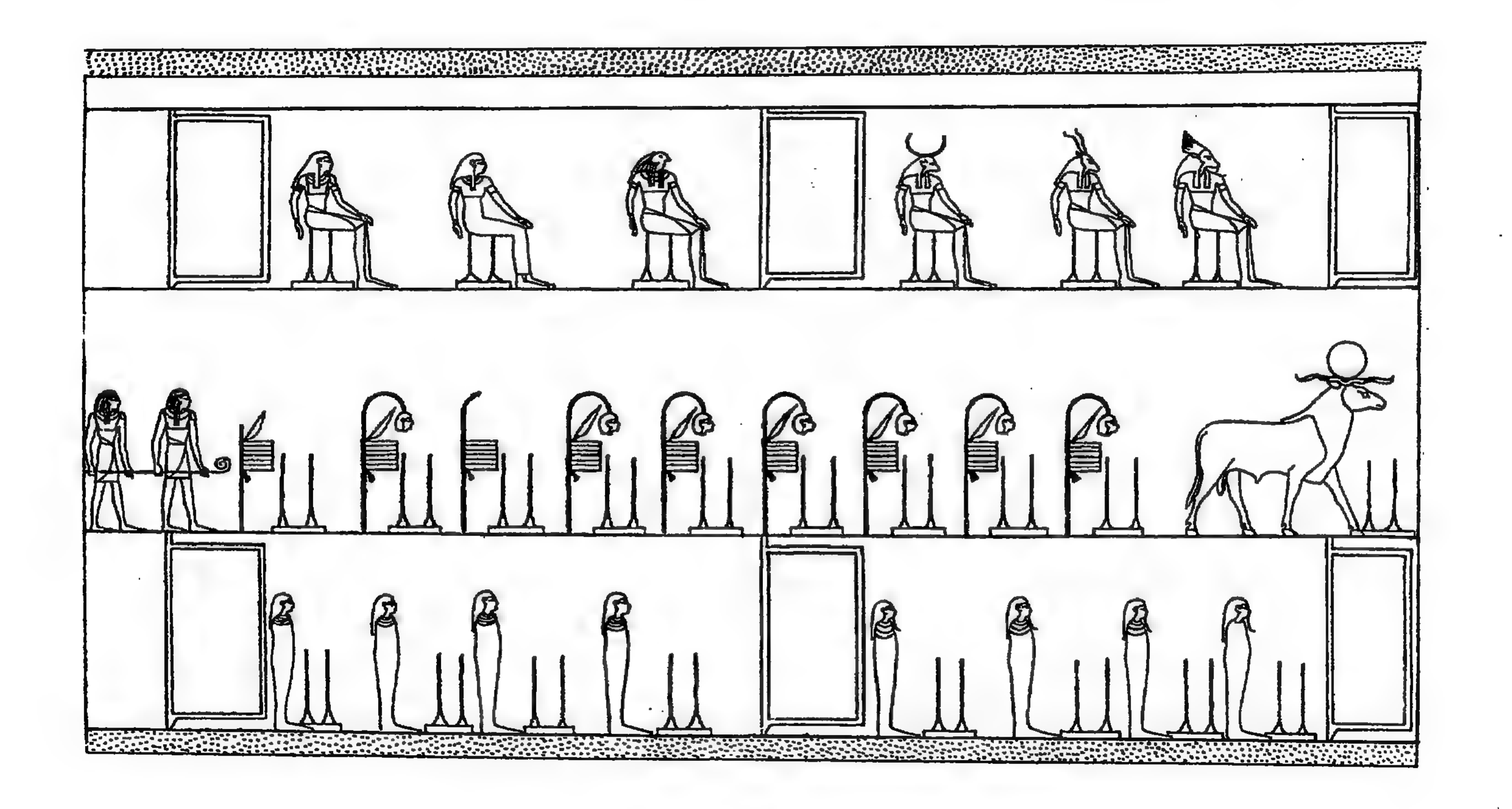
الساعة الثامنة من الليل

الساعة الثامنة والتى تسمى نبت أشاو . NEBT USHAU تأخذنا إلى قسم غاية من الأهمية فى التوات .. اسم بوابته هو عها ـ عن ـ ارت ـ نيف Ahà-en-urt-nef. اسم المدينة تبات ـ نيترو ـ اس Tebat-neteru-s. ورع يمر فى هذا الجزء ـ تحت حماية ميهين ـ راكبا قاربه الذى يجره آلهته بناء على توجيهات هذا الثعبان القدير. وهو يرى الآلهة المتنوعة فى مراكزها وهؤلاء «الذين فوق رمالهم» ويخاطبهم فيخرجون من مآويهم السرية عندما يمر عليهم فيفتحون الأبواب .. فى هذه الساعة نجد أن الآلهة والأرواح التى حنطت ودفنت بطقوس سليمة هى فقط التى يتم العثور عليها ورغم أنها موتى إلا أنها تقوم سريعاً وتبعث للحياة مرة أخرى عندما يتكلم رع الذى يحضها على أن تنتبه لكل أعدائه المتواجدين فى هذه البقعة.

فى النسخة المصورة لهذه الساعة نجد أن القارب الإلهى مربوطاً ومجروراً كالعادة ولكن أمامه تسع علامات ضخمة على هيئة كلمة *shesu* or *shemsu* شيسو أو شمسو الهيروغليفية بمعنى تابع أو خادم والتى يتدلى من سبعة منها رؤوس آدمية تظهر أننا ـ عملياً ـ نتعامل مع كائنات من أتباع ايزوريس.

أمام كل واحدة من تلك العلامات توجد الكلمة الهيروغليفية أى «كتان» هذه الأشياء التسعة الجديرة بالاهتمام تمثل كائنات تم تحنيطها بطريقة وصفها من قبل حورس وزودت بشكل مناسب بشرائط جنائزية .. ولقد عُرفوا ككائنات تتركز حياتها بشكل كامل فى رؤوسها وعندما يناديها «رع» بأسمائها فإنها تقبض فوراً على أعدائه حيثما كانت وتقطع رؤوسها بسكاكينها.

وقبل هذه توجد أربعة نماذج للإله تا ـ زنين Ta-thenen. الذى رسم على هيئة كبش وصنفت فى نموذج واحد ونموذج ونموذج ثلاثة ونموذج أربعة . على كل جانب من جانبى الطريق الذى يسلكه رع فى رحلته توجد خمس مناطق:



الساعة الثامنة من الليل

باب المنطقة الأولى سشيتا يسمى تس ـــ نيب ـــ تيرير ويغلق برسوم لتم وخيبرا وشو وعندما يتكلم رع معها فإنها تجيبه بصوت يشبه ازيز النحلة .

باب المنطقة الثانية توات يسمى تس ـــ عهع ـــ تا ـــ زنين Tes-àhà-Ta-thenen وتغلقه صور تفنوت وسب ونوت وعندما يكلمها رع فهى تجيبه بصوت يحاكى بكاء النساء

باب المنطقة الثالثة اس ـــ نيترو يسمى تس ـــ خيم ـــ بايو TES-KHEM-BAIU وتغلقه صور ايزوريس وايزيس وحورس وعندما يخاطبها رع فإنها تجيبه بصوت يشبه انين الرجال .

باب المنطقة الرابعة أقبى يسمى أم ـــ زينهين ـــ نيترو em-thehen-neteru, ويغلق بواسطة صور كا ـــ امنتت با ـــ نيترو وريم نيترو وعندما يخاطبها رع فإنها تجيبه بصوت يشبه نحيب الثيران والرجال .

باب المنطقة الخامسة نبت ـــ سيمو ـــ نيفو Nebt-semu-nefu, يسمى تس ـــ سام ـــ كيكيو ويغلق بواسطة صور خاترى Khatri, وأففى Affi وأرعنبف Arànbfi, وعندما يخاطبها رع فإنها تجيبه بصوت ضارع من الرعب .

هذه المناطق الخمس تغلق بواسطة باب يسمى تيس ـــ خابيت ـــ تواتيو Tes-khaibit-tuatiu, باب المنطقة السادسة تيس ـــ ارمن ـــ تا Tes-ermen-ta, يغلق بواسطة بعض الكائنات الآلهية لم تحدد صفاتها بعد بوضوح عندما يخاطبها رع تجيبه بصوت يشبه مواء القطط .

باب المنطقة السابعة حيتميمت ــ خيميو

يسمى تيس ــ رع ــ خيفتي ــ اف ويغلقه نت وتا

وسوبيك حرا عندما يخاطبها رع فإنها تجيبه بصوت يشبه ضجيج الأحياء .

باب المنطقة الثامنة هاب ــ سيمو ــ اس

Hap-semu-s. يسمى تيس ــ سيخم ــ ارو. ويغلق بواسطة أربعة آلهة هيسيت وسينكت وتيبات وتمتت عندما يخاطبها رع فإنها تجيبه بصوت يشبه صيحات الحرب فى معركة نو.

باب المنطقة التاسعة سيحرت ــ بايو ــ اس

Sehert-baiu-s. يسمى تيس ــ سبت ــ نستو

Tes-sept-nestu. ويغلقه أربعة آلهة كيكو ومنهى وتشرخو وخيبس ــ تا . عندما يخاطبها رع فإنها تجيبه بصوت يشبه صياح الصقر الإله حورس .

باب المنطقة العاشرة Aàt-setekau, أعت ستيكاو

يسمى تسى خو ومغلق بواسطة أربعة آلهة على هيئة حيات والتى تستقر على ; عندما يخاطبها رع فإنها تجيبه بصوت يشبه زقزقة وغناء الطيور المائية فوق البحيرة .

والخمس مناطق الأخيرة مغلقة بباب يسمى تس ــ ام ــ ميت ــ أم ــ شيتا

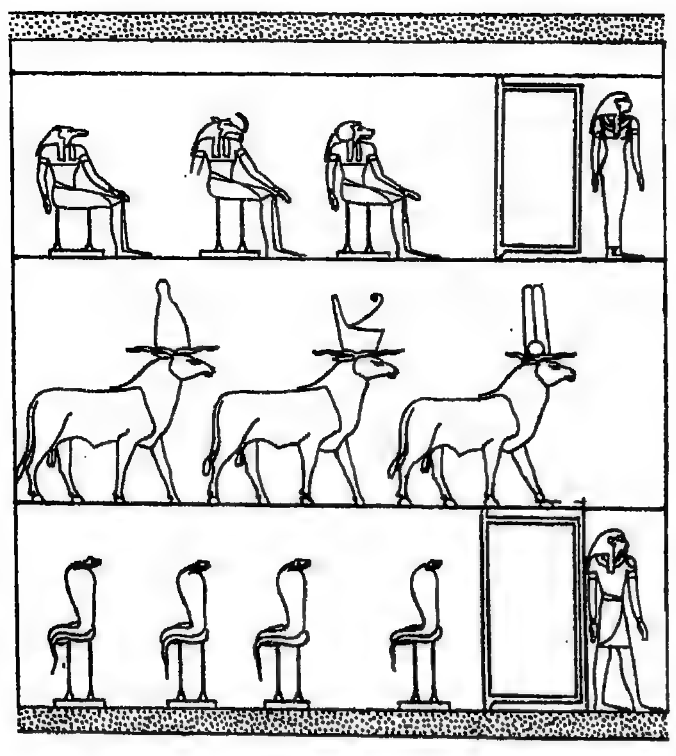
Tes-am-mit-em-sheta-f,

الساعة التاسعة التى تسمى تيواتيت ــ ماكيت ــ نيب ــ اس

TUATET-MAKET-NEB-S تقودنا إلى قطر يسمى «المنطقة المختفية فى امنتيت» اسم المدينة بس ــ ارو

Bes-àru واسم البوابة سا ــ عقب

Sa-Akeb عندما يصل الإله العظيم إلى هذه المنطقة فهو يخاطب من قاربه الآلهة الموجودة هناك وبحارة سفينته راضية عن هذه المدينة .



الساعة الثامنة من الليل

« الرجل الذى سوف يرسم مشاهد هذه الساعة والذى سيعرف أسماء الآلهة ومواقعها سوف يحظى بمكان فى امنتيت وسوف يقف فى حضرة رب الأعمال وسيتمتع بالقدرة على تنفيذ أقواله وحضوره ومضيه مع الآلهة المساعدة فى يوم الحساب الذى يحضره بير ــ عا PER-AA (فرعون) » .

النسخة المرسومة لهذه الساعة تظهر لنا قارب الإله مسافراً كما سبق أمامه اثنا عشر آلهاً تجدف وكل منها معها مجداف من بينها خينو , Khenu, اخيم سك ــ اف Akhem-sek-f, اخيم خيميس ــ اف Akhem-khemes-f, اخيم هيمى ــ اف, Akhem-hemi-f, اخيم ارت ــ اف, خينو نوت ــ اف, Khenu nnut-f, هابتى ــ تا ــ اف

الساعة التاسعة من الليل

نيترو ـ نيتر Hetep-uàa. حيتيب ـ ياع Hàpti-ta-f.

تيبى Tcha-Tuat. تشا ـ تواث Neter-neteru.

Tepi.

مهام هذه البحارة ليس فقط أن تجدف ولكن أن تقذف بواسطة مجاديفها الماء على الأرواح الواقفة على شاطىء النهر حيث يبحر الإله. وتقود روح رع إلى المكان الذى سيتجدد فيه القرص. أمام هذه البحارة يستقر على ثلاثة سلال ثلاثة آلهة تجذل العطاء وهى موتى خنتى تواث ، Muti-khenti-Tuat, نستى خنتى تواث ونبت أو خنتى تواث .

وعلى اليمين يمر قارب رع على اثنى عشر إلها كل منها يجلس على واثنتى عشرة ربة تعيد تحية الرب وسماعها لصوته الحياة لها هذه الربات التى واجبها أن تنطق بكلمات القدرة حيثما تكون لتحيط الروح المستورة وبذلك تتسبب فى حياة وقوة وبعث ايزوريس اسماؤها هى تيبا ـ اريتى ـ منخيت ـ هيبز ـ نيبتى ـ استى ـ نيتر ـ استى بوت ـ هيتميت حو ـ نيب بات ـ تيمتو ـ منى آ ـ بيريت ـ سيخمت خو ـ نبت شات ـ نبت شفشت ـ عات عاتيت ـ نبت سيتو ـ هينت نت اس ـ نيت مات ـ تسرت انت ـ عات خو ـ سيخيت ميتو ـ ونيتريت خنت رع .

Nehâta,

, Teba, , Ariti, , Menkhet, , Ḥebs, , Nebti, , Àsti-neter, , Àsti-paut, , Ḥetemet-khu, , Neb-pāt, , Ṭemṭu, , Men-ā, , Perit, , Shemat-khu, , Nebt-shāt, , Nebt-shef-shefet, , Āat-āaṭet, , Nebt-seṭau, , Ḥent-nut-s, , Nebt-

الساعة التاسعة من الليل

mȧt, [hieroglyphs], Tesert-ȧnt, [hieroglyphs], Ȧat-khu, [hieroglyphs] [hieroglyphs], Sekhet-meṭu, [hieroglyphs], Netert-en-khentet-Rā, [hieroglyphs].

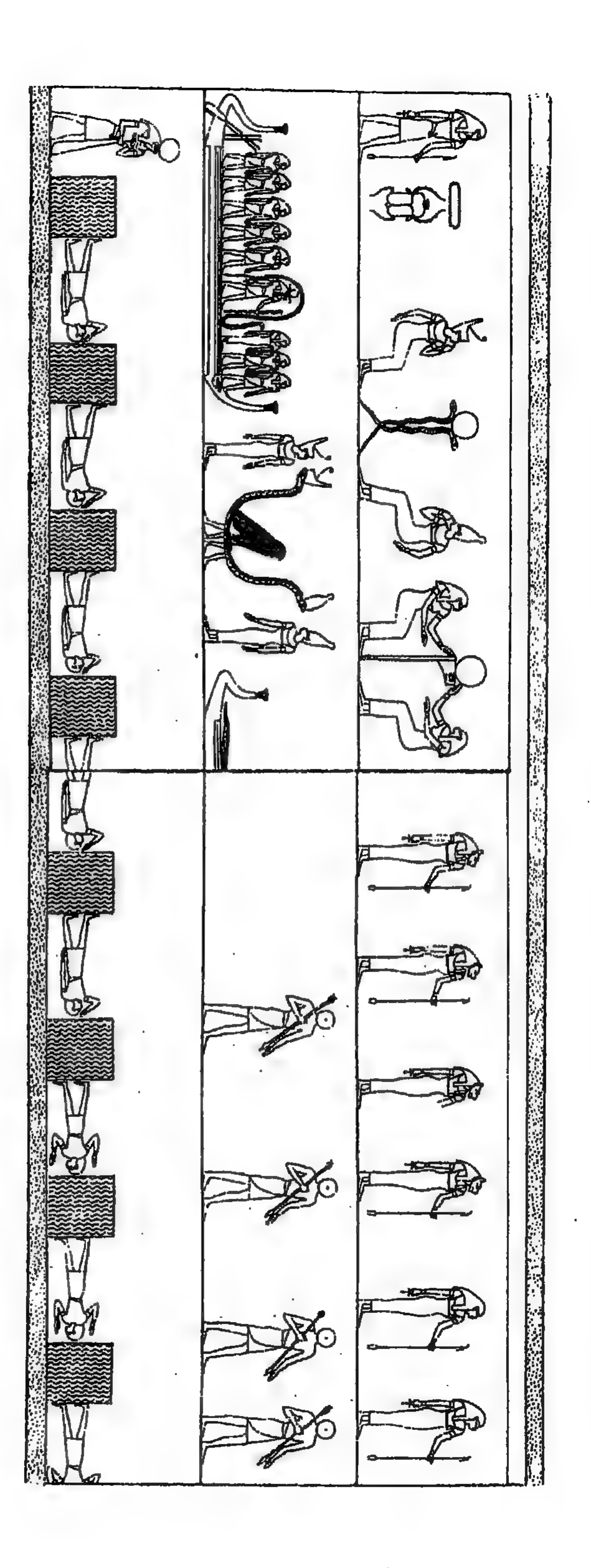
فى اليسار يوجد اثنا عشر ثعباناً كل منها يستقر على [hieroglyph] ويرسل من فه ناراً. ويقال أنها تبرد بواسطة النار التى تخرج من أفواهها ــ للإله ــ النار التى فى التوات وهى عندما يمر فى طريقه تأكل قبل أن يرحل النار التى صبتها أمامه والتى ــ بالطبع ــ وظيفتها اضاءة مساره.

قبل هذه الثعابين نجد آلهة الزراعة والحصاد التسعة التى يقودها ويصدر لها التعليمات إله محنط يسمى حر ــ شى ــ تواتى [hieroglyphs] Her-she-tuati, الآلهة التسعة هى «عمال الحقل» سيختيو [hieroglyphs] التى تقوم بكل الأعمال المتصلة بالفلاحة كحرث ورى الحقول.

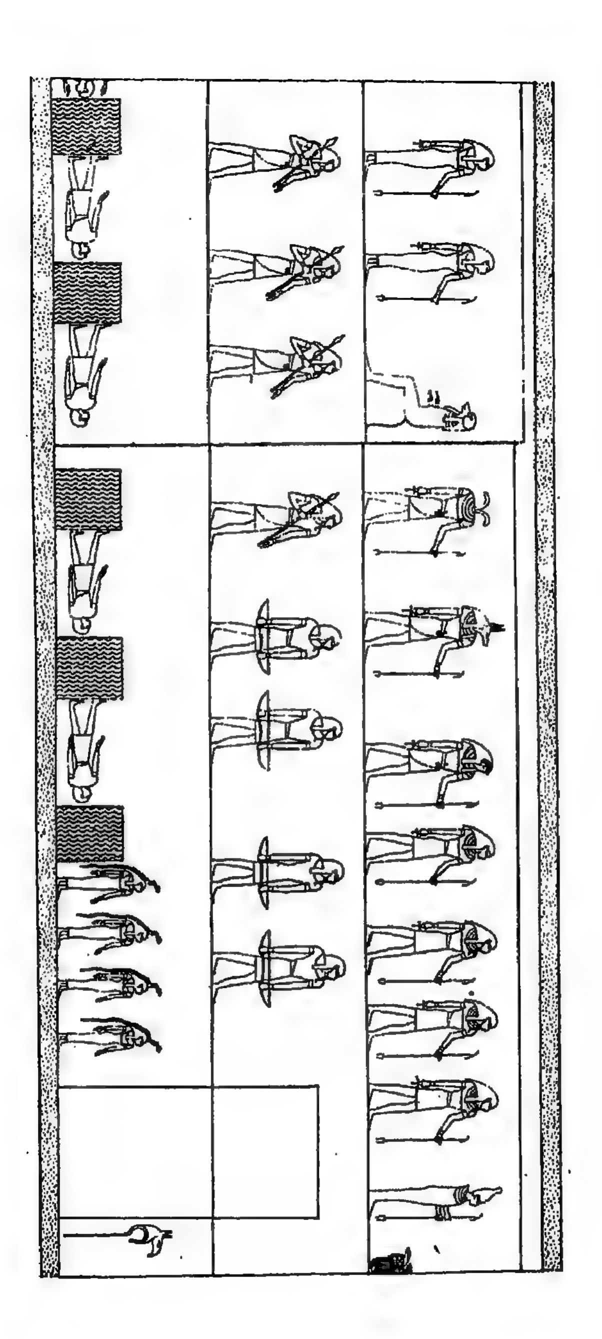
الساعة العاشرة والتى تسمى تنتيت ــ يوهيسكت ــ خات ــ آب [hieroglyphs] [1] TENTIT-UHESQET-KHAT-AB [hieroglyphs]

أوصلت رع وقاربه إلى مدينة تدعى متشيت ــ كات ــ يوتيبو Metchet- qat- utebu, [hieroglyphs] اسم بوابتها آه ــ خيبرو ــ ميس [hieroglyphs] Aa-kheperu-mes-aru, [hieroglyphs] وقارب الشمس يبحر كالمعتاد من قبل ولكن رع يمسك فى يده ثعبان كما لو كان يمسك بعكاز.

أمام القارب مباشرة نجد الثعبان ذا الرأسين زيس ــ حراو [hieroglyphs] Thes-hrȧu برأس فى كل طرف من طرفى جسده على أحداهما التاج الأبيض وعلى الأخرى التاج الأحمر وله زوجان من السيقان الآدمية زوج منها يتجه لليمين والزوج الآخر يتجه لليسار جسده منحن على هيئة زوج من القرون وعلى قاع الانحناء يقف خينت ــ حرو [hieroglyphs] Khent-Heru, على هيئة صقر أسود. على يسار الثعبان نجد ربة الشمال نيز بقوسيها [hieroglyphs], وعلى اليمين الربة هيريت أرمن



الساعة العاشرة من الليل



باقي الساعة العاشرة من الليل

بعد ذلك يأتي قارب يحتوى على الثعبان عنخ تا ANKH-TA Hert-ermen, وأمامه ثلاثة مجاميع كل مجموعة تحتوى على أربعة آلهة.

الآله فى المجموعة الأولى لكل منها رأس على هيئة قرص الشمس ومسلحة بأسهم وأسمائها تبزرا . Tepthera, شيسرا . Shesera, تيماو . Temau, اتو . Utu,

آلهة المجموعة الثانية يحمل كل منها رمحاً وأسماؤها سيتو Setu، راو , Ráu, خيسفو Kheslu, نيكينو .Nekenu,

آلهة المجموعة الثالثة يحمل كل منها قوساً واسماؤها بسزى Pesthi, شيمرزى Shemerthi, زيسو Thesu, خع ـعـه . Khà-à,

كل هذه الآلهة تصحب رع فى رحلته تجاه الشرق وهى تذبح كل أعدائه التى تعيش فى الظلام وتصب نقمتها على الثعبان نيها ــحرا خصيصاً. وهى ترافق الإله حتى آخر حدود الساعة لحمايته وتشكل جزءاً من موكبه فى الجزء الشرقى من السماء.

اسم المنطقة التى يسافر فيها رع فى هذه الساعة أكيرت Akert, وعندما يمر قارب رع على الآلهة فإنه يرى «الجعران الحى» يولد فى حضور الإله بى ــعنخى P-ànkhi, ويرى كيف يدفع منطقته أمامه

بعد ذلك نرى الثعبانين منينوى Menenui, يقفان على ذيليهما ويرفعان معاً فوق رقبتيهما المنحنيتين قرص الشمس وحولهما تجلسان ممثلتين للجنوب والشمال وبعدهما نجد الربتين نيزيز Netheth, وكينات Kenat, تجلسان متقابلتين احداهما تسند بلطة والأخرى تسند قرص شمس مستقر فوقها الربتان اللتان حول الثعبان واللتان حول الفأس الذى يدعى سيفتيت

SEFTIT تمثلان الشمال والجنوب بمعنى أن الربات المشار إليها هى أرواح الثعبانين والفأس التى تظهر لمشاهدة رب الشمس ثم تعود إلى أجسادها المادية بمجرد مضيه.

بعد ذلك يرى رع ثمانى ربات تتقدم فى اتجاه إله برأس كلب والذى يمثل لها «عين حورس» ومهمتها هكذا أن تتأكد أنها ــأى العينــ فى أفضل حال وأن تعتنى بها وتحميها بحيث تضيء يومياً.

بعد ذلك يأتى هنا ثمانية آلهة اسماؤها:

ارمنيو Ermenui, نب عكيت Neb-àqet,

تواخوا Tua-khu,

حر شى تايو Her-she-taiu, سم حيرو Sem-Heru,

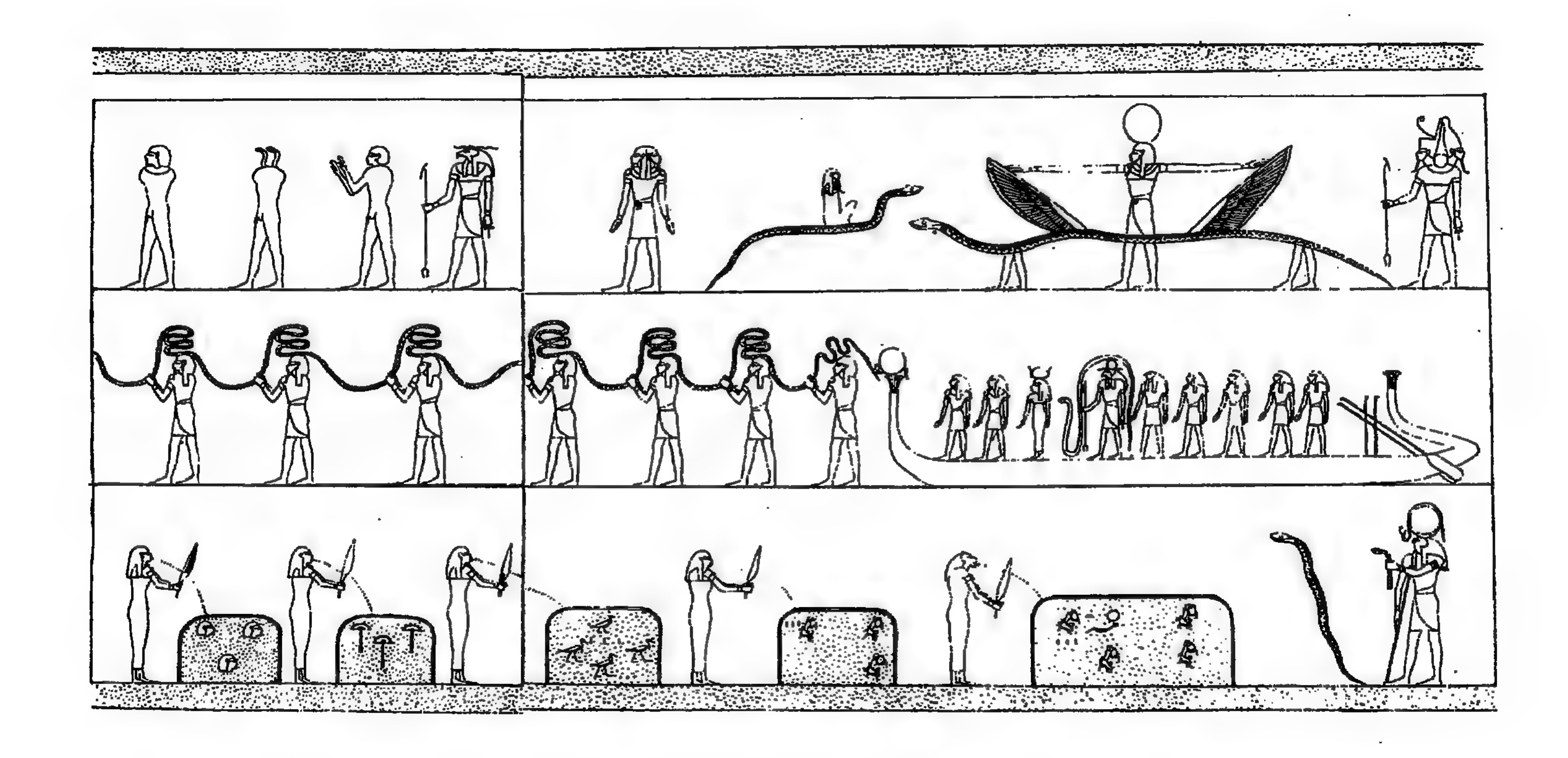
توا حيرو Tua-Heru

خنتو است اف Khenti-ast-f,

خنتى منت Khenti-ment,

مهام الآلهة السابق ذكرها والتى تعيش عن طريق أنفاس الإله العظيم هو تدمير أجساد وتشتيت أكفان أعداء رع.

على يسار الرحلة يمر رع فى هذه الساعة على حورس واثنى عشر كائنا تغوص وتسبح فى خزانات مياه وتقوم بعمل حركات بايديها. هذه يقال أنها تضرب الماء فى محاولة منها لاسترداد أنفاسها ورع يسمح لها بأن تملأ أنفسها بماء النيل السماوى ويعدها بأن لا تفسد أعضاءها ولا تتحلل أجسادها وأصدر مرسوماً بأن تصبح المتحكمة فى أذرعها وفى مائها لأنها من سكان «نو» وستعيش أرواحها. بعد ذلك نجد أربع ربات كل منها تعلق على ظهرها ثعباناً رأسه فوق رأسها ومعها مقياس يعلوه رأس ست. الإله حارس الساعة العاشرة وعندما يكون رع على



الساعة الحادية عشرة من الليل

باقى الساعة الحادية عشرة من الليل

وشك الخروج منها إلى الجزء الشرقى من السماء كان يعتقد أن ست يوقظ نفسه ويسافر معه. أما الربات الأربع «التى كانت تعيش بواسطة رؤوسها» فقد كانت تضىء مسار رع.

الساعة الحادية عشرة التى تسمى سبويت ــنبت ــيا ــخيسفيت ــسيباو ــام ــبرت ــاف. SEBUIT-NEBT-UAA-KHESFET-SEBAU-EM-PERT-F.

تصل بنا إلى مدينة تسمى رى ــكيريرت ــابت ــخات Re-qerert-apt-khat والتى بوابتها تحمل اسم سيخين ــتواتى Sekhen-tuatiu. هدف النصوص والرسوم التوضيحية المصاحبة لها كان مساعدة أرواح الموتى كى تصبح قادرة على مخالطة الآلهة وامدادها بما هو ضرورى لاستخدامها سواء على الأرض أو فى السماء.

رع يقف كالمعتاد فى قاربه ولكنه بدّل الثعبان الذى كان يمسكه فى يده كعكاز بصولجان عادى وعلى مقدمة القارب نجد قرص شمس يلتف حوله ثعبان .. أسم هذا القرص بستو أو بستت or والذى ــربماــ يكون له صلة ما بالنجم المعروف الذى يرتبط شروقه بمواسم معينة من العام الشمسى. مهمة هذا القرص هى هداية قارب الإله العظيم على طول مسارات هذا الجزء من التوات حتى نهاية الساعة الحادية عشرة حين ينجلى الظلام.

النصوص تسمى الظلام فى هذه المرحلة كيكيو كيسكيسيو Keku keskesu أى عكس كيكيو ساموى -S.ووو -amui أو الظلام الكثيف الصلب الذى يملأ الجزء الأكبر من التوات.

يسبق قارب رع اثنا عشر الاها تحمل فوق رؤوسها الثعبان ميهين إلى الجزء الشرقى من السماء. اسماؤها : فا ــ ارمنيو ــ ازبى ــ نيترو ــ شيبو ــ ريتا ــ امو ــ اما ــ شيتو ــ سيخنو ــ سمسم وميهنى.

Fa, Ermenu, Athpi, Neṭru, Shepu, Reṭā, Amu, Āma, Sheṭu, Sekhenu, Semsem, and Mehni.

ويسبقها : ١) ثعبان على ظهره تاج الشمال بداخله رأس بشرى

٢) ثعبان يخرج من ظهره التاج الأبيض وبرأسين بشريين ينبثقان من جانبيه.

أولهما يسمى سم ــ شيت SEM-SHET والآخر سم نبت ــ هت SEM-NEBT-HET والرأسان البشريان اللذان فوق التاج الأبيض يظهران فقط عندما يمر رع ويختفيان عندما يرحل.

بعد ذلك لدينا رسومات للأشكال الأربعة للربة نيز يرتدى اثنان منها التاج الأبيض والاخريان التاج الأحمر ويسميان بنيز الخصّبة , وذلك إشارة إلى الاعتقاد السائد بأن هذه الربة أوجدت نفسها. نيز ذات التاج الأحمر , ونيز ذات التاج الأبيض , ونيز الطفلة ; وهى الربات التى جاءت إلى الوجود بمجرد سماعها لصوت رع ومهمتها حراسة بوابة سايس SAIS , «غير المعروفة وغير المــرئــيــة المختــفــيــة» هذه المقاطعة من التوات التى يرحل خلالها الإله ليظهر بعد ذلك فى جبل شروق الشمس تحتوى على كائنات غريبة ويقال أنها «تزدرد دائماً الأشكال التى هناك أثناء وجود الإله الذى يعرف , كل مافى هذه المدينة. وبعد ذلك تمنح الميلاد لهؤلاء الذين سيأتون إلى الحياة على هذه الأرض».

بين هذه نجد الإله الذى له رأس على هيئة قرص شمس ويخرج من كتفيه رأسان بشريان أحدهما يرتدى ,𓋑 والآخر يرتدى .𓋔 عبر ــ حرا ــ نب ــ تشيتا Aper-hra-neb-tchetta, ويقف مواجهاً له إله برأسين بدون تيجان والذى يسمى تيبوى .Tepui, وفى الفراغ الذى بينهما نرى ثعباناً مزوداً بزوج من الأجنحة وأربع سيقان وأقدام بشرية يقف فى مواجهة الثعبان شيتيو , الذى يعتلى ظهره إله.. ونلاحظ أن رأسى الثعبانين موجدان بين عدد من النجوم.

بجوار الثعبان المجنح والذى يسمى تشيت ــ اس , Tchet-s, يقف إله يسمى بيترا , Petra, يفرد ذراعيه إلى أقصى حد بحيث يفصل جناحي الثعبان عن بعضهما وعلى رأسه يوجد قرص شمس وتبرز رقبته من بين ياتشيت مزدوجة . ومن النصوص الموضحة نعرف أن هذا الإله هو «الذى يساند , رع» وأنه لايغادر مكانه فى التوات ابداً. أما الإله الذى يساعد الثعبان المجنح فهو تيمو TEMU الذى يخرج من ظهر الثعبان عندما يخاطبه رع ولكن بمجرد أن يتوقف الحديث يختفى داخل الثعبان.. أما الثعبان الآخر فهو يمثل مجموعة نجوم تسمى شيتو SHETU بمعنى سلحفاة.. والذى تظهر روحه فى شكل بشرى على ظهره بمجرد أن يخاطبه رع ولكن عندما يتوقف عن الكلام يختفى مثل تيمو داخل جسده.. مهمة شيتو «أن تخرج منه الحياة من أجل رع كل يوم».

أمام هذه يسير خيمنو وعشرة آلهة خمسة منها بدون أذرع.. وأحدهما تبرز من رقبته رأسان لثعبانين.. ونحن نعرف من النص المفسر أن أرواح هذه الآلهة قد عاشت على الضوء المختفى لرع وأن أنفاسه تمنحها الحياة وأنها تقتات على المؤن المخزونة بقاربه.. واجب هذه الآلهة الأساسى هو أن تكون ضمن حاشية الإله وتلازمه فى المنطقة.

بالإضافة لهذه نجد لدينا فى هذه الساعة أربع ربات كل منها تجلس على جسدى ثعبانين منحنيين لأعلى بطريقة تجعل منهما يمثلان مقعداً للربة وأمام ركبتيها

ينتصب رأسا الثعبانين وهى تجلس فوق ظهريهما وتضع قدميها على رقبتيهما .. كل ربة ترفع يدها اليمنى كما لو كانت تخفى وجهها وتمسك بيدها اليسرى جسد أحد الثعبانين .

وقد يكون عدد الثعابين أربعة فقط بحيث يصبح لكل واحد منها رأسان . الربات اسماؤها نبت ــ انخيو ونبت خو ونيرت وهنت (؟) ــ نيترو . Nebt-ànkhiu, Nebt-khu, Nert, Hent(?)-Neteru, والشرح الذى فى النص يقول عنها أن اذرعها على الأرض وأقدامها فى الظلام الكثيف وأنها تبكى بشدة وتهتف للإله طالما كان يتكلم معها وهى لا تترك أبداً أماكنها .. وأرواحها تعيش على أصوات الثعابين التى تصل لها من أقدامها يومياً وعندما تغادر الأشباح الرياح ــ التى ترتفع فى التوات ــ فإنها تتحول عن وجوهها عن طريق أيديها المرفوعة . من هذه الجملة يبدو أن هناك إشارة للرياح الحادة النقية التى تصاحب الفجر والتى يعرفها جيداً كل المسافرين فى الصحراء والتى عادة ما تهب قبل الشروق بساعة .

فى المنطقة التى على الجانب الأيسر نرى كيف يتم معاقبة أعداء رع ونجد بها بلد النار المتوهجة .. فى أحد النهايات يقف حورس فوق رأسه قرصه المحاط بالحيات ممسكاً بيده اليسرى سلاحاً قديماً (بومرنج) فى أحد نهايتيه رأس ثعبان .. ويفترض من الرسم أن هذا السلاح هو ثعبان حقيقى وأنه عندما يقذف به أحد الأعداء فسوف يلتصق بجسده على طريقة الحيات المهلكة .. أما اليد اليمنى لحورس فتستقر على العكاز الذى يتوكأ عليه الإله دائماً .

أمام حورس تشب حية عملاقة تسمى « ست ملايين السنين » SET والتى واجبها تدمير أى عدو لرع . بمعنى هؤلاء الموتى الذين يستطيعون الهرب من نار بلاد الساعة الحادية عشرة .

أمام هذه توجد خمسة حجرات أو حفرات فى السماء هائلة الحجم ممتلئة بالمادة الحمراء الحارقة للنار المتوهجة والتى تستخدم لإفناء أعداء « رع » الحجرة أو الحفرة

الأولى هاتيت , تمتلىء بأجساد الشياطين تحطم رؤوسها بفئوس , وتتحفظ عليها الربة ذات رأس الأسد هيرت كيتيتاس , بكلتا يديها. فتقف وتطلق النار من فمها بجوارها وعندما تؤدى النار هدفها بتلك الكائنات البائسة فهى تمزقها بسكين ضخم تمسكه. والحجرة أو الحفرة الثانية تمتلىء أيضاً بأجساد الشياطين وتتحفظ عليها سيدة تسمى هيرت هانتيو , Hert-Hàntuà, التى تبصق ناراً فوقها وهى مسلحة بسكين هائل.

والحجرة أو الحفرة الثالثة تمتلىء بأرواح الشياطين , وتتحفظ عليها سيدة تسمى هيرت نيكنيت Hert-Nekenit, والتى تبصق عليها ناراً ومسلحة كالسابقة.

الحجرتان الرابعة والخامسة كانتا تحتويان على أشباح ورؤوس الملعونين وتتحفظ عليها سيدتان مماثلتان للسابقتين أحدهما تسمى هيرت ــ نمات ــ ست Hert-Nemmat-set, والأخرى هيرت ــ سيفو ــ اس , Hert-sefu-s, .. فإذا تجاوزنا هذه الحجرات فسنصل إلى «وادى المتسرعين المكتئبين» , والذى يمثل بحجر ضخم حيث يوجد به أربعة رجال يقفون فوق رؤوسهم ; يلى ذلك أربع ربات للصحراء على رأس كل منها رمز الصحراء وأسماؤها :

بيسى , Pesi, ريخيت ; Rekhit, حير ــ شع ــ أس , Her-shà-s, سايت . Sait, وكل اسم من اسمائها له معنى قريب من «نارى» ويشير إلى الربة التى لها نفس الملامح الخاصة بسيدة الصحارى الملتهبة.

فى النهاية بعد ذلك يأتى الإله حير ــ ات ــ اف Her-ut-f, والذى يرتبط بشكل أو آخر بتحنيط الموتى.

النصوص الشارحة المصاحبة لهذه الرسوم تجعل الإله العظيم « رع » يأمر « والده ايزوريس أن يقطع أجساد أعدائه إلى قطع كذلك الموتى الذين كانوا متسرعين مكتئبين » ثم بعد ذلك يخاطب الكائنات المعادية أنفسها ويقول لها أنه عندما يبتليها والده ايزوريس بالفناء ويقطع نفوسها وأرواحها إلى قطع ويشطر أشباحها إلى نصفين ويقطع رؤوسها بطريقة معينة تجعل وجودها فى المستقبل أمراً مستحيلاً فستوضع فى النار الحامية حيث لا مهرب لها منها ولا خلاص.

وست الثعبان الخالد سيطلق ناره عليها وسيدات الاتون والحجرات الملتهبة والسلخانات والسيوف سيطلقن عليها نيرانهن الخارجة من أفواههن وسيمزقنها إلى قطع بحيث أن الكائنات التسعة لن ترى أبداً هؤلاء الذين يعيشون على الأرض ثانياً ».

ذبح الأعداء يتم بأوامر من حورس إله كل ما فى التوات. ومن الغريب أن يقال أن مجمعات الآلهة « تعيش على أصوات ذبح الأعداء وعلى نواح وبكاء الأرواح والأشباح التى توضع فى حفر النار المتوهجة ».

مع الساعة الثانية عشرة ماع ـــ نفرت ـــ رع MAA-NEFRRT-RA. نصل برع إلى المنطقة التى على تخوم الظلام الدامس وإلى مدينة تسمى خيبرت ـــ كيكيو ـــ خاعات ـــ مست Khepert-kekui-khâât-mest, والتى تسمى بوابتها زن نيترو Then-neteru.

فى هذه المنطقة يولد الإله على هيئة خيبرا ونــو وحيحو Hehu, ونــت وحيحوت Hehut, وكل من يصل إليها يولد من جديد ويخرج من التوات ويرتفع على جسد نوت ويستقر فى قارب الماعنتى MATIT

وكما حدث من قبل يبحر « رع » فى قاربه ولكن مع فارق أن قرص الشمس الذى كان فى مقدمة القارب خلال الساعة الحادية عشرة يختفى الآن ويحل مكانه جعران خيبرا الذى يبشر بشروق الشمس.

ويمسك بحبل القارب اثنتا عشرة امرأة فى المقدمة يليهن اثنا عشر إلها يسحبونه ــ ولكن ــ ليس فوق النهر أو على ظهر ثعبان أو ثعابين وإنما داخل ثعبان .. هذا الثعبان يسمى كا ــ ان ــ عنخ نيترو Ka-en-Ankh-neteru, بمعنى «الحياة للآلهة» هذه التى تسحب القارب تسمى امخيو Amkhiu, أى «الخدم الأوفياء».

والقارب بمن فيه ومن يجره سواء فى ذلك رع أو أرواح البررة ــ الذين كان من حظهم أن يجدوا مكاناً فيه لأنهم كانوا عبدته المخلصين على الأرض ــ يخترقون الثعبان من ذيله حيث الظلام الدامس ثم يمرون خلال جسده فيتبدى ضوء النهار القادم من فمه تدريجياً.

والإله يدخل الثعبان كإله شيخ ميت ويخرج منه حياً صغيراً فيظهر فى السماء على هيئة خيبرا كذلك خدمه الأوفياء وعابدوه البررة الذين كافأهم على ولائهم بتجديد شبابهم وبميلاد جديد على الأرض.

ومن النص لا يبدو واضحاً ماذا سيفعلون هؤلاء على الأرض فالمؤكد أنه مادام تجديد حياة سيدهم يجب أن يتم يومياً فبالتالى ستكون حياتهم على الأرض قصيرة ولن تزيد عن يوم.. وإن كان يبدو إذا احتكمنا إلى بعض العبارات أن من المشكوك فيه أن تكون وجهتهم هى الأرض من أساسه وأن الأكثر قبولاً أن تتركز متعتهم فى حرية تجولهم فى السماء وفق رغبتهم وفى اطلالهم من خلال أماكن معينة على مشاهد حياتهم القديمة.. أكثر من القيام بزيارات خاطفة للأرض يومياً.

عندما يمر قارب رع داخل جسد الثعبان فإن الاثنتى عشرة أمرأة أو ربة التى ذكرت من قبل تأخذ الحبل من الآلهة وتمددنه على طول مسارات السماء.

والإله خلال ساعات النهار الاثنتى عشرة يصحبه على يمينه:

١) اثنتا عشرة ربة كل منها تحمل ثعباناً فوق رأسها وكتفيها.

٢) اثنا عشر إلها أو رجلاً يرفعون أيديهم لأعلى فى وضع العبادة وكل منها سواء فى ذلك الآلهة أو الربات مكتوب على جبهته أو جبهتها اسمه . أما ثعابين الربات فيقال أنه كان ينبعث من أفواهها اللهب لتبعد أبيب عن مسارها .

وهكذا تسافر الربات مع الإله حتى يشرق على أرضنا ثم تعود بعد ذلك إلى أماكنها . أما الآلهة الاثنا عشر فوظيفتها التسبيح « لرع » .

على الجانب الأيسر من القارب نجد الآلهة : « نو , ونوت , وحيحو , وحيحيت ; هذه الآلهة تكون « فى أجسادها » وتذهب إلى رع فى السماء لتستقبل هذا الإله العظيم عندما يظهر لها فى الجزء الشرقى من السماء يومياً » وهى تعيش فى « عرريت » الخاص بكل منها بمعنى « اتساع الأفق » ولكن أشكالها , فى هذه الساعة تكون على الهيئة التى هى عليها فى التوات .

بعد ذلك نجد لدينا إلهين برأسين بشريين والها برأس طائر يسمى نيهى Nehui, والها برأس طائرين يسمى « نى » Ni, والثعبان نيسميخيف , Nesmekhef, وأربعة آلهة لها رؤوس بشرية كل هذه تحمل مجاديف على أكتافها اليمنى .

وظيفة الآلهة هو ايقاظ , قرص الشمس يومياً ولكن الثعبان نيسمخيف كانت مهمته ذبح أعداء « رع » . وهى تسافر مع رع وتستقبل أرواحها , فى هذه المنطقة .

قبل هذه توجد عشرة آلهة ترفع أيديها عابدة والتى وصفت بهنتيو hentiu, أى « أشكال » ايزوريس حاكم الظلام الدامس وهى تقول له « يعيش حاكم الظلام الدامس يعيش الذى هو عظيم فى كل شىء ... يعيش أمير أمينتيت .. أوزيريس يامن تحكم كل ما فى امنتى تعيش .. تعيش .. يا حاكم التوات يامن تخرج ريح « رع » من فتحتى أنفك .. يامن تحتفظ بأنفاس خيبرا تعيش ويعيشان .

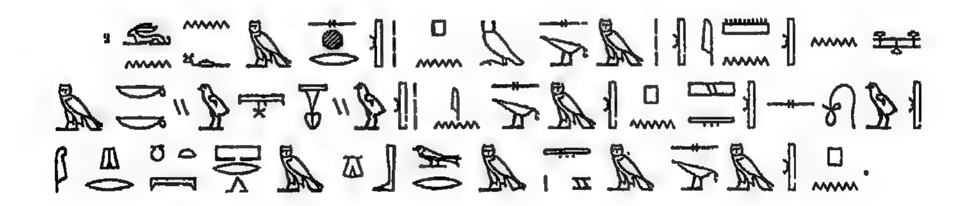
المجد لايزوريس رب كل من يعيش .. الآلهة التي معه هي تلك التي رافقته من البداية .. » الخ .

والإشارة هنا إلى موت ودفن ايزوريس عندما قام حورس بالتجهيزات التي كان من الواجب صنعها لإقامة شعائر الدفن العامة وعندما كان عليه أن يراعى كل التفاصيل المرتبطة بالتحنيط بحرص الابن المحب لأبيه .

فى الجزء المصور للساعة الثانية عشرة والذى نشره سيجنور لانزون SIGNOR LANZONE نجد أن الظلام الكثيف الذى فى نهاية التوات ممثل بحائط أسود شبه دائرى هو القسم الذى بين عالمنا والتوات .

وفى مواجهة هذا الحائط بالجزء الأدنى منه ترقد أشكال للمومياوات تمثل ايزوريس والتى سميت «سم ــايه ــاف» SEM-A-F بمعنى شكل أو صورة .

«AF» هذه هى جوهر الأدعية التى تعيش عليها آخر مجموعتين من الآلهة . والنص الشارح يقول بالنسبة للمومياوات «هذا الذى فى هذه الصورة فى الشكل المختفى لحورس الظلام الدامس هو الصورة السرية التى صنعها شو لتصبح تحت نوت والتى تتقدم من كيب ــار KEB- Ur على الأرض فى هذا الشكل» .



فى منتصف حائط الظلام الكثيف يوجد قرص أحمر ينبثق منه رأس بشرى يمثل رسم «شو» الذى يمد ساعديه بطول الحائط المقبى والذى جزء من جسده فى التوات والجزء والآخر فى عالمنا هذا . فوق رأس الإله مباشرة جعران خيبرا هنا يعزّم ، مما يجعله يجد لنفسه طريقاً إلى هذا العالم من خلال الفتحة التى صنعها «شو» بكتفيه ورأسه فى حائط الظلام الكثيف .

ومن خلال هذه الفتحة يمكن لقارب رع أيضاً أن يمر لهذا العالم ويكمل الإله رحلته بمساعدة الآلهة التى تسحب مركبته للأمام ــ وهو أمر لا شك فيه حيث نجد أن خط الجذب ممتد حتى حائط الظلام الكثيف ــ وهكذا فإن جسد الإله الميت «رع» حين يمر لعالمنا يبدأ حياة جديدة.. أما بالنسبة للرجال والنساء الذين على الأرض فإن هذه اللحظة معناها أن الليل قد انقضى وأن يوماً جديداً قد ولد.

والآن بعد أن تتبعنا مسار إله الشمس فى التوات كما تخيله هؤلاء الذين يعتقدون فى السيادة المطلقة لايزوريس وكما جاء أيضاً فى كتاب البوابات الذى عرضنا باختصار فصوله كما وردت فى كتاب «هذا الذى فى التوات» حيث احتفظوا لرع بهذه السيادة المطلقة. فإن من السهل رؤية أن هذين العملين يمثلان نظريتين متضادتين ومتعارضتين فيما يخص الحياة المستقبلية.

كذلك كانت الجنة أيضاً فهى لدى عابدى ايزوريس لها أصول أكثر مادية والحياة التى وعد بها الابرار كانت أهدافها وأغراضها لا تزيد عن أن تكون استمراراً للحياة التى يعيشها الرجال والنساء على الأرض. أما جنة كهنة رع فقد كان لها ملامح أكثر صفاء ولا يوجد بها فجاجة سكان حقول الاليسيان الخاصة بايزوريس.

من الحقائق التى قدمناها عن التوات فى هذا الفصل يجادل البعض بأن المصريين اعتقدوا فى وجود التطهير والعقاب الأزلى للأشرار فى نار جهنم وفى تناسخ الأرواح وأشياء أخرى كثيرة بحيث يستنتجون أنهم قد سبقوا الأمم الحديثة فى التوصل للمبادىء المختلفة التى تعتبر أفكاراً شائعة لنتاج العقل البشرى الحديث. ولكن الحقائق لا تدعم هذه الاعتقادات فنحن أينما وجهنا نظرنا فى مبادىء الحياة المستقبلية سواء فى ذلك كان نظام ايزوريس أو رع لا نجد مكاناً للتطهير. وفى المحاكمة التى تتم أمام ايزوريس نجد أن الابرار فقط هم الذين يسمح لهم بدخول حقول الاليسيان أما الأشرار فيدمرون فوراً.. بكلمات أخرى كان الفناء هو عقاب الخطيئة.

والمصريون اعتقدوا بشكل واسع فى تأثير الأعمال والسلوك الخيّر والمحب وكما وضح فى كل العصور كان هناك اهتمام حازم فيما يخص إقامة الشعائر والجنازات واحترام واجلال لكلمات القدرة والتعاويذ والكتابات المقدسة والرسومات التى طلبها منهم الكهنة وأساتذة اللاهوت فى كل الأزمنة.

وبالطبع كان هناك طبقة عريضة من الشعب الذين لم يستطيعوا تدبير تكاليف الدفن.. ومنهم من كان فقيراً لدرجة أنه لم يستطيع حتى شراء بعض التعاويذ الرخيصة.

هؤلاء.. لم تدنهم المحكمة لفقرهم.. بالعكس.. لقد هربوا من الفناء وانضموا لايزوريس فى أول أقسام التوات.. ولكنهم كانوا مضطرين للبقاء حيث هم لجهلهم بكلمات القدرة التى ستساعدهم على اكمال الرحلة فى الأقسام الباقية من العالم السفلى.. فى نفس الوقت لم نجد أن أحدهم قد وقع عليه العقاب لكونه فقيراً أو جاهلاً فى حياته الأولى كل ماحدث أنهم ظلوا فى الأماكن التى ساعدتهم مؤهلاتهم الدينية على الوصول إليها مكتفين بأن يسعدوا برؤية الإله العظيم رع كل مساء وهو يبحر خلال التوات بقاربه ويهللون له أثناء زيارته اليومية.

أما هؤلاء الذين رأيناهم يوقع عليهم العقاب من كائنات التوات فكانوا عادة ما يشار إليهم على أنهم «أعداء ايزوريس» أو ــ فى الغالب ــ فى أماكن أخرى «أعداء رع» ولكننا لم نجد فى أى نص أن العقاب الذى يكابدونه هناك سيمحو خطاياهم مهما كانت أو أنه عندما يحين الوقت المناسب سيسمح لهم باستكمال الرحلة فى الأقسام الباقية من التوات حيث سيكون عقابهم أخف أو ينتفى تماماً.

وهكذا فالإنسان يستطيع أن يكتسب السعادة فى ملكوت ايزوريس أو رع عن طريق أعماله الطيبة على الأرض. والشعائر التى يقوم بها فى جنازته كهنة مؤهلون وأن يدفن معه نسخاً من النصوص الدينية. ولا يوجد أى سبب لتصور أن الروح بعدما تصل إلى العالم السفلى يمكنها أن تحسن موقفها هناك سواء بمعاناة العقاب أو بعمل الحسنات.

كذلك فإن القرابين والعطايا التي تقدم عند المقابر لصالح «الكا» أو «قرين» الميت أو حتى لروح حيوان يعتقدون في أنها حلت في يوم ما بجسد آدمي لم تكن قادرة سواء هي أو الصلوات التي تصاحبها على تحريك روح ميت من قسم إلى آخر في التوات. أو تعديل وضعها أو حالتها التي كتبت لها هناك. وبالمثل لا يوجد أي دليل على أن الصلوات أو القرابين ممكن أن تحسن وضع هؤلاء الذين مروا بسلام في محكمة ايزوريس وأرسلهم إلى واحدة أو أخرى من المقار السكنية التي في ملكوته.

الفصل السادس

الجحيم والملعون

إذا فحصنا المبادىء المرتبطة بالحياة الأخرى فى عقيدة «رع» فسنجد أن فكرة التطهير كان لها حيز محدود غير هام فى نظامهم فهم ــ طبقاً لكتاباتهم ــ كانوا يعتقدون أن أرواح الموتى تحتشد كل يوم فى امنتيت ــ بمعنى المنطقة المختفية أو الجحيم المصرى ــ حيث تنتظر قارب «رع» فتركبه أرواح هؤلاء الذين عبدوه وداوموا على أداء الطقوس له على الأرض إذا كان قد ساعدهم الحظ وأمّنوا لأنفسهم امتلاك كلمات القدرة التى قد تساعد أرواحهم على دخول القارب. فى هذه الحالة ترحل هذه الأرواح مع الرب ــ تحت حمايته ــ عبر التوات وتمر على كل الأخطار التى تهدد بتدميرها وتدخل ملكوتى ايزوريس وسيكير.. وبمضى الوقت تظهر مع رع فى الأفق الشرقى للسماء عندما يشق النهار حيث يمكنها التجول بحرية هناك وفقاً لرغبتها ونستطيع أن نكمل بواسطة الحدس أن هذا يظل حتى غروب الشمس حين تنضم ثانياً لقارب الإله وتعيد معه الرحلة داخل التوات.

هذا عن الأرواح الموفقة أما باقى الكائنات التى تعج بها أقسام التوات المختلفة والتى ترغب فى دخول قاربه ولكنها لا تستطيع إما لأن كلمات القدرة تعوزها أو لأنها قد وصلت إلى أقصى ما تسمح به مؤهلاتها الدينية فهى أيضاً يصيبها فضل عظيم من زيارة رع الليلية الذى كلما تحرك من قسم إلى آخر تصاب الكائنات التى تسكن المكان الذى يغادره بحزن عميق وبعضها يتوقف تماماً وجودها المادى حتى يعود الإله فى الليلة التالية فيجدد لها حياتها لفترة قصيرة أخرى.

فى التوات أيضاً ــ وفى أغلب أقسامها ــ كائنات تعادى رع ــ يدمرها بالطبع دون رحمة اتباعه ــ هذه الكائنات على الرغم مما نراه فى منطقة ما فى نهاية التوات

حيث تحرس ربات معينات حجرات النار وتشرف على تدمير وافناء أجساد وأرواح وأشباح ورؤوس بعض منها بل يبدو أنها كانت تقطع أجسادها قبل حرقها كما يستدل من السكاكين التى بين أيديها إلا أننا لم نجد فى النصوص أى دليل ــ مهما كان ــ يجعلنا نعتقد أنها كانت فى الأصل من الملعونين أو أن قدرها قد كتب عليها عقاباً أبدياً .. فإذا أضفنا لهذا أن النار كانت تخبو بمجرد مرور الإله من هذه المنطقة نصل إلى فرضية أنه لم يكن يدمر عن طريق اللهب ــ الذى يخرج من أفواه الكائنات المقدسة التى خلقها لذلك ــ إلا تلك الكائنات التى تحاول اعاقة تقدم مسيرته بالتوات كل ليلة وكل صباح قبل أن يظهر فى السماء الشرقية .

ولكى نستطيع فهم هذا علينا أن نضع فى الاعتبار أصل هذه الكائنات المعادية .. لقد كانت لا تزيد عن أن تكون تجسيداً لقوى الطبيعة مثل عتمة الشفق أو الغسق والظلام والليل وسواد كسوف الشمس والضباب والشبورة والبخار والمطر والسحاب والعواصف والرياح والزوابع والاعاصير وما يشبهها . تلك الظواهر التى كان يدمرها رع بواسطة أشعته الملتهبة يومياً والتى جسدها بأشكال بشرية الفنانون المصريون فأوحت لكثيرين بأن مشاهد تدميرها بواسطة النار إنما هى مشاهد حرق للأرواح الملعونة ثم ساد بعد ذلك فهم بين الجهلة ــ والذين يعتقدون فى الخرافات ــ بأن إله الشمس يعذب الملعونين فى حين أنه كان يذبح ويحرق بالنار كل ليلة وكل صباح أعداء نفس الليلة أو النهار أى أنه كان يشرق كل يوم لأنه قام بإفناء أعداء هذا اليوم ــ بالطبع ــ يمكن المجادلة فى أن تكرار ظهور نفس الأشكال من الكائنات المعادية يجعلها دائمة ولا تتغير ولكن المصريين لم يفكروا بهذه الطريقة لقد اعتقدوا أن الكائنات التى تهاجم رع كل ليلة أو نهار هى ساكنات جديدات فى التوات وحتى لو فكروا بالعكس ــ بمعنى ديمومة الكائنات المعادية ــ فالعقاب كان موسميا وغير دائم وخلال فترة الليل التى يعقبها الفجر مباشرة أو خلال الفترة التى ما بين الفجر والشروق فضلاً عن أن الأرواح الملعونة لم يكن فى استطاعتها أن توقف تقدم رع .

فى الغالب كان هذا هو تخيل المصريين وإن كان من المحتمل ـ بالطبع ـ أن يكون العكس هو الصحيح أى أن يكون الأصل هو افناء الارواح الشريرة ثم أبدل بعض كهنة الأسرات المتأخرة فى بعض مدارس اللاهوت المصرية ـ نتيجة لعدم اقتناعهم بنظرية افناء الأشرار ـ هذه الأرواح بأرواح تمثل قوى الطبيعة الباغية المذكورة فى التوات لتأخذ مكانها فى العقاب.

الرماح والسهام التى طعنت أعداء رع كانت أشعته الملتهبة والسكاكين التى قطعت أجسادها لقطع كانت لهب الشمس الحارق والبحيرات وحفر النار ما هى إلا تلك الألوان النارية المبهرة التى شاهدوها تملأ الأفق الشرقى مع بزوغ الشمس كل صباح.

المصريون بالتأكيد لم يعتقدوا فى إمكانية استمرار العقاب للأبد ولم نجد فى نصوصهم ما يدعم وجهة النظر هذه وفى الحقيقة لم نجد فى عقائدهم ما يماثل فكرة التطهير أو جهنم التى انتشرت بنجاح فى أوروبا خلال العصور الوسطى. فهم ـ بغض النظر عن الملامح العامة لديانتهم ـ كانوا عمليين للغاية بحيث يصعب عليهم أن يرحبوا بفكرة تكرار افناء نفس الجسد بواسطة النار وإلا لوجدنا ـ بالتأكيد ـ بعض النصوص التى تم تأليفها بهدف تجنب هذا المصير المرعب لو كانوا قد آمنوا به. على العكس حفظ المصريون موتاهم منذ العصور المبكرة وبذلوا أقصى ما يستطيعون من عناية فائقة لصيانة أجسادهم الأصلية ـ التى عاشوا فيها ـ بواسطة الطقوس والكلمات السحرية بحيث تظل محتفظة ـ قدر الإمكان ـ بكامل لياقتها لتوقعهم أنها الأجساد التى سوف يبعثون فيها مرة أخرى.

وحتى عندما تطورت الفكرة لديهم فى أزمنة تالية ـ لم يتوقعوا أبداً أن يحصلوا على جسد مادى جديد فى العالم السفلى وإنما تصوروا أن تخرج من جثثهم أجساد روحانية «كا» بشرط عدم تدمير الأصل الذى إذا فنى فسيتضمن هذا فناء «للكا» القرين والظل وكل ما يتصل بمكونات الإنسان العقلية والروحية.. وهو

الأمر الذى جعلهم فى فزع دائم من خطر الموت الثانى الذى ظهر فى صلواتهم وطقوسهم للمحافظة على الجثة التى سينبثق منها الجسد الروحى ومحاصرة إمكانية الوفاة مرة أخرى .

ومع ذلك فرغم عدم وجود جحيم للارواح لدى المصريين إلا أن من الواضح أن حفرات نارهم وشياطينهم وأشرارهم أعداء رع كونت أساسيات جحيم الشعوب التالية لهم مثل العبرانيين وحتى أحفادهم من المسيحيين كما سيظهر هذا من القطعة التالية المأخوذة من الأدبيات القبطية.. ففى بيستيس صوفياً Pistis Sophia نجد أن السيدة العذراء تسأل المسيح الرب أن يصف لها « الظلام الخارجى » وأن يدلها على عدد أماكن العقاب التى به.. والهنا يرد : الظلام الخارجى ثعبان ضخم ذيله فى فمه وهو خارج كل العالم ويحيط بكل العالم وبه أماكن عديدة للعقاب والتى تتكون من اثنتى عشرة قاعة حيث العذاب الأليم .

فى كل قاعة حاكم ولكل منهم وجه يختلف عن وجوه جيرانه فحاكم القاعة الأولى له وجه تمساح وذيله فى فمه ومنه تخرج كل الثلوج وكل الأتربة وكل أنواع البرد وكل أنواع المرض واسمه الحقيقى الذى ينادونه به فى موطنه إنختونين Enkhtonin .

وحاكم القاعة الثانية له كوجه حقيقى وجه قط ويسمونه فى موطنه خراخار

وحاكم القاعة الثالثة له كوجه حقيقى وجه كلب ويسمونه فى موطنه ارخار وخ

وحاكم القاعة الرابعة له كوجه حقيقى وجه ثعبان ويسمونه فى موطنه اخروخار

وحاكم القاعة الخامسة له كوجه حقيقى وجه ثور أسود ويسمونه فى موطنه مارخور

وحاكم القاعة السادسة له كوجه حقيقى وجه ماعز ويسمونه فى موطنه لا مخامور

وحاكم القاعة السابعة له كوجه حقيقى وجه دب ويسمونه فى موطنه لونخار
وحاكم القاعة الثامنة له كوجه حقيقى وجه نسر ويسمونه فى موطنه لاراأوخ
وحاكم القاعة التاسعة له كوجه حقيقى وجه باسيليك (ثعبان خرافى) ويسمونه فى موطنه ارخيأوخ

أما القاعة العاشرة فلها حكام كثيرون وبها ثعبان ذو سبع رؤوس وكل رأس لها وجهها الحقيقى والذى يعلوهم جميعاً يسمونه فى موطنه زار ماروخ.

وفى القاعة الحادية عشرة حكام كثيرون وبها هناك هذا الذى بسبع رؤوس وكل رأس لها وجهها الحقيقى وجه قط وأكبرهم الذى يعلوهم يسمونه فى موطنه راهوراخار.

وفى القاعة الثانية عشرة حكام كثيرون عظام وهناك هذا الذى بسبعة رؤوس وكل رأس لها وجهها الحقيقى وجه كلب وأكبرهم الذى يعلوهم يسمونه فى موطنه خرى مائور.

هؤلاء الحكام الاثنا عشر موجودون جميعاً داخل ثعبان الظلام الخارجى وكل منهم يغير وجهه طبقاً للساعة التى هو فيها.

من الواضح تماماً من خلال القطعة المقتبسة أعلاه من العمل المشهور من أعمال العارفين المسيحيين « GNOSTIC » أن لدينا فى الظلام الخارجى سلسلة من الحجرات والتى تم استعارتها من الأقسام المصرية الاثنى عشر فى التوات والتى سبق وصفها. وعلى القارىء فقط أن يقارن بينها وبين الفصول CXLV، CXLIV من كتاب الموتى ليرى كم هما قريبان.

وبفحص عمل آخر من أعمال العارفين المسيحيين الهامة والمعروف باسم «سفر أيو» «BOOK OF IEU» سنرى أن عالم العارفين السفلى لم يكن شيئاً أكثر من شكل معدل من الامنتيت المصرى المضاف إليه بعض الملامح المأخوذة من العبرانيين واليونانيين. فأنهار وبحار العارفين النارية هى فى حقيقتها معادلة لتلك

التى ذكرت فى كتاب الموتى كذلك الكائنات تشبه التى فى أمنيتى والميلولة والظلام الخارجى مأخوذة عن نماذج مصرية قديمة.

والدراجون الضخم فى الظلام الخارجى وقاعاته الاثنتا عشرة وحكامها الاثنا عشر الذين يغيرون أسماءهم وأشكالهم كل ساعة ـ هم على كل حال ـ تعديل لنظام البوابات والساعات الاثنتى عشرة التى تشكل العالم السفلى المصرى.

والثعبان ذو الرؤوس السبعة لدى «العارفين» له نموذجه الأصلى فى الثعبان الضخم «نعو» «NAU» والذى كان يسمى «بثور الآلهة» والذى كان له سبعة ثعابين خارجة من سبعة رقاب.

كذلك الثعبان نعوشيس ذو الرؤوس السبع كان أيضاً لديه سبع رؤوس ثعبانية وكان له السلطة على سبع من النبالة والقواسة

وعموماً سنجد أنه قد تم استعارة الكثير من الامنتيت والتوات وسنجد آثاراً عديدة لكل منهما فى قصص شهداء الاقباط القديسين ولكن ـ كما نتوقع ـ جعل الكتاب من الشياطين وحفر النار المصرية أدوات تعذيب لتلك الأرواح التى لاتعتنق المسيحية على الأرض. فمثلاً سنجد أن كاتب «الشهيد جورج كابا دوكيا» جعل القديس يبعث وثنيا يدعى بويز «BOE'S» من الموت بعد أن مات مائتى عام وجعله يبلغ الحاكم ـ ديديانوس ـ بأنه عندما كان على الأرض كان من عبدة «الغبى الأطرش الأخرس الأعمى أبوللو» وأنه عندما غادر الحياة ذهب ليعيش فى «مكان فى نهر النار حتى ذلك الوقت الذى ذهبت فيه إلى مكان لاتموت فيه دودة».

كذلك هناك كاتب آخر ـ مكاريوس انتيئوس ـ أرجع للحياة رجلاً كان قد مات لمدة ست ساعات والذى قال أن تعاساته خلال هذا الزمن القصير كانت

أعظم من كل ما عاناه خلال كل حياته على الأرض وهو قد اعترف بأنه كان من عباد الأصنام ثم أضاف بأنه عندما كان ميتاً تجمعت عليه الشياطين وأنها كان لها وجوه الثعابين والأسود والتماسيح ــ ومن المدهش أيضاً ــ الدببة. فزقوا روحه من جسده بعنف شديد وهربوا بها لنهر النار الكبير حيث غمسوها فيه لعمق أربعمائة كيوبيت ثم جذبوها لخارجه ووضعوها أمام قاضى العدالة الذى مرر عليها كلماته «وبعد أن تم هذا أخذوها إلى مكان الظلام حيث لم يوجد أى ضوء بأى شكل ووضعوها فى البرد حيث اصطكت هناك أسنانه وهنا قال الرجل البائس «رأيت الدود الذى لا يهجع أبداً وكان له رأس يشبه رأس التمساح المحاط بثعابين من كل نوع والذى كانت تسقط الأرواح أمامه وعندما يمتلىء فمه منها كان يسمح للمخلوقات الأخرى أن تأكل.

فى هذا المكان قطعونا إلى أجزاء صغيرة ولكن مع ذلك لم نكن نموت. بعد ذلك أخذونى خارج هذا المكان ووضعونى فى امينتى حيث كان على أن أبقى للأبد».

وفى عمل آخر جعلوا رجلاً محنطاً بدون اسم يقول كيف أنه قبل وفاته جاءته الملائكة المنتقمة وبيد كل منها سكين حديدى أو مهماز مدبب وكيف أنها وخزت بها جسده وأن ملائكة أخرى جاءته ومزقت روحه من جثته ثم ربطتها بكائنات تشبه الاحصنة السوداء فجرتها إلى أمينيت حيث عذبت فى مكان امتلأ عن آخره بزواحف مهلكة ثم كيف قذفت بها إلى الظلام الخارجى حيث رأت حفرة عمقها أكثر من مئتى قدم كانت ممتلئة بالزواحف التى كان لكل منها سبع رؤوس وأجسادها مغطاة بأشياء تشبه العقارب. وأنها قد وجدت فى هذا المكان العديد من الزواحف الثعبانية المرعبة وأنها قد أعطيت لأحداها ليحطمها بأسنانه التى مثل العوارض الحديدية لمدة خمسة أيام من كل أسبوع وأن الروح المسكينة كان يلفظها الوحش يومى السبت والأحد وهى اشارة إلى أن الثعبان كان ملتزماً بطقوس «سبت» اليهود و«أحد» المسيحيين.

من كل ما سبق من أمثلة وحتى من كلمات أشعياء «ثعابينهم لن تموت ولن تخمد نيرانهم». سنجد اشارات مباشرة لثعبان العالم السفلى الضخم الذى كان معروفاً لهم بأسماء عديدة والذى كان هو وحلفاؤه وشركاؤه الذين كانوا مثله ثعابين مصدر رعب عابدى إله الشمس فى كل العصور التاريخية المصرية هذا الثعبان الضخم والذى كان دوماً يمثل كل القوى العادية على الميت أو الحى وجدنا عنه اشارات عديدة فى كتاب الموتى وإن لم تعكس بشكل كاف حجم الرعب الذى كانوا ينظرون به إليه خاصة فى الجزء الأخير من عصر الأسرات.. وهو نفسه الذى جسدوا فيه كل صفات وملامح أعداء «رع» الطبيعية والفكرية وسموه أبيب رئيس الثعابين الذى كان يهاجم الإله يومياً وكان يُهزم أيضاً يومياً.

ونحن نعلم من برديات محفوظة فى المتحف البريطانى أنهم كانوا يؤدون فى مصر العليا صلوات خاصة تهدف إلى تدمير قوى ابيب واحباط هجماته على الشمس.. هذه الصلوات كانت تتكون من طقوس متتابعة تتلى فى أزمنة محددة من اليوم أثناء تنفيذ عدد من الشعائر الهامة ذات الطابع السحرى وهكذا كانت هناك فروض تحتم على الكهنة أن يكتبو اسم ابيب باللون الأخضر على قطعة جديدة من البردى ثم يصنعون تمثالاً شمعياً للشيطان يكتبون عليه اسم باللون الأخضر أيضاً ويحرقون كل من البردى والشمع.. عندها يتداعى ابيب ويسقط أشلاء وكانوا يبصقون عليه عدة مرات كل ساعة أثناء ذوبان الشمع فى النار ثم يخلطون ما تبقى بعد الذوبان بالروث ويحرقونه ثانياً.. وكان من الواجب أن يتم هذا فى منتصف الليل عندما يبدأ رع رحلة عودته من التوات تجاه الشرق.. وفى الفجر والظهر والعصر وفى الحقيقة عند نهاية أى وكل ساعة من اليوم.. ويفضل أيضاً عمل نفس الطقوس عندما تظهر سحب رعدية في السماء أو تتجمع معاً لتمطر.

الجزء المقتبس الآتى سيظهر مدى الأهمية العامة لهذه الصلاة الخاصة بتدمير أبيب حيث يقول المتوفى: «سقط ابيب فى السعير.. طعنت رأسه سكين.. اسمه لن يبقى بعد ذلك على الأرض.. لقد صُرح لى بأن أصب عليه انتقامى.. فأضع

القاذورات فى عظامه وأدمر روحه كواجب يومى وأبتر فقراته عن رقبته وأقطع بسكينى فى لحمه وأوخز جلده.. لقد يأس من مقاومة النار التى تغلبت عليه باسمها «سيخيت» وتغلبت عليه باسمها «عين تحرق الأعداء».

«لقد ألقى بالقذارة فى روحه وحرقت عظامه بالنار ووضعت أطرافه فيها. حورس ـــ القوى القادرــ صُرح له بأن يأتى به أمام قارب رع فى سلاسله الحديدية التى تربطه وتجعل أعضاءه لا تستطيع الحركة. حورس تصدى لضربة الحظ التى واتته عند كسوف الشمس وجعله يتقيأ ما بداخله حورس سلسله ربطة وقيده وآقر AKER انتزع قوته بحيث أستطيع فصل لحمه عن عظامه وأقيد قدميه وأقطعهما وأقطع أيضاً ساعديه وكفيه وأغلق فمه وشفتيه وأكسر أسنانه وأنتزع لسانه من لغلوغه وأبعد عنه كلماته وأقفل عينيه وأبعد أذنيه وأقتلع قلبه من مكانه وعرشه وأستطيع أن أجعله لا يساوى شيئاً.. ليت اسمه لم يوجد وليت من ولدوا له لا يعيشون أبداً. ليته لم يوجد وليت أقاربه لم يوجدوا أبداً ليته لم يوجد وليت أنسبائه لم يوجدوا أبداً ليته لم يوجد وليت وارثيه لم يوجدوا أبداً ليت ذريته لا تنمو أبداً وليت بذوره لا تنغرس وأكثر من هذا ليت روحه وجسده ونفسه وظله وكلمات قدرته وعظامه وجلده لا يستمرون».

ثم تبدأ الطقوس الهامة.

«هذا الجزء يتلى على رسم لأبيب منقوش على بردى جديد بحبر أخضر يوضع داخل غلاف يكتب عليه اسمه ثم يربط باحكام ويخيط ويوضع هذا الرسم وغلافه كل يوم فى النار. أنت ستدوس فوقه وتعبر عليه برجلك اليسرى وأنت ستبصق عليه أربع مرات خلال اليوم وعندما تضعه فوق النار ستقول: «فلينتصر عليك رع يا أبيب ولينتصر حورس على أعدائه وباء P-AA (أى المتوفى) سينتصر على أعدائه». بعد ذلك ستكتب أسماء كل الرجال والنساء الاشرار الذين يخاف منهم قلبك أسماء أعداء المتوفى فى الدنيا والآخرة وأسماء والد ووالدة كل منهم وأطفالهم (وتوضع البردية) داخل الغلاف مع تمثال شمعى لأبيب وعليك أن تحرقها فى الفجر عند ظهور «رع» وتعيد هذا فى الظهر وفى المغرب عندما يدخل رع أرض

الحياة وخلال وجود الضوء عند أقدام الجبل أيضاً. وعليك أن تتلو ــ بإيمان صادق ــ على كل صورة لابيب الفصل السابق لأن فى فعل هذا ثواب عظيم (لك) فوق الأرض وفى العالم السفلى».

ولتدمير الشياطين التى تساعد ابيب كان عليهم عمل تماثيل لها من الشمع منقوش عليها اسماؤها ثم تربط جميعها بواسطة شعر أسود على هيئة حلقة ثم تقذف على الأرض ويركلونها بالأقدام اليسرى ثم يطعنونها برماح حجرية.. وللوصول إلى أفضل النتائج على الإنسان أن يصنع لكل أسماء ابيب رسماً لثعبان ذيله فى فمه مضروب بسكين فى ظهره ويقذف به على الأرض وهو يقول «ابيب.. شيطان.. بعبع» «BETET».

وعابدو رع أيضاً على كل منهم أن «يصنع ثعباناً آخر برأس قط مضروباً بسكين فى ظهره ويسميه همهم. ويصنع آخر بوجه تمساح مضروباً بسكين فى ظهره ويسميه «حيونا ــ ارو ــ حر ــ حرا» ويصنع آخر بوجه بطة مضروبا بسكين فى ظهره ويسميه «الوتى». ويصنع آخر بوجه قط أبيض مضروباً بسكين فى ظهره ويربطه بأحكام ويسميه «ابيب العدو».

تاريخ البردية التى تحتوى على هذه القطعة هو حوالى ٣١٢،٣١١ق.م رغم أن تأليفها يرجع إلى فترة أقدم كثيراً من هذا التاريخ وبذلك تظهر أنه حتى فى هذه الفترة عندما بدأ النفوذ اليونانى يسود بحكم المقدونيين لمصر فإن العقائد القديمة ظلت تتسلط على عقول المصريين وتدل أيضاً على مدى التصاقهم بوجهات نظر وأفكار أجدادهم سواء فى هذا الأمر أو فى أمور أخرى كثيرة.

فالمصريون البدائيون كانوا يخافون الثعابين ويسترضونها ومواطنو الأسرات الأولى صنعوا الأحجبة والتعاويذ والوصفات السحرية لأبعاد الثعابين والحيات والزواحف من كل نوع عن موتاهم.. ثم اعتنق كهنة آمون بعد ذلك أفكار الفلاحين السابقة ونسخوا الوصفات السحرية المضادة للثعابين فى كتبهم الجنائزية. وهكذا نجد فى كل نسخة من كتب الموتى المنقحة والمعاد مراجعتها أكثر من فصل

كتبوه من أجل المحافظة على الموتى من هجمات الثعابين وقد نجد أن بعضها قد تم كتابته فى زمن ليس بعيداً عن عصر الأسرات وهو ما يدل على استمرار الرعب الدائم من الثعابين رغم أن هذه الزواحف لم يكن عددها فى ذلك الزمن بنفس القدر السابق .. كهنة آمون أيضاً جعلوا الثعابين تلعب دوراً بارزاً وهاماً فى عالمهم السفلى بالقدر الذى جعلهم يعتقدون فى أن إله الشمس الميت « لحم رع » تعاد ولادته يومياً عندما يسحب قاربه خلال جسد ثعبان .

والمصريون اعتادوا دائماً على أن يكون هناك سبب منطقى لما يقولون أو يكتبون ورغم أنه من الصعب غالباً التوصل إلى سبب كل حاله إلا أنه فيما يخص حالتنا هذه ــ لحسن الحظ ــ نستطيع أن نقول ــ بقليل من عدم اليقين ــ أنهم قد لاحظوا أن الثعبان يغير جلده من وقت لآخر وأن شكله يتحسن نتيجة لذلك وبالتالى فمن المؤكد أن عادة الثعابين هذه كانت كامنة فى عقولهم عندما جعلوا الههم « رع » يتحول إلى كائن جديد بعد أن يندمج بقاربه داخل الثعبان الضخم الراقد فى عمق الأمواج بين نهاية التوات وهذا العالم .

سبق وأن أشرنا إلى تأثير الميثولوجيا المصرية والتوات على جحيم الأقباط فى مصر .. والآن يحق الاشارة إلى أنه يبدو أن العبرانيين قد استعاروا منها الكثير من أفكارهم الخاصة بمأوى الأموات فى العالم السفلى . فمن المؤكد أن الجحيم الذى تصوروا وجوده لم يكن مأخوذاً عن البابليين لأننا نعلم من قصة نزول عشتار إلى « الأرض التى لا رجعة منها » أنها ــ رغم ــ أن بها سبع بوابات فهى لا تحتوى على حفر النار أو الثعابين المردة وقد قيل لنا أن عشتار وجدتها مكاناً للظلام ورأت أن الكائنات التى تعيش فيها تلبس حللا من الريش وأن غذاءها هناك هو التراب والوحل .. فضلاً عن أن أشهر الأسماء التى أطلقها العبرانيون على مسكن الملعونين هو جيهنا أو جيهنم والتى كانت أصلاً وادى هينّوم HINNOM والذى يقع مباشرة بجوار أورشليم حيث كانوا يضحون هناك من أجل الإله مولوخ MOLOCH بالأطفال وحيث حرق فيه من يسمى « توفيز» TOPHETH والاسم أصبح فى العهد الجديد Γέεννα. وفى الأدبيات العربية جهنّم .

من التلمود نحن نعلم أن جيهنا قد خلقت فى اليوم الثانى للخلق مع الجلد (القبة السماوية) والملائكة وأن هناك جهنمان أحداهما سماوية والأخرى أرضية مثلما هناك جنة علوية وأخرى سفلية.

وجهنم مساحتها توزاى ستين ضعفا مساحة العالم.. أما مساحة العالم فيحتاج المسافر لخمسمائة عام ليصل بين أبعد نقطتين فى عرضه أو طوله فهو يوازى ستين ضعفاً للنوبة التى هى فى حقيقتها ستون ضعفاً لمصر التى طولها وعرضها أربعمائة فرسخ أى حوالى ١٢٠٠×١٢٠٠ ميل حيث الفرسخ ٢٠٢ ياردة.

والإنسان لكى يصل إلى جهنم يحتاج إلى ألفين ومائة عام سيراً على الأقدام وفى جهنم ــ كما فى الجنة ــ سبع سرايات فى كل سراية يُزوال عقاب ــ مختلف فى نوعه وشدته عن الأخريات ــ على من يحكم عليه من أهلها وفى كل سراية من سرايات جهنم يوجد ستة آلاف مسكن وفى كل مسكن ستة آلاف صندوق وفى كل صندوق ستة آلاف وعاء به أنواع مختلفة من القاذورات.

وجهنم عميقة لدرجة أن المرء يحتاج ليصل إلى قاعها إلى ثلاثمائة عام وفى رأى آخر طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مثل طولها وسمكها ألف ميل وعمقها مائة ميل. ونار كل سراية من سراياتها أكثر توهجاً وتدميراً من التى قبلها ولهيب أعمق جزء فيها قادر على افناء روح وجسد الإنسان تماماً وهو مالا تستطيعه نار الأرض أبداً.

ولكل سراى ــ طبقاً لبعض الآراء ــ حاكم ملاك الذى هو أحد أتباع دوماه DOMAH أمير جهنم والذى يرأس عشرات الألوف من الملائكة التى تعمل فى محاكمة الخطاة وتحديد قدرهم.

وهناك ــ آراء أخرى تقول ــ أن دوماه يرأس ثلاثة ملائكة هى ماشاخيت MASHKHITH وآف AF وخيما KHEMA التى ترأس الحكام السبعة.

ومن جهنم تصعد أصوات كائناتها مختلطة بصيحات الأشرار إلى عنان السماء.

أما دوماه هذا فيبدو أنه كان من أصل مصرى لأننا نقرأ فى الوقت الذى قال فيه موسى ــ سأحاكم كل الآلهة المصرية ــ ذهب دوماه أمير مصر لمسافة أربعمائة ميل وتحدث الله من داخله قائلاً: «هذا المرسوم قد صدر عنى وينفذ حتى يتم كتابته.. سأزور القاطنين فى أعلى الأعالى. وفى نفس هذه الساعة أعطيت له السلطة وعينته أميراً على جهنم». والبعض قال أنه قد عين على الموت.

وفى جهنم سنجد أميراً آخر كان يدعى ارسئيل ARSIEL وكانت وظيفته أن يقف أمام أهل اليمين من الأرواح يمنعهم من التشفع للأشرار لدى الإله.

عدد البوابات والأبواب فى جهنم اختلفت فيه الأقوال فالبعض قال خمسون والبعض ثمانية آلاف وآخرون قالوا أربعون ألفاً.. ولكن الكتّاب الذين التزموا بأفضل الأعراف الدينية لم يزيدوا العدد عن سبعة وهو العدد الذى يتوافق مع أكثر الأحاديث صحة فى الإسلام.

أخيراً سنجد أنه كما يجرى فى التوات نهر فإن جهنم يجرى بها أيضاً نهر أو قناة.

القسم الأول من جهنم طوله مائة ميل وعرضه خمسون وبه حفر عديدة تسكنها أسود نارية والتى عندما يسقط فيها البشر فإن الأسود تأكل أجزاءاً منهم وتنهى النار على ماتبقى.. ولكنهم بعد ذلك مباشرة تجدد لهم الحياة ويعودون للوجود ليمروا على نار القسم الثانى حيث يتم تدميرهم واعادتهم ثانياً للوجود وهكذا دواليك حتى يمروا على نيران الأقسام السبعة.

وهناك من يرى أن جهنم نصفها نار والنصف الآخر صقيع وأن الملائكة الموكله بالعذاب تأخذ الأرواح المذنبة من النار إلى الصقيع ومن الصقيع إلى النار بدون توقف.

آخرون يقولون أن فى كل قسم من أقسام جهنم السبعة يوجد سبعة ينابيع نارية وسبعة ينابيع صقيع وأن كل قسم أكبر من الذى فوقه بستين ضعفاً وأن فى كل قسم سبعة آلاف حجرة صغيرة وبكل حجرة سبعة آلاف شق وكل شق

سبعة آلاف عقرب ولكل عقرب سبعة وصلات وبكل وصلة ألف وعاء يحتوى على قذارة ويتدفق داخله سبعة أنهار ممتلئة بسموم قاتلة. وأن المذنب عليه أن يقضى نصف عام فى النار والنصف الآخر فى الثلج والصقيع اللذين هما أكثر رعباً من النار.

بالإضافة لذلك نجد أن من تحت عرش الله القدير نهر يتدفق من النار يصب على رؤوس الأشرار.

والمذنبون يستريحون من تعذيبهم فى جهنم ثلاث مرات ولمدة ساعة ونصف فى كل مرة بمعنى فى أوقات الصلوات فى الصباح والظهر والمساء.. كذلك فى أيام السبوت وعند الاحتفال بظهور هلال أول كل شهر جديد.

وعن المدة التى يقضيها المذنب فى جهنم يعتقد بعض الحاخامات أنها ستستمر للأبد.. والبعض الآخر يرى أن فترة عقاب مدتها من ستة شهور حتى عام كامل كافية لتطهير المذنب.

وفى جهنم لا يتذكر المذنبون أسماءهم الذين ولدوا بها على الأرض رغم أن الملائكة يضربونهم ويطلبون منهم ذكرها.. هذه الفكرة ترددت من قبل بوضوح لدى المصريين فنحن نقرأ فى نصوص بيبى:

« بيبى سعيد باسمه »

من الحقائق سالفة الذكر ندرك مقدار ما استعاره العبرانيون من الأفكار المصرية عند تشكيلهم لجهنمهم وكيف أنهم قاموا بتوفيق عقيدتهم القومية فى إطار من الأفكار الغريبة عليها.. بعض الكتّاب أظهروا فطنة عندما تناولوا هذه الأمور أكثر من غيرهم بينما نجد أن قليلاً منهم قد أعاد ــ لا شعوريا ــ نسخ الأفكار الأصلية الخاصة بالتوات ونفوا ــ بدون قصد ــ بذلك فكرة جهنم بجعلها المكان الذى يتم فيه تدمير أعداء الرب. فالحاخامان ينى وشمعون بن لاكيس كانا يقولان أن الله فى زمن لاحق سوف يزيل الشمس من مكانها ويضعها فى القبة السماوية الثانية أو فى فراغ جهز خصيصاً لها وأنه بعد محاكمة الأشرار وادانتهم سيذهبون إلى هذا المكان حيث تحرقهم الشمس وتدمرهم.

وهو ما يعنى أنهما قد قصرا جهنم على مكان تبث فيه شمس مادية حرارة مهلكة وتفعل فى مذنبى اليهود ما كانت تفعله تماماً الشمس لأعداء « رع » عند المصريين.

والحاخامات عموماً لم يدلونا على طريقة اضرام نار جهنم أو كيفية المحافظة عليها متأججة وإن كنا ــ كما رأينا ــ نعرف أن الحاخامين السابق ذكرهما يعتقدان أن هذه النار ستأتى من خارج جهنم.

وجهنم العبرانيين تفتقر إلى ثعابين توات المصريين وهو أمر يجب ألا نعجب له إذا وضعنا فى اعتبارنا الفارق بين الملامح الطبيعية التى كانت لمصر وتلك التى لسوريا وفلسطين. فنحن نعلم أن مصر فى عصر ما قبل الأسرات كانت تعج بالثعابين والزواحف المهلكة والتى ترسب الرعب منها فى العقل المصرى لفترة طويلة من عصر الأسرات حتى بعد أن أصبحت البلد خالية من هذه الزواحف.. أما سوريا وفلسطين فلم تشهد مثل هذا العدد من الثعابين فيما عدا منطقة جنوب بابل والتى جاء منها ابراهيم وأصحابه حيث كان هناك ــ فى الغالب ــ عدد كبير منها.

وما يدعو أيضاً للتأمل حقيقة أن العبرانيين رغم أنهم قد استعاروا بشكل واسع أفكارهم الأساسية عن نشأة الكون من البابليين إلا انهم لم يأخذوا عنهم وحشهم الخرافى تيامات ــ والذى لعب فى أساطيرهم نفس الدور الذى قام به ابيب بين آلهة المصريين ــ ذلك الذى تجسدت فيه كل أنواع الشرور المادية والفكرية والذى شن ضده مردوخ ــ البطل الذى اختارته الآلهة ــ حرباً طويلة.

والعبرانيون رغم أنهم قد أسبغوا على الثعبان صفات الدهاء والغدر وأعلنوا أنه كان « أكثر مراوغة من أى دابة ». إلا أنه كان من الصعب أن يعتبروه قوة طبيعية عظمى تخاطر بحرب ضد الشمس يومياً.

وتيامات كما نعلم من نص مسمارى ــ ناقص ــ كان طوله خمسون كاسبو وارتفاع تموجات جسده كاسبو كامل وسعة فمه نصف جاز أو ستة أذرع ويتحرك

فى مياه عمقها تسعة أذرع .. ثم نجد ثلاث قياسات أخرى متتالية جار وجار وخمسة جار ولكن نتيجة لأن النص الذى يليها كان قد كُسر فلم نتمكن من تحديد ماذا تعنى .. فإذا كان الكاسيو هو طول المسافة التى عادة ما تقطع فى رحلة تستغرق ساعتين وإذا كان الذراع حوالى عشرين بوصة .. فنحن إذا افترضنا أن الكاسيو حوالى ستة أميال بهذا نجد أنفسنا أمام وحش طوله ثلاثمائة ميل وعرض فمه عشرة أقدام ويتحرك بتموجات ارتفاعها ستة أميال ومن المحتمل أن يكون مقياس خمسة جار يشير إلى محيط جسده ــ فإذا كان هذا صحيحاً ــ فيعنى هذا أن محيطه حوالى مائة قدم. كذلك عندما تم ذبح التيامات قيل لنا ــ أن دمه قد سال من جسده لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ويوم .. وعندما أطاح مردوخ بهراوته برأسه وأخرج قنوات دمه وشقها مثل سمكة مفرطحة إلى نصفين استخدم أحداهما ليكون غلافاً للسماء.

ولا شك أن تيامات البابليين هذا الذى لا يمكن تصور مدى ضخامته لم يكن فى الأصل إلا تلك السحب الممطرة والضباب والشبورة التى تتجمع فوق دجلة والفرات فى الصباح الباكر من فصول معينة من السنة والتى عندما يُنظر إليها من الصحراء تبدو كما لو كانت ثعباناً ضخماً يرقد على طول المجرى أسفل وأعلى النهر.

الكتابات العبرية تحتوى على إشارات عديدة إلى ثعبان الطبيعة الضخم ومع ذلك لم يجد لنفسه مكاناً فى سرايات جهنم السبع.

وكمثال نجد أن النبى عاموس AMOS أشار إلى ثعبان فى قاع البحر. يعقر الأشرار الذين يحاولون الأختباء هناك إذا أمره بذلك ياهوه.

ومن الزابور أيضاً (IXXIV) نجد أن الله موصوف هناك بأنه محطم رؤوس الدراجونات والليفيازانات التى فى الماء.

ومن أشعياء ISAIAH نجد استيقظ ..! استيقظ وألبس قوتك يا سلاح يا هوه استيقظ كما فى الأيام الخوالى والعهود القديمة ألست أنت من ذبح الوحش رحابه RAHABH وجرح الثعبان تنين ؟ ».

وهناك من يقول أن رحابه هذا ما هو إلا إشارة لمصر.. ولكن حتى إذا كان هذا صحيحاً فهو يشير إلى مصر كوطن للثعبان الضخم الخيالى المعروف لنا باسم ابيب والذى كان بالنسبة للنبى أشعياء رمزاً للبلد وليس رمزاً للأحكام التى أصدرها يا هوه على تلك الأرض.

والعبرانيون أطلقوا على ثعبان الطبيعة عدة أسماء فهو تنين وناخاش NAKHASH ورحابه ولكن كل هذه الأسماء تعنى فى الحقيقة الليفيازان «LEVIATHAN» بحد ذاته «الثعبان ذو الثنايات العديدة» الذى نعرف من التلمود أنه قد تم خلقه فى اليوم الخامس للخلق. ذلك الثعبان تاريخه وشكله يجعلانه قريب الصلة بشكل لصيق مع تيامات البابليين حيث نجد عندهم أن مردوخ قد ذبح بأمر أنشار التيامات كما فعل جبريل بمعاونة ياهوه حين «اصطاد وذبح الليفيازان» ونجد أيضاً أن مردوخ ـ من آخر كلمات اللوحة الرابعة من سلسلة الخلق ـ قد صنع خيمة فى السماء من نصف جسد أو جلد تيامات كما صنع جبريل من جلد حيوانه خيمة لسكن الابرار فى السماء وغطاء لحوائط اورشليم والذى كان لامعاً ومضيئاً لدرجة أنه كان من الممكن لأى شخص يقف فى أى طرف من طرفى العالم أن يشاهده. وإن لم نجد فى الكتابة المسمارية المعروفة لنا حتى الآن ما يوازى الجزء العبرى من القصة الذى قيل فيه أن الأخيار يتغذون على جسد الليفيازان بالإضافة إلى ما يظهر من الجزء الذى اقتبسناه من قبل من الزابور (IXXIV) من أن الليفيازان كان له عدة رؤوس وهو الأمر الذى لم يدعمه أى وصف معروف لنا للتيامات مما يجعلنا نفترض أن فكرة تعدد الرؤوس هذه قد أخذت عن مصر. فإذا كان قد ذكر فى سفر الرؤيا (XII 3, XIII 1) كذلك أن دارجون أحمر ضخم ذو سبعة رؤوس وعشرة قرون تحمل عشرة تيجان قد خرج من المياه ـ وهى فكرة غريبة أيضاً على البابليين ـ فإن كل الدلائل المتاحة تظهر لنا أن الأفكار الأساسية عن الليفيازان رغم أنها مأخوذة عن بابل إلا أن أجزاء أخرى عديدة منها قد تم استعارتها من مصر مثلها فى ذلك مثل نار جهنم والدراجون ذو الرؤوس السبعة ودابة سفر الرؤيا والافعوان الخرافى المذكور فى بيستيس صوفيا والذى كان

له أيضاً سبعة رؤوس والمأخوذ من الثعبان المماثل المذكور فى نصوص الهرم. والاحصنة التى أشير إليها فى سفر الرؤيا (IX 19) وكان لها ذيولاً «تشبه ثعابين ذات رؤوس». وهو ما يذكرنا بذلك الوحش الذى كان يسكن إحدى بوابات التوات والذى كان له جسد تمساح وذيل على هيئة ثعبان ملتف وفى نهايته رأس حية.

ومع أن العبرانيين استعاروا من مصر الهيكل الأساسى لجهنمهم إلا أنه يبدو أنهم لم يستخدموا تلك الوسائل التى حاول المصريون أن يهربوا بها من الامنتيت والتوات.. بمعنى أنه لاتوجد أى دلائل تظهر أنهم كان لديهم فى العصور الأولى أى معادل لنظام كلمات القدرة الذى لعب دوراً هاماً فى الجانب السحرى من الديانة المصرية. فى نفس الوقت الذى احتفظ فيه الأقباط ــ على الأقل هؤلاء الذين ينتمون إلى طائفة (العارفين) ــ بالمعتقدات الخاصة بفاعلية الكلمات السحرية والأسماء التى استخدموها بشكل واسع فى كتاباتهم.

فن بيستيس صوفياً نقرأ أن المسيح بعد قيامه وقف أمام البحر مع حوارييه وصلى لأبيه وخاطبه بسلسلة من الأسماء السحرية هكذا اثيأويو ــ آيوه ــ ااوى ــ اويابسينوزير، زيرنويس ــ نوبيستر ــ زاجورى ــ نيتنومائوز ــ نيبسى اوماوز ــ ماراخاخازا ــ زوباررابای ــ زرناخاخان ــ زوركوزورا ــ ايوه ــ سبا اوز.

[1] ⲁⲉⲏⲓⲟⲩⲱ· ⲓ̈ⲁⲱ· ⲁⲱⲓ̈· ⲱⲓ̈ⲁⲯⲓⲛⲱⲑⲉⲣ· ⲑⲉⲣⲛⲱⲯ· ⲛⲱⲯⲓⲧⲉⲣ· ⲍⲁⲅⲟⲩⲣⲏ· ⲡⲁⲅⲟⲩⲣⲏ· ⲛⲉⲑⲙⲟⲙⲁⲱⲑ· ⲛⲉⲯⲓⲟⲙⲁⲱⲑ· ⲙⲁⲣⲁ-ⲭⲁⲭⲑⲁ· ⲑⲱⲃⲁⲣⲣⲁⲃⲁⲩ· ⲑⲁⲣⲛⲁⲭⲁⲭⲁⲛ· ⲍⲟⲣⲟⲕⲟⲑⲟⲣⲁ· ⲓ̈ⲉⲟⲩ· ⲥⲁⲃⲁⲱⲑ:

وبينما كان يتلو هذه الأسماء وقف توما واندراوس وجيمس وسيمون كابنانيت فى الغرب ووجههم للشرق كما وقف فيليب وبارسلومو فى الجنوب بوجهيهما تجاه الشمال.

فى نص آخر خاطب المسيح أباه بهذه الكلمات والأسماء:

ايو ــ ايوبو ــ اياو ــ ااوى ــ اويا ــ بسينوزر ــ زيروبين ــ اوبسينرر ــ

نينزوماثوز ــ نيفوماثوز ــ مراخاخزا ــ اثيانا ميناماں ــ أمانی ــ تو ــ اورانو ــ ايسراهامن هامن ــ موياثيباى ــ اباثب ــ هامن هامن ــ ديراثاراى ــ هيا هو هامن هامن ــ سارسارسارتو ــ هامن هامن ــ كوتيامين مياى هامن هامن ــ اياى رأياى ــ تواهامن ــ هامن هامن ــ ماين مارى مارى مارى هامن هامن هامن .

[4] ïαω ïoυω· ïαω· αωï· ωïα ψινωθερ· θερωψιν· ωψιθερ νεφθομαωθ· νεφιομαωθ· μαραχαχθα· μαρμαραχθα· ιηανα μεναμαν· αμαννï· του ουρανου· ισραï ϩαμην ϩαμην· σουβαïβαï· αππααπ· ϩαμην· ϩαμην· λεραααραï ϩαπαϩου ϩαμην ϩαμην· σαρσαρσαρτου ϩαμην ϩαμην· κουκιαμιν μιαï· ϩαμην· ϩαμην· ïαï· ïαï· τουαπ ϩαμην ϩαμην ϩαμην· μαιν μαρι· μαριη· μαρει· ϩαμην ϩαμην ϩαμην (p. 375).

فی مكان آخر خاطب هؤلاء الذين عفا عن خطاياهم بهذه الأسماء :

زنی ــ بريجو ــ سوخايرخير ــ ايوزارى ــ ناناى ديئسبالميريخ ــ ميونيبوس ــ ايسرخوبورزا ــ خيرى ــ انتاير ــ موزيور ــ سمور ــ بيوخير ــ اووسخوس ــ مينيونور .

[1] σιφιρεψνιχιευ· ζενει· βεριμου· σοχαβριχηρ· ευθαρι· ναναï· λιειςβαλμηριχ· μευνιπος· χιριε· ενταιρ· μουθιουρ· σμουρ· πευχηρ· οουςχους· μινιονορ· ïσοχοβορθα (p. 376).

بعد ذلك مباشرة استدعى قدرات والده بالأسماء الآتية :

ايثر ــ بيبرو ــ اثرونى ــ ايوريف ــ اون ــ سوفن ــ كنيتو سوخريثوف ــ ماثوينى ــ مينارو ــ سواونى ــ خوخيتيثون ــ خوخى ــ اتيأوف ــ ميموئخ ــ انيمف .

[2] αυηρ· βεβρω· αθρονι· ηουνεφ· ηωνε· σουφεν· κνιτουσοχρεωφ· μαυωνβι· μνευωρ· σουωνι· χωχετεωφ· χωχε· ετεωφ· μεμωχ· ανημφ (p. 376).

ان فحص كتاب بيستيس صوفيا يقدم لنا الكثير من التفاصيل للمشاهد العديدة التى اعتمدت أساساً على عقائد قدماء المصريين خصوصاً تلك التى تتصل بمبدأ النور الروحانى الذى هو فى حقيقته يمثل تلك الأفكار الدالة على الملامح العامة لمدى مالضوء الشمس من تأثير على الكائنات الحية والميتة تلك الأفكار الروحانية التى قدمها ووصفها المصريون قبل المسيحية بقرون طويلة فى عصر الأسرات ثم أعاد الأقباط صياغتها فى نظام متقن الصنع يتكون من كلمات القدرة وفيض من الأسماء السحرية ودرجات مختلفة للملائكة وبوابات وحراس يلتفون حول المسيح الرب كمركز للصورة مخلوطة بأفكار مسيحية أصيله .

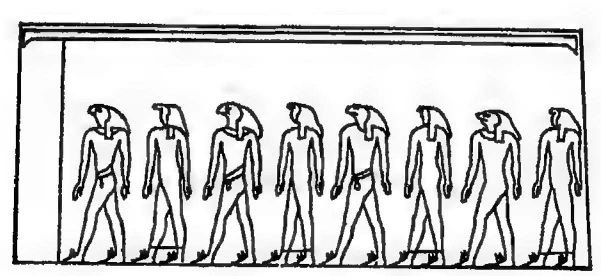
إن العلاقة بين النظامين الدينيين المصرى والمسيحى لا تزال تحتاج إلى جهد كبير من الواجب القيام به قبل أن تكتمل صورة جميع الارتباطات والمقارنات .. ونحن نأمل أن تكون تلك الحقائق السابق ذكرها قد أظهرت مدى أهمية هذه الدراسة .



الفصل السابع

مجمع الآلهة الأقدم وقصة الخلق

علمنا من فصول هذا الكتاب الأولى أن كهنة هليوبوليس كونوا ثلاث مجمعات للآلهة يضم كل منها –عادة– أربعة أزواج من الربات والآلهة يرأسها جميعها إله أكبر. وأنه لم يكن من الضرورى أن يتكون البوت أو مجمع الآلهة دائماً من تسعة وأنه –فى بعض الأحيان خروجاً عن المألوف– كان يضم عدداً أكبر. عموماً –مهما كان الأمر– فمن الثابت أن الشكل الذى توصل إليه كهنة هليوبوليس –أو الذين ألفوا النظام اللاهوتى المعروض فى نصوص الهرم –جاء مطابقاً لمخطط أقدم لمجمع آلهة كونته مدارس لاهوتية سابقة كان البوت يتكون فيها من أربع ربات وأربعة آلهة ثم أضاف كهنة هليوبوليس له المهم المحلى الخاص الإله «تم».



هذا المجمع الأقدم –يحتمل أن يكون– أقدم مجمعات آلهة مصر رغم أنه يبدو لأسباب مختلفة أنه لم يحظ بشعبية «بوت آلهة آنو العظيم» أو بمكانته السامية فى فكر فلاسفة الديانات المصرية وهو أمر يجب ألا يدهشنا فبينما كان مجمع هليوبوليس يضم إله الشمس رع –تم أو رع– خيبرا بالإضافة إلى ايزوريس إله الموت العظيم كان البوت الأقدم– المشار إليه– يتكون من أربعة أزواج من الآلهة

التى تم نسيانها تماماً ــ منذ زمن ــ وأصبحت تمثل ــ حتى فى تلك العصور القديمة ــ أفكاراً وعقائد ومذاهب اندثرت منذ أمد بعيد. بمعنى أنه عندما تكون مجمع هليوبوليس كانت آلهة المجمع الأقدم الفعلية قد تم الغاؤها ومحو عبادتها ولم يبق منها الا بعض المعلومات ــ التى حفظتها عقول الكهنة والعارفون بالدين ــ عن صفاتها وتاريخها والتى كانوا يعتبرونها ــ فى الغالب ــ نتاجاً لفكر بشر ينتمون إلى درجة حضارة أدنى من حضارتهم وهكذا إنحصر دور هذا المجمع فى أنه كان يمثل لديهم تجسيداً لخصائص أو مظهر أو شكل الجوهر الأولى.

أقدم مجمع للآلهة كان يتكون من:

نوت Nut	نــو Nu
حيحوت Hehut	حيحو Hehu
كيكويت Kekuit	كيكوى Kekui
كيرهيت Kerhet.	كيره Kerh

وفى الصفحات التالية سنحاول التعرف على ملامح وخصائص هذه الآلهة من تحليل أسمائها الهيروغليفية. فالزوج الأول نو ونوت يكتبان على هيئة بمعنى ثلاثة أوعية ماء ترمز للصوت وسماء ممتدة والعلامة المخصصة للماء ثم رمز الرب وهو مايعنى أن هذا الإله كان إله التجمع المائى فى السماء. الربة نوت كانت قرينته الأنثى كما تدل الإشارة .

والمصريون ــ فى الزمن الأول على الأقل ــ اعتقدوا ــ كما تدل بوضوح كتابات عديدة مختلفة وجدت فى النصوص الدينية والاسطورية والجنائزية لكل العصور ــ فى وجود تجمع مائى عميق بدون حدود انبثقت منه السموات والأرض وكل ما هو حى وأن البذور الأساسية لكل شكل أو نوع من أنواع الحياة قد وجدت منذ البدء فى هذا التجمع وإن كان ــ كما يبدو لنا من نصوصهم ــ لم

لم تكن لديهم أى أفكار محددة عن مكان هذا التجمع وهل هو فى السماء أم فى السماء التى تعلوها (الجنة).. ولم يحددوا له ــ أيضاً ــ أبعاداً يمكن التعبير عنها بطرق القياس المعروفة.

عموماً.. فى أوقات تالية أصبح نو يرمز له بشكل متكرر بالسماء «بيت» pet وبالجنة التى تعلوها نوت nut وبدقة أكثر ــ كان يمثل التجمع المائى المفترض وجوده بينهما. ويجدر الإشارة هنا إلى أن النيل والمحيط كانا يوصفان أيضاً بنو الذى يبدو أن صفاته قد تعدلت خلال العصر المتأخر من الأسرات.

وكلمة نو كما نعرف من العبارة التالية «لقد أوجدتهم من داخل التجمع المائى «نو» خارجاً من السكون نين NEN» تعنى الكتلة المائية الداخلية للجوهر المائى الذى خلق منه العالم وهو تفسير أقرب لحقيقة معناها من مقارنتها بالكلمة القبطية ⲛⲟⲩⲛ أو ما يشابهها والتى تعنى «هاوية» أو «عمق» والتى يمكن أن يكون بينها وبين نو بعض الأرتباط ولكن من الصعب أن نوافق الدكتور بروجيش أنها فى هذه الحالة تعنى كلمة «صغير» «YOUG»

وعن «نوت» القرينة الأنثى «لنو» لن نحتاج إلى شرح أطول عدا أنها كانت تعتبر الام الأوليّة التى استعارت ربات كثيرات مثل حتحور وموت ونيت أو نيز صفاتها فى العصور التالية للأسرات.

الشكل الذى صور عليه «نو» اختلف فهو تارة على هيئة بشرية ممسكاً بصولجان فى مجمع آمون أو برأس ضفدع يعلوه جعران أو ــ حتى ــ برأس ثعبان. كذلك الربة نوت صورت بهيئة بشرية ولكنها أحياناً كان لها رأس حية يعلوه قرص شمس وفى أوقات أخرى كان لها رأس قطه.

الزوج الثانى من الأرباب حيحو HEHU وحيحوت HEHUT من الصعب تحديد ملامحهما فهما كما ذكر سيجنور لانزون يجسدان عناصر ذكورة وأنوثة النار ومن صورهما القديمة نجد أن الفنانين المصريين قد

قدموهما بأشكال مختلفة ففى أحد مجمعات الآلهة الثمانية البدائية جعلوا حيحو أحد أشكال نو ــ بمعنى رأس الضفدع الذى سبق وصفه ــ وحيحوت على هيئة نوت وفى مجمع آخر كان لحيحو رأس ثعبان وحيحوت قطة. أما الدكتور بروجيش فيربط الاسم بكلمة حيح HEH والتى تدل على عدد «لاحصر له» أو «لا يمكن تقديره» بمعنى أنه عندما تضاف حيح HEH لكلمة زمن فهذا يعنى «ملايين السنين» وهى بذلك تعادل الكلمة اليونانية αιων كذلك اقتبس عالم المصريات المميز دكتور بروجيش عدة عبارات ذكر فيها الإله حيح كتجسيد للطقس الموجود بين الأرض والسماء مطابقاً فى ذلك لصفات الإله شو وقام بعد ذلك بعمل عدة مقارنات بين مهامه ومهام هؤلاء الذين عرفوا فى النظام الفلسفى اليونانى بأسماء أيون AION واروس EROS وبنيوما PNEUMA

من رسم أعاد تصويره سيجنور لانزون نرى الإله هاربوكريتس HARPOCRA-TES فى حالته المعتادة يجلس فوق مايبدو أنه شجرة صغيرة وتجلس على ركبته اليمنى الربة حيحوت مادة ساعدها ويدها لتستند عليها اليد اليسرى للإله الشاب على الجانب الآخر نرى حيحو راكعاً تحت قدم الإله يرفعها أو يسندها وفوق رأسه جعران وقرص.

على عكس الزوج الثانى نجد أن ملامح الزوج الثالث من الآلهة كيكوى KEKUI وكيكويت KEKUIT أبسط فى تحديدها ــ وبقليل من التجاوز ــ يمكن التأكيد على أن هذين الربين يمثلان ذكراً وأنثى قوى الظلام التى ــ يفترض ــ أنها تغطى عمق الماء ولقد قارنهما دكتور بروجيش بالآلهة اليونانية ايروبوس EREBOS وهما فى بعض الأحيان يبدوان كما لو كانا يمثلان الليل والنهار بمعنى أن كيكوى كان يسمى «ظهور الضوء» وكيكويت «ظهور الليل». ومن الصعب ابراز كيف حصلا على هذين الاسمين.

لأن كيكوى يمثل هذه الفترة من الليل التى تسبق النهار مباشرة وعلى العكس كيكويت تمثل الفترة التى تعقب النهار مباشرة.

وكيكوى وكيكويت اعتبرا فى أحد العصور كإلهى الفنتين واسبغت عليهما صفات الإلهين النوبيين خنيمو «KHNEMU» وقرينته الانثى ساتى SATI وقد يكون ذلك بسبب اعتبار كيكوى وكيكويت ـ بدون شك ـ مجسدين لإله النيل حابى والذى تقع منابعه الخفية أسفل الصخور فى مكان ما من جزيرة الفنتين.

هناك ـ أيضاً ـ من يرى أن الإله التمساح سوبيك «SEBEK» الذى كانت كوم أمبو أحد أماكن عبادته الرئيسية ـ كان يجسد الآله الاولى القديم كيكوى على أى حال كان سوبيك هذا ـ بالتأكيد ـ أحد الأشكال الرئيسية الذى رأت روح الظلام الأولية أن تتجسد فيه.

من الرسوم التى تصور أشكال البوت الأقدم للآلهة كانوا عادة ما يرسمون كيكوى برأس ثعبان وكيكويت برأس ضفدعة أو قطه رغم أننا وجدنا فى أحد الرسوم ـ والذى أطلق فيه على كيكوى اسم «كا» وكيكويت اسم «كايت» «KAIT» وعلى الأول لقب «جد جميع الآلهة» والثانية «جدة جميع الآلهة» ـ أن كا أو كيكوى له رأس ضفدع يعلوه جعران وكايت أو كيكويت لها رأس حية يعلوه قرص.

الزوج الرابع من الآلهة كيرة وكيرهيت يصعب التعريف بهما حيث نجد فى النصوص أسماء مختلفة تماماً لهما فكيره مثلاً نجده بدلاً من الأسماء نى Ni أو نينو Nenu, أو نوت Nut, أو امون

وبدلاً من كيرهيت نجد انيت Ennit, أو نينويت Nenuit, أو نت أو نيت Nit, أو امونيت

والمعنى الشائع لكلمة كيره KERH هو «ليل» وبهذا فيمكن أن نقول أن الإلهين كيره وكيرهيت يمثلان القدرة الذكرية والقدرة الأنثوية لليل. فى نفس الوقت الرمز والموجود فى كلا الاسمين يظهر أن هذين الإلهين يمكن اعتبارهما

يمثلان ــ كما يبدو ــ قوى غير فعالة للهاوية المائية الأولية وبالتالى يمكننا أن ننظر إليهما على أساس أنهما نوعان من قوى الطبيعة الساكنة قبل أو بعد حالة النشاط.

فى الرسوم التى تصور المجمع الأقدم للآلهة نجد أن «نى» ــ أو فلنقل ــ «كيره» له رأس ضفدع فوقها جعران أو بدونه أو نجد أن له رأس ثعبان كذلك انيت بمعنى كيرهيت كانت لها إما رأس ضفدعة أو رأس قطة.

إن التوفيق بين الآراء المختلفة لعلماء المصريات الخاصة بهذه الازواج الاربعة من الآلهة السابق ذكرها مهمة غير بسيطة فالمصريون القدماء أنفسهم ــ بالتأكيد ــ يبدو كما لو كانوا لم يمتلكوا رؤية واضحة عن وظائفها. الحقيقة الوحيدة التى لا شك فيها هى أن هذه الأزواج الأربعة ــ بالرغم من أن أقدم العصور المعروفة لاشكالها يؤرخ لها بفترة لا تسبق حكم سيتى الأول ــ كانت آلهة العصور القديمة يتضح ذلك من الطريقة التى ذكرت بها والتى تؤكد أنها تمثل أفكاراً تراثية ذات ملامح أثرية حتى بالنسبة للعصر الذى جاءت منه فالإنسان غالباً ما كان يصنع ــ ويحتمل أنه سيفعل هذا دائماً ــ الهه أو الهته على شاكلته وهو عادة ما كان يصل إلى مرحلة معينة فى تطوره الدينى يزوج فيها آلهته ويجعلها أيضاً تنجب وهنا يختلف الدور الذى تقوم به زوجة الإله حسب طبيعة الدور الذى تقوم به النساء فى وطن هؤلاء الذين يسطرون أساطير وتقاليد الآلهة وهكذا فآلهة المجمع الأقدم فى مصر كانت ــ كما يؤمن الكاتب ــ قد تم ابتكارها بواسطة شعب تحتل النساء فيه أماكن سامية ويمتلكن نفوذاً يفوق بكثير ما تعودت عليه نساء الشعوب الشرقية فجاءت نوت وحيحيت وكيكويت وكيرهيت مساويات لنو وحيح وكيكوى وكيره ومختلفات عن ربات العصور التالية لها التى كانت فى العادة تمنح أقل اهتمام وتتحول بمرور الوقت إلى حاملة للذرية فقط مثل ما حدث لزوجة رع رعت RAT وزوجة آمون امونيت AMENT واللتان لم تلعبا دوراً بارزاً فى العقيدة المصرية القديمة ونادراً ما كانت تذكران فى النصوص.

أما ما يمثله هذا المجمع فسنجد من السياق العام للنصوص التى ذكرت فيها هذه الأزواج الأربعة من الآلهة أن ثلاثة منها كانت تمثل نوعيات أو صفات أو

أشكالاً تجسد الزوج الرابع . والبعض يقول أن الأزواج الأربعة تمثل ذكراً وأنثى العناصر الأربعة الأرض والهواء والنار والماء وآخرون جعلوا منها مقراً للمادة الأولية التى انبثق منها كل ما خلق والفضاء الأولى والزمن الأولى والقدرة الأولى .. وهكذا نجد أن من المستحيل فى ظل المعلومات المتوفرة الآن من علم المصريات أن تحدد بدقة ما الذى يمثله هذا المجمع حتى تظهر الأدلة التى قد تساعدنا على الوصول إلى قرار نهائى فى هذا الموضوع .

والآن قبل أن نتقدم فى دراستنا لتأمل الأحداث التى نتج عنها خلق الشمس وبعد ذلك العالم سيكون من الهام أن نقارن بين الازواج الأربعة للآلهة المذكورة سابقاً ومجموعة أخرى من الآلهة التى وجدناها على « اللوحات السبعة للخلق » المكتوبة بالخط المسمارى والتى توضح آراء وعقائد الآشوريين فى أصل الآلهة والعالم والجنس البشرى .

المجمع القديم للآلهة الأولية المذكور فى هذه اللوحات يتكون أيضاً من ثمانية يمكن اختصارها إلى أربعة أزواج .

الزواج الأول يتكون من ابزو ـ ريشتو Apzû-RISHTÛ

بمعنى « الأعماق الأولية » ومومو ـ تيامات Mûmmu-Tiamat

ومعنى مومو غير معروف ولكن تيامات هى القرين الأنثوى لابزو ـ ريشتو وبذلك أصبحت أم ذريته .

هذين الآلهين يمثلان ـ بذلك ـ القوى الذكرية والانثوية للتجمع المائى الذى يحتوى على بذور الحياة وكل شيء حى والتى كانت موجودة فى زمن « عندما لم يكن موجوداً أى إله أو أى اسم ولم تكن قد نظمت بعد الأقدار « عندما » كانت مياههما مختلطة معاً » . ثم بعد ذلك بدأت عملية الخلق .

وهكذا نرى أن الآلهين البابليين أبزو ـ ريشتو ومامو ـ تيامات هما المعادلان الفعليان للالهين المصريين نو ونوت وهما أصل الإلهين اليونانيين *Ταυθὲ* و *Απασῶν* اللذين ظهرا فى خطط الدمشقى فى الربع الأخير من القرن الخامس .

الزواج الثانى الموجود بالنصوص الآشورية هما لاخمو LAKHMU
ولاخامو LAKHAMU ولا نعرف عن وظائفها شيئاً أكثر مما نعرف عن الآلهين المصريين حيح وحيحيت.

أسماء الإلهين الثالث والرابع —أى الزوج الثانى— كما جاءت فى قائمة الدمشقى هما Δαχή و Δαχός ولكن هذين الأسمين من الواضح خطأهما فالصحيح هو Λαχή و Λαχός بمعنى لاخمو ولاخامو.

ومن اللوح الأول لسلسلة الخلق نجد «بمرور الزمن جاء إلى الوجود الهـان آخران» أى أنشار ANSHAR, وكيشار KISHAR
واللذان جاءا فى قائمة الدمشقى Ασσωρός و Κισσαρή

وبهذا الشكل نجد أن نقاط التشابه بين الأزواج الثلاثة الأولى للآلهة الآشورية ونظائرها من مجمع الآلهة المصرية الاقدم ملفتة للنظر بحيث تتفق تماماً فى كل من صفاتها ووظائفها.

أما الزوج الرابع فنحن نعرف من قائمة دكتور بروجيش المطبوعة أن المستندات المصرية قد اختلفت فى تسميتها فالبعض أطلق عليها كيره وكيرهيت والبعض آمون وأمونيت أو انين وانينيت —هيمسيت أو نى واننيت ولكن اتفق الجميع على ضرورة وجود زوج رابع لإكمال المجمع الأولى وفى أنه من الواجب أن يكون أحدهما إلهاً والأخرى ربة.

فى نفس الوقت نجد أن اللوح الأول من سلسلة الخلق قد ذكر فيه إلهاً سابع يدعى آنـو ANU, والذى قدمه الدمشقى باسم Ἀνός كذلك إله ثامن يدعى نوديمود NUDIMMUD أحد ألقاب الإله إيا (EA) ولوح النص —للأسف— مكسور بعد ذلك ولا توجد حتى الآن الوسيلة التى تمكننا من ارجاعه إلى أصله وإلا كان من المحتمل أن يقدم لنا اسم إله تاسع.

والالهـان السابقان ذكران فى حين أنه كان من الواجب أن تكون أحداهما أنثى.

كذلك فى قائمة الدمشقى للآلهة الأولى نجد أن الآلهة التى تلى كيشار هى Κισσαρῆ حيث أولها ــ كما سبق وذكرنا ــ هو آنو والثانى Ἀνός, Ἴλλινος, Αός انليل [cuneiform] والثالث إيا [cuneiform] وهنا أيضاً لا نجد بينها ربات مما يجعلنا نشك فى أن المؤلفين الآشوريين عندما كتبوا بالخط المسمارى هذه النسخ المعدلة من القصة استبدلوا الآلهة أنوو انليل وإيا التى تمثل السماء والأرض والبرزخ بالتتالى والتى كانت موجودة بنسخ أقدم .

فالنسخة الآشورية التى بين أيدينا الآن كتبت خلال فترة حكم آشور بانيبال ملك آشور عام ٦٦٨ ــ ٦٢٨ ق.م وهى منسوخة عن نموذج أصلى من المستحيل معرفة أو تحديد تاريخه. ولكن بما أن الألواح السبعة للخلق تحتوى على نقوش آشورية عديدة مأخوذة عن كلمات سومارية قديمة فلقد توصلنا إلى أن المعلومات الأساسية الموجودة فى هذا العمل يجب أن يكون لها أصل سومارى اندمج فيها منذ أزمنة بالغة القدم .

وهكذا من المدهش ــ حقاً ــ أن نجد مثل هذا التماثل بين الآلهة القديمة السومارية وتلك المصرية بالغة القدم خاصة أن هذا التماثل لا يمكن أن يكون نتيجة استعارة أو تأثر احداهما بالأخرى ــ وبالطبع ــ خارج عن الموضوع أن نفترض أن المؤلفين فى عهد آشور بانيبال قد نقلوا نظامهم من مصر أو أن أدباء عصر سيتى الأول قد استعاروا أفكارهم من أدباء بابل وآشور.

وهكذا نصل إلى استنتاج بأن المصريين والسوماريين قد أخذ كلاهما الهتها الأولى من مصدر بالغ القدم ومعروف لكليهما فالتماثل الذى جعل مجمعى آلهة البلدين شديدى التقارب لا يمكن أن يحدث عن طريق الصدف خصوصاً أن هناك احتمالاً أن يكون المصريون قد أخذوا نظامهم الأول هذا من نفس هؤلاء القوم الذين علموهم طريقة صناعة الطوب واستخدامه فى بناء الأسقف المقبية أو ما يشبه ذلك . فإذا صدق حدسنا هذا يصبح من المؤكد أن المجمع الأقدم للآلهة والذى ــ كما رأينا ــ كان معروفاً لكليهما كان يختلف عن كل ما تلاه وظهر فى

البلدين سواء فى ذلك المجمع الذى رأسه ايزوريس أو رع ــ تم أو تلك التى كانت فى بابل وآشور عندما كان يسكن هذه البلاد شعوب سامية.

والآن من اللوح الأول لسلسلة الخلق نفهم بوضوح أن عملية الخلق قد بدأت عندما اندمج روحاً أو مائياً الزوج الأول من الآلهة البدائية ابزو وتيامات واللذان أنجبا نتيجة هذا الاندماج ــ بعد ذلك ــ لاخمو ولاخامو وانشار وكيشار.. الخ أما ما كان يعتقده المصريون بهذا الصدد فلا نعرفه على وجه اليقين ولكن نستطيع من إشارات مختلفة فى نصوص عديدة أن نقول أن الأزواج الثانى والثالث والرابع من مجمع الآلهة التى ذكرت من قبل كانت نتاج اتحاد الآلهين الأولين أى أن هذه الأزواج كانت تمثل صفاتها بمعنى أن نو ونوت كانا القوى المذكرة والمؤنثة للتجمع المائى الأولى اللانهائى بذكره وقرينته ــ نى وانيت NI and ENIT ــ وأن الزوج الثانى حيح وحيحيت يمثلان طبيعتها اللامتناهية أو يمكننا أن نقول القوى المذكرة والمؤنثة للظلام. وبالتالى نستنتج أن مجمع الآلهة المصرى الأقدم كان يجسد المادة الأولية التى انبثق منها كل شىء أو التجمع المائى اللانهائى غير المحدود المغلف بالظلام الكثيف والذى يحتوى النطف المذكرة والمؤنثة لكل شىء حى.

الدكتور بروجيش بناء على جمل بعينها جمعها من النصوص المصرية يرى أن الروح الأولى «الدافع الأصلى» قد شعر بالرغبة فى الخلق وأن كلماته أوجدت الحياة فى العالم بالطريقة التى انعكست تماماً فى مخيلته وأن أول فصول الخلق كان تكوين بيضة انبثقت من التجمع المائى الأولى فانبعث منها ضوء النهار ــ بمعنى رع ــ وكانت السبب المباشر فى حياة كل ما هو على الأرض وأن فى هذا الضوء ــ يمكننا أن نقول الشمس المشرقة ــ تتبدى قدرة الروح القدس على التجلى بهذا الشكل المتألق.. ولآراء عالم المصريات القدير فى مثل هذه الأمور وزن كبير ولكن علينا أن نتذكر أنه لا يوجد أى سند فى النصوص يدعم كل ما سرده من تفاصيل عن الأحداث التى تمت قبل ظهور الشمس فى السماء لأول مرة فضلاً عن أن ما يمكننا الاعتماد عليه ــ فقط ــ هو تلك المؤلفات التى حوت

وجهات نظر وأفكار المصريين القدماء بهذا الخصوص والتى ــفى حدود المتيسر من المعلومات ــتم تأليفها ونسخ أقدمها فى الفترة ما بين نهاية الدولة المتوسطة وبداية الحديثة.

والمصريون ــبدون شكــ آمنوا بأن الشمس قد خرجت من التجمع المائى الأولى «نو» فهم قد أعلنوا بشكل متكرر أن «رع» انبثق من «نــو» ولكنهم ــفى حدود معلوماتناــ لم يجعلوا من هذا التجمع مسكناً للروح الأولى ذلك الذى صمم وخطط فى عقله عالم المستقبل قبل أن يبدأ فى إنشائه والذى قام بتنفيذ الأعمال المتنوعة والعديدة للخلق بتتابع أدى فى النهاية إلى أن تخترق أشعة الشمس الظلام الكثيف الراقد على التجمع المائى الأولى.

نحن نعلم أن النظام الكهنوتى لمدينة الآلهة الثمانية هيرموبوليس ــأو كما ذكرت فى النصوص المصرية خيمنو ــكان يتكون مجمع آلهته من نو ــنوت ــ حيح ــحيحيت ــكيكوى ــكيكويت ــكيره ــكيرهيت وأنهم فى تلك المدينة كانوا يعبدونها وعلى رأسها الإله تحوت الذى كان يمتلك ــبالتأكيد فى عصور تاليةــ كل الصفات التى أسبغها الدكتور بروجيش على الروح الأولى ولكن.. لا يوجد أى دليل بأى شكل يؤكد أن تحوت كان رئيس هذا المجمع الأصلى بالعكس هناك ما يجعلنا نظن أنه إذا كان للآلهة الثمانية فى بداية وجودها ــفى يوما ماــ رئيس فكان لابد وأن يأخذ طابع إله شمسى. والحقيقة أنه كما فعل كهنة هليوبوليس عندما كونوا مجمع آلهتهم من نظام قائم بالفعل مع إضافة الهم المحلى له على رأس المجمع كذلك فعل كهنة هيرموبوليس عندما عدلوا المجمع الأولى للآلهة الثمانية ــلأسباب غير معروفة لديناــ فقد عينوا على رأسه الهم المحلى تحوت.

البعض يحاول أن يجد لدى المصريين معادلاً «لروح الوهيم» الذى جاء فى سفر التكوين أنه تحرك أو استوى على وجه الماء قبل خلق الضوء ولكن لا يوجد فى النصوص المصرية ما يؤكد هذا فهى لا تفصح عن كيفية تخيل المصريين الأوائل

للوسائل التى جاءت بها الشمس للوجود ولكن ورغم هذا التعتيم الذى صاحب النشأة إلا أننا نعرف بصورة جيدة للغاية أفكارهم عن طريقه خلق الآلهة والعالم والحيوانات والطيور والأشجار والأسماك والزواحف .. الخ وأين كانت قبل الخلق وبأى وسيلة جاءت للوجود .

ومعلوماتنا هذه ندين بها لبرديتين محفوظتين فى المتحف البريطانى تحت رقمى (١٠ ، ١٨٨) واللتين كتبتا لصاحب المقام العالى النسيب « نيس ـ أمسو » أو « نيس ـ مين » «NES- MIN» «NES- AMSU» كاهن بانوبوليس أو (أخميم) خلال السنوات الثلاث عشرة لحكم « الكسندر بن الكسندر » أى حوالى ٣١٢ق.م .

هذه الوثيقة الهامة تحتوى على مجموعة من المؤلفات القيمة جنباً إلى جنب مع سلسلة من الفصول تضم عملاً سحرياً طويلاً كتب بهدف تدمير الشيطان ابيب وأتباعه عفاريت الظلام وإبعاد العواصف والزوابع عن السماء . فى نهاية كل فصل نجد مجموعة من الفروض التى سبق عرضها وقرأنا مثلها فى وصف التوات كذلك تعليمات ترشد إلى الطريقة التى تنفذ بها الطقوس المصاحبة لتلاوة هذه الفصول ورغم عدم وضوح المكان الذى يجب أن تتلى فيه إلا أننا يمكننا أن نفترض قياساً على عملين من ثلاثة أعمال وجدت فى هذه الوثيقة وتُحدد وجوب ترتيلها فى معبد آمون ـ رع ملك آلهة طيبة أنها كانت صلوات تؤدى فى المعبد من وقت لآخر .

العملان المشار إليهما « أغانى أعياد ايزيس ونفتيز » و « مندبة ايزيس » ـ التى من المحتمل أن تكون ملحقاً للأولى ـ كانتا صلاتين هامتين تتليان فى الليلة الكبيرة « لمولد ايزوريس » وكمرثية له حيث ترتدى كاهنتان زيين تمثلان بهما الربتان وتغنيان بشكل دائم مقاطع من أغانى العيد وفى الغالب مقاطع أخرى من المندبة .

التعليمات المصاحبة لأغاني العيد والمندبه كانت تحتم ترتيلها في معبد آمون ــرع وبالتالى ففى الغالب كان يتلى العمل الثالث «سفر رجم الشيطان» ــوالذى كان مخصصاً لحماية رب المعبد إله الشمس العظيم رع من ابيب ــفى نفس المكان.

والآن فلنترك ماكان يحدث ليحدث ونوجه اهتمامنا إلى فحص نصين لقصة الخلق ــاحتوتهما البردية ــ على جانب عظيم من الفائدة لموضوعنا.

أول مايلفت النظر أن كلا النصين كان مدسوساً داخل فصول المتن الأساسى للعمل بطريقة يبدو منها كما لو كانا يمثلان وجهتى نظر متميزتين رغم تطابق بعض الأفكار فى أماكن كثيرة منهما.

عنوان كل من النسختين «كتاب معرفة نشوء رع ورجم ابيب» وكلمة نشوء هنا يشار إليها بخيبرو Kheperu, مستقاة من الأصل خيبر Kheper, والتى تعنى «يصنع أو ينتج أو يصمم أو يكون أو يصبح» وبمعنى مساق «قائمة» بحيث يمكن ترجمة العنوان إلى «كتاب معرفة مصنوعات رع» بمعنى كل ماتم صنعه أو جاء إلى الوجود من خلال رع. وفى النص تم الحديث على لسان الإله نب ــار ــتشير Neb-er-tcher الذى قال: *

«أنا من جاء إلى الوجود فى شكل الإله خيبرا وكنت الخالق لكل ما جاء للوجود واليوم بعد أن خلقت نفسى (و) الأشياء التى خلقتها والتى خرجت من فى كانت كثيرة».

فى هذه الكلمات يقول نب ــار ــتشير أو رع أنه اتخذ لنفسه شكل خيبرا أى أنه كان الإله الذى اختص بعملية خلق الأشياء من كل نوع. وخيبرا هذا كان يرمز له بخنفساء من نوع ينتمى إلى فصيلة تقتات على الروث وتضع بيضها فى كتل منه ثم تلفها حتى تصبح كروية الشكل.. هذه الكرات رغم أنها مضنوعة من جماد فهى تحتوى فى داخلها على نطف الحياة التى تنمو بتأثير الدفء

* النص الهيروغليفى وترجمته الحرفية فى الفصل الثامن.

والحرارة تم تتحول إلى كائنات حية تسعى للحصول على طعامها فى موعد محدد. والمصريون كما نعلم قرنوا قرص الشمس بكرة روث الخنفساء ــ فى مرحلة مبكرة من تاريخهم ــ متأثرين جزئياً بتشابه شكليهما ومن كون الشمس مصدر للحرارة والضوء وحياة الإنسان مثل كرة الروث بالنسبة للخنافس الصغيرة.

ونستطيع أن نتصور أنهم بعد أن توصلوا إلى هذا التشابه الذى بين قرص الشمس وكرة الروث فى يوم ما تقدموا بعد ذلك لخطوة أخرى وتخيلوا أنه يجب أن يكون فى السماء خنفساء عملاقة تدفع قرص الشمس عبرها كما تدحرج الخنفساء كرة الروث على الأرض. وهو ما نراه دائماً فى الصور التى تمثل شروق الشمس حيث نجد خنفساء تدفع لأعلى أو للأمام القرص. وبالتدريج ارتبطت أفكار مثل حياة جديدة ــ بعث ــ حياة فى ثوب جديد وما يشبه ذلك بالخنفساء وبالآله الذى يحمل صفاتها والتى من بينها ــ بالطبع ــ فى زمن لاحق فكرة الخلق الذاتى.. وبذلك أصبحت الخنفساء تمثل واحدة من أهم أشكال رع خالق السموات والأرض والتوات وكل مابها من أشياء.

والآن نعود للنص فبعد أن أوضح الإله الشكل الذى جاء به إلى الحياة استطرد قائلاً أن قدرته على الخلق لم يستنفذها عمل واحد وإنما هو قد استمر فى خلق أشياء جديدة من تلك التى صنعها من قبل وقال أنها انبثقت من فمه. وكلمة فم هنا ممكن أن تكون تعبيراً مجازياً ولكن بالحكم عليها من أجزاء أخرى من النص نجد أن من المحتمل فهمها حرفياً.. ثم يستكمل الإله روايته.

«السماء لم توجد والأرض لم تظهر للوجود والأشياء التى تخص الأرض (نباتات؟) والأشياء الزاحفة لم تتواجد فى هذا المكان (أو فى هذا الزمن) وأنا رفعتها أو (اقتها) خارج نو حيث كانت فى حالة خمود».

وهكذا يظهر لنا أن فى البداية لم يكن هناك بجوار البرزخ المائى «نو» الا خيبرا فقط وأنه بالتالى قد قام بدون أن يحتاج لمساعدة أى أنثى رئيسية بتنفيذ جميع المهام المطلوبة للخلق وأن دور «نو» لم يكن أكثر من المصدر الذى زوده

بالمادة الأولية التى أطلق عليها بروجيش «ربرستاف URSTAFF» والتى صنع منها كل شيء كذلك عرفنا من النص أن هناك أشياء أخرجها خيبرا من داخل «نو» كانت فى حالة أنين enen, بمعنى خمود وهو ما يجعلنا نفهم أن كل ما فى السماء والأرض فى ذلك الوقت كان خامداً فى التجمع المائى.

ويستطرد النص «لم يكن هناك مكان أستطيع أن أقف عليه.. وضعت على قلبى أو (ارادتى) تميمة وأرسيت أساس لماع MAA (و) صنعت كل شكل (أو خصائص) كنت وحيداً مع نفسى (لأننى) لم أكن قد أخرجت الإله شو من داخلى ولم أكن قد بصقت الربة تفنوت خارج نفسى ولم يكن هناك كائن آخر يعمل معى».

وخيبرا فى هذه الجملة يقطع الشك باليقين فهو الخالق الأوحد لكل شيء حتى أنه لم يجد لنفسه مكاناً يقف عليه أثناء تنفيذه للأدوار المختلفة للخلق.. أما الكلمات (خوت ــ نا ــ أم ــ أب ــ اه) والتى ترجمناها إلى ــ وضعت على قلبى (أو ارادتى) تميمة ــ فتمثل صعوبة ولكن الترجمة تعطى أقرب معنى لها. كذلك الكلمة نجد أنها فى نصوص شبيهه كان لها معنى «يقوم بفروض أو طقوس سحرية».

ويبدو أن المؤلف لقصة الخلق هذه التى بين أيدينا قد وجد نفسه مضطراً إلى أن يجعل للإله قوى سحرية ما حتى يخرج نفسه من مأزق توضيح الطريقة التى أثر بها خيبرا على قلبه ــ أو ارادته ــ لكى يضع لنفسه قاعدة يكمل منها العمل الذى كان عليه أن يقوم به فى «ماع». والاسم يمكن أن يقرأ أما «ماع» أو «شو» ولكن «شو» لا تتسق مع النص لأننا نقرأ فى الجملة التالية أن خيبرا لم يكن فى ذلك الوقت قد أخرج بعد شو من داخله.

ونحن نعلم من نصوص جميع العصور ما توصل له المصريون من أفكار عن ماع ومن الواضح أن المعنى الأولى للكلمة كان «الذى هو مستقيم» ثم أصبح يحمل المعانى «الاستقامة أو الصلوات أو الحق ــ العدل ــ القانون ــ النظام ــ الانتظام

ــ العدالة » ومايشبهما من معانى وتعبيرات والربة ماعت Maat كانت تجسيداً «للصدق» وبذلك فالفكرة التى يحاول النص أن ينقلها هنا هو أن خيبرا قد أرسى أسس العالم المستقبلى طبقاً لخطة واضحة ومحددة وغير متغيرة فبدون شك أن ماع مع خيبرا فى هذا النص تماثل ما كانته حكمة חָכְמָה HOKHMĀH مع ياهو تماماً ويقال أن حكمة هذه قد قدّت من الخلود فى زمن البداية عندما لم يكن هناك أرض أو بحار قبل أن تستقر الجبال وقبل التلال .. ولدت عندما لم يكن ياهو قد صنع بعد الأرض أو الحقول أو التربة وكانت حاضره عندما جهز السموات وطوق وجه اليم (سفر الحكمة VIII) وتستمر الرواية «صنعت أساساً فى (أو مع) قلبى وهناك جاء للوجود حشد من أشياء ومن الأشياء التى نتجت عن الأشياء التى صنعتها » .

والجملة هكذا مطولة ومتشابكة ولكن لحسن الحظ لاتوجد صعوبة فى الاستدلال على معناها فالكاتب جعل الإله يزعم بشكل مؤكد أن كل شىء قد جاء إلى الوجود نتيجة لما قام به من إرساء أساسه فى قلبه وأنه بمجرد أن أخذت عملية الخلق دورتها فإنها استمرت تلقائياً دون أى تدخل مباشر ــ كما هو واضح ــ من قوى الخلق الأصلية .

فى الجملة التالية نجد إشارة إلى عقيدة غريبة كانت سائدة فى عهد الأسرة السادسة فقد استبدلوا فى هذه الفترة خيبرا بالإله تم كما جاء بالنص « بيبى هذا غسل نفسه فى بحيرة عاروا AARUA حيث غسل رع نفسه وحورس أحضر ظهر بيبى هذا .. وتحوت أحضر ساقى بيبى هذا .. وشو رفعه عالياً فى السماء يانوت افردى ذراعيك لبيبى .. « تم » رحل لآنو ANNU ليشبع حبه للبهجة وهو قد دفع بعضوه بين يديه ونفذ رغبته فأنجب طفليه شو وتيفنوت اللذين وضعا بيبى بينهما وثبتاه بين الآلهة التى فى سيخيت حتبيت SEKHET-HETEPET» .

بنفس الشكل نجد ماقيل على لسان خيبرا فى قصة الخلق «توحدت مع كفى وعانقت ظلى عناق محبة وصببت بذورى فى فمى وبثثت من نفسى ذرية على هيئة شو وتيفنوت » .

إن أسطورة بهذا الشكل لا يمكن أن تصدر إلا عن شعب ذى مستوى حضارى منخفض ومن الصعب فهم طبيعة تفكير هذا المؤلف الذى يساعد خيبرا ـ فى جملة من جمله ـ عن طريق إضفاء صفات سحرية عليه يستخدمها لتجاوز أزمته ثم يختذله فى سطر آخر إلى الدرجة التى يجعله فيها يزوال الاستمناء لينجب أول الهين ويضفى عليه فى نفس الوقت قدرات عديدة تشبه تلك التى خصت بها الشعوب المسيحية الله.. إن الطريقة الوحيدة لتقبل هذا النص الفظ هو افتراض أنه قد نقل عن نص أصلى أخذ منه المؤلف عندما دون بردية نيس أمو أو أنه كان يعرف أن خيبرا قد أنجب شو وتيفنوت دون أن يكون له قرينة أنثى مما اضطره للوصف السابق كى يبرر أصل الطفلين ـ على أى حال ـ لم يكن المقصود من هذا المثال الوحشى للمذهب الطبيعى أن يقدم لنا صورة فاحشة بل يمكن اعتباره أحد رواسب بعض العادات الجلفة لعصر ما قبل الأسرات التى حوتها أدبيات عصر الأسرات أو بمعنى آخر أحد عادات بعض القبائل الافريقية المحلية التى كانت تمثل أحد أصول مصريى عصر الأسرات.

الفصل التالى من الرواية يصعب ترجمته وتفسيره لأنه يحتوى على كلمات سردها خيبرا على لسان أبيه نو الذى قال أن عينه بمعنى الشمس كانت مختفية خلف شو وتفنوت ولكن بعد أن مرت عصور هنتى HENTI أصبحوا ثلاثة آلهة بدلاً من واحد. وبعد أن جاء إلى الوجود على هذه الأرض رفع من داخل التجمع المائى شو وتفنوت اللذين أحضرا عينه إلى موكبه.

والمعنى العام لهذه العبارة يبدو كما لو كان أنه عندما كان خيبرا موجوداً فى نو هو ونفسه الشمس ـ التى توحد معها بعد ذلك ـ كان مختبئاً فى مياه العمق ولكن بمجرد أن صنع شو وتفنوت برزت الشمس من العمق وتبعت موكبه. بكلمات أخرى هو يعلمنا بأن عين نو كانت غير قادرة على أن تجعل نفسها مرئية حتى جاء إلى الوجود كل من شو وتفنوت.

وصفات هذين الإلهين التوأم لا خلاف عليها فنحن لا نتردد فى أن نقول هنا أن شو يمثل ضوء النهار وفى بعض الحالات الغلاف الجوى الحامل للسماء والذى

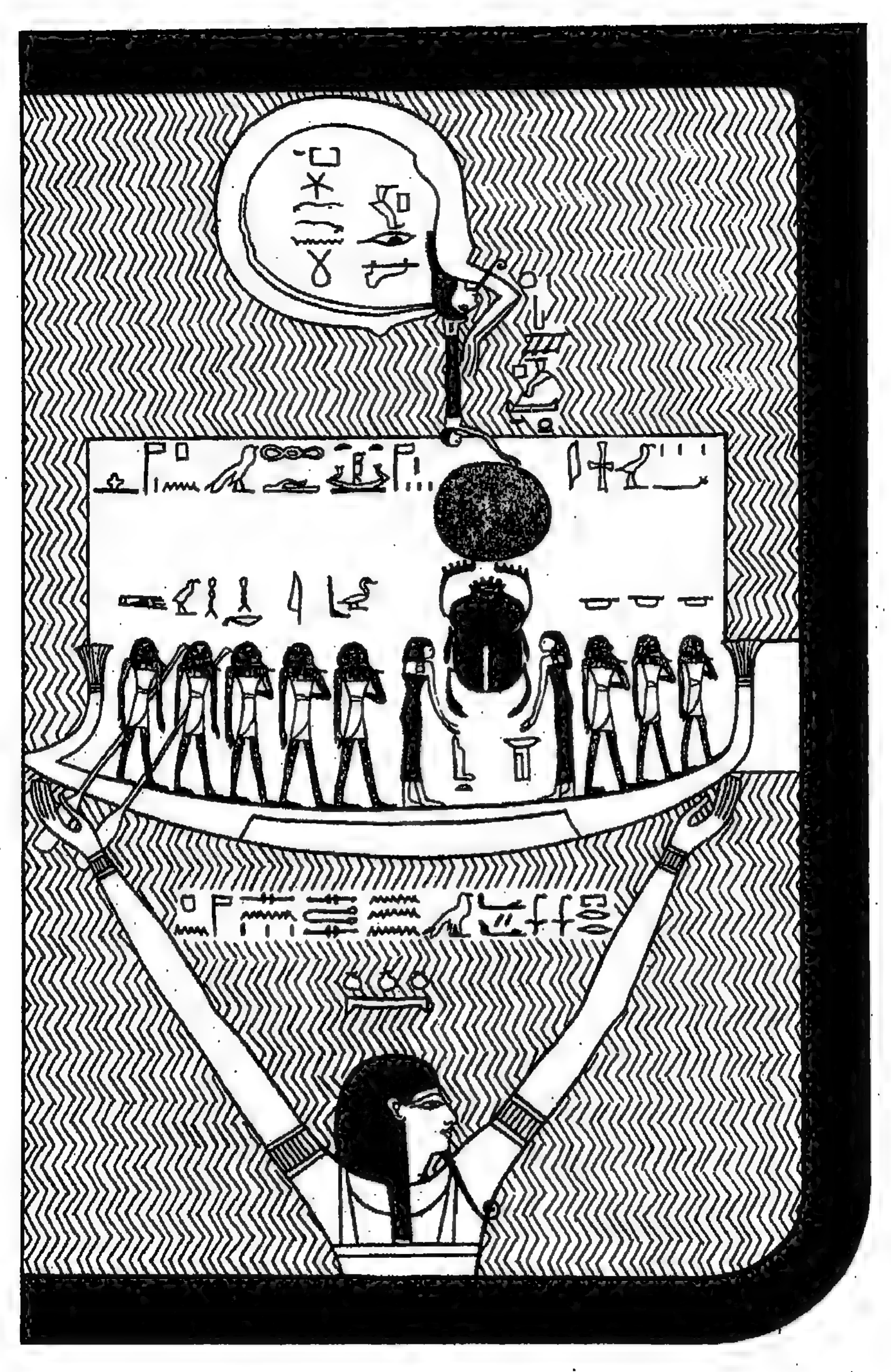
يحافظ عليها فوق الأرض بينا تمثل قرينته الأنثى تفنوت المطر والندى والرطوبة .. وقد رأينا من قبل أن هذين الإلهين قد انبثقا من خيبرا والكلمتان اللتان استخدمتا للتعبير عن فكرة الانبثاق هما اشيش ashesh وتف tef وهما تعبران عن الطريقة التى جاءا بها إلى الوجود بذاتين منفصلتين. فبعد خلق شو تكون فراغ بين السموات والأرض حيث تمكنت عين نو أن تصعد فيه خارجة من المياه تضوى والإله شو يعرف فى بعض الأحيان بالضوء ويعتبر تجسيداً له لأن ضوء الشمس شع مباشرة بعد خلقه. والمعنى العام لهذه الجملة التى نناقشها يجعل من الضرورى أن نعتبر نو هو خيبرا والعكس بالعكس.

الجزء التالى يشير إلى خلق الإنسان والإله ــ حدسا يمكن اعتباره خيبرا ــ يقول: «والآن بعد هذه الأشياء ــ وحدت أعضائى وبكيت عليها والرجال والنساء جاءوا إلى الوجود من الدموع التى زفرت من عينى».

هذه الجملة تحتمل تفسيرين فنحن أما أن نفترض أن الدموع التى سقطت من عين نو أو خيبرا هى أشعة الضوء التى تسقط من الشمس وأن الرجال والنساء بذلك هم أبناء الضوء.. أو وهو الأكثر احتمالاً أن الرجال والنساء هم نتاج الدموع المائية التى تسقط من عين الإله فوق أعضائه وأنهم تحولوا إلى بشر فور سقوطهم.

فى نفس الوقت صنع الإله نو أو خيبرا عينا أخرى والتى سنفهم بدون شك أنها القمر. ويقال أن العين الأولى عندما رأت أن الله قد صنع الأخرى ثارت عليه فأسبغ على الثانية بعضاً من قدراته «أو بهاءه» ــ عندما رأى هذا ــ وجعلها تأخذ مكانها فى وجهه وتسيطر على الأرض منذ ذلك الحين.

بعد هذا سعى الإله فى سبيل خلق النباتات والأعشاب والزواحف وكل ما دب على الأرض. أخيراً أنجب شو وتفنوت مرة واحدة الآلهة والربات سب ونوت وايزوريس وايزيس وست ونفتيز وحيرو ــ خينت ــ أف ــ ماعيتى ــ بمعنى حورس الأعمى إلهــا بعد آخر.



الخلق

هذه الأرباب أنجبت على الأرض ذرية وفيرة. وهكذا فنحن لدينا بيان كامل عن كيف أن إلها ذكراً كان وحيداً فى التجمع المائى «لنو» أنجب من نفسه بطرق غير طبيعية زوجاً من الآلهة ذكراً وأنثى وكيف أن هذا الزوج أنجب ثلاثة أزواج أخرى بالإضافة إلى إله ذكر تمثل فى حقيقتها المجمع الأكبر لآلهة هليوبوليس الذى كان فى هذه الفترة يضم عشرة آلهة.

من الهام أن نسجل التتابع الذى تمت به فصول الخلق. فالإله الخالد الذى أوجد نفسه خلق:

١) الضـوء. ٢) مسكن للرطوبة بمعنى السحب والأمطار.
٣) الجنس البشرى. ٤) العين الثانية (؟) بمعنى القمر(؟).
٥) النباتات والأعشاب والزواحف والدابات.
٦) سبعة آلهة أربعة منها ذكور وثلاث إناث.

فى النص الثانى من قصة الخلق الذى سنعرضه الآن سنجد بعض التعديلات الهامة حيث اغتصب الإله ايزوريس المكان الذى كان لخيبرا فى النص الأول حيث نجد فى الافتتاحية أن نب ــ ار ــ تشير يقول: «أنا الخالق لكل ما فى الوجود وأنا نفسى جئت إلى الوجود على هيئة الإله خيبرا.. أنا جئت إلى الوجود فى الزمن الأول.. أنا جئت إلى الوجود فى الزمن الأول.. أنا كنت الخالق لكل ما جاء إلى الوجود.. أعنى.. أنا شكلت نفسى من المادة الأولية.. أنا شكلت نفسى فى المادة الأولية.. اسمى هو أوساريس AUSARES أى (ايزوريس) الذى (هو) المادة الأولية للمادة الأولية أنا وضعت كل ارادتى فى هذه الأرض.. أنا انتشرت طليقاً هناك.. وجعلت يدى قوية أو (رفعتها).

فى هذه الفقرة لدينا نب ــ ار ــ تشير الذى جاء إلى الوجود على هيئة خيبرا يعرفنا بنفسه على أساس أنه ايزوريس الذى يوصف كالبوتيت بوتّى Pautet Pautti. بمعنى جوهر المادة الأولية ومصدر كل

المخلوقات وهى صفة غريبة بالنسبة لإله موت ولا يمكن فهمها إلا فى إطار ما كان شائعاً فى مصر من الأعتقاد بخروج الحى من الميت.

ثم تستمر الرواية «أنا كنت وحيداً لأنها (أى الآلهة) كانت لم تولد بعد ولم أكن قد بصقت بشو أو تفنوت.. أحضرت أسمى داخل فى أى يمكن أن أقول (أنا نطقته مثل) كلمة قدرة هيكاو hekau وأنا ظهرت للوجود على هيئة أشياء خلقت بشكل خيبرا».

هنا لدينا مقولة هامة فالإله يدلنا على الطريقة التى جاء بها إلى الوجود وهو غير قانع بأن يقال عنه أنه قد تواجد فقط. ونحن نعلم من الأدبيات المصرية كم كان لكلمات القدرة من دور هام فى نظاميها السحرى والدينى وأن المؤمنين كانوا يأملون أن يحققوا جميع رغباتهم عن طريق النطق بأسماء أو كلمات أو صيغ بعينها وهكذا فعل الإله ايزوريس لقد حول نفسه من جوهر المادة الأولية إلى العنصر الأساسى الفعال فى عملية الخلق عن طريق نطقه لاسمه فقط.

والاعتقاد فى فاعلية نطق كلمات معينة كان عقيدة بالغة القدم فى مصر تعتمد على فكرة أقدم ــ كامنة فى عقولهم ــ نعرفها جميعاً ــ بأنه لا يوجد مخلوق حى أو جماد يمكن أن يكون له وجود بدون أن يمتلك اسما. وهو ما نجده فى سفر التكوين حيث نقرأ أن آدم قد منح كل دواب الأرض وطيور السماء والماشية أسماء. والمصريون كانوا يعتقدون أن كل إله أو ربة أو كائن روحانى كان له اسم مختف والذى بواسطته ومن خلاله وداخله يعيش أو تعيش. وأن الشخص الذى يستطيع أن يعرف هذه الأسماء يصبح فى استطاعته أن يطلب مساعدة من يحملها من آلهة. كذلك من يستطيع بأى وسيلة أن يحصل لنفسه على اسم مختف كان يعتبر بذلك مساويا للآلهة. فى نفس الوقت كان تدمير أو محو اسم ما يعنى نفى وجود الكائن الذى يحمله. لهذا السبب حرص المصريون ومنذ العصور المبكرة من حضارتهم على إحياء أسماء الموتى سواء بحفلات التأبين حيث يذكرون محاسنهم وألقابهم أو عن طريق الذكر الدائم لأسمائهم حتى لا تمحى من فوق الأرض. إن

عادة حمل حجر معين منقوش عليه اسم كتميمة تساعد من يملكها على أن ينعم بحياة سعيدة استمرت فى كنيسة برجاموس بعد ذلك حيث يلاحظ ــ بشكل عابر ــ أن أفضل ما كان يوهب للمؤمن الصادق فيها «حجر أبيض مكتوب عليه اسم جديد لا يعرفه أى إنسان ليحفظ من يمتلكه» (سفر الرؤية III).

فإذا عدنا لروايتنا سنجد أن الإله يستطرد «أنا جئت للوجود من المادة الأولية ، وظهرت بأشكال متعددة منذ البداية ، فى هذا الزمن لم يوجد شىء ، وكنت أنا من صنع كل ما صُنع ، كنت وحيداً ، ولم توجد كائنات أخرى تعمل معى فى هذا المكان ، صنعت كل الأشكال التى ظهرت بها بواسطة (أو خارج من) الروح الإله التى بعثتها من داخل نو من حالة السكون (أو من الكتلة الساكنة)» .

ظهر لنا فى هذه الفقرة عنصر جديد إلا وهو «الروح الإله» أو بمعنى آخر الروح التى تمتلك خاصية «نيتر» وكانت موجودة فى حالة سكون فى التجمع المائى الخامد «لنو» . وهى مقولة يجب ألا تدهشنا إذا وضعنا فى اعتبارنا أفكار المصريين العامة عن الروح لأننا نعلم أنهم منحوا كل شىء فى الطبيعة روحاً وهم بافتراضهم وجود كتلة من المادة الأولية فمن الطبيعى ــ منطقياً ــ أن يكون لها أيضاً روح . وهكذا نجد فى الجزء الثانى من قصة الخلق فكرة مفقودة تماماً فى الجزء الأول .

نقرأ بعد ذلك «أنا وُجدت هناك (بمعنى فى نو) حيث لا يوجد مكان يمكن أن أُقف فوقه ، صنعت تعويذه لقلبى ، وأرسيت أساساً قبلى ، وصنعت كل ما صنع ، كنت وحيداً ، أرسيت أساساً فى (أو مع) قلبى ، وصنعت الأشياء الأخرى التى جاءت للوجود ، وأشياء خيبرا التى صنعت كانت متنوعة وذريتها جاءت للوجود من الأشياء التى تلد ، وهو أنا الذى أخرج شو وهو أنا الذى أخرج تفنوت ومن وجود إله واحد (أو الإله الواحد) أصبحت ثلاثة ــ بمعنى ــ أن الإلهين الآخرين اللذين جاءا للوجود على هذه الأرض جاءا من نفسى ، وشو

وتفنوت بعثا من داخل نو حيث كانا الآن خلف عينى (بمعنى الشمس) هل أحضروا لى (أو أحضرت) بعد فترتى هن HEN أعضائى معاً التى انبثقت من شخصى بعد أن وحدت يدى وقلبى (ارادتى) جاءا من داخل يدى، البذور سقطت فى فمى وأنا أخرجت من نفس الالهين شو وتفنوت وبعد أن كنت إلهـا واحداً (أو الإله الواحد) أصبحت ثلاثة ــ بمعنى ــ أن الإلهين اللذين جاءا للوجود على هذه الأرض جاءا من نفسى وشو وتفنوت بعثاً من داخل نو حيث كانا». التكرار الذى فى الفقرة السابقة والذى نتج عنه أن حوت الوثيقة فى أجزاء منها قراءات متكررة ومتباينة سببه فى الحقيقة أنها تمثل ــ بدون شك ــ أفكار مدارس مختلفة ضمها كاتب بردية نيس أمسو جميعها فى نصه بكل تبجيل لكل ما كتب.

الفقرة التالية تحتوى على إضافة هامة للغاية وأفكار مختلفة تجعل من نو (الاب) يصرح بأن عينه (الشمس) كانت مغطاة بكم كبير من الأحراش ــ التى أطلق عليها فى مكان آخر شجر ــ لعصور لا حصر لها يتكون كل عصر منها من ستين عاماً والأحراش هذه يبدو أنها كانت اسما للسحب السائحة حول الشمس أثناء شروقها فتحجب أشعتها وهكذا يبدو أن الإله يشكو من أنها حجبت رؤيته لقرون.

ومن الكلمات التالية نفهم أن النباتات والزواحف بما فى ذلك الدود والثعابين قد انبثقت جميعاً من الإله ريم REM وأنها نتجت من الدموع التى سقطت من خيبرا وإن كانت هذه الترجمة غير مؤكدة تماماً فالنباتات والدود فى الغالب هنا ترمز إلى السحب والضباب التى تغطى الشمس بالكامل أو جزئياً ويمكن أن تكون إضافة هذا السطر للفقرة بسبب الأحراش التى حدثنا عنها (الأب) نو من قبل. أما الإله ريم فلا نعرف عنه شيئاً غير أن كلمة ريم تعنى يبكى وتشير إلى البكاء الذى فى السطر الذى جاء فيه ذكر الإله. ويمكن افتراض أنه كان تجسيداً لدموع رع. وبالرغم من أنه ذكر فى كتاب الموتى (IIIXXXL) إله باسم ريمى يبدو

أنه كان إله السمك ــ وعرف بشكل أو بآخر بسوبيك تجسيد نو ــ إلا أنه لم يكن واضحاً ما إذا كان ريم وريمى هما نفس الإله من عدمه.

مما سبق عرفنا أن الآلهة كانت بذور خيبرا وأنها قد جاءت من فمه مباشرة أما البشر فقد كانوا الدموع التى انسابت من عينه وان اختلفت الطريقة التى جاءوا بها فى كل نص من نصى القصة.. ففى النص الأول يقال لنا أن خيبرا قد ربط ــ أو وحد ــ أعضاءه وبكى فوقها وأن الدموع التى سقطت على أعضائه التناسلية والتى لامست ذكورته تحولت إلى بشر.. بينما فى الجزء الثانى نجد أن النساء والرجال الذين جاءوا للوجود كانوا نتاجاً مباشراً لدموعه.

فى عصور تالية قسم المصريون البشر إلى أربعة أجناس هى المصريون والعامو AAMU والنهيسو NEHESU والزميهو THEMEHU وهكذا نرى أن حورس يخاطب قادة رع فى التوات الذين كانوا يرأسون الأرض السوداء والأرض الحمراء (بمعنى مصر والصحارى الجنوبية) كما نقرأ فى كتاب البوابات قائلاً: «أنتم الدموع التى صنعتها عينى فجاءت بأسمائكم كرجال».

والعامو (أى بدو قبائل الصحراء الشرقية الساميون) خلقهم حورس والربة الحامية لأرواحهم سيخيت كذلك الزميهو أو الليبيون أما النهيسو أى الزنوج أو هؤلاء الذين يعيشون على ضفاف النيل بعد الشلال السادس ولهم جلد غامق أو أسود أى النوبيون فإن حورس يخاطبهم قائلاً: «لقد استمنيت من أجلكم وكنت راضياً عن الملايين الذين خرجوا منى باسم النهيسو.. حورس خلقكم وهو الذى يحمى أرواحكم». وأهمية هذه الجملة الأخيرة يعود إلى أنها قد ربطت بين فكرة الاستمناء والزنوج النوبيين وهو ما يشير إلى أن أسطورة ولادة شو وتفنوت ــ كما ذكرنا من قبل ــ لا يستبعد أن تكون من انتاج بعض السكان المحليين الزنوج أكثر من أن تكون من أفكار مجموعة الشعوب المختلطة الذين ندعوهم بالمصريين.

من هذا القسم نلاحظ أيضاً أن المصريين ــ ذرية رع ــ هم فقط الذين جاءوا من دموعه أو دموع حورس أى الشمس وأن الرجال والنساء قد خلقوا بعد الإلهين

شو وتفنوت كما جاء فى أحد نصوص قصة الخلق وقبل النباتات والزواحف بينما قيل فى النص الآخر أنهم قد خُلقوا بعد النباتات والزواحف ولم يذكر فى كل من النصين متى خلقت الدواب والمواشى. ومن النقاط الجديرة بالملاحظة أيضاً أن الرجال والنساء لم يصمموا بواسطة خيبرا أو نب ـــ ار ـــ تشير نفسه وأنهم قد جاءوا للوجود فى الأغلب كما يظهر عن طريق الصدفة بعكس الآلهة التى جاءت بناء على تصميم وارادة خيبرا. أى أن الرجال والنساء كانوا مجرد دموع سقطت من عينه بدون ارادة تقريباً.

ومن الملاحظ أيضاً أن فى كل من النصين المكونين لأسطورة الخلق المصرية ذكر رع إله الشمس على أساس أنه عين تمو TEMU والذى هو فى حقيقته خالق للبشر وهو يماثل ما وجدناه فى أسطورة الخلق الميزوبوتامية تماماً. فإن مردوخ بعد أن قهر تيامات والأحد عشر شيطاناً وشق جسدها مثل سمكة وصنع من نصف جلدها السماء تشاور مع «ايا» رب الأعماق السحيقة وأعلن عن رغبته فى صنع إنسان بالكلمات الآتية:

«دمائى أيمكننى أن آخذها وعظام أيمكننى أن أقيمها وسأصنع إنساناً هذا الإنسان يمكن... وسأقيم الإنسان الذى سوف يُعمر (الأرض)».

هذه الفقرة شديدة الأهمية تبرهن على صحة رأى بيروساس BEROSAS بأنه قد صُنع الإنسان من دم بيل BEL بمعنى مردوخ كما جاء فى التراث الآشورى عن الخلق ـــ ولسوء الحظ أن النص المكتوب بالخط المسمارى والذى حققه لأول مرة مستر ل. و كينج L.W. KING غير كامل ومن المحتمل إذا وجدنا نسخة مماثلة أن نجد ما يؤيد ما تبقى من رواية بيروساس والذى قال فيها أن الدم الذى صُنع منه الإنسان قد أُخذ من بيل نفسه بعد أن قُطعت رأسه.

الفقرة التى تلى ذكر خلق البشر فى القصة المصرية تشير إلى عين «نو» والتى قال خيبرا أنه قد أغدق عليها القدرة أو البهاء أو الثعبان خوت [hieroglyphs] khut. الذى يمتلك كلا الصفتين والتى ثارت عليه عندما وجدت «عين

أخرى تنمو» فى مكانها ــ يقصد بها القمر ــ فقامت بشن هجوم على الأدغال ــ بمعنى السحاب الخفيف الذى وضعه خيبرا فوقها ليزينها أو يحافظ عليها ــ ولكنها فى النهاية أخذت موضعها فى وجه الإله وحكمت الأرض منذ ذلك الحين .

والنص احتوى أيضاً على أن شو وتفنوت قد انجبا الآلهة سب ونوت وايزوريس وحيرو خينتى أن ماعيتى ــ وست وايزيس ونفتيز وأن ذريتها قد زادت وتكاثرت على الأرض وأنها جميعاً تسبح لاسم خيبرا وأنها جميعاً تقهر أعداءها وأنها ابتكرت كلمات للقدرة [hieroglyphs] تستطيع بواسطتها قهر ابيب .

والآن إذا لخصنا ماانتج عن النصين سنجد أن المصريين اعتقدوا فى وجود إله خلق وأوجد نفسه وعاش منفرداً فى التجمع المائى الأولى الذى كان هو نفسه ذكر وأنثى تسكنه قوتان احداهما لذكر والأخرى لأنثي بالإضافة إلى روحه وأن هذا التجمع المائى كان يمتد لمسافة غير محدودة وأنه خالد ومغلف بظلام دامس . الإله الذى أوجد نفسه على هيئة خيبرا فعل ذلك عن طريق نطق اسمه الشخصى الذى كان أحد كلمات القدرة فى زمن غير محدد وأنه لسبب غير معروف ايقظ روح التجمع المائى الخالدة فحصل على بعض القدرات التى مكنته من أن يصنع بعض الأماكن المادية ــ ربما عن طريق نطق كلمات أخرى ــ حيث كان فى استطاعته أن يقف ويصنع فى هذا المكان ــ الذى يحتمل أن يكون الأرض ــ الإلهين شو وتفنوت اللذين بمجرد خلقهما بزغ النور وتم اختراق الظلام وتكونت السماء أو القبة السماوية أعقب هذا إما خلق الرجال والنساء أو خلق النباتات والحيوانات المتسلقة والزواحف من كل نوع ولم يذكر شيئاً عن خلق النجوم أو الطيور أو الحيوانابت الأخرى .

المقطوعة السابقة تمثل واحدة من أقدم الأفكار المصرية عن الخلق فى أبسط صورها والتى تعتبر من أوائل الصيغ التى عدلها كهنة هليوبوليس لتناسب نظامهم اللاهوتى وفى الفصل التالى سنجد النص الهيروغليفى الذى أسسنا عليه دراستنا مع ترجمته إلى « العربية » .



الفصل الثامن

تاريخ خلق الآلهة والعالم القسم «أ»

xxvi (٢١)

الكتاب الخاص بمعرفة نشـــوء خاص برع

(و) قهـــر ابيـــب الكلمات الخاصة بنب ار تشير التى قالها

بعد أن جاء للوجود هو أنا أكون (هـــو) الذى جاء إلى الوجود

على هيئة خيبرا أنا كنت (أو أصبحت) الخالق (٢٢) لكل ما جاء للوجود

الخالـــق لكل ما فى الوجود بعد وجودى كثيرا

(كانت) الكائنات التى جاءت للوجود ظهرت مـــــن   فى   لم تكن

السمـــاء وجـــــدت لم تكن   الأرض   لم تكن   قد خلقـــت

الأشياء الخاصة بالأرض (النباتات) الأشياء الزاحفة فى مكان الذى (منه)

أنـــــا رفعتهـــا   من داخل   نو (بمعنى التجمع المائى الأولى) (٢٣)

من حالة سكـــــون   لـــم   أجد أنـــــا   مكان استطيع أن أقف

حيث كنت   صنعت تميمة   فوق (أو مع)   قلبى.

أرسيت أساس   فى   ماع   صنعت صفات كل (الأشياء) لها

كنت وحيداً لأننى لم أكن   قد بصقت   على هيئة شو   لم أكن

آخر لم يكن (قد) تواجد تفنوت قد أخرجت

(٢٤) ليعمل. معـــى صنعت أساس في قلبي الشخصي (أو بواسطة ارادتي الشخصية)

(و) هناك جاءت للوجود الأشياء العديدة التي جاءت للوجود من الأشياء التي جاءت للوجود

من خارج الأشياء التي جاءت للوجود التي تولد من خارج

الأشياء التي جاءت للوجود التي ميلادها أنا حتى أنا وحــــدت

سطر .xxvii. 1 .

مـــع قبضة يدى ربطت نفسي في عنـــاق مع

ظلـــى صببـــت بذور في في الشخصي

أخرجت ذرية　　　على هيئة شـــو　　　اخرجت نداوة

على هيئة تفنوت　يقول　والـــــدى　نـــــو　«هم أضعفوا»

عينــى خلفـــــهم　لأن لفترتى هـــــننى *　انبثقا

منى بعد　أنا كـــنـت من إله　واحد آلهة ثلاثة

هذا يعنى من خارج نفسى (وبعد) وجودى فى الأرض هذه تم رفعهم

حينئذ　شـــو　(و) تفنوت　فى　التجمع المائى الداخلى

حيث كانوا　أحضرا لـــــى　عينـــــى

فى موكبها　بعد　حيث　أنا وحدت　أعضائى

* فترة الهنن تساوى ستون عاماً ولكن عندما يكتب المؤلف فترتى هنن فهو لايقصد مائة وعشرون عاماً ولكن يقصد فترة طويلة أو فترة غير محدودة.

بكيـــت فوقهم (و) جاء للوجود رجال ونساء مـــن

الدمـــوع (التى) ظهرت من عينى (و) هى ثـــارت

ضدى بعد أن جاءت (و) وجـــدت أننى صنعت أخرى

فـــى مكانهـــا (أنا) أنعمت عليها بواسطة القدرة (أوالبهاء) الذى صنعت

و بجعلها تقترب وهكـــذا مكانهـــا فى وجهـــى بعد ذلك

وهكـــذا هى تحكـــم أرض هذه حتـــى أقصى مدى تسقط

لحظاتهم (أو فصولهم) فوق نباتاتهم أنا أنعمت عليها

بما استطاعت أن تمتلك فيها. ظهرت (أوعلى هيئة) من النباتات

الأشياء الزاحف كل (و) الأشياء التى جاءت كل (يوجد) فيهم

أنجب شو (و) تفنوت سب (و) نـــوت أنجـــب

ســـب ونوت لايزوريس وحورس ـــخنت ان ماعيت وست وايزيس

ونفتيز مـــن الرحـــم واحداً بعد الآخر و منهـــم

انجيـــوا (و) تكاثـــروا فى الأرض هذه

تاريخ الخلق للآلهة والعالم القسم «ب»:

xxviii (٢٠) الكتاب الخاص بمعرفة النشؤ الخاص برع

ـــ (و) قهـــر ابيـــب الكلمات الخاصة بـ«نب ـــار ـــتشير هو قال :

أنا كنـــت الخالق لكل ما جاء للوجود أنا جئت للوجود في
(أو أصبحت)

الأشكـــــال الخاصة بـخيبرا جئت للوجود في الأزمنة الأولى

(٢١)

جئت للوجود في الأشكـــال الخاصة بـخيبرا أنا كنت
(أو أصبحت)

الخالـــق لكل ما جاء إلى الوجود بمعنى أنا صنعت نفسي

من المادة الأولية (التي) صنعتها أنا صنعت نفسي

من المادة الأولية اسمـــى هو ايزوريس

(٢٢)

المادة الأولية للمادة الأولية أنا وضعت ارادتي كلها

في هذه الأرض (و) انتشرت فيها أنا رفعت لأعلى

يـــدى كنت وحيداً لم تكن مولودة لم أكن قد

بصـــقت على هيئة شو لم أكن قد اخرجت تفنــوت

أنا أحضرت (لـ) فى اسمى الشخصى بمعنى

كلمة قدرة وأنا حتى أنا وجدت فى الحياة على هيئة

الأشياء التى جاءت للحياة وأنا جئت للوجود فى الأشكال الخاصة بـخيبرا

جئت للوجود من المادة الأولية جئت للوجود

(و) عديد من أشكال من البداية لم تكن قد وجدت

أشياء مخلوقة مطلقا فى أرض هذه أنا صنعت كل ما صنع

كل شيء   كنت وحيداً لم يكن قد وجد   (٢٤) (أى آخر) الذى عمل

معى   فى   موقع   ذاك   أنا صنعت   الذى صنعت

هناك   بواسطة   روح إله   الذى   أنا أيقظته

هناك خارج   من   نو   من حالة سكون لم أكن قدلا

وجدت   مكان حيث أستطيع أن أقف عملت مع الروح (التى) كانت

فى   قلبى   ارسيت   (٢٥) أساسى   أمامى   صنعت   كل ما صنع

كليا كنت وحيداً   ارسيت أساساً   فى   قلبى   صنعت

أشياء أخرى (تلك) التى جاءت للوجود وتعددت تلك الأشياء التى جاءت للوجود من خيبرا

جاء للوجود كل ماولدوا خارج من الخلق الخاص بذريتهم

(٢٦) أنا وحتى أنا بصقت على هيئة شو (و) انبثقت منـــــى

تفنوت (و) أنا أصبحت من إله واحد آلهة ثلاثة

هذا يعنى من نفسى جاء للوجود الهان على الأرض هذه

ورفعت هكذا شو وتفنوت من نـــــو

(٢٧) حيث كانـــــا انظر عينى احضراها لى هـــا

فى الموكب عصر الهننى المزدوج وهما خرجا منى

أنا جمعت أعضائـــــى وهم ظهروا من نفســـى بعد

أنـــا وحدت مع كف يدى جاءت لى (؟)

قلبى (أو ارادتى) خارج من يدى البذور (التى) سقطت فى

فـــــى بصقت عمود (١) xizx. على هيئة شو أنا أخرجت ماء

علـــى هيئة تفنوت . أنا أصبحت من (كونى) إله واحد آلهة

ثلاثـــة بمعنى من نفســـى خرج للوجود الهين على

الأرض هذه يكون بعث (٢) هكذا شو وتفنوت

خرجـــا من نــــو حيث كانا قال

---

* الفقرة التى تبدأ وتنتهى تتكرر فى البردية بتهاون واضح

والـــــدى   نـــو   غطوا أو أضعفوا   هـــم عينى بعد هـــم

(بواسطـــــة) ادغال مرتين   لعصور « هن »   المزروعـــات

والزواحـــــف (جاءت) من   الإله ريم   من   الدموع

(سقطت) منى   بكت عينى   جاء للوجود   البشـــر

أنا أنعمت   عليها   قدرة   وهى ثارت   على

بعد أن جاءت (ووجدت)   أخرى   تنمو   فى مكانهـــا

أسقطت   قوتها العنيفة   فوق   ادغالها   فوق

الادغـــــال (التى) وضعتها   هناك   لتتزين   بها

تتحكم هكذا (من) مكانها في وجهي هي تحكم كل الأرض

ولد شو (و) تفنوت نـو وايزوريس وحيرو ـ خنتي ان ماعت

وست وايزيس ونفتيز (و) انظر أطفالهم

هم خلقوا كائنـات (٦) عديدة في أرض

هذه من الكائنات الخاصة أطفال من الكائنات الخاصة

باطفالهم هم ابتهلـوا اسمي هم قهروا

أعداءهم هم خلقوا كلمات قدرة من أجل

أن يقهروا ايبب (٧) الذى هو ممسوك بواسطة اليدين

الخاصة بآقر ليس ممكن ليديه وليس ممكن لقدميه

ممكن أن يسلسل لـ مكان واحد حتى كمعاقب (من) رع وزفراته

مقدرة له هو تم قهره على ظهره شرير

(٨) يكـــون شق وجهه من أجل ما فعله وهو قد بقى

فـــوق ظهره — شرير



الفصل التاسع

رع إلــه الشمس وصوره

رع هو الاسم الذى أطلقه المصريون ــ خلال عصر الأسرات ــ على الهــم الشمسى الذى اعتقدوا أنه صانع كل ما نشاهده حولنا فى العالم المرئى وخالق السماء والهتها والتوات ــ أو العالم السفلى ــ والكائنات التى تعيش فيه. هذا الاسم غير معروف أصل منشأة وإن كان يبدو أن كلمة «رع» كانت تعني لديهم ــ خلال فترة من فترات تاريخهم ــ «القدرة المبدعة الصانعة» وأنهم اختاروها بعد ذلك اسما لالهم لتعطى ــ كما يظهر من السياق الذى استخدموها به ــ معنى قريباً من كلمة «خالق» بنفس الأسلوب الذى نستخدم به هذا التعبير لوصف الله القدير خالق السماء والأرض وكل ما بهما.

عبادة الشمس ــ التى يبدو أنها كانت عالمية ــ ظهرت فى مصر منذ زمن بالغ القدم فهى قد اشتركت مع عبادة الإله الصقر حيرو HERU الذى كان يجسد سموق وارتفاع السماء وفى نفس الوقت يرمز للشمس ويمثل أحد أشكالها. وعلى الرغم من أن عبادة حيرو كانت أقدم الديانات المصرية ــ وللدقة نستطيع أن نقول أنه كان معروفاً قبل رع ــ إلا أن الإله رع ــ والصور المختلفة منه ــ كان أكبر الآلهة لدى المصريين. وسبقت صفاته والأساطير التى حيكت حوله تلك التى لحورس. بحيث اعتبروه بحق «والد الآلهة». الإله رع كان يمثل دائماً بجسد رجل ورأس صقر ولكن فى بعض الأحيان كان يمثل فى صورة صقر يضع على رأسه رمز بمعنى قرص الشمس المحاط بالثعبان خوت khut, الذى سبق الحديث عنه. وعندما كان يرمز له بجسد بشرى كان

يمسك برمز الحياة ☥ بيمناه وبصولجان بيسراه ويتدلى من حزام قميصه ذيل يشبه أزياء رجال عصر ما قبل الأسرات ويحتمل عصور تالية.

رع هو أقدم الآلهة المصرية جميعاً إذا نظرنا للأمر من وجهة النظر العملية وأول مظاهر خلقه هو ظهور قرصه على مياه المحيط الأزلى عند شروقه الأول ــ ولم يذكر متى حدث هذا ــ والمصريون عندما كانوا يقولون أن شيئاً معيناً كان متواجداً «منذ زمن رع» فهذا يعنى أنهم كانوا يقصدون أنه خالد.

ولأن المصريين كانوا يعلمون أن الشمس ملتهبة لذلك فلقد كان من الصعب أن يفترضوا صعودها المباشر فى السماء من التجمع المائى فافترضوا أنها تقطع رحلتها فوق الماء داخل قارب أو قوارب ــ وبدقة أكثر ــ كانوا يعتقدون أنها تعبر السماء فى قاربين قارب الصباح معتيت MATET بمعنى «يصير قوياً» وقارب السماء سيمكتيت SEMKTET بمعنى «يصير ضعيفاً».

وكما كان اسما القاربين مناسبين لشروق وغروب الشمس كذلك نجد أن اختيار الربة ماعت لتحديد مسار رع خلال رحلته اليومية عبر السماء منذ بداية الخلق كان يدل على أن ما أدهش الإنسان البدائى وجعله يعبد الشمس ــ جنباً إلى جنب مع ضوئها وحرارتها ــ هو انتظام شروقها وعدم كللها فالربة ماعيت هذه تجسد الاستقامة والعدل والقانون وعدم الكلل والانتظام وما يشبهها من معان.

و«رع» كان مضطراً لأن يترك قاربه فى أماكن معينة خلال رحلته فى التوات أو العالم الآخر ليلاً ويستخدم لتنقلاته وسائل أخرى حتى أنه كان يستخدم فى بعض الأحيان جسد ثعبان.. وإن كان هناك رأى آخر يعتقد أصحابه أن «رع» كان يغير قاربه كل ساعة من ساعات النهار والليل إلا أن الديانة الأكثر قدماً جعلته يمتلك قاربين فقط.

«رع» كان يسحبه خلال رحلته عدد من الآلهة التى كان من واجبها المساعدة على جعل قاربه يبحر بأمان أثناء سفره من الجزء الشرقى للسماء إلى

المكان الذى يدخل فيه إلى التوات ذلك المسار الذى صممه وحدد مكانه كل من توت THOTH وزوجته الربة ماعت اللذين كانا يقفان على جانبى حورس الربان الذى يمسك بالدفة أما الربتان السمكتان ابتو Abtu. وانت Ant. المرشدتان للقارب فقد كانتا تسبحان على جانبى القارب وأمامه.

ورع بكل قدراته وقدرات الآلهة المصاحبة له ـــ كما نعلم من النصوص الباقية لنا من الأساطير والكتابات الدينية المصرية ـــ لم يستطيعا تفادى هجمات الشياطين والكائنات المرعبة التى كانت تخاطر باعتراض مسار قاربه.. هذه الشياطين كان أهمها الثعابين ابيب Apep وسيباو Sebáu. وناك Nak. والأول كان أكبرها وأكثرها شراً حيث كان يجسد فى عصر الأسرات ظلام أكثر ساعات الليل اظلاماً والذى كان على «رع» ليس فقط قتاله ولكن أن ينتصر عليه أيضاً ليستطيع أن يشرق كل صباح. وهو أيضاً كان يمثل ذلك الظلام الدامس الذى كان يغلف نو فى البداية والذى وضع العقبات العديدة الخطيرة أمام الشمس عندما بدأت طريقها من خارج ماء التجمع الداخلى الذى بزغت منه لأول مرة.

فى كتاب الموتى ذُكر ابيب بشكل مستمر ولكن بطريقة أدبية أكثر منها مادية وهكذا نجد فى الفصل XXXIX أن المتوفى يقول: «ارجع يا شيطان.. أمام سهام أشعته.. رع رجم كلماتك والآلهة ادارت وجهك للخلف.. والفهدة مافتيت Maftet مزقت صدرك والربة العقربة كبلتك بالقيود وماعيت قررت افناءك.. كل من بالطرق رجوك.. فلتسقط وتغادر.. يا أبيب يا عدو رع».

بعد عدة سطور قليلة يقول المتوفى: «أحضرت قيوداً لك.. يا رع.. ها هو أبيب يسقط لأنك جذبتها باحكام.. آلهة الجنوب والشمال والغرب والشرق ثبتوا السلاسل حوله وربطوه بالقيود والإله ريكيز Rekes رجمه والإله

هيرتيت (hieroglyphs) HERTIT سلسله يا أبيب ــ ياعدو رع أنت لن تحظى أبداً بحلاوة الحب ولن تحقق رغباتك !! لقد جعلك تتراجع .. أنت يا من تحقد على رع .. هو يطلع على ما بداخلك وسيرجعك .. هو نفذ إلى رأسك وهو قد شق وجهك وهو قد قطع رأسك حتى عظامك وحطمها على الأرض . عظامك تحطمت لقطع وأعضاؤك خلعت منك والإله اقر (hieroglyphs) Aker اداتك »

ومن كتب «تدمير أبيب» نحصل على معلومات أكثر عن افناء هذا الوحش ونجد أن هذا العمل كان يتلى يومياً فى معبد آمون ــ رع فى طيبة والسفر الأول مكون من عدة فصول عناوينها كالآتى :

١) فصل البصق على ابيب
٢) فصل تدنيس أبيب بالقدم اليسرى
٣) فصل ضرب ابيب بحربة
٤) فصل سلسلة ابيب
٥) فصل أخذ سكين لطعن ابيب
٦) فصل وضع النار فوق ابيب

كذلك الكتب التالية لها تصف بدقة شديدة التفاصيل التى تتبّع لتدمير أبيب . وهم يؤكدون ــ إلى درجة الملل ــ أن الوحش ــ الذى يشيرون إليه أحياناً كتمساح وفى أحيان أخرى كثعبان ــ قد جرح بالسكاكين وأن كل قطعة عظم من عظامه قد فصلت بواسطة سكين أحمر ساخن وأن رأسه ورجليه وذيله .. الخ قد قطعت وأنها شويت وتشعوطت وإحمرت وأخيراً تعطنت وفنيت بالنار . نفس القضاء تلاقيه الكائنات المعاونة له وكل الأشياء التى تتكون منها أجسادها بمعنى ظلالها وأرواحها ومثلاثها ونفوسها .. حيث تمحى وذراريها من الوجود .

ولتدمير ابيب وشياطينه كانوا لا يكتفون بتلاوة كلمات القدرة ذات التأثير ولكنهم كانوا يقيمون أيضاً جنباً إلى جنب معها وبحرص شديد طقوساً وشعائر مختلفة ذات طابع سحرى وكانوا يعتقدون أنها ذات فائدة عظيمة ليس لرع فقط ولكن لكل عابديه أيضاً على الأرض .

ابيب صانع الشر ــ فى رأيهم ــ كان ذا دهاء عظيم وهو مثل رع يمتلك العديد من الأسماء التى يجب لتدميره أن يلعنوه بكل منها وبها جميعاً لهذا ضمت بردية نيس أمسو قائمة تمثل هذه الأسماء والتى كانت الأساس لعديد من البرديات التى وجدناها بعد ذلك ولأهميتها سوف نقدمها فيما يلى :

١) نيشت NESHT
٢) توتو TUTU
٣) حاو ــ حرا HAU-HRA
٤) كيتو QETTU
٥) كيرنيرو QERNERU
٦) حيمحيمتى HEMHEMTI
٧) أيوبام IUBAM
٨) امام AMAM
٩) هيم تايو HEM-TAIU
١٠) ساعتيت تا SAATET-TA
١١) خيرموتى KHERMUTI
١٢) كينيميمتى KENEMEMTI
١٣) شيتا SHETA
١٤) سيرم ــ تاوى SEREM-TAUI
١٥) سيخم حيرا SEKHEM-HRA
١٦) يونتى UNTI
١٧) كارو انيميمتى KARAU-ANEMEMTI
١٨) خسيف حرا KHESEF-HRA
١٩) سيبا انتسيبا SEBA-ENTSEBA
٢٠) خاك اب KHAK-AB
٢١) خان رو.. يعا KHAN-RU....UAA
٢٢) ناى NAI
٢٣)عم AM
٢٤) ترويا TURRUPA
٢٥)اياو IUBAU
٢٦) ياى UAI
٢٧) خاربو شرير الأزمنة الأربعة KHARUBU
٢٨) ســاو SAU
٢٩) بيتى شو BETESHU

القتال الأول الذى دار بين رع وابيب لم نجد ذكراً له ــ للأسف ــ بالنصوص المصرية ــ المتيسرة لنا الآن ــ رغم أن هناك إشارات عديدة فى جمل كثيرة من كتاب «تدمير أبيب» توحى بأن شيئاً من هذا القبيل يجب أن يكون قد حدث وأن الوسائل التى استخدمها إله الشمس لتدمير خصمه تشبه تلك التى ذبح بها مردوخ تيامات.

«أسماء أبيب» فى بردية أمو

والقصة الآشورية ــ بدون شك ــ كما ذكرنا من قبل ــ مأخوذة عن أصول سومارية بالغة القدم مما يؤكد أن المصدر الذى يحتمل أن يكون كل من المؤلفين المصرى والسومارى قد أخذا عنه أحداث قصتيهما كان معروفاً لكليهما.

ففى الرواية الآشورية نجد أن الآلهة قد زودت مردوخ بهرواه لا تقهر وقوس ورمح وشبكة وخنجر وأن الصواعق كانت تتقدمه والنار الملتهبة تملأ جسده والرياح الأربعة المطوية والرياح السبعة المطوية تتحرك فى ركابه.. قبض مردوخ بيده على الصاعقة وركب عجلته الحربية التى تجرها أربعة جياد نارية خفيفة الحركة مدربة على سحق كل من يقع تحت حوافرها.. وعندما وصل إلى المكان الذى به تيامات ارتعدت وخافت ــ كينجو KINGU ــ التى كانت قد أشرعت أسلحتها ولكن تيامات «ظلت ثابتة برقبة غير منحنية» وبعد تبادل الشتائم بدأ الصراع. تيامات نطقت بتعازيمها ومع ذلك لم يكن لها أى تأثير فمردوخ اصطادها بشبكته ثم ساق الرياح التى معه إلى بدنها وعندما انتفخت ــ هكذا ــ رشق رمحه داخلها وطعنها فى قلبها وأطاح بأمعائها وحطم جمجمتها بهرواته ووضع يده فوق

جسدها ثم شقه بسكينه «مثل سمكة مفلطحة إلى قسمين» ومن أحد هذين القسمين صنع غطاء للسماء.

كل التفاصيل التى فى الرواية الآشورية ــ عدا الجزء الأخير ــ نجد ما يماثلها فى النصوص المصرية الخاصة بإدارة الصراع بين رع وابيب.

كذلك نجد إشارة لهذا الصراع فى العمل المشكوك فى صحته «بل .. والدراجون» حيث قيل أن كلا من الله والوحش قد عُبدا فى بابل ولكن كاتب القصة يستطرد بعد ذلك أن الدراجون قد تم تدميره بواسطة قطعة من خلطة الزفت والدهن والشعر التى تم غليها معاً ثم دفعت داخل فم المخلوق مما أدى إلى فلقه لنصفين.

فى البرديات المصرية كان ابيب يمثل عادة على هيئة ثعبان مطعون بسكين فى كل ثنية من ثنيات جسده وفى كتاب البوابات نراه مربوطاً بسلسلة من رقبته (والتى على امتدادها تتمدد الربة العقربة سيركيت) يمسك بطرفها إله ومسلسل بواسطة خمس سلاسل أخرى للأرض.

سبق أن ذكرنا أن رع كان «الأب للآلهة» ووجدنا أنه حتى الأسرة الخامسة كانت القرينة الأنثى التى تنتمى إليه هى «الام للآلهة» هذه الربة كان يطلق عليها فى نص يونس رعت RĀT وفى عصور تالية يبدو أن اسمها كان «رعت الأرضين سيدة السماء وربة الأرباب»

وكانت تسمى أيضاً ربة هليوبوليس وفى الغالب كان اسمها بالكامل رعت تاويت RAT-TAUIT بمعنى «رعت العالم» وكانت ترسم على هيئة سيدة ترتدى على رأسها قرصاً له قرنان وحية فى بعض الأحيان كان يوضع ريشتان فوق القرص.

صفات هذه الربة غير معروفة وإن كانت لاتزيد كثيراً فى أهميتها عن أى ربة أخرى كبيرة.

مركز وموطن عبادة رع فى مصر خلال عصر الأسرات كان مدينة تسمى عند المصريين أنو ANNU أو آن وكان العبرانيون يسمونها اون واليونانيون يسمونها هليوبوليس ومكانها الآن قرية المطرية التى تقع على بعد خمسة أميال شمال شرق القاهرة وهى المعروفة بشكل عام باسم انو ميهيت ANNU-MEHT أى أنو الشمال. لتميزها عن انو كيماو ANNU-QEMAU أو انو الجنوب هيرمونزيس HERMONTHIS والمصريون كانوا يعتقدون أن رع يستحم يومياً عند شروق الشمس فى نبع معين موجود فى هذا الموقع بجوار المكان المشهور حالياً باسم «ينبوع الشمس» الذى أقام فيه أوائل المسيحيين متجراً ضخماً لبيع الزيت المستخرج من الأشجار التى تنمو حيث غسلت السيدة مريم العذراء ملابس ابنها هناك .

أصل وبداية عبادة رع فى هليوبوليس مجهول لنا ولكن من المؤكد أنه قبل الأسرة الخامسة حوالى ٣٣٥٠ق.م استقر كهنة رع هناك وكان لهم نفوذ عظيم والأدلة المستقاة من بردية وستكار تظهر أن يوسير ــ كا . ف USER-KA.F أول ملوك الأسرة الخامسة كان كبير كهنة الإله رع وأول من أضاف من حكام مصر للقبه «ابن الشمس» فقبل هذا التاريخ كانت القاب الملوك :

١) حفيد أو خادم حورس .

٢) حفيد أو خادم ست

٣) ملك معبدى نخبت وياتشيت

٤) ملك الشمال والجنوب

أما يوسر كا . ف فلقد حمل بالإضافة لها لقب ابن الشمس الذى كان يتبع دائماً بخرطوش آخر. ثم اتخذه بعد ذلك لأنفسهم كل الملوك الذين اتوا بعده .

نعلم من بردية وستكار أن يوسر كا . ف والملكين اللذين خلفاه مباشرة سع-حو ــ رع وقا-كا-رع كانوا أبناء الإله رع عن طريق زوجة كاهن رع ــ سخابو

وأن الربات RUT-TETET. روت تيتيت RA OF SAKHABU
ايزيس ونفتيز وسيخيت وهيكيت قد أخذت على عاتقها ـ بالإضافة إلى الإله خينمو ـ مهمة انجاب الأولاد الثلاثة الذين صدر لهم ـ فيا بعد ـ مرسوم بأن يكونوا حكام مصر.

أهمية هذا النص ليس فقط فى اظهار الطريقة التى صدر بها الأمر بخلافة الملوك الثلاثة الأوائل من الأسرة الخامسة ولكن أيضاً فى دلالته على أن ملوك الدولة القديمة كانوا يظنون أنفسهم أبناء لرع إله الشمس.

ورع كما تجزم جميع الأعراف والسير التاريخية حكم مصر فى يوم ما ومن الحقائق الملحوظة أن كل من اعتلى بعد ذلك عرش مصر حاول بطريقة أو أخرى أن يبرهن على أن دم رع الالهى يجرى فى عروقه أو أنه ارتبط به عن طريق الزواج فالنقوش المنحوتة على جدران معبد الدير البحرى للملكة حتشبسوت أو تلك التى لامنحتب الثالث فى الأقصر أو للملكة كليوباترا السابعة فى المعبد الذى تم تدميره الآن فى ارمنت تصف الطريقة التى أصبح بها رع أو آمون رع والداً لملوك وملكات مصر ـ ومنها نرى أنه كلما كان مطلوباً تدفق الدم الإلهى كان الإله يتخذ لنفسه شكل ملك مصر المتوج ويزور جناح الملكة وبمجرد اتمام هذه الزيارة يصبح الأب الفعلى للطفل الذى تلده بعد ذلك ولكن لكى يعتبر هذا من ذرية الإله كان لابد من إقامة طقوس معينة فى معبد رع أو آمون رع ـ منقوشة على الجدران ـ يتقبل الإله فيها الطفل ويعلن أنه والده وبهذه الحيلة الكهنوتية البارعة أصبح لكهنة رع نفوذ عظيم على الأرض وإن لم تصلح قواعد اللعبة دائماً فى مصر خصوصاً عندما كانوا يمهدون لإسقاط حكم أسرة من الأسرات.

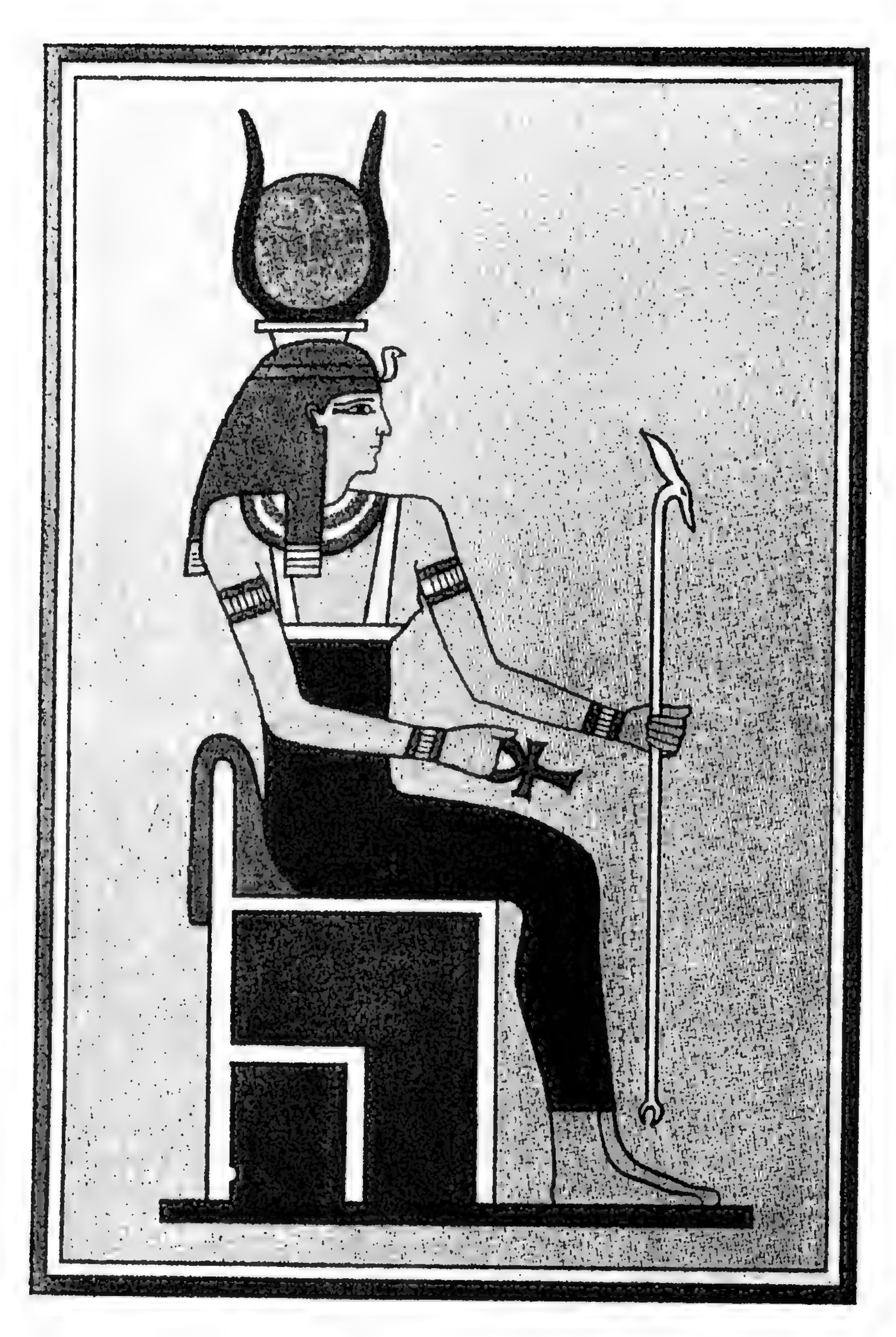
اكتسب كهنة رع نفوذهم الأول فى البلاد مع بداية الأسرة الخامسة عندما سادت عبادة المهم فنحن نعلم أن حول عهد يوسركا. ف تقريباً بدأ بناء عدد من المعابد ـ لتمجيد الإله ـ توحدت فيها ملامح المقبرة الرئيسية التى على هيئة مستطيل ذى الارتفاع المنخفض ـ والمعروفة باسمها العربى مصطبة ـ والهرم الذى

يعلوها △ ونعلم أيضاً من الاستاذ سيز SETHE أن هذا الطابع فى البناء استمر لحوالى مائة عام بمعنى من حكم يوسركا. ف حتى حكم من- كاو- حرو «MEN-KAU-HERU» فإن كان هذا صحيحاً فمعنى ذلك أن كهنة هليوبوليس قد نجحوا — فى ذلك الوقت — فى جعل عبادة رع هى العبادة السائدة على كل عبادات الآلهة المصرية الأخرى وأنهم قد امتصوا كل الآلهة المحلية ذات الأهمية فى نظامهم اللاهوتى بعد أن منحوا كلا منها وظيفة مساعده لرع أو لمجمع الهته كما حدث مع إله المدينة الأصلى «تم» الذى — كان يعبد هناك — فى معبد خاص ووحدوا صفاته مع صفات رع مكونين منهما الإله المزدوج رع — تم RA-TEM

ومع نهاية الأسرة السادسة بدأ نفوذ كهنة هليوبوليس يتدهور حتى فترة حكم يوسرتيسين الأول USERTESN. I حوالى ٢٤٣٣ق.م الذى أعاد بناء أو ربما أعاد إنشاء المعبد الذى فى هليوبوليس وخصصه لرع ولالهين على شاكلته هما «حورس» و«تيمو» اللذين يفترض أنهما من ذرية ثور منفيز MENVIS الشهير والذين كانوا يعبدونه فى هليوبوليس باسم ابيس «APIS» معبود ممفيس. كما نصب فى مقدمته مسلتين جرانيتيتين ضخمتين ارتفاع كل منهما ٦٦ قدم ويكسو هرمى قمتها ألواح نحاس وهما المسلتان اللتان ظلتا فى مكانيهما حتى عام ١٢٠٠م.

بعد ذلك لم نسمع كثيراً عن هليوبوليس بين الأسرتين الثانية عشرة والعشرين غير أنه فى عهد رمسيس الثالث أعادوا اصلاح مبانى المعبد وخصصوا مبالغ ضخمة من عوائده لتوطيد عبادة رع واكرام كهنته وخادميه.

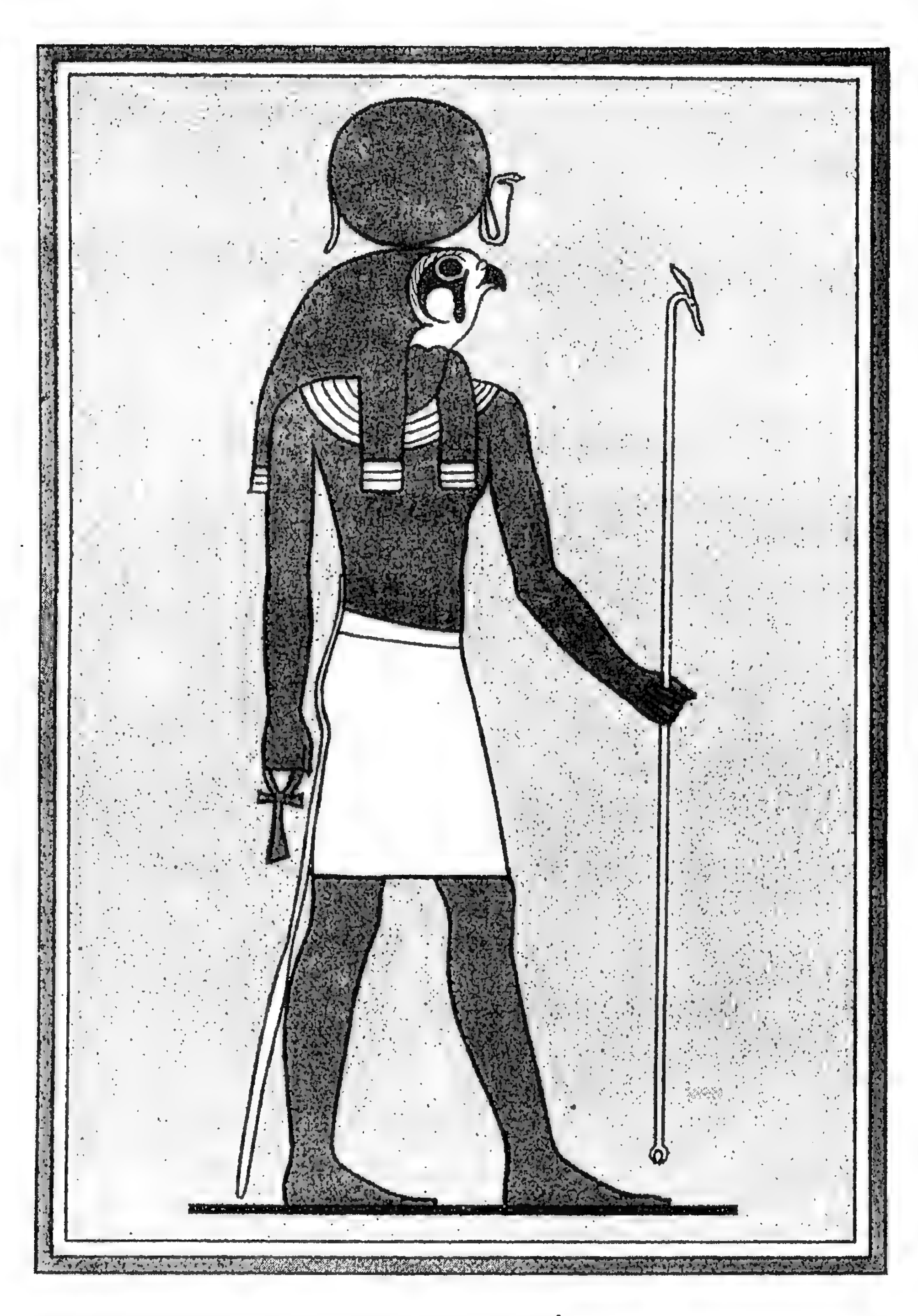
وعندما غزا بيانخى مصر PIANKHI حوالى عام ٧٥٠ق.م زار هليوبوليس بعد أن سقطت ممفيس وقصد جبال خيراها Khere-âha. حيث توضأ من «بحيرة الماء البارد» وغسل وجهه من «لبن نو حيث اعتاد رع أن يغسل وجهه» فى مكان يدعى شعى — كا — أم — انو Shâi-qa-em-Annu



الربة رعت

ومن الواضح بالطبع أن هذه البحيرة هى ينبوع الشمس الذى تم ذكره من قبل والنص يقول: «قدم قرابين عظيمة لرع فى شعى كا ـ أم ـ انو عند شروق الشمس ثيران بيضاء ـ لبن ـ دهون ـ بخور ـ وشجر ذا روائح زكية. ثم دخل معبد رع منحنياً توقيراً للإله. كبير الكهنة خير هيب KHER-HEB أقام الصلوات بالنيابة عن الملك لكى يصبح قادراً على قهر أعدائه وبعد ذلك أقام الشعائر الخاصة «بمجرة النجم» أخذ حزام سيتيب SETEB وطهر نفسه بالبخور وصب قربان الخمر وعندما أحضر له أحدهم الزهور التى ستقدم فى هيت ـ بينبينيت (قدس أقداس رع) Het-Benbenet, أخذ الزهور وصعد السلالم إلى «الهيكل الكبير» ليرى رع فى هيت بينبينيت وقف (على القمة) هناك منفرداً ثم دفع المزلاج وفتح الأبواب فرأى أباه رع فى هيت بينبينت فعظم قارب ماعيت رع (بمعنى قارب الصباح) وسيكتيت قارب «تم» (قارب المساء) ثم أغلق الباب ثانياً ووضع عليه الصلصال لتثبيته وختمه بخاتمه الشخصى خاتم الملك. ثم حذر الكهنة بعد ذلك (قائلاً) وضعت خاتمى عليه لا تدعوا أى ملك آخر يدخل هنا (أو) يقف هنا وهم قد انبطحوا على بطونهم قبل أن يقول جلالته: «هل يمكن أن يكون حورس الذى أحب انو (هليوبوليس) ثابتاً ومتماسكاً وهل يمكنه الاينتهى» ثم ذهب الملك بعد ذلك إلى معبد «تم» وقام بكل الطقوس والشعائر الخاصة بالاب تم ـ خيبرا أمير انو».

مما سبق نرى أنه ـ بالتأكيد ـ كان قد تم حفظ قاربى رع فى هيكل خشبى له بابان يمكن فتحهما بواسطة مزلاج وبنفس القدر من اليقين يمكن أن نقول أن قارب ماعيت ـ كما يظهر فى الصور ـ كان به رأس لرع على هيئة صقر وأن قارب سيكتيت كان به رأس أخرى له على هيئة بشرية. والنص يقول أن الهيكل كان يقع فى نهاية مجموعة من السلالم وهو ما يجب أن نتوقعه لأننا نعلم أن المقصود من هذه المصطبة هو تمثيل الأرض العليا التى فى ـ أو قريبة من ـ خيتخو أى (هيرموبوليس) تلك التى جعل رع



أمـون ـ رع ـ حيرو ـ خوتي

نفسه تستقر عليها والتى تدعى «كاكا فى خيمنو» [hieroglyphs]
[hieroglyphs] عندما انبثق من «نو» كما جاء فى كتاب الموتى.

خلال فترة الغزو الفارسى أفل نجم نظام هليوبوليس الكهنوتى ويقال أنه خلال حكم بطليموس الثانى (٢٨٥ ـ ٢٤٧ق.م) بعد ذلك رحبوا بعدد من كهنته لشهرتهم العلمية وأصبحت الاسكندرية ملجأ لهم أما التاريخ فيقول أن سولون SOLON وطاليس THALES وبلاتو PLATO قد زاروا جميعاً جامعة هليوبوليس الكبرى وأن الأخير قد حصل هناك على دراسة منظمة وأن مانيزو MANETHE كاهن سيبنثيتس SEBENNYTES الذى كتب لبطليموس الثانى تاريخ مصر باليونانية جمع مادته العلمية من مكتبة رع الكهنوتية ومع ذلك وفى زمن ما ـ قبل الحقبة المسيحية ـ تحولت مبانى المعبد إلى أطلال وانطوى مجد هليوبوليس وأصبح لا يرتادها إلا هؤلاء الذين يذهبون هناك لأخذ بعض الأحجار أو أى شيء آخر يفيدهم فى إقامة مبانيهم أو فى أعمال الزراعة.

والآن سنناقش ـ باختصار ـ ماهية العقيدة التى أفرزت ملامح تعاليم الكهانة الهليوبوليسية المميزة والتى وجدنا مصادرها الرئيسية فى نصوص الاهرامات التى أشرنا إليها من قبل مراراً.

فكهنة هليوبوليس رغم احتفاظهم لرع ـ فى المقام الأول كما رأينا ـ بالسيادة المطلقة بين جميع الآلهة بحيث كان رئيساً لكل الجمعات. قاموا بدور بالغ المهارة والكياسة حين لم ينكروا ألوهية الآلهة الأقدام فى مصر فاستطاعوا بذلك استيعاب أغلب العبادات السائدة مع شعائرها السحرية وطقوسها داخل عقيدتهم. بمعنى أوضح لم يحاولوا ازالة الآلهة المحلية القديمة بل على العكس سمحوا باستمرار عبادتها فى حالة موافقة كهنتها على إسناد أدوار أدنى من دور رع لالهتهم وهكذا فايزوريس وايزيس ومجمع الهتها تم استيعابها جميعاً فى مجمع هليوبوليس الكبير وتم خلط النظام اللاهوتى لايزوريس بنظام كهنة رع.

وايزوريس هذا لانعرف شيئاً عن أصل عبادته وإن كان يبدو من شخص الإله نفسه والطقوس المصاحبة للاحتفال بأعياده أنه كان معروفاً لسكان مصر فى عصر ما قبل الأسرات وأن الاعتقاد فى فاعلية عبادة الإله الإنسان الذى بعث من الموت وكون لنفسه مكاناً هاماً فى العالم السفلى كقاض وملك كان ذا أثر لا يمحى من عقول المصريين منذ عهد بالغ القدم. ورغم أن فكرة الجنة ذات المباهج المادية التى وعد بها أتباع ايزوريس ــ من المحتمل فى الغالب ــ لم تشغل حيزاً كبيراً فى فكر مثقفى مصر المتحضرين إلا أنها قُبلت ضمنياً كواقع واعتبرت من أغلب أفراد الشعب أنها تمثل جانباً من جوانب ديانتهم الموروثة. على الجانب الآخر قدم كهنة رع بديلاً للجنة الايزوريسية وهو أن الأرواح الطاهرة سوف تتجه بعد الموت إلى قارب رع فإذا ما هى نجحت فى الصعود إليه فستجد فى انتظارها سعادة أبدية ومؤكدة وأن الشياطين لن تكدرها والأعداء لن ينجحوا فى غارتهم عليها طالما هى موجودة فى «قارب المليون عام» وأنها سوف تقتات من طعام الإله أى النور وأنها سوف تكتسى بالضوء وسيعانقها إله النور وهى ستبحر مع رع فى قاربه رغم كل مخاطر التوات.. وعندما يشرق الإله كل صباح ستكون لها حرية التجول خلال السماء أو زيارة أحبائها القدامى على الأرض ولكن عليها أن تحرص على حفظ أماكنها والرجوع للقارب قبل هبوط الظلام فالارواح الشريرة التى لها قدرات عالية على الأذى والتى تنطلق فى هذا الوقت يمكن أن تذبح الأرواح التى تفشل فى الوصول سالمة إلى القارب.

الغريب أنه رغم دعم جميع من جلسوا على عرش مصر من ملوك عظام أو ملكات لكهنة رع فى الدولة القديمة ــ أو آمون رع فى المتوسطة والحديثة ــ دائماً بكل سلطاتهم ونفوذهم إلا أنهم لم ينجحوا أبداً فى طمس إيمان السواد الأعظم من الشعب بايزوريس أو أن يحلوا جنتهم ذات الطابع الأكثر روحانية محل جنته.. فالجانب المادى من طبيعة المصرى جعله يرفض أن يُفطم من فكرة حقول السلام الكائنة بجوار حقول اليراع وحقول الجنادب حيث القمح والشعير ينموان بكثرة وحيث يمكن للإنسان أن يمتلك أشجار العنب والتين والبلح ويعتنى والداه به

ويستمتع بحياة أكثر راحة من تلك التى عاشها على هذه الأرض لذلك لم ترضه أبداً عقيدة .مملكة النور حيث اللحم والشراب والكساء نور ولم تجذبه فكرة أن يصبح كائناً نورانياً يعيش للأبد بين نورانيين.

ونتيجة لهذا قام صراع دائم بين نظامى الكهانة الرئيسيين فى مصر أى نظام رع ونظام ايزوريس وانتهى بسيادة ايزوريس واكتسابه لجميع صفات الإله الشمسى فإذا تأملنا هذا الصراع لبرهة سنجد أن من الصعب علينا ألا نظن أن المقاومة التى واجه بها المصريون نظام رع كان لها أسبابها القوية والتى تبدو ــ عموماً ــ كما لو كانت بسبب احتواء هذه العقيدة على شىء ما غريب تماماً عن أفكار الشعب. وهو أمر له جانبه المنطقى فمدينة هليوبوليس كانت بحكم موقعها تعتبر مكاناً مناسباً لانتظار المسافرين من جزيرة العرب وسوريا إلى مصر والعكس بالعكس وكانت ــ تبدو ــ كما لو كانت تضم خليطاً من شعوب مختلفة وهكذا ــ فى الغالب ــ أصبح دين رع كما قدمه كهنة هليوبوليس خليطاً من أديان غرب آسيا وأديان مصر وبالتالى قاوم المصريون العناصر الآسيوية التى فيه بينما رحبوا بعبادة الشمس نفسها لأنهم كانوا ومنذ عصور موغلة فى القدم من عبدتها.

الحقائق المذكورة أعلاه عن عبادتى رع وايزوريس والتى تم استنتاجها ــ منطقياً ــ من أدبيات الديانة المصرية قد لا تظهر الصفات التى خلعت على الإلهين بنفس القدر الذى توضحها به التسابيح التى كتبت خلال أكثر عصور التاريخ المصرى ازدهاراً والتى كانت فى أغلبها مخصصة لهما أكثر من أى إله آخر وتدل على أنهما كانا يعتبران المخلصين الأساسيين للمصريين.

التسبيحة التالية أخذت عن بردية هونيفر HUNEFER وانى ANI ونخت NEKHT

«الطاعة لك.. أنت يا من هو رع عندما تشرق.. وتيمو عندما تغرب أنت تشرق.. أنت تشرق.. أنت تضىء.. أنت تضىء.. أنت يا من تـوجت ملكاً على الآلهة.. أنت رب السماء أنت رب الأرض.. أنت الخالق لكل من يسكن الأعالى وكل من يسكن الأعماق.. أنت الإله الواحد الذى جاء للوجود فى بداية

الزمن .. أنت خالق الأرض .. أنت الذى شكل الإنسان .. أنت صانع المحيط المائى فى السماء .. أنت واهب الحياة لكل ما هو موجود .. أنت الذى ربط الجبال معاً وأنت الذى صنع البشر وأوجد دواب الحقل .. أنت الذى خلق السموات والأرض . عابدوك هم الذين تضمهم ماعيت فى الغداة والعشية . أنت الذى تسافر عبر السماء بقلب يقطر بالفرح .. بحيرة الشهادة تصبح قانعة فى مكانها .. والشيطان الثعبان ناك سقط .. وانتزعت ذراعاه . قارب سيكتيت استقبل رياح طيبة وقلبه الذى هو فى الهيكل هناك طرب .. لقد تُوجت أميراً للسماء أنت الموهوب (بكل الخصائص) الذى يظهر فى السماء .. رع هو الذى عندما تتلى كلماته يجب أن تنفذ . أنت الإله الشاب ـ أنت وريث الخلود ـ أنت واجد نفسك ومانحها الميلاد .. أيها الواحد القدير ذو الأسماء والهيئات المتعددة .. ملك العالم أمير انو (هليوبوليس) .. رب الأبدية حاكم الخلود .. مجمع الآلهة يهلل طرباً عند شروقك وإبحارك عبر السماء أيها المبجل فى قارب سيكتيت» .

ومن بردية هنينير الورقة الأولى «السلام عليك أيها القرص .. أنت رب الأشعة الذى يشرق فى الأفق يوماً بعد يوم .

الطاعة لك يا حيرو ـ خوتى الذى هو الإله خيبرا فاطر نفسه .. عندما تشرق فى الأفق وتسكب أشعتك على أراضى الشمال والجنوب .. أنت جميل ـ أى نعم جميل ـ وكل الآلهة يهللون طرباً لرؤيتك .. يا ملك السماء الربة نبت أننوت NEBT-UNNUT استقرت فوق رأسك وحياتاها الجنوبية والشمالية فوق جبهتك وهى قد أخذت مكانها أمامك .. الإله تحوت استقر فى مقدمة قاربك ليدمر تماماً كل أعدائك .. هؤلاء الذين فى التوات حضروا لاستقبالك وأنت انحنيت احتراماً عندما تحركوا تجاهك ليشاهدوا جمال طلعتك .. وأنا جئت قبلك فقد يمكننى أن أكون معك أشاهد قرصك يومياً .. هل من الممكن ألا تغلق علىّ (المقبرة) هل من الممكن ألا أرجع ثانياً .. هل من الممكن لأعضاء جسدى أن تتجدد عندما أشاهد حسنك حتى مثل (هؤلاء) المفضلين لديك (و) لأننى أحد هؤلاء الذين عبدوك

على الأرض هل يمكننى ولوج أرض الأبدية أو حتى هل يمكننى أن أدخل إلى أرض الخلود لأشاهد ياربى هذا الذى رتبته لى».

«لك الطاعة يا من تشرق فى الأفق مثل رع أنت تعتمد على قانون لا يتغير ولا يتبدل. أنت تمر عبر السماء وكل الوجوه تراقبك وتراقب مسارك. لأنك مستور عن تطلعهم أنت تظهر نفسك فى الفجر والأصيل يوماً بعد يوم.. قارب سيكتيت حيث تكون جلالتك يبدو مضيئاً أشعتك فوق كل الوجوه أشعتك الحمراء والصفراء لا تحصى وأشعتك اللامعة لا تعد أراضى الآلهة وأراضى بونت Punt يجب أن تشاهد من قبل أن تحصى تلك المختفية (منك). منفرداً وبنفسك أظهرت نفسك عندما جئت إلى الوجود فوق نو. هل يمكننى أن أتقدم مثلما تتقدم أنت هل يمكننى ألا أتوقف عن الحركة للأمام كما لم تتوقف أبداً عن الحركة للأمام حتى ولو للحظة لأنك بخطوتك الواسعة أنت تعبر فى دقائق قليلة مسافات قد تحتاج إلى ملايين وملايين من السنين (للأنسان كى يعبرها) وهذا أنت تفعله ثم تغطس لتستريح.

أنت تنهى ساعات الليل وأنت الذى تحصيها ــ وحتى أنت ــ أنت تنهيها وأنت الذى تختص بتحديد الفصول.. والأرض تصبح مضيئة.. أنت تغرب بنفسك وهذا صنعت نفسك على هيئة رع (عندما) أشرقت على الأفق».

«أيها المتوج فى جلال جمالك يا من صنعت أطرافك. كما قدرت وأوجدتها بدون مخاض الولادة على هيئة رع.. كما ترتفع للأجواء العليا هبنى من لدنك القدرة على العروج فى السماء الخالدة والولوج إلى الجبال التى يسكنها المفضلون لديك. أدخلنى فى زمرة الكائنات المشرقة كاملاً مقدساً كالذين فى العالم السفلى واجعلنى أشاهد معهم بهاءك عندما تزهو فى الأصيل وأنت راحل لأمك نو.. يا من وضعت نفسك فى الغرب فارتفعت يداى لعبادتك وأنت تغرب ككائن حى.. أنظر يا من صنعت الأبدية اياك نعبد عندما تغرب فى السماء.. وجهت قلبى

تجاهك دون تردد يا أقدر الآلهة وإليك أوجه دعائى يا من تشرق كالذهب يا من تفيض على العالم بالنور فى اليوم الذى تولد فيه .. ولدتك أمك وأنت وهبت النور للقرص .

أيها النور العظيم الذى يضىء السموات أنت المعز للبشر جيلاً بعد جيل بفيضان النيل الذى يمنح السعادة لكل البلاد والمدن والمعابد. أيها الزاهى بجلال أفعالك .. يا من جعلت «قرينك» قوياً بالطعام الإلهى. أيها الواحد القهار أنت القادر على القادرين أنت الذى جعلت عرشك عصياً على الشياطين الأشرار يا ذا الجلال والبهاء فى قارب سيكتيت يا من تحمل قدرتك فى قارب عتيته اجعلنى ممجداً بالكلمات التى إذا نطقت بها فى العالم السفلى كان لها تأثير.. واكفل لى ألا أعيش بالشر فى الجحيم أصلى لك لتتغاضى عن أخطائى اجعلنى أحد خدامك المطيعين الذين يتبعون الواحد المنير وأدخلنى فى زمرة الأرواح التى فى تا ــ تشيسر تيت واجعلنى أجول فى سيخيت عارو بقَدْر موفق وسعيد» .

(من برديات انى صفحة ٢٠ ف) .

«الاحترام لك أيها الكائن الجليل أنت يا من لك كل الصفات يا تم ــ حيرو ــ خوتى. عندما تشرق فى أفق السماء تخرج صيحات الفرح والابتهاج من أفواه كل الشعوب. أيها الكائن الجميل أنت الذى تجدد نفسك فى موعدك على هيئة القرص مع والدتك حتحور لهذا ففى كل مكان تلهج القلوب بالابتهاج وأنت تشرق للأبد. حكام الشمال والجنوب يسعون إليك بالاحترام ويهللون لشروقك فى أفق السماء .. أنت تضىء الأرضين بضوء أشعتك الفيروزية .. يا رع أنت يا من هو حيرو خوتى الإله ابن الإنسان وارث الأبدية فاطر نفسه ومنجب نفسه ملك الأرض وأمير التوات حاكم ممالك اوكريت AUKERT القادم من الماء المنبثق من الإله نو الذى أعزك ونسق أطرافك .. يا إله الحياة يا رب الحب .. البشر جميعاً يستيقظون عندما تشرق .. أنت الملك المتوج على الآلهة والربة نوت تحمدك والربة ماعت تعانقك فى كل زمان وهؤلاء التابعون لك يغنون بالفرح ويخفضون جباههم للأرض

عندما يقابلونك .. أنت رب السماء أنت رب الأرض أنت ملك الحق والصراط المستقيم أنت رب الأبدية أنت أمير الخلود أنت المتحكم فى كل الآلهة أنت إله الحياة أنت خالق الوجود أنت صانع السماء حيث مكانك الدائم » .

« مجمع الآلهة يبتهج لشروقك والأرض تسعد بمشاهدة أشعتك والبشر الذين ماتوا منذ زمن يسعون لرؤية محاسنك ويهللون بالسعادة كل يوم وأنت ترحل عبر السماء وفوق الأرض . أمك نوت تمحنك القوة . أنت تمر فى أعالى السماء وقلبك ينبض بالفرح « وبحيرة الشهادة » قانعة بمكانها .. الثعبان الشيطان سقط وتبعثرت أذرعه وتقطعت أوصاله بالسكين رع يعيش مع ماعت الجميلة .. قارب سيكتيت يقترب من مرساه .. الجنوب والشمال والغرب والشرق استدار ليمجدك يا مادة الأرض الأولية التى جاءت من تلقاء نفسها للوجود . ايزيس ونفتيز يحميانك بأذرعهما .. وأرواح الشرق تتبعك وأرواح الغرب تمجدك .. أنت حاكم الآلهة وأنت فرح القلب عندما تشرق لأن الشيطان الثعبان ناك قد لقى مصيره وسيق للنار وسيظل قلبك فرحاً للأبد » .

(من بردية نيبخت صفحة ٢١)

كذلك سنجد على حوائط المقابرَ الملكية للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين فى طيبة ما هو أكثر تحضراً مما سبق حيث تسابيح رع الخمس وسبعون التى تعد من أهم ألقابه وصفاته والتى يمكن معرفة معانيها من الفقرات التالية :

١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع رب عالم الأسرار (فى التوات) جالب الأشكال .. أنت المستقر فى مكمنك الخفى وتصنع مخلوقاتك على هيئة الإله تامت TAMT (بمعنى إله الوجود ,𓀭𓈖𓅃𓂋) .

٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الخالق (𓆣𓂋𓇋𓇋𓏤) الباسط جناحيه المستقر فى التوات صانع كل ما خُلق وظهر من أطرافه الالهية .

٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع ـــ تازينين والد آلهته أنت الحافظ لما بداخله وأنت الذى من مخلوقاته حكام لملكوته .

٤) الحمد لك أيها القوى العظيم «رع» المطلع على الأرض والمنير لأمنتى أنت الذى أبدعت لنفسك كل الهيئات ( ) وتجلى صنعك فى عظمة قرص الشمس.

٥) الحمد لك أيها القوى العظيم «رع» الكلمة ــ روح الذى يستقر فى علاه أنت الحافظ للأرواح المستورة ( ) وهم تشكلوا منك.

٦) الحمد لك أيها القوى العظيم رع القادر الجسور الناسج لجسده.. أنت الذى جمعت الهتك معاً عندما ذهبت لملكوتك المستور.

٧) الحمد لك أيها القوى العظيم رع.. أنت الذى تستدعى عينك.. وتتكلم مع رأسك وتمنح الحياة للنفوس فى أماكنها وأنت تستقبلها وتجعل أشكالها فيه.

٨) الحمد لك أيها القوى العظيم رع مدمر أعدائه أنت الذى تصرح بافناء الميت ( )

٩) الحمد لك أيها القوى العظيم رع باعث النور فى ممتلكاتك أنت الذى صنع الظلام ليكون فى ملكوته وأنت الذى تغطى الذين هناك.

١٠) الحمد لك أيها القوى العظيم رع مضىء الأجساد فى الأفق أنت الذى تدخل ملكوتك.

١١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع دعامة ( ) ملكوت امنيت أنت حقاً جسد تيمو ( ) TEMU.

١٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الدعامة المستورة لأنبو ( ) أنت حقاً جسد خيبرا ( )

١٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الذى تطول دورة حياته عن دورة حياة الأشكال المستورة فأنت حقاً جسد شو ( )

١٤) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الهادى ( ) لرع ليعرف أعضاءه فأنت حقاً جسد تفنوت ( )

١٥) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت تصنع الأشياء الخاصة برع بوفرة فى مواسمها فأنت حقاً جسد سب ( )

١٦) الحمد لك أيها القوى العظيم رع القوى الذى صان الأشياء المكونة له فأنت حقاً جسد نوت.

١٧) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الإله المتقدم أنت حقاً ايزيس ( )

١٨) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الذى تضوى رأسه أكثر من الأشياء التى تسبقه أنت حقاً جسد نفتيز ( )

١٩) الحمد لك أيها القوى العظيم رع المتوحد مع أعضائه ــ الأحد ــ الذى جمع معاً كل البذور أنت حقاً جسد حورس ( )

٢٠) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت المنير الذى يرسل بضوئه فوق المياه والسماء أنت حقاً جسد نو ( )

٢١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع المنتقم لنو الذى جاء من داخله أنت حقاً جسد الإله ريمى ( )

٢٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الثعبانان اللذان يحملان ريشتين (على رأسيهما) أنت حقاً جسد الإله حواعيتى ( ) Huaaiti

٢٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الذاهب والآتى وأنت الداخل والخارج إلى ومن ملكوتك المستور أنت حقاً جسد عاطو AATU

٢٤) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الذى يرحل فى زمنه المعلوم أنت حقاً جسد نيزرت ( ) Nethert

٢٥) الحمد لك أيها القوى العظيم رع القائم الروح الأحد المنتقم لأبنائه أنت حقاً جسد نيتوتى ( ) Netuti

٢٦) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت رافع رأسك وأنت جاعل جبهتك جسورة أنت كبش أقوى المخلوقات.

٢٧) الحمد لك أيها القوى العظيم رع نور شو على رأس اقر( )
AKERT أنت حقا جسد امونيت AMENT ( )

٢٨) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الروح التى ترى حاكم امونت أنت حقاً جسد الملكوت المزدوج ( )

٢٩) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الروح التى تنوح الإله الذى يبكى ( ) أنت حقاً جسد عاكيبى AAKEBI

٣٠) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت تجعل يدك تمتد وتحمد عينك أنت حقاً جسد الإله ذى الأطراف المستورة ( )

٣١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الروح الممجدة فى المكان المزدوج المستور ( ) أنت حقاً خنتى امونتى ( )
Khenti-Amenti

٣٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الذى أنجب المخلوقات فى البيت المقدس أنت حقاً جسد الإله خيبرير ( ) Khepper

٣٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت وضعت أعداءك فى أصفاد قوية وأنت حقاً جسد ماتى ( ) Mati

٣٤) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت غمرت بالضوء الأماكن المستورة وأنت جسد إله التناسل ( )

٣٥) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت المنعش للأجساد أنت الذى تجعل الحلوق تمتلىء بالأنفاس وأنت حقاً جسد الإله طيباتى( )

٣٦) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت جمعت الأجساد فى التوات فاكتسبوا شكل الحياة وأنت الذى تدمر الماجن الدنس وأنت حقاً جسد الإله سيركى ( ) Serqi

٣٧) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الوجه المستور ( ) سيشم ــ نيزيرت SESHEM-NETHERT ( ) أنت حقاً جسد شاى ( )

٣٨) الحمد لك أيها القوى العظيم رع رب القدرة أنت تحوى التوات وأنت حقاً جسد سيخن ــ با ( ) Sekhen-Ba

٣٩) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت تخفى جسدك فى ذلك الذى داخلك وأنت حقاً جسد آمون خات ( )

٤٠) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أكثر القلوب ثباتاً بين تابعيه أنت تبث النار فى مكان الابادة وأنت حقاً جسد إله النار ريخى ( ) Rekhi

٤١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع المدمر أنت الواجد لخلقك فى التوات وأنت جسد تيواتى ( ). Tuati

٤٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع بواتب BUA-TEP ( ) حاكم عينه أنت تبث بالضوء فى المكان المستور وأنت حقاً جسد شيبى SHEPI

٤٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع تمت ــ حاتو مؤسس امتا ( ) Amta أنت حقاً جسد تمت حعنو TEMT-HATU

٤٤) الحمد لك أيها القوى العظيم رع خالق الغيب وفاطر الأجساد أنت حقاً جسد الإله سيشيتاى ( ) Seshetai

٤٥) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت واهب هؤلاء الذين فى التوات بما يحتاجون فى الملكوت المستور وأنت حقاً ابيير ــ تا ( ) Aper-ta

٤٦) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أطرافك تبتهج عندما ترى جسدك يا ياشا ــ با ( ) Uash-Ba وعندما تدخل جسدك أنت حقاً جسد هاى ( ) Hāi

٤٧) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أقدم عيون ( ) ياتشات ـ باى ( ) Utchat, Bai أنت اتممت بهاءك وأنت حقاً جسد زنتى THENTI

٤٨) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت صنعت السراط المستقيم فى التوات وفتحت الطرق فى المكان المستور وأنت حقاً جسد ماع ـ يات MAA-UAT ( ).

٤٩) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الروح التى تتحرك للأمام وأنت تتعجل خطواتك وأنت حقاً جسد أخبا ( ) Akhpa

٥٠) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت أظهرت نجومك وأنت الذى أضأت الظلام فى ممالك هؤلاء الذين تختفى أشكالهم أنت حقاً الإله حتشيو( ) Hetchiu

٥١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت صانع الممالك أنت صانع الأجساد الذى تجعلها تظهر فى الحياة بعزيمتك الخلاقة أنت يا رع قا. خلقت الأشياء الموجودة والأشياء التى لا توجد الموتى والآلهة والنفوس أنت حقاً الجسد الذى صنع خاتى ( ) Khati وجاء به للوجود.

٥٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت المختفى مرتين وإله سرى ( ) والأرواح تذهب حيث تقودها وهؤلاء الذين يتبعونك تجعلهم يدخلون أنت حقاً جسد أمنى AMENI ( )

٥٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت يوبنان ( ) أمونت ونور ضفائرك ... أنت حقاً جسد الإله يوبن UBENAN

٥٤) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت أقدم الأشكال التى تسعى فى التوات وتمجد باسمه الأرواح فى ملكوتها وأنت حقاً جسد زين ـ ارو Then-aru ( )

٥٥) الحمد لك أيها القوى العظيم رع عندما أو جدت نفسك مع الجميلة أمونت إبتهجت آلهة التوات لرؤيتك أنت حقاً جسد أعى( ) Aāi

٥٦) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت القط العظيم المنتقم للآلهة وقاضى الكلمات وملك الملوك وحاكم الملكوت المقدس أنت حقاً جسد القط العظيم ( )

٥٧) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الذى ملأ عينه وتكلمت إلى بؤبؤها الأجساد الآلهية الميتة تذرف الدمع أنت حقاً جسد ميتو ــ خوت ــ ف METU-KHUT-F ( )

٥٨) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت روح السمو وأجسادك مستورة أنت تبعث بالنور وأنت المطلع على الأسرار أنت حقاً جسد حيرا ــ با HER-BA ( ) ( ).

٥٩) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الروح العظيم أنت المدمر لأعدائك أنت ترسل النيران على الأشرار وأنت جسد كــا ــ بــا ( ) Ca-Ba

٦٠) الحمد لك أيها القوى العظيم رع عيايو ( ) المختفى فى النقاء أنت اكتسبت السيادة على أرواح الآلهة وأنت حقاً جسد عيايو.

٦١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الواحد الأقدم ( ) الواحد العظيم حاكم التوات الخالق الأحد ( ) أنت خالق السيتشيت الاثنين ( ) وأنت حقاً جسدى الالهين ستشيت.

٦٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع الواحد القادر على السفر مسارك محدد بواسطة ماعت أنت الروح التى تحسن على الجسد أنت وجه النور سينك ــ حرا وأنت حقاً جسد سينك ــ حرا ( )

٦٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الحامى للجسد وأنت الممسك بالميزان (بين) الآلهة مثل اما المستتر AMA ( ) ومثل اما ــ تا

AMA-AMTA وأنت حقاً جسد الإله المزدوج اما ـ امتا ( ) AMA-TA

٦٤) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت رب الاصفاد لأعدائك ـ الواحد ـ الأمير على ابيس ( ) APES وأنت حقاً جسد انتيتو ANTETU ( )

٦٥) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الذى تبعث باللهب للآتون ( ) وأنت الذى تقطع رؤوس الذين يجب تدميرهم ( ) أنت حقاً جسدى الالهين كيتويت ( )

٦٦) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت إله التناسل ( ) ( ) أنت تدمر ذريتك أنت الواحد وأنت مؤسس الأرضين بروحك ( ) أنت حقاً جسد الإله تا ـ زنين ( ) Ta-Thenen

٦٧) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الذى أوجد الآلهة الذين يراقبون الساعات( ) على مقاييسهم وأنت المختفى السرى .. وأنت حقاً جسد الآلهة المراقبة ( )

٦٨) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت إله السماء تشينت المزدوج ( ) وبوابة التوات والإله بيس ( ) Besi ومع أجساده الروحانية ( ) وأنت أجساد بيسى .

٦٩) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت القردة ( ) وأنت قوة الخلق الفعلية لصفاتك الآلهية ( ) وأنت حقاً أجساد الإله القرد فى التوات .

٧٠) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت تجدد الأرض وأنت تفتح الطريق لكل ما فى باطنها أنت الروح التى تطلق الأسماء على أعضائها أنت حقاً جسد سما ـ تا ( ) Sma-ta .

٧١) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت نيهى ( ) NEHI
الذى يحرق أعدائه إله النار سيتشيتى ( ) SETCHETI الذى يحرق
الاصفاد وأنت حقاً جسد نيهى ( )

٧٢) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت إله الحركة ( ) إله
النور ( ) الذى يسافر أنت الذى أوجدت الظلمة بعد نورك وأنت
حقاً جسد شيمتى SHEMTI

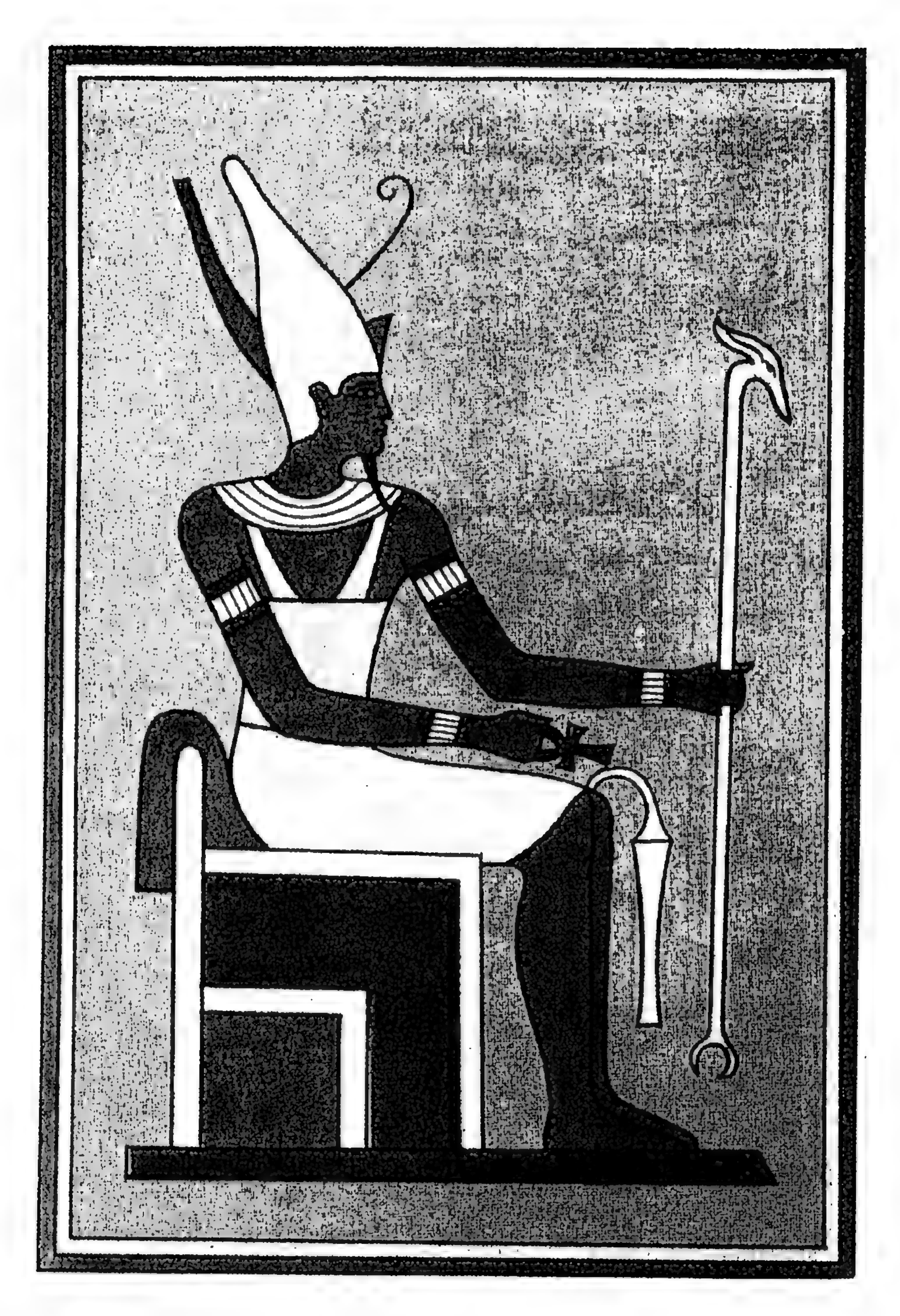
٧٣) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت رب الأرواح فى منزل مسلتك
( ) أنت زعيم الآلهة القائدة لأحيائها
وأنت حقاً الإله نيب ـــ بايو أى إله الأرواح

٧٤) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت الإله أبو الهول المزدوج إله
المسلة المزدوج الإله العظيم الذى يرفع عينيه لأعلى ( )
( ), أنت حقاً جسد أبو الهول المزدوج الإله حـــو يتى ( )
Huiti

٧٥) الحمد لك أيها القوى العظيم رع أنت رب النور ومظهر الأشياء المستورة
وأنت الروح التى تتخاطب مع الآلهة التى فى ملكوتها وأنت حقاً جسد نيب
سينكيو رب النور ( ) Neb-Senku

الفحص الذى لايشوبه الغرض للترجمة السابقة يظهر للقارىء مدى سمو التصورات الذهنية التى أسبغها المصريون على الهم .. ولا يوجد أى قدر من الشك فى أنهم قد نسبوا للإله رع الذى كان رمزه الشمس كل الصفات التى اعتادت الأمم الحديثة على اعتبارها حكرا لله العظيم.

فهو الواحد .. صانع. الآلهة والبشر.. خالق السماء والأرض والعالم السفلى .. الذى أوجد نفسه .. وصورها وهو الذى كان فى البداية والباقى للابد وهو مصدر الحياة والنور ومجسد الحق والعدل والفضيلة ومحطم الظلمات والليل والشر والشيطان .. حتى أنه يصعب ــ بذلك ــ أن لا نجد معادلاً لأى صفة من صفات



الإلــه تيمــو

الهنا في التسابيح والنصوص المكرسة لرع والتي تصف عظمته وقدرته. ان رع لم يكن رب الحياة فقط وإنما كان أيضاً رب الآخرة ورب كل مالم يولد.

أما عن علاقة رع بايزوريس ذلك ــ الذى كان نصف بشر نصف إله واعتقدوا في أنه كان السبب في الخلود ونموذجه ــ فقد كانت علاقة الإله الأب بابنه المتساويين وهو أمر يسهل فهمه إذا وضعنا في الاعتبار أن ايزوريس كان في يوم ما ملكاً متوجاً على عموم مصر وأن كل الملوك كانوا يعتبرون من ذرية رع وهكذا حصل على قدرات البعث من الموت وعمل نيابة عن والده رع كقاض للموت.

تم أو تمو أو اتم [hieroglyphs] or Atem, [hieroglyphs]

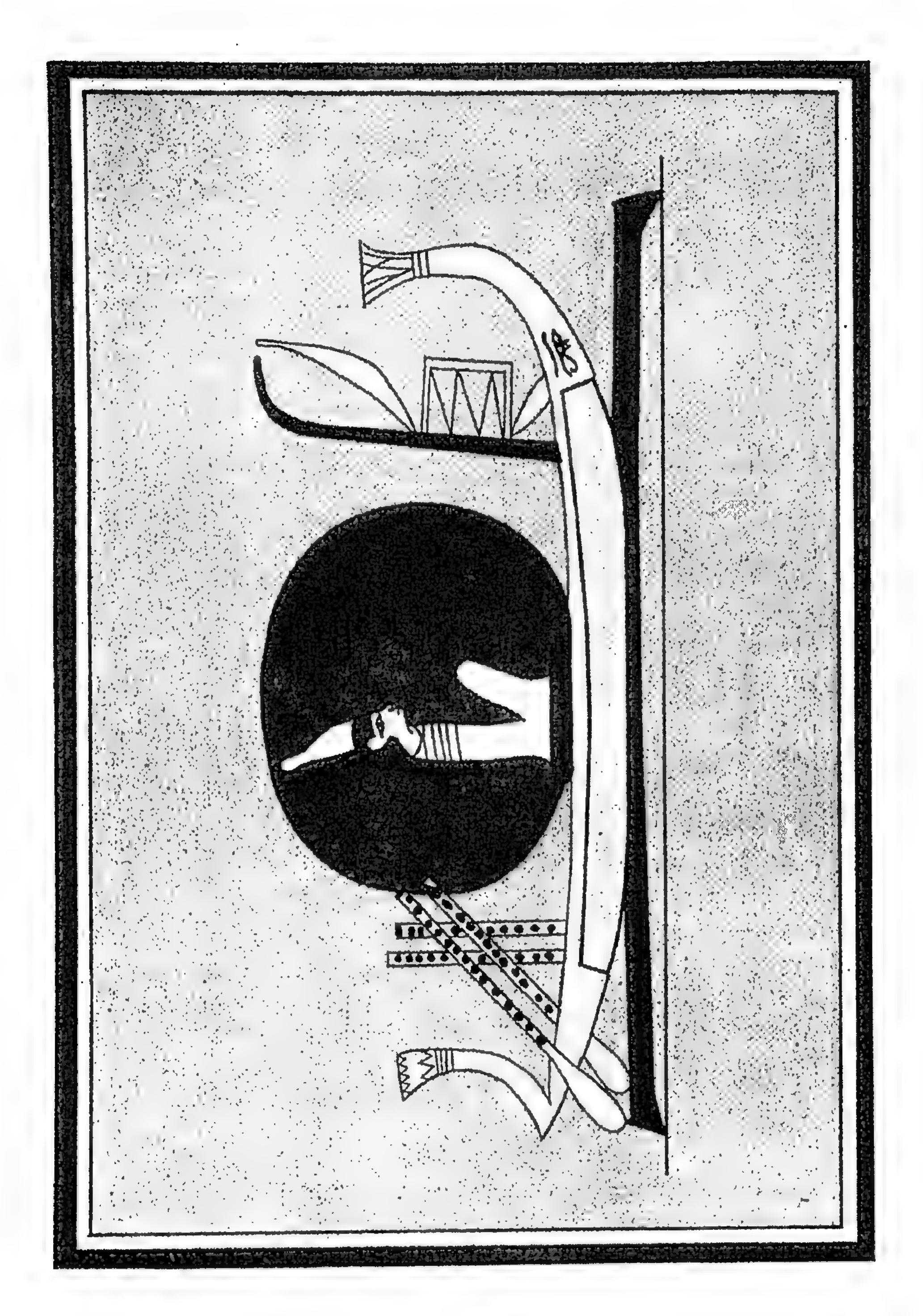
تم أو تيمو أو أتم كان في عصر الأسرات إله مدينة انو أو هليوبوليس المحلى الأصلى وكان يعتبر في كل الأحوال أحد أشكال إله الشمس العظيم رع. ويجسد الشمس الغاربة أما في عصر ما قبل الأسرات فكان هو أول رجل اعتقد المصريون بشكل أو آخر أنه إله كما أشار م. ليفيبيور وعندما مات تجسدت فيه الشمس الغاربة.

بكلمات أخرى كان تم أول إنسان حى تم عبادته كما كان ايزوريس أول إنسان ميت. ولهذا كان يمثل دائماً بجسد بشرى ورأس رجل.

هذه الحقيقة الهامة تدل على أن هؤلاء الذين شكلوا وجود «أتم» كانوا على درجة حضارة أعلى من الذين صوروا أقدم الآلهة المصرية حورس في شكل صقر كامل أو جسد بشرى برأس صقر وأتم كما وجدنا في البرديات وعلى حوائط المعابد كان عادة ما يلبس التاج المزدوج للجنوب والشمال على رأسه ويمسك بشارة الحياة بيمناه والصولجان بيسراه.

وكذلك كان شكله في مركب رع حتى لو كان مرموزاً لرع بقرص تدحرجه خنفساء ــ التى ترمز للإله خيبرا ــ وللإله حيرو ــ خيتو أى الشمس الصاعدة برأس صقر تسقط منها أشعة النور.

* في بعض الترجمات آتوم.



الإلـــه تم يجلس في قاربــه

وتم –فى الحقيقة– يمثل بداية مرحلة من الفكر الدينى لدى المصريين ونهاية أخرى فهو أول اعلان عن الإله الذى على هيئة بشرية وتصوره يمثل علامة واضحة على انتهاء الزمن الـذى كانوا يتصورون فيه الهتهم على هيئة حيوانية وبداية العصر الذى طوروا فيه فكرة الإله العظيم العصى على الفهم غير المعروف صانع وخالق الوجود .

وبالطبع نظراً لعدم توفر المادة التاريخية اللازمة فإنه من قبيل المستحيل محاولة تحديد تاريخ هذه الفترة على أى حال لدينا بعض الحقائق التى تظهر أن عبادته يجب أن تكون بالغة القدم فكهنة رع فى الاسرتين الخامسة والسادسة دمجوه مع الاههم باسم رع –تم وهذا لم يحدث إلا لكون عبادة تم كانت واسعة الانتشار فى ذلك الوقت ولأنه كان يمتلك من الصفات ما يماثل تلك التى لرع .

كذلك نصوص الهرم تظهر أن صفات تيمو قد اختلطت بتلك التى لرع وأن شفاعة وحماية هذا الإله كانت ضرورية للصالحين من الموتى فى العالم السفلى –وبالفعل– ألم يكن تم هو« الأب الذى مد ذراعيه لبيبى الأول وجعله على رأس الآلهة حيث حكم بين العظماء والحكماء» .

1 (Pepi I., l. 201).

هذه الفقرة تدل على أن تم لم يكن يعتبر فقط أبا للبشرية ولكنه كان أيضاً الهـا ذا قدرات عظيمة على مساعدة الموتى ومساوياً لرع من وجوه عدة والمصريون كما نعرف من خلال الصلوات والأدعية والتسابيح التى وجهوها إليه كانوا حريصين دائماً على استرضائه . وهو الأمر الذى لا يمكن فهمه إلا إذا تذكرنا ما تحتويه عقائد الكهنوت الهليوبوليسى من الوسائل التى تستخدمها أرواح الأبرار حين تغادر هذا العالم فهى كما نعلم تذهب أولاً إلى المنطقة الواقعة بين الأرض وبداية وادى التوات والتى اسمها امينتيت وتنتظر هناك حتى يظهر قارب الشمس الغاربة –أى قارب رع على هيئة تيمو– بمجرد وصوله تتدافع فى اتجاهه ولا تلحق

به إلا تلك التى صلى أصحابها على الأرض ودفنت أجسادهم طبقاً لطقوس وشعائر وصلوات كهنة رع الارثوذكسية وامتلكوا قدراً كافياً من كلمات القدرة. وبصعودها إلى قارب تم فإنها تنعم بعد ذلك بحماية وشفاعة الإله فى صوره المختلفة للأبد.

وهناك تصور آخر لتم يعطى للإله مكاناً ذا أهمية مميزة فى عقول المصريين بمعنى أنه لم يعرف فقط بكونه إله الموت ـ ايزوريس ـ ولكن بالشاب حورس أى الشمس الجديدة الصاعدة أيضاً.. كل هذه الأفكار تم التعبير عنها فى تسبيحة لتم وجدت فى برديات (موت ـ حوتب) والتى كانت مؤلفة لمساعدة أى روح تتلوها «لتظهر فى الصباح» بأى شكل ترغب فيه ويصبح لها قوة عظيمة فى التوات. فالسيدة موت حوتب MUT-HETEP تقول: «يا رع تم يا من تشرق بالجلال وتغرب مثل كائن حى فى مجد الأفق الغربى. أنت تغرب فى ملكوتك الذى فى جبل الشمس الغاربة مانو (Manu, ثعابينك خلفك ثعابينك خلفك الاحترام لك يا من تحيا فى سلام الاحترام لك يا من تحيا فى سلام أنت خلقت بعين تم وهى قد اختارت من قدراتها ما تحميك بها (لتضعها) خلف أعضائك أنت ظهرت فى السماء وسافرت فوق الأرض ورحلت للأمام يا منير. النصفان الشمالى والجنوبى من السماء يحضران لك وهما ينحنيان عابدين لك وتقدمان لك الأحترام يوما بعد يوم. آلهة امنتيت تهلل لجمالك والأماكن غير المرئية تغنى تسابيح تمجيدك. وكل من يسكن قارب سيكتيت يدور حولك. أرواح الشرق تعظمك وعندما تقابل جلالتك تصيح «أحضر.. احضر فى سلام» هناك تتعالى صيحات الترحيب بك يارب السماء وحاكم امنتيت. ايزيس أقرت بك وهى قد رأت ابنها فيك، رب الخوف القادر على بث الرعب أنت تغرب ككائن حى فى المكان المستور وأبوك تا ـ تونين رفعك لأعلى ووضع كلاً من يديه خلفك. أنت أصبحت تنعم بالصفات الالهية لـ (أعضائك) على الأرض أنت تستيقظ فى سلام وتغرب فى مانو عدنى أن أكون فى وضع مكرم أمام ايزوريس وأن أستطيع أن أحضر لك يا رع ـ تم لقد عبدتك فاصنع لذلك من أجلى كل ما أرغب. عدنى بأن أكون ظافرة فى حضرة

مجمع الآلهة أنت جميل يارع فى الأفق الغربى من أمنتيت. وأنت رب ماعت. أنت الذى تبث الرهبة الشديدة والذى تجل صفاته. يامن يحبك سكان التوات كثيراً أنت تشرق بأشعتك على الكائنات التى هناك على الدوام. وأنت تبث ضوءك على مسار رى ـــ ستاو RE-STAU أنت تفتح مسار الإله الأسد المزدوج. وأنت تغرب. الآلهة فوق عروشها والأرواح فى مكامنها. قلب ناعريرف NAARERF بمعنى (ان ـــ روت ـــ ف منطقة فى العالم السفلى) فرحة (عندما) يغرب رع. السلام عليك ياآلهة أرض امنتيت التى تقدم القرابين والهدايا لرع ـــ ثم انظرى إلى بهاه عندما تقابلينه امتشقى اسلحتك وأرجمى الشيطان سيب بدلاً من رع وصدى الشيطان نيبت بدلاً من ايزوريس آلهة أرض امنتيت تهلل وتقبض على حبال قارب سيكتيت وتحضر فى سلام آلهة المكان المستور التى تسكن امنتيت المنتصرة».

فى افتتاحية لتسبيحة أخرى خوطب فيها تم باسم رع والإله الذى فى الغروب باسم تم حيرو خوتى TEM-HERU-KHUTI «أنت إله مقدس أنت كائن خالق نفسه أنت المادة الأولية» نرى أن خصائص الخلق الذاتى.. الخ والتى تخص خيبرا بشكل أكيد قد وصف بها «تم».

وفى أسطورة رع وايزيس نجدهم قد جعلوا رع يقول: «أنا خيبرا فى الصباح ورع فى الظهر وتيمو فى المساء». ومنها نستدل أن النهار والليل كانا مقسمين إلى ثلاثة أجزاء كل منها يشرف عليها شكل من أشكال رع الثلاثة المذكورة. فى زمن الدولة المتوسطة كانوا عادة مايذكرون تم مع حيروخيتو ورع وخيبرا وكان كهنة هليوبوليس يحاولون دائماً البرهنة على أنه كان جد كل الأشكال الأخرى للآلهة الشمسية.

وفى كتاب الموتى (XVII) نجدهم قد جعلوا المتوفى يعرف نفسه «كتم» أقدم الآلهة فيقول: «أنا تم عندما أشرق.. أنا الواحد الأحد.. وُجدت فى نو.. أنا رع أشرق فى البداية». ثم يتبع الجملة بالسؤال «وهكذا من هذا؟» والإجابة «إنه رع عندما أشرق فى البدء فى مدينة سوتين ـــ هينين SUTEN-HENEN متوجا

كملك فى شروقه .. هو الذى كان يستوى على الأرض العالية الكائنة فى خيمنو عندما لم تكن دعامات شو قد خُلقت بعد» .

وهكذا يظهر أن الهليوبوليسية قد جعلت من تم الأله الأول الذى تواجد فى المادة الأولية ثم ربطوه بعد ذلك بهارماشيز Harmachis, وبخيبرا Khepera, كأشكال شروق الشمس ولكن فى نفس الوقت وبشكل مناقض عرفوه أيضاً بالشمس الغاربة وجعلوا نسمة المساء التى تمنح الانتعاش للبشر والتنفس للموتى تنبع منه .

من الصعب تحديد مكان بداية عبادة تم بدقة ولكن يبدو أنها كانت فى النوم الثامن من الدلتا Nefer Abt, نيفر ابت أو كما يطلق عليها اليونانيون هيروبوليتس HEROOPOLITES عند المكان الذى وصف ببوابة الشرق حيث مدينة با ــ اتيمت Pa-Atemt, أو زوكيت Thuket, وهى المدينة المعروفة للجميع من التوراة باسم بيثوم PITHOM

ومكان با ــ اتيمت أو بيثوم كان من المعتقد لمدة طويلة أنه مطمور بين أطلال تل المسخوطة التى تقع قرب قرية التل الكبير ثم أثبتت حفريات م. نافيل NAVILLE هناك صدق هذا الاعتقاد فالنقوش التى وجدها أكدت بدون شك أن إله مدينة بيثوم الأكبر كان تم . ومن الإشارات التى وجدت بهذه النقوش «للثعبان المقدس» ومن حقيقة أن جزءاً من المعبد كان يسمى «منزل الإله الثعبان كيرهيت» Pa-Qerhet, أو Ast-qerhet, يتضح بشكل أو آخر أن أحد أشكال عبادة تم كان ثعباناً ضخماً .

وبيثوم هذه كانت مدينة كبيرة تقع على ضفة قنال ضخم يربط البحر الأحمر بالنيل ويمر بجوارها طريق القوافل الرئيسى بين جزيرة العرب وهليوبوليس وبالتالى فيجب أن نتوقع أن يكون قد سكنها شعب شديد الاختلاط وأن تكون ملتقى عدد من التجار المسافرين والآخرين القادمين من غرب آسيا ومن المحتمل بالطبع أن يكون هؤلاء قد حملوا معهم بعض الطقوس الغريبة المرتبطة بعبادة آلهتهم وأن يعدلها السكان المحليون لهذه المناطق لتناسب معتقداتهم .

من نص من نصوص الهرم تم عرضه من قبل يبدو أن رمز عبادة تم الأصلى كان على هيئة عضو تذكير. ورغم أننا لم نعرف شيئاً عن ذلك إلا أن بعض العلماء كانوا يعتبرون أن المسلات عبارة عن رمز لعضو التذكير وهم يرجعون فى ذلك إلى أشكالها الأولية مدللين على صدق رؤيتهم بأنه كان يعلو قمتها دائماً قرص.

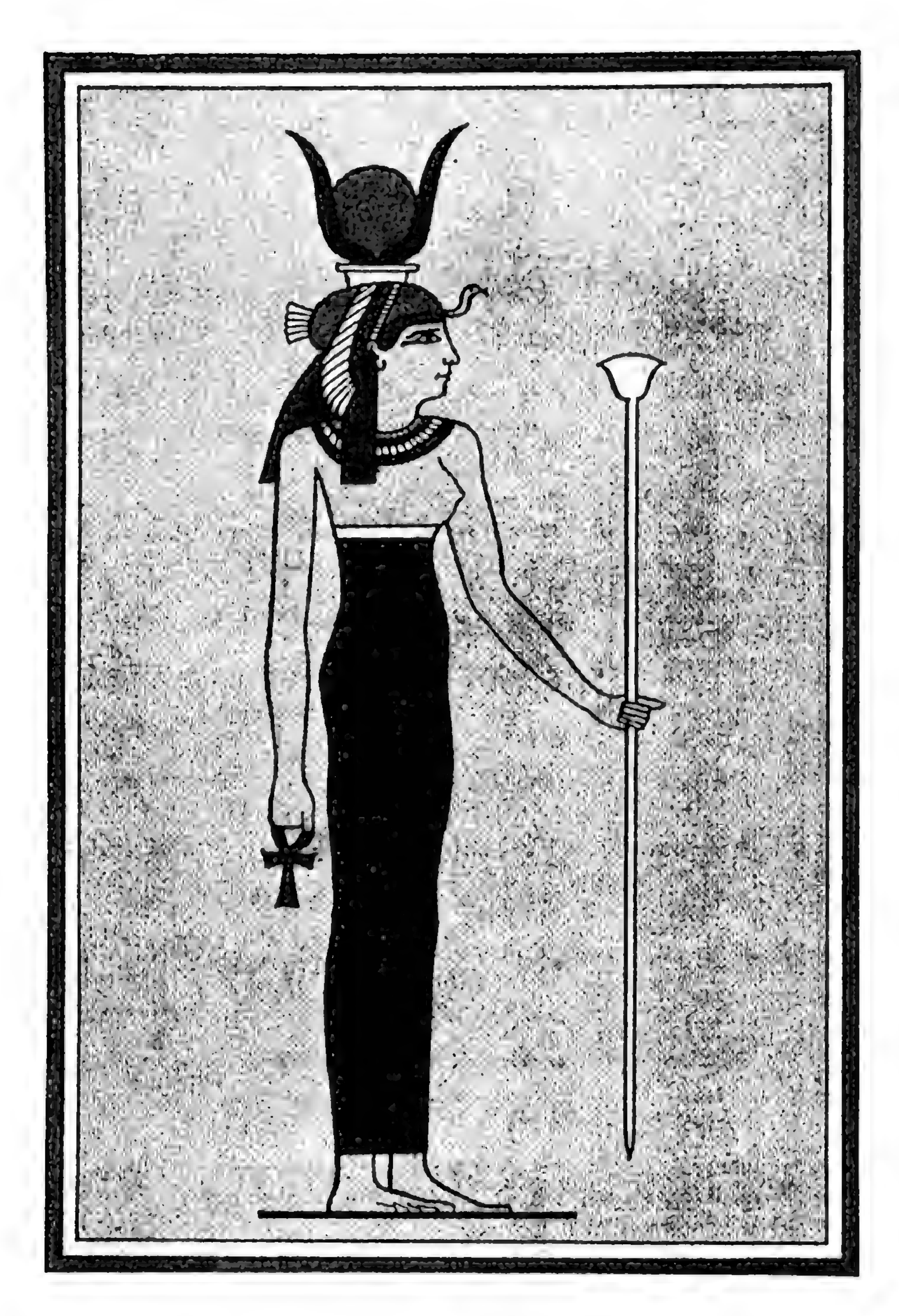
والإله تم ارتبط بربتين قرينتين هما على التوالي ايوسعاست IUSAASET, ونيت حتب NEBT-HETEP وهما عضوان فى مجمع آلهة هليوبوليس تذكران مع تم رب أراض آنو ورع وحيروخيتو.

ايوسعاست «حواء» بلوتارش كانت تسمى «سيده انو» و«عين رع» وكانت تعتبر كأم أو زوجة أو ابنة لتم طبقاً لمتطلبات النصوص.

وهى كزوجة لتم كان يقال أنها أم شو وتيفنوت وكانت ترسم على هيئة أمراة تمسك بالصولجان فى يدها اليمنى وعلامة الحياة فى يسراها وعلى رأسها تضع رأس الصقر المحاط بالثعابين وقرص بين قرنين وفى هذا الشكل كان يطلق عليها سيدة آنو زوجة تم حيرو خيتو أما الربة نبت ـ حتب فيبدو أنها لم تكن شيئاً أكثر من شكل من أشكال ايوسعاست حيث نجدها فى الشكل الذى تمثل فيه تسمى «سيدة الآلهة ـ أيوسعاست ـ نبت ـ حتب».

والدكتور بروجيش يقول أن تم ارتبط بايزوريس تحت اسم تم ـ اسار TEM-ASAR وأنه قد كون مع حتحور آنو (أو آنت) وحيرو ـ سما ـ تاوى Heru-sma-taui, رأس ثالوث حيروبوليس وهو قد أحصى للإله أيضاً تحت الأشكال المحلية كل من تم رع خينمو فى الفنتين وخينمو ـ حيرو شيفت فى هيراكيرلوبيس ماجانا وخينمو ـ يا ـ نيب ـ تيتيت فى منديس.

خيبرا KHEPERA الشكل الثالث لرع إله الشمس كان خيبرا خيبر تشيسف KHEPERA KHEPER-TCHESEF أى خيبرا صانع



الربـة أيـوسعاست

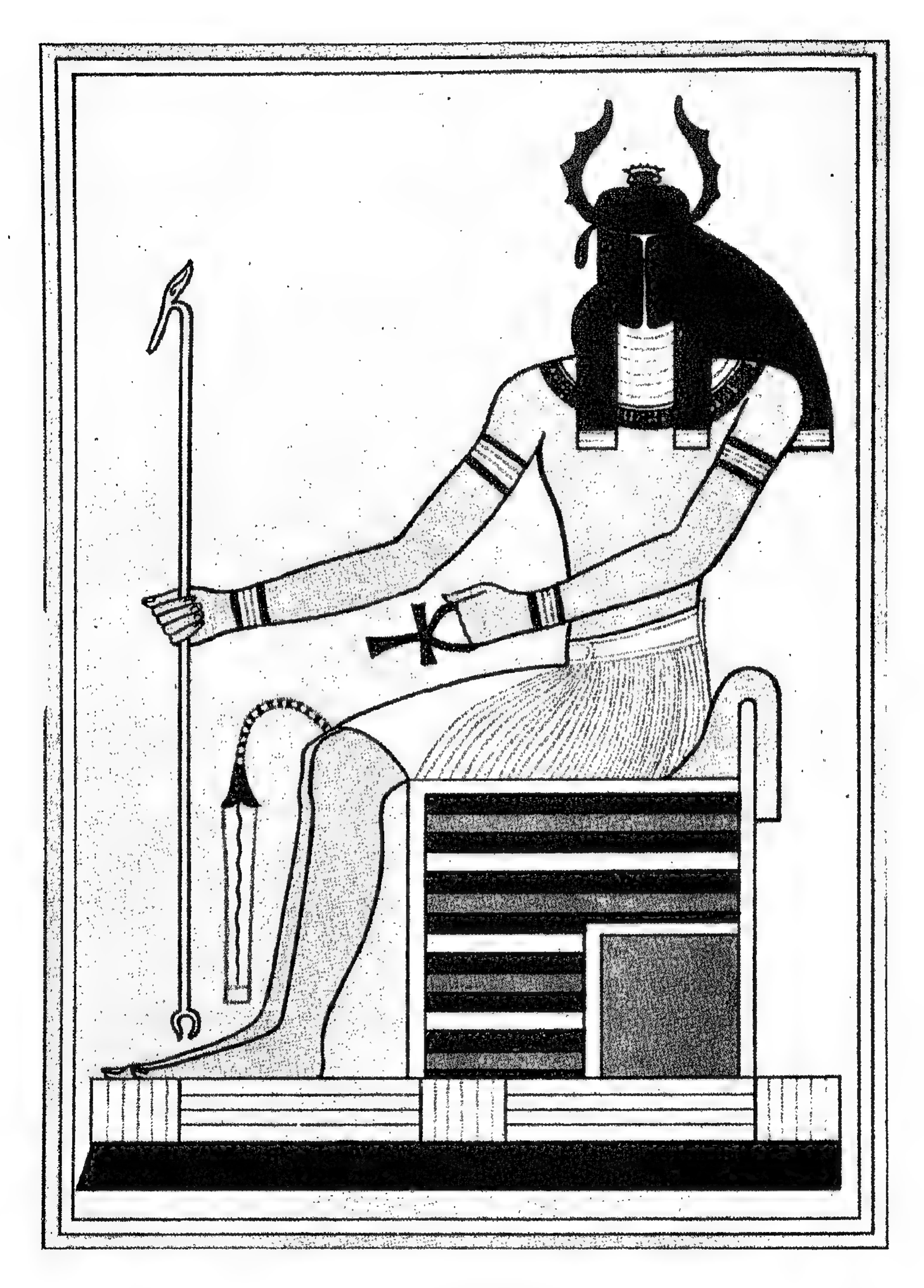
نفسه والذى كان يرمز إليه بالخنفساء كان دائماً مايصور على هيئة إنسان يعلو رأسه جعران. ولكن فى بعض الأحيان كانت تأخذ الخنفساء مكان الرأس البشرى. وفى شكل من الأشكال قدمه لانزون كان مرسوماً جالساً على الأرض ومن ركبتيه تخرج رأس الصقر حورس التى يعلوها رمز الحياة ☥.

وفى القسم المختص بالخلق الذى سبق أن ترجمناه وناقشناه نجد أن النص يحدد لنا كيف أن إله الشمس رع جاء إلى الوجود على هيئة خيبرا خارجاً من المحيط المائى الأولى نــو. وكيف أنه بواسطة روحه التى عاشت معه هناك قد صنع مكاناً يستطيع أن يقف عليه ويخلق الإلهين شو وتفنوت اللذين أنجبا باقى الآلهة.

على أى حال من المؤكد أن عبادة الخنفساء التى كانت منتشرة بشكل واسع فى مصر وتلقى هى والأفكار المصاحبة لها كل الإجلال كانت أقدم من عبادة رع وظل تأثيرها كامناً فى عقول المصريين حتى عصر الأسرات ولازال بعضها قائماً بين السكان المحليين بوادى النيل. إن وصف رع بالإله الخنفساء يؤكد هذا بالإضافة إلى أنه يوضح الطريقة التى كان يوائم بها الكهنة بين العقائد والأفكار الحديثة والمعتقدات القديمة.

والخنفساء التى ملأت أساطير قدماء المصريين من الفصيلة الجعرانية وهم قد اختاروا نوعاً محدداً منها هو الجعران المقدس SCARABAEUS SACER أحد أفراد مجموعة واسعة من الجعارين أكلة الروث التى تعيش معظمها فى المناطق الحارة.. وهى غالباً سوداء اللون ــ وإن كان بعضها مزين بألوان معدنية لامعة ــ ولتريبللى LETREILLE يقول أن أول نوع تم ربطه منها بالشمس كان لونه أخضر نقيا وهى تطير خلال أكثر ساعات اليوم حرارة وربما تكون هذه الخاصية بالذات هى التى تسببت فى أن يربط المصرى البدائى بينها وبين الشمس.

وفى الأسـرة السادسة نجد الملك المتوفى بيبى يقول أنه «يطير مثل طائر ويتوهج مثل الخنفساء فوق العرش الخالى فى قارب رع».



الإلــه خيبــرا

والحشرة تضع عدداً ضخماً من البيض فى كتلة روث ثم تظل تدفعها بأرجلها حتى تأخذ تدريجياً شكل كرة. بعد ذلك تدحرجها فى اتجاه حفرة سبق حفرها. كرات الروث هذه التى تحتوى على البيض تختلف فى حجمها فقطرها يتراوح بين بوصة وبوصتين وأثناء دحرجتها تقف عادة الخنفساء على رأسها المبتعدة عن الكرة. والبيض يفقس بطريقة معينة عن طريق أشعة الشمس التى تصب حرارتها داخل الحفرة وتخرج الحوريات إلى المكان الذى وضعت فيه الخنفساء الكرات حيث تجد الروث الذى كان يمثل الغطاء الحامى لها فتتغذى عليه.

العقلية البدائية ربطت بين كرة الخنفساء هذه التى تحتوى على بذور الحياة وكرة الشمس مصدر كل حياة والتى يبدو أنها تتدحرج عبر السماء يومياً. والخنفساء تُبدى مثابرة شديدة فى نقل كرات الروث المحتوية على البيض إلى الحفر التى ستفقس بها الحوريات وأحياناً تنقلها عبر أرض غير مستوية أو أسطح ناعمة فتتزحلق فى هذه الحالة عندما لا يكون فى استطاعتها اكمال العمل منفردة تبحث عن مساعدة زميلاتها. عادة الخنافس هذه ترسم فى النقوش الميثولوجية حيث نرى القرص أو الكرة الممثلة للشمس على رأس الخنفساء

الكاتبان القديمان ايليان بروفيرى AELIAN PROPHYRY، وهورابوللو HORAPOLLO كان لهما عن هذا النوع من الخنافس وجهة نظر تدعو للتأمل فهما يريان أنها كانت جميعاً من الذكور وأن لعدم وجود أى إناث بينها فهى بذلك تشبه إله الشمس رع خالق نفسه.

هذه الفكرة المغلوطة انتشرت فى الغالب فى ذلك الزمن بسبب تشابه ذكر وأنثى الجعران التام وفى كونهما يقتسمان فيما بينهما كل ما يتصل بالعناية والحفاظ على ذريتهما بالتساوى.

على أى حال هذه قصة قديمة للغاية لأننا نجد فى قصة الخلق المصرية أن الإله الذى رمزه خنفساء لم ينتج نفسه فقط ولكنه حبل وولد وأنجب الهين أحدهما ذكر (شو) والأخرى انثى (تفنوت).



الإلــه خيبرا يجلس فى قاربـه

فى النصوص المصرية القديمة يدعى خيبرا «والد الآلهة» وفى كتاب الموتى (XVII) يخاطبه المتوفى قائلاً: «التحيــة لخيبرا فى قاربه.. مجمعاً الآلهة فى جسده». أما شكل إله الشمس الذى كان دائماً ما يندمج فيه فقد كان حيرو ــ خيتو أو حارا ماشيس.

فى كتاب الموتى نجد أن خيبرا كان يلعب دوراً بارزاً متصلاً بايزوريس فلقد كان يدعى «خالق الآلهة حيرو خوتى ــ تيمو ــ حيرو ــ خيبرا» وكان المتوفى يطلب لنفسه بأن يصبح كل الأشكال التى اتخذها أو يتخذها الإله.

والإله خيبرا الذى كان فى البداية بذور الحياة الكامنة فى الغمر الساكن «نو» الذى طفا بنفسه هناك على هيئة شمس مشرقة أصبح ــ لذلك ــ يمثل شكلاً من أشكال الجسد الميت ــ فى زمن لاحق ــ بمعنى أنه كان الشيء الذى يحتوى على بذور الحياة التى على وشك التحول من حالة السكون إلى حالة الفاعلية وهكذا كان يجسد القدرة التى تمنح جسد الإنسان الروحى وجوده مثلما تمنح صغار الخنافس حياتها. فالروح الحية التى بجسد الإنسان والتى كانت تستطيع أن تنبثق بفضله من جسدها القديم لتعيش ــ مثله ــ حياة جديدة فى عالم جديد ــ عن طريق تلاوة بعض الصلوات أثناء أداء طقوس معينة ــ كانت ترسم على هيئة كرة بيض خنفساء تتدحرج بها بذور الحياة وهكذا تنعم بشكل جديد سواء فى ملكوت ايزوريس أو قارب رع.

خيبرا كان يرمز لبعث الجسد تلك الفكرة التى تجذرت فى عادات المصريين بارتدائهم لنماذج الجعران ووضعهم تمائم تمثله على جثث موتاهم التى وجدت فى مقابرهم بكل جزء من أجزاء مصر مما يؤكد سيادة هذه العادة وإيغالها فى القدم. فجميع الدلائل تشير ــ بدون شك ــ إلى أن عادة وضع الجعران مع الدفن ترجع إلى زمن قبل تاريخ الأسرة الرابعة. وكمثال يقال لنا فى بردية نو أن الفصل (LXIV) من كتاب الموتى قد وجده الأمير حيرو ــ نانا منقوشاً بحروف من حجر اللازورد الأصلى فى كتلة من ــ حديد الجنوب ــ تحت أقدام الإله ــ أى تحوت

ـــفى مدينة خيمنو خلال ولاية منقاورع MEN-KAU-RA وفى نهاية الجزء الثانى من هذا الفصل نجد تعليمات تحتم أن يتلى هذا الجزء بواسطة الرجل «الذى يؤدى الطقوس نظيفاً ونقياً والذى لا يأكل لحوم الحيوانات أو الأسماك والذى لم يعاشر النساء». ثم يكمل النص «انظر أنت سوف تصنع جعراناً من حجر أخضر بحافة من ذهب وسوف تضعه فى قلب الرجل الذى سوف تجعله يفتح الفم وسوف تدهنه بالمراهم المضادة، وستتلو عليه كلمات القدرة الآتية».

كلمات القدرة التى تلت هذه التعليمات تكون الفصل (XXXB) من كتاب الموتى حيث يخاطب المتوفى الجعران بأنه «قلبى، أمى، قلبى، أمى، قلبى الذى جئت معه إلى الوجود». وهو حينئذ يصلى كى لا يفارقه عندما يقف فى حضرة «حراس الميزان» حيث يوزن قلبه وكى لا يقف أحدهم معارضاً له أو كاذباً أو مقدماً ضده دلائل غير مرغوبة أو ملطخاً اسمه. ومن الغريب أنه يدعو الجعران «بكا» أى قرينه. كذلك سنجد تعليمات أخرى فى الفصل (LXIV) نعتقد أنها قد كتبت فى عصر حسيبتى HESEPTI خامس ملوك الأسرة الأولى وبالتالى يمكننا أن نؤرخ بهذا الزمن أو زمن قريب منه لعادة دفن جعران أخضر بازلتى داخل أو فوق صدر الميت. عموماً لن نشغل أنفسنا بالزمن الفعلى الذى بدأت عنده هذه العادة كل ما يهمنا الآن هو أن ارتداء الأحياء للجعارين كان يمثل بالنسبة لهم تميمة واقية ويرمز فى نفس الوقت للانتصار فى قاعة عدالة ايزوريس وشعار للبعث الذى يتم عن طريق قدرات الإله الذى تمثله التميمة «أى خيبرا».

أما كلمات القدرة التى فى الفصل (XXXB) فقد جعلتها تمثل جزء من «كا» أو قرين الميت يوم «وزن الكلمات» امام ايزوريس ومعاونيه وقادة الويته وتحوت ناسخ الآلهة ومجمعى الآلهة وجعلت الشياطين لا تستطيع ـــإذا ما وضعت الجعارين تحت الكفن ـــأن تؤذى المتوفى وبقاؤها فى المقبرة يمنحها حماية «والد الآلهة».



الفصل العاشر

أســاطير عن «رع»

من الصفحات السابقة وضح أن اللاهوتيين والمفكرين المصريين اعتبروا رع إلهــا .. ولكن فى نفس الوقت كان هناك من يعتنقون وجهات نظر أخرى عن طبيعته وصفاته مثل هؤلاء الذين يعملون بالسحر والتنجيم والعرافة تلك الطوائف التى كان أفرادها يصفونه بأنه ترياق للسموم والأمراض واعتقدوا أن تلاوة أو ارتداء بعض النصوص السحرية سيكون له أثر فعال خصوصاً إذا احتوت الزواية على الوسيلة التى تم بها ــعن طريق قدرة كائن أعظمــ خلاص بعض الآلهة أو الكائنات الربانية من الموت بالسم أو الشفاء من مرض تسبب فيه السم .

هذه العقائد لابد وأن نشير إلى أنها لم تكن مقصورة على المصريين فلقد وجدنا أن نفس هذه الأفكار كانت شائعة فى بابل وآشور وهو ما يؤكده النص المقتبس التالى من كتابات بابلية هامة حققها ونشرها مؤخراً مستر كامبل طومسون .. حيث نقرأ :

«من آنو (جاءت السموات) السموات خلقت (الأرض) الأرض خلقت الأنهار، الانهار خلقت القنوات ، القنوات خلقت المستنقعات ، والمستنقعات خلقت الدود .. بعد ذلك أتت الدودة أمام شامش «SHAMESH» إله الشمس تبكى وأمام «ايا» صعد نحيبها الدامع (قائلة) ماذا ستمنحنى لآكل ؟ ماذا ستمنحنى لأقرض (قال الإله) سأمنحك عظاماً جافة (لتأكلى) وخشب الخشخار اللاذع (قالت الدودة) ماذا تعنى العظام الجافة لى ؟ أو ماذا يعنى خشب خشخارك لى ؟ دعنى

أرتو من بين أسنانهم (البشر) وهبنى مكاناً فى اللثة (الخاصة بهم) بحيث أمتص الدم من الأسنان. وأستطيع أن أشطر لحم اللثاة. وبهذا الشكل سأسيطر على رتاج الباب (بمعنى فم الرجل). ولهذا ستقول أيها الرجل المريض الكلمات الآتية: «يا دودة هل يمكن أن يعصف بك» أيا «بكل قدراته».

يلى هذه الكلمات تأتى تعليمات هامة حيث يُؤمر المريض بأن يخلط معاً نوعاً من الجعة الموصوفة من قبل مع زيت وعصير نباتات معينة وعندما تتلى الأدعية ثلاث مرات على الإنسان الذى يعانى من آلام الأسنان تدلك أسنانه بالخلطة. وهكذا بينما نجد فى حالة ما أن الهدف هو تخفيف آلام الأسنان وعلاج التهاب اللثة الذى من المفترض أن يكون سببه الدود الذى هو من ذرية الدودة الأصلية التى طلبت من الإله ايا أن يمنحها الحق فى اتلاف الأسنان وامتصاص دم اللثة. نجد فى حالة أخرى أن هدف الرواية هو ابلال إنسان عضته حية سامة. وهكذا.

النصوص المصرية التى كتبت بهدف سحرى حفظت لنا الكثير من الأساطير الهامة والمثيرة عن «رع» من بينها يمكن أن نقتبس القصة التالية المكتوبة عنه وعن الربة ايزيس.

العنوان مكتوب كالآتى: «الفصل عن الإله القدوس خالق نفسه الذى صنع السموات والأرض والرياح ووهب الحياة للنار والآلهة والبشر والدواب والابل والزواحف وطيور الهواء وأسماك البحر الذى هو ملك البشر والآلهة والذى لحياته دورة واحدة ومعه فترتاً هن «بمعنى مائة وعشرون عاماً» تعتبران عاماً واحداً. الذى أسماؤه مستورة وغير معروفة ولا تعرفها حتى الآلهة».

ثم تبدأ القصة.

«الآن كانت ايزيس امرأة تمتلك كلمات القدرة.. قلبها كان متمرداً على ملايين الرجال اختارت هى ملايين الآلهة ولكنها سمت عاليا بملايين الأرواح. عندما تأملت فى قلبها قالت: «ألا أستطيع بواسطة الاسم المقدس لله أن أجعل من نفسى سيدة الأرض وأصبح ربة على نفس درجة وقدرة رع فى السماء وفوق

الأرض؟ «ثم هى ظلت تراقب دخول رع على رأس بحارته كل يوم عندما يستقر بنفسه على عرش الافقين».

ثم حدث أن الإله الواحد (بمعنى رع) بدأ يشيخ ويسيل لعابه من فمه فيسقط على الأرض بصاقه وتقطر على التربة ريالته.. فعجنت ايزيس (بعضها) مع التربة فى يدها على هيئة ثعبان ولم توقفها أمام وجهها ولكنها جعلتها ترقد على الأرض فى المسار الذى يتحرك عليه الإله العظيم طبقاً لمشيئته فى ملكوته المزدوج.

الآن أشرق الإله المقدس وكانت الآلهة تتبعه كما لو كان فرعون يتحرك معه وظهر طبقاً لعادته اليومية فعضه الثعبان المقدس وبدأت شعلة حياته تغادره والذى سكن فى ذرى السماء تمت هزيمته.

الإله المقدس فتح فمه جلجلت صيحة جلالته فى السماء فقال مجمع الآلهة «ماذا حدث؟» وتعجبت الآلهة «ما هذا؟» ولكن رع لم يستطع أن يجيب لأن فكيه اصطكا وارتجفت أعضاؤه وانتشر السم بسرعة خلال لحمه مثلما يخترق النيل أرضه.

عندما تمالك الله العظيم قلبه صاح فى هؤلاء الذين كانوا فى موكبه قائلاً: «تعالوا إلى يا من جئتم للوجود من جسدى يا آلهة يا من انبثقتم منى فلتخبروا خيبرا أن نكبة فظيعة قد حلت بى قلبى يشعر بها ولكن عينىّ لا ترياها ولم تتسبب فيها يدى ولا أدرى من الذى فعل بى هذا لم أشعر أبداً بمثل هذا الألم ولا يوجد مرض يمكنه أن يسبب بلية أكثر من هذه.

أنا أمير ابن أمير أنا الجوهر المقدس الذى انبثق من الله أنا الواحد العظيم ابن الواحد العظيم وأبى دبر اسمى أنا من له أسماء عديدة وأشكال عديدة ولى فى كل إله وجود. أنا من بشّر بى المبشّران تيمو وحورس. وأبى وأمى نطقا باسمى ولكنه كان مستوراً داخلى بواسطته هٰذا الذى ولدنى ذلك (الاسم) الذى لا يمكن لكلمات قدرة أى عراف أن تجعله يسيطر على. لقد جئت لأطل على تلك الأشياء التى صنعتها لقد كنت أمر فى العالم الذى خلقته عندما «أنظر!» شىء

ما لدغني ولكن الذى لا أعرفه هل هو نار؟ هل هو ماء؟ قلبى على النار والحمى يرتجف والرعشة أمسكت بكل أطرافى. امنعوا هذا الذى يحدث داخلى هناك يا أطفالى الآلهة التى تمتلك كلمات القدرة وحديث السحر والافواه التى تعرف كيف تنطقها والقدرات التى تصل حتى داخل السماء.

حينئذ أطفال كل إله حضرت له تنطق بنحيب الحزن (و) ايزيس أيضاً جاءت جالبة معها كلماتها ذات القدرة السحرية وفمها كان مملوءاً بأنفاس الحياة لأن تعاويذها تمحو آلام المرض وكلماتها تعيد الحياة لحلوق هؤلاء الذين يموتون. تكلمت قائلة: «ما الذى حدث يا أبى المقدس؟» ما الذى جرى؟ أهو ثعبان الذى لدغك؟ أشيئاً مما خلقته رفع رأسه ضدك؟ يقينا ستزول الالام بكلمات قدرتى المؤثرة وسأطردها خارجك قبل رؤية أشعة شمسك. الإله المقدس فتح فمه وقال: «كنت أتحرك فى مسارى وكنت أمر خلال مملكتى طبقاً لما أشتهى لأرى تلك التى خلقت عندما أنظرى عُقرت بواسطة ثعبان لم أره. أهو نار؟ أهو ماء؟ أنا أبرد من الماء أنا أسخن من النار كل جسدى يتصبب عرقاً أنا أرتعش عينى فقدت قوتها لا أستطيع أن أرى السماء والعرق يندفع من وجهى كما لو كنا فى زمن الصيف.

بعد ذلك قالت ايزيس لرع «أتقول لى اسمك يا والدى القدوس لأن كل من سيخلّص بواسطة اسمك سيعيش».

فقال رع: «أنا صنعت السموات والأرض أنا نظمت الجبال معاً وخلقت كل ما عليها.. أنا صنعت الماء وأنا جئت بالآلهة للوجود ومهيت ـــ ارت MEHT-URT وأنا صنعنا «ثور والدته» الذى نبعت منه مباهج الحب أنا صنعت السموات ومددت الأفقين كستارة ووضعت أرواح الآلهة بداخلها أنا هو الذى عندما أفتح عينىّ أصنع النور فإذا أغلقتها أتت الظلمة أنا الذى بأمره يرتفع النيل (أنا الذى) لا تعرف الآلهة اسمه أنا صانع الساعات أنا خالق الأيام أنا جالب مواسم العام أنا خالق فيضان النيل أنا صانع شعلة الحياة أنا العاطى لكل البيوت طعامها أنا خيبرا فى الصباح وأنا رع فى الظهر أنا تمو فى العشاء».

اثناء هذا لم يخرج السم من جسده بل توغل أكثر عمقاً ولم يعد الإله العظيم قادراً على أن يسير أكثر.

عندئذ قالت ايزيس لرع «ما قلته ليس باسمك هيا قله لى وسيخرج السم لأنه سيعيش هذا الذى سيكشف عن اسمه.

الآن إشتعل السم كالنار وتوهج أكثر من الشعلة والموقد وقال جلالة الله العظيم أنا أرتضى أن تبحث ايزيس داخلى وأن يعبر اسمى من جوفى لداخلها.

حينئذ أخفى الإله نفسه عن الآلهة وخلى مكانه فى قارب المليون عام. وعندما حان وقت أن يظهر قلب رع تكلمت ايزيس مع ابنها حورس قائلة: «الله أقسم بالإيمان أن يحرر عينيه (أى الشمس والقمر) وهكذا أُخذ اسم الإله العظيم منه وايزيس ربة الكلمات ذات القدرة السحرية قالت: غادره أيها السم أخرج من رع.. ياعين حورس اظهرى من (داخل) الإله وتوهجى خارج فمه إنه أنا التى تعمل إنه أنا التى تدبر أن يسقط السم المقهور فوق الأرض لأن اسم الإله العظيم قد استخلص منه فليحيا رع وليمت السم فليمت السم وليحيا رع. هذه كانت كلمات ايزيس الربة القديرة سيدة الآلهة التى تعرف رع باسمه الخاص».

النص السابق كان يجب أن يتلى فوق رسومات لتيمو «ثور والدته» وحورس وايزيس مع حورس وان كان هناك بعض الشك فى أن هذه الرسومات قد صنعت لتمثل الفصول المختلفة التى تحدث عندما يتسمم رع وعندما تنجح الربة ايزيس فى أن تستخلص منه اسمه.

هناك أسطورة أخرى عن رع لها أهمية ذات وزن خاص تلك التى تصف فناء الجنس البشرى وتقص كيف أن البشر ازدروا إله الشمس العظيم رع لأنه شاخ.. وهو نص محفور على حوائط مقبرتى سيتى الأول ورمسيس الرابع فى طيبة فى حالة مشوهة والآتى هو ما أمكن استخلاصه منه.

«(رع هو) الإله الذى خلق نفسه ثم أشرق فى سؤدده على الناس والآلهة وأيضاً على كل الأشياء.. الواحد.. والبشر نطقوا بكلمات الافك قائلين:

«انظر الآن صاحب الجلالة له الحياة والقوة والصحة أصبح شيخاً وعظامه تشبه الفضة وأطرافه تشبه الذهب وشعره يشبه حجر اللاذورد الحقيقى» .

الآن جلالته استمع للكلمات التى تكلم بها البشر (بخصوصه) وقال لهؤلاء الذين فى ركابه «إزعقوا وأحضروا لى عينى وشو وتفنوت وسب ونوت والآلهه الآباء والربات الأمهات التى كانت معى عندما كنت فى نو إحضروا أيضاً نو دعوه يحضر خدامه معه وليحضروا جميعاً فى صمت حتى لا يلاحظ البشر ذلك فيهربوا بقلوبهم .. احضروا معها للبيت الكبير ودعوها تفصح عن خططها ولأننى سأذهب مباشرة من نو إلى المكان الذى قمت فيه بالخلق فاجعلوا هذه (الآلهة) تحضر إلى هناك» .

الآن الآلهة التى كانت على كل من جانبى رع .. انحنت حتى الأرض فى حضرة جلالته وهو قد نطق بكلماته فى وجود والد بكرى الآلهة صانع الناس وملك كل من لديه المعرفة وهى قد تكلمت أمام جلالته (قائله) : «تكلم فينا لأننا منصتون» وتكلم رع فى نـــو فقال : «أنت يا بكرى الآلهة الذى منه جئت للوجود وأنتم يا آلهة يا من خلقتمونى أنظروا ماذا يفعل البشر هؤلاء الذين خلقتهم من عينى أنا ينطقون بالافك ضدى .. أعطونى انتباهكم وابحثوا لى عن وسيلة .. أنا لن أذبحهم حتى تقولوا (ما أفعله) بخصوصهم» .

عندئذ تكلم جلالة الإله نو الابن لرع (فقال) أنت الإله الأعظم من ذلك الذى صنعك وأنت المتسلط على هؤلاء الذين صنعت .. عرشك قد نصب والخوف منك عظيم اترك إذا عينك فوق هؤلاء الذين نطقوا بالافك ضدك» .

تكلم صاحب الجلالة رع (فقال) انظر كيف هربوا إلى الجبال وقلوبهم خائفة مما قالوا .

عندئذ تكلم الإله أمام جلالته (قائلاً) اجعل عينك تتبعهم واسمح لها بأن تدمر لك هؤلاء الذين نطقوا بكلمات الشر مجدفين بك» .

لا توجد عين فوق كل هذه الأرض تستطيع مقاومة عينك عندما تهبط لهم على هيئة «حتحور».

والربة (حتحور) ذهبت مباشرة فذبحت البشر الذين فوق الجبال وجلالة هذا الإله تكلم (قائلاً): «احضرى فى سلام حتحور فلقد تم العمل» فقالت الربة «يا حياتى عندما أكسبتنى السيادة على البشر سعد فؤادى». فتكلم صاحب الجلال رع (فقال) سأكتسب السيادة عليهم كملك وسأدمرهم.

ثم انه حدث أن سيخيت خاضت فى دمهم ليلا بدأ من سوتين ـ هينين SOTEN-HENEN عندئذ تكلم صاحب الجلالة رع وقال: «ازعقوا وابحثوا لى عن رسل سريعة وخفيفة تستطيع أن تجرى مثل الريح». فأحضر أحدهم فوراً هذه الرسل فقال جلالة الإله هذا «دعوهم يذهبوا لابو (الفنتين) ويحضروا لى من هناك اللفاح المخدر بكميات كبيرة». فأحضر له أحدهم هذا المخدر فأعطاه جلالة الإله لسيخيت التى (تسكن) فى انو (هليوبوليس) لتتوقف وأشرف على النساء وهن يحطمن الشعير (ليصنعن) البيرة ووضع هذا المخدر فى الأوعية التى بها البيرة وبعض من دماء البشر (الذين ذبحوا).. الآن صنعن سبعة آلاف وعاء من البيرة. الآن عندما جاء ملك الجنوب والشمال رع مع الآلهة لرؤية البيرة وظهر ضوء الصباح بعد أن ذبحت الربة البشر فى عيدهم وأبحرت فوق النهر قال جلالة رع «لقد كانت ذات نفعين ولكننى يجب أن أحمى الجنس البشرى منها». تكلم رع (قائلاً) «دعهم يحملوا الأوعية إلى المكان الذى ذبحت فيه الرجال والنساء». ثم آمرهم جلالة رع ملك الجنوب والشمال بأن يصبوا من الأوعية خلال (فترة) بهاء الليل البيرة التى صنعها (البشر) فهو يرغب أن تنسكب وتملأ أقطار السموات الأربع هناك حسب ارادة جلالة الإله هذا.

الآن عندما جاءت الربة سيخيت فى الصباح ووجدت أن الأقطار قد فاضت كسى وجهها الحبور وشربت البيرة والدم وملأ قلبها البهجة فسكرت ولم تعد تبالى بالبشر.

فتكلم صاحب الجلالة رع (وقال) فى هذه الربة «ارجعى.. ارجعى بسلام أيتها الربة الكريمة العادلة» (ومن الآن فصاعداً) كان هناك نساء جميلات وشابات فى مدينة آمون. قال جلالة رع فى هذه الربة «هناك سيجهزون لك أوعية الشراب الذى سيجعلك ترغبين فى النوم عند كل احتفال بالعام الجديد والعدد الذى هناك سيتناسب مع عدد وصيفاتى». ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا تعود البشر أن يصنعوا فى عيد حتحور أوعية البيرة ـ التى ستجعلهم ينامون ـ بعدد يتناسب مع عدد وصيفات رع.

ثم تكلم صاحب الجلالة رع (فقال) أنظرى إن آلام حرارة سخونة المرض قد أصابتنى.. متى جاء (هذا) الألم؟ حينئذ قال صاحب الجلالة رع «أنا وحيد وقلبى ملأه الضجر من وجودى معهم (أى البشر) سأذبح (بعضهم) وان كان هناك فضلات منهم لا قيمة لها. الدمار الذى صنعته بينهم لم يكن يعادل قدرتى» والآلهة التى كانت فى موكبه قالت (له): «لا تتماد فى ضجرك لأن قوتك تصبح على قدر ما تمتلك من ارادة». عندئذ قال صاحب الجلالة هذا الإله لجلالة نو «لأول مرة تفقد أطرافى قدرتها ولن أسمح أبداً لهذا الشىء أن يحدث مرة أخرى».

بعد هذه الجملة نجد أن النقوش أصبحت مهشمه ومن الصعب استنتاج المعنى العام المرتبط بالكلمات المتناثرة فى النص ولكن دكتور بروجيش يقول أن الأسطورة تنتهى بشكل أو آخر كما يلى:

عندما وصف رع ضجره لنو فإن الأخير أمر الإله شو بأن يتولى عمل رع وأن يأخذ مكان عينه وأصدر تعليماته لربة السماء نوت بأن تساعد رع فسألته الربة عن الطريقة التى تؤدى بها هذا؟ فقال لها: «خذى رع فوق ظهرك» وهكذا اتخذت نوت لنفسها شكل بقرة ثم اجلس رع نفسه فوق ظهرها.. عندما رأى البشر رع على ظهر نو أنبهم ضميرهم على سلوكهم تجاهه وودوا لو يرونه يذبح أعداءه الذين جدفوا به ولكن جلالته لم يطق عليهم صبرا فدخل إلى المعبد، فى اليوم التالى

وبمجرد بزوغ النهار ذهب الرجال المسلحون بالأقواس والحراب ليحاربوا أعداء رع عندما رأى الإله هذا قال لهم : «غفرت لكم ذنوبكم لأن القرابين التى ضحيتم بها محت كل الخطايا (التى ارتكبها أعداؤه) بعد ذلك رفع رع نفسه من فوق ظهر الربة إلى السماء حيث صنع لنفسه ملكوتاً يمكن أن يحتشد فيه كل البشر، أخيراً أمر حقول حتب ــ سيخيت HETEP-SEKHET أن تُوجَد وفوراً ظهرت حقول حتب (السلام) فقال صاحب الجلالة الإله سوف أزرع (حرفيا : عارعتا AARAT-A) سوف أجعل النباتات الخضراء تنمو هناك، فوراً جاء إلى الوجود سيخيت عارو SEKHET- AARU قال : «سوف أملأها بالأشياء التى سوف تتلألأ» أى النجـوم، على ذلك فالربة نوت ارتجفت كل أعضائها وأعلن رع أنه سيصنع لها دعامات لتقويتها فظهرت فوراً الدعائم، ثم بعد ذلك أمر رع ابنه شو أن يضع نفسه أسفل الربة نوت التى كانت ترتعش بشكل يجعله يدعم جسدها ثم أمره أن ينتبه للدعائم والأعمدة التى تستقر عليها الربة وأن يحافظ عليها وأن يحرص دائماً على أن تكون نوت فوق رأسه. قرب هذا الجزء من النص نجد رسماً لبقرة عظيمة تمثل الربة نوت بمعنى السموات وحول بطن البقرة يوجد ثلاثة عشر نجماً وتحتها مباشرة قارباً إله الشمس.

فى قارب ماعتت MATET يوجد رسم للإله رع كإله النهار بالقرص فوق رأسه وفى قارب سيكتيت SEKETET نرى الإله جالساً فى قدس أقداسه. القارب الأول بين الساقين الأماميين للبقرة نوت والقارب الثانى بين الساقين الخلفيين كل ساق من سيقان البقرة يدعمها الهان أحدهما أمامها والثانى خلفها ولكل إله اسم خَاص به مكتوب فى أعمدة رأسيه على جانبى الرسم.

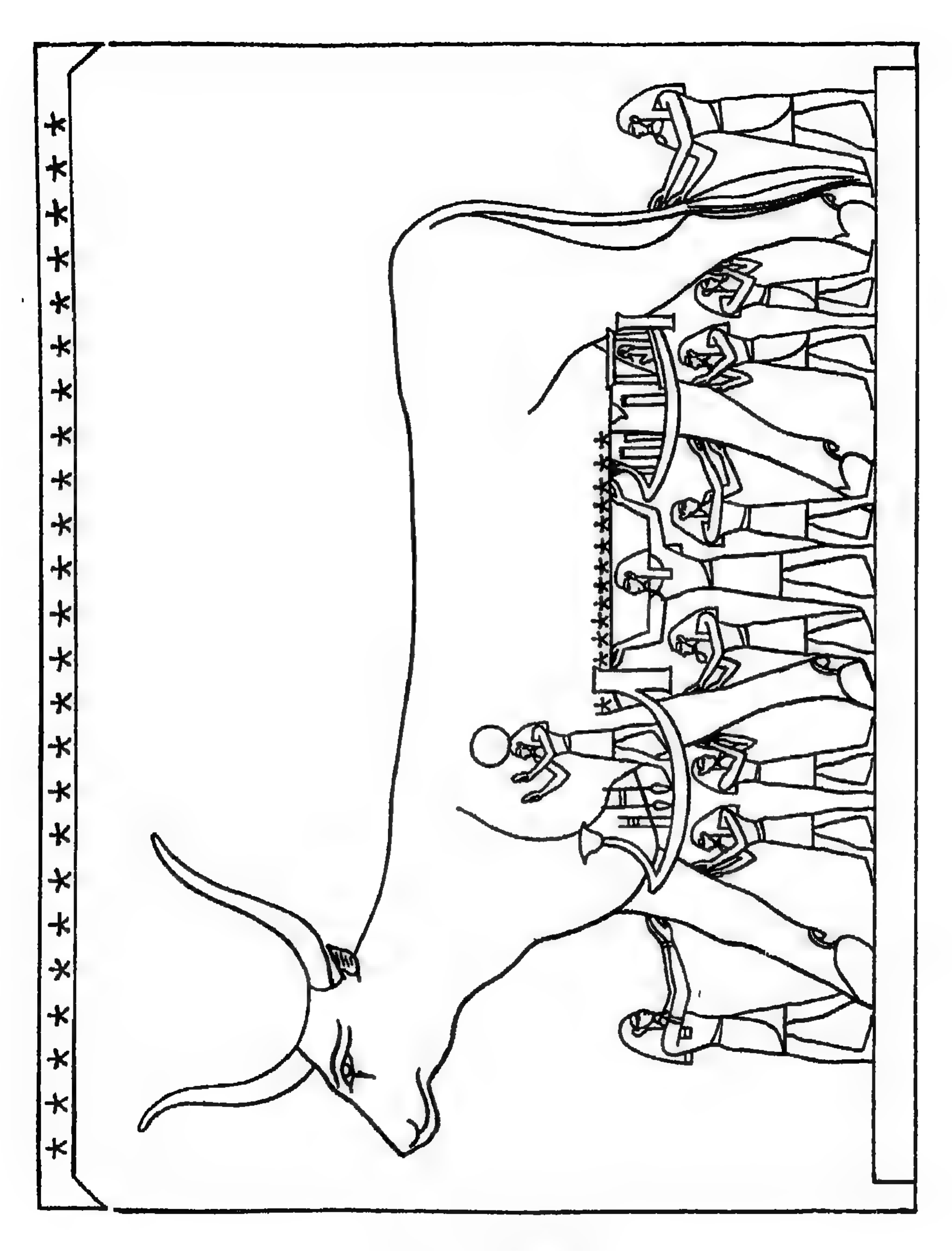
عندما استؤنفت الرواية ثانياً (سطر ٥٦) قيل لنا أن صاحب الجلالة الإله رع أمر تحوت بأن يصدر تعليماته ليحضر الإله سب أو ساب فى الحال (بروجيش يسميه كيب) عندما فعل هذا وظهر سب أمام رع قال له أن صراعاً قد نشب بسبب الدود (أو الثعابين) التى تعيش فى

مقاطعته (أى مقاطعة سب) ثم أضاف «أيمكنهم أن يرهبونى طالما أنا على قيد الحياة؟» ثم طلب رع منه أيضاً أن يعرف خططها ويذهب بعد ذلك إلى المكان الذى يعيش فيه والده نو فيحذره ليكون حريصاً لكل ما يحدث فوق الأرض وفى الماء.

النص التالى لذلك غاية فى الصعوبة وإن كان يبدو من معناه العام أن رع كان يتوقع من سب أن يراقب الثعابين على الأرض وأن نوره ــ رغم صعوده إلى عنان السماء ــ سوف يجعله يجدها فى جحورها ويسهل عليه مراقبتها كما يبدو أن رع ــ فوق هذا ــ قد وعد بأن يمنح البشر الذين يعرفون الكلمات السحرية القدرة على السيطرة عليها وأنه سوف يزودهم برقى وتعاويذ تجعلهم يستطيعون اخراجها من جحورها.

بعد هذا أمر صاحب الجلالة الإله رع أن يأتى تحوت بسرعة لحضرته وعندما جاء قال له: «احضر فلنغادر السماء ونغادر مكانى لأننى على وشك خلق كائن من النور ( ) من إله النور ( ) فى التوات ( ) فى ارض بابات BABAT ( ) أما أنت فسوف توقع العقاب على السكان هناك الذين ارتكبوا أعمال العصيان والذين يبغضهم قلبى وستكون فى مكانى (ȧst) وسوف تدعى استى ( ) ASTI ــ بمعنى نائب رع ــ وسيسمح لك بارسال رسلك (ḥab) عندما نطق بهذه الكلمات جاء للوجود. الايبس IBIS (ḥabi) أبو قردان ــ سفير تحوت.

بعد ذلك قال رع لتحوت بأنه سوف يمنحه سلطة رفع يده أمام مجمع الآلهة الكبير وأن يتقدم الكلمات خن وتخنى Khen Tekhni الطائر المقدس لتحوت، ووعد أيضاً بأن يجعل تحوت يعانق أنح ANH ــ أى السماوين ــ ببهائه فجاء على الفور للوجود القمر أصبح على تحوت بذلك أن يردع عن AN والهانبو HA-NBU فجاء القرد الإله عنعن ANAN للوجود فوراً، وأخيراً أصبح تحوت ممثلاً لرع على الأرض.



البقرة الربـة ـ نوت

من الملاحظات التى جاءت بعد كلمات رع نستطيع أن نرى كيف كانت تعتبر هذه الكلمات مقدسة فأى فرد كان يرغب فى ترديدها كان عليه أن يدهن وجهه بالزيت ويدلك يديه والأماكن خلف أذنيه بالعطر وينظف فمه بالنطرون ويغسل لباسه فى مياه النيل ويرتدى صندلاً أبيض ويضع صورة لماعت فوق لسانه وينظف نفسه سبعة أضعاف نظافته اليومية لمدة ثلاثة أيام بكاملها.

أخيراً أعلن الملك (سيتى الأول) الذى كُتبت هذه النصوص من أجله أن روحه هى روح شو وخنو نيحيح NEHEH وكيك KEK وكيرا ووو ونو ورع وأساربا ـــ تيتيت ASAR-BA-TETTET وأرواح آلهة سوبيك والتماسيح وروح كل إله على هيئة ثعبان وروح ابيب وروح رع فى كل الأرض.



الفصل الحادى عشر

حكايـة رع وايزيـس

فصل عن الإله المقدس (؟) خالق نفســه الصانع

للسماء (و) الأرض (و) النسمة الخاصة بحياة وبنار

وبالآلهة وبالبشر وبالحيوانات وبالماشية وبالزواحف والأشياء الزاحفة

وبطيور السماء وبالأسماك الملك للبشر (و) الآلهة فى

شكل واحد (الذى) دورته ١٢٠ عام مثل أعوام، عديد (من) الأسماء

ليس معروف يكون هذا (الإله) ليس معروف يكون هذا (الإله) للآلهة.

انظر ايزيس كانت فى (شكل) امرأة (التى كانت) ماهرة فى

كلمات (أى أمور) قلبها متمرد على الملايين من

الرجال وهى اختارت مع ذلك الملايين من الآلهة وهى قد سمت

بالملايين من الأرواح (الأكثر قيمة) ألا تكون ممكن فى السماء

(و) الأرض مثل رع (و) تجعل نفسها سيدة الأرض

وربة هى حدثت فى قلبها بمعرفة

الأسم الخاص بالإله المقدس؟

انظر ظهر رع كل يوم في مقدمة ملاحيه(ـسيه)

استوى فوق العرش الخاص بالافقين

أصبح شيخ الواحد القدس ، سال لعابه في فــه

أفرز هو ريالته فوق الأرض

ولعابه سقط فوق الأرض عجنته ايزيس

في يدها مع أرض التي كان فوقها وشكلتــــه

على هيئة ثعبان مقدس (و) صنعت (منه) في

الشكل سهم ليس لم تزحزحه عن مكانه

بقى حيـــا أمامهـــا (و) هى تركته راقـــد على

المســـار الذى يسافر الإله العظيم عليه طبقاً لرغبتـــه

خلال أرضه المزدوجة

الإلـــه القدس ارتفع أمـــام الآلهة

فـــى البيت الكبير المزدوج حياة ، قوة ، صحة، تتبعه

(و) هو قد سار كما (يفعل) كل يوم (عندما) عض هو

الثعبـــان المقدس ، النار (الخاصة) بالحياة كانت تخرج

منـــه نفســـه ، هى تدمر الســاكــن فى سيدار (علاه).

الإلـــه المقدس هو فتـــح فـــه الصوت الخاص

بجلالته حياة قوة صحة ! جلجل فى سماء المجمع

الآلهـــة كان هو فوق «ما هذا؟» الهته (كانوا)

فوق (قالوا) «ما الأمر؟» ليس يجد هـــو

كلمـــات لـ اجابة عنها فكيـــه

اصطكـــا ، أطرافـــه كلها ارتعشت ، السـم

يتغلغل فى جسده كما يتغلغل النيل

فـــى مجراه الإله العظيم ثبت قلبه

(صـــاح) لـ من فى موكبه : احضروا لـــى

أنتم يا من جئتم إلى الوجود من أعضائى (أيتهـا) الآلهة

التى انبثقت مـــنى ، وأنا سأجعلكم تعرفون

ماذا حدث : أنا مجروح بواسطة شىء ما مميت

يعرفه قلبى ليس تراه عيناى ، ليس

صنعتـــه يدى ، ليس أعرفه (أنا) من الذى فعل (هذا) بى
شخص ما

ليس تذوقت ألم مثله أبداً لم يكن مميتاً (أى شىء)

أكثر من هذا أنا أمير ، الأبن لأمير ،

الذرية المقدسة انتجت بواسطة إلـه أنـا عظيم ،

الابـن لعظيم ، تدبـر والدى اسمـى

أنا صاحب كثير من الأسماء كثير من الأشكال (التواجد) تكون

شكلى أو (تواجدى) تعيش فى إله كل أنا من بشر(به)

خيتو وحيرو حيكنـو نطـق والدى

ووالدتـى اسمى ، كان مستوراً فى جسدى بواسطة

من انجبنى الذى رغب ليس فى أن يجعل له قدرة

لمن يمكن أن يستونى بواسطة تعاويذه علّى

أنا ظهرت　　من　　المقر　　لـــ　رؤية الذى صنعت

(و) الذى استقر　　فوق　الأرض المزدوجة　　(التى) خلقتها ،

عندما (شىء ما) نفخ تجاهى　　عندى　　(و) أنا لا أعرف ما هو.

ليس نار انظر،　　ليس ماء أنظر　　قلبى　　يحتوى

نار　　أطرافى　　ترتجف ،　　أعضائى　　تحتوى

ابناء　　الارتعاش .　　أصلى لك كى تحضرى لى

أطفالى　　الآلهة　　قوية　　الكلمات　　ماهره

بأفواهها　　قدراتها ،　　حضرت　　للسماء .

حضـــر له　أطفالــه ،　إله　كل هناك　مـــع

صرخات بكاءه　حضرت ايزيـــس　مـــع　قدرتها

وفها الماهـــر ،　مع　انسام　الحياة ،　تعاويذها

تدمـــر الأمـــراض　كلمتها　أحيـــت　رائحة كريهة الحلوق
(بمعنى حلوق الموتى)

قالـــت　ما هـــذا ،　يا والدى　إله ؟　ماذا حدث ؟　ثعبـــان

قـــذف　بمرض　داخلك .　شىء　صنعتـــه　رفـــع

رأســـه　ضدك .　مـــؤكد　سوف يتم قهرها　بواسطة

كلمات قدرة　مفيـــدة　سأجعلها تغادر　من

الرؤية لأشعتـــك. الإله مقـــدس فتـــح فـــه:

أنا كـــنت أمـــر فوق الطريـــق الماضى فوق

الأرض المزدوجة لبلـــدى وقلبى رغب فى رؤية

الذى خلقتـــه (عندما) عُضضت بواسطة ثعبـــان

غير مرئى. ليس نار انظر، ليس ماء انظر

أنـــا أبرد من الماء أنا أسخن من

النار، أطرافى كلها تتفصد عـــرق، أنا

أرتعش، عينى بدون اتزان، أنا لا أستطيع أن أرى

السموات انفجرت ماء على وجهـــى (كما) فى الصيف

قالت ايزيس لـ رع ، آه قل لى اسمـــك ،

أبوه الإله الإله ، يعيش الشخص الذى أعلـــن

اسمه . (قال رع) أنا الصانع للسماء (و) الأرض

الناسج معا للجبال ، الخالـــق لكل ما هو كائن

فوقهـــا أنـــا الصانع للماء وواجـــد

ميهيـــت ـــار ، يمثل (له) ثور والدته ، الخالق

لمباهج الحب . أنا الصانع للسماء وأنا الذى غطى

الافقـــين ، أنا صببت الروح التى الآلهـة معهـــا

أنا هو الذى (إذا) فتح عينيه أصبـح النـــور

(و) قفــــل عينيه أصبـح الظلام . يرفـع الفيضان

الخاص بحابـى (النيل) عندما يعطى تعليماته ، ليس

يعرف الآلهـــة اسمــــه . أنــــا صانع الأزمنـة

الخالق لأيام أنا الفاتح لاحتفالات السنـة ،

الخالـــــق لينابيع المـاء . أنا الصانع

لشعلة الحياة وجعلها تنفذ أعمال فى المنازل .

أنــا   خيبــرا   فى   الصبــاح ،   رع   فى   الظهر ،

تيمو   فى المســاء .   (لكن) ليس خروج

الســم   من مســاره ،   ولم   يسعف   الإله الكبير

قالــت   ايزيس   لـ   رع   ليس اسمك أنت يذكر

من   بين   الأشياء التى قلتها لى هيا   قل أنت   هو   لى

وسيخــــرج   الــ   سم .   سيعيش كل شخص

نطـــــق   اسمـــه .   الســم   يحرق

مــــع   جرائق ،   التى كانت أقوى   من اللهب الخاصة

بنـــار قال جلالته هذا رع أعطى نفسى

لتبحث بها ايزيس ، وسيظهر اسمى من

جســـدى إلى جسدها . أخفـــى نفسه الواحد القدوس من

الآلهـــة ، فارغ كان المكان فى القارب الخاص بملايين السنين .

عندما أصبحت حـــول الزمن الخاص بظهـــور الخاص بـ

القلـــب قالت لـ ابنها حـــورس : دعه يربط نفسه بقسم

يحلف بحياة الإله أن الإله سوف يعطى عينيه .

الإله العظيم جرد من اسمه ، ايزيس العالمة بكلمات القدرة قالت :

اخـــرج ، سم ، اظهر من رع ، عين حورس ،

اظهر من الإله ، وتلألأ بدون فــه

أنا عملت أنا أسقطت فوق الأرض

السم الذى هزم ، مؤكد تم اخراجه من إله

عظيم اسمــه . رع فليعيش هو، السم فليفنــى

وبالعكــس . شخص معين ، الابن الخاص بسيدة معينة ،

فليعيش ، الســم فليفنى (هكذا) قالت ايزيس السيد العظيمة

سيدة الآلهة التى تعرف رع بواسطة اسمــــه الخاص بــ

تتلـــى على رسم خاص لتيمو وحيرو حيكننو

و(على) رسم لايزيس وشكل لحورس .

الفصل الثانى عشر

إفناء الجنس البشرى

..... الإله الذي خلق نفسه . بعد أن كان هو في

السيادة على البشر، الآلهة، والخلق،

الواحد، رجال ونساء كانوا يجدفون ويقولون

أنظروا، جلالته، حياة، قوة، صحة، أصبح شيخاً

عظامه مثل فضة، اطرافه مثل الذهب، شعره

مثل حجر اللازورد حقيقي، كان جلالته يستمع

لمـا قال البشر. قالوا جلالته، حياة ، قوة ، صحة ،

لهؤلاء الذين كانوا في موكبه. نادى، احضروا لى عينى،

وشـــو ، تفنوت ، سب ، نوت ، مع الأب والام للآلهة

الذين عاشوا معى عندما انظروا كنت في نو معاً مع

الهى نـــو. دعوه يحضر هو ومساعديه معـــه

إحضروهم في صمت، بحيث لا يمكن أن يرى

البشر، بحيث لا يمكن تهرب قلوبهم . احضروا

معهـــم في المعبد الكبير، دعهم يعلنون نصائحهم

كـــاملة ،   سأدخل   فى   نـــــو   إلى   المكان

الذى ولدت فيه ،   فليحضروا لى   هذه الآلهة .   تكون

هذه   آلهة   فى كل على جانبيه ،   تنحنى للأرض   أمام

جلالته ..   تكلم   كلماته   أمام   الأب

لبكرى الآلهة ،   الصانع   للبشر ،   الملـــك

للكائنات العاقلة .   هم قالوا   أمام   جلالته

تكلـــم لنـــا ،   لأننا ننصت لك .   قال   رع

لـــــ   نـــــو أيها الإله   البكـــرى   الذى جئت منه للوجود

وأنتم يا أسلافى الآلهة ، التفتوا للبشر الذين جاءوا للوجود

مـــن عينى انهم يتكلمون كلمات ضدى . دلونى

(على) ما يمكنكم عمله بخصوص هذا ، انتبهوا لها من أجلى

ابحثوا عن خطة لى . لن أذبحهم حتى أسمـــع

ماذا تقولوا بخصوص هذا . قال جلاله الخاص بنــــو

الابـــن لرع : إله عظيم أكثر من الذى صنعه

أقدر من هؤلاء الذين خلقوا معه ، يجلس على

عرشـــك ، عظيم يكون الخوف منك ، دع عينـك تكون لك فوق

هؤلاء الـــذين جدفوا بك قال جلالته الخاص رع :

أنظر أنت هـــم يهربون فى الجبال ، قلوبهم

خائفـــة (بسبب) على ما قالوه . هم قالوا

أمام جلالته : دع عينك تظهر دعها تدمرهم لك

هـــؤلاء الذين جدفــوا بـــ الشــر لا توجد عين

تستطيع أن تتقدمها فى مقاومـــة .... لك (عندما) تهبط

على هيئـــة حتحير. ظهرت عندئذ ربة هذه

التى ذبحـــت بشر على الجبال . قال

الجـلال الخاص بالإله هذا : ارجعى ارجعى فى سلام ، حتحور ،

لأن الفعل قد حدث قالت هذه الربة : أنت منحتنى حياة ،

عندما امتلكت قدرة على بشـر كانت ممتعة فوق

قلبى . قال الـ جلالة الخاصة برع : سأكون سيد

فيهـم مثل ملك يدمـرهم . وحدث أن

سيخيت خلال الفترة الخاصة بالليل خاضت فى

دمهم بدأ من سوتان هينين . قال رع :

مناديا ، احضروا لى رسـل خفيفة (و) سريعـة

هـــم سيجرون (مثل) الريح الخاصة الجسد ،

أحدهم أحضر رسل تلك مباشرة

قـــال الجلالة الخاص بالإله هذا : دعهم يذهبون إلى

الفنتيـــن (و) يحضرون لى مخدر اللفاح بكمية كبيرة

أحدهم أحضر له تلك اللفاح أعطى الجلالة

الخاصة بالإله هذا لسيخيت التى تكون فى هليوبوليس من أجل ايقافها

اللفاح تلك انظر عندما النساء كن يقطعن

الشعير من أجل بيرة وكانوا يصنعون اللفاح تلك

فى أوعية البيرة (أصبحت) دمـاء الخاصة ببشر

وبصنـــع بيرة أوعية سبعة آلاف حضر

بالتالى الجلالة الخاصة بملك الجنوب والشمال رع مع

آلهة هذه لكى يـرى هذه بيرة انظر

عندما كان فجرا .... بعد أن ذبح رجال

ــ الربة خلال فترتهم الخاصة أبحرت أعلى النهر ،

قـال الجلال الخاص برع : إنه حسن ، إنه حسن

أنا من أجل حماية بشـر ضدهـا قـال رع :

دعهم ينقلوها ويحضروها إلى المكان حيث ذبحت

بشـــر هناك . أمر الجلال الخاص بملك الوجهين

رع خلال جمال الليل لـ يتسبب فى أن يصبوا

تـــلك الأوعية من البيرة المسببة للنوم حيث الحقول الخاصة

السماء الأربع تمتلىء فى ماء بواسطة ارادة

الجلالة الخاصة بالإله هذا حضرت الربة (سيخيت) هذه فى

الصباح وجدت هى هذه (السماء) فاضت ، بهجة

كانت ووجهها بسبب هذا ، كانت هى تشـــرب

فرح   على قلبها   وصل   لحالة السكر ،

لا   تعلم هى   بشر .   قال   الجلالة   الخاصة برع

للربة   هذه :   احضرى احضرى   فى   سلام   يا جميلـــــة

وهناك أصبح   نساء شابات جميلات   فى أم . (مدينة) قال

الجلالة   الخاصة برع   لـ   الربة   هذه :   فلتصنعوا من أجلها

أوعية من البيرة المخدرة   فى   أعياد   السنة   تلك

هى (ستكون)   متناسبة   مع وصيفاتى   هناك صنعت

أوعية بيرة مخدرة   طبقاً   لعدد   وصيفاتى

فى العيد الخاص بجتحور بواسطة البشر كلهم منذ هذا اليوم

الأول . قال الجلالة الخاص برع لـ الربـة هذه :ـ

انظـرى الم من نار الخاص بالمرض جاء (لى)

عندما آه عندما يكون الألم ؟ قال الجلال الخاص

برع : أنا أعيش (ولكن) قلبى ضجر جداً من كونى

معهم . أنا أذبح هم (ولكن) اثارهم من

الذى لا قيمة له لأن لم يكن الفناء منتشـر

(مثل) قدرتى . قالت الآلهة التى كانت فى موكبه :

لا تتمادى في ضجرك (لأن) أنت تكون قـــادر

طبقاً لـ ارادتك . قال الجلال الخاص بالإله هذا

لـــ الجلال الخاص بنـــو: أعضائي ضعيفة لأن

المرة الأولى لا



الفصل الثالث عشر

تحوت (توت) Thoth (Tehuti) وماعت Maat
والربات الآخريات
المشاركـة لـه

وضح من تسابيح «رع» فى كتاب الموتى ومن الأعمال الجنائزية الأخرى لقدماء المصريين أن الإلهين تحوت وماعت كانا يقفان على جانبى الإله العظيم فى قاربه. وأن المصريين كانوا يعتقدون ــ بجلاء ــ أن لهما دوراً هاماً فى توجيه مسار هذا القارب.

هذان الإلهان كانا مع رع عندما انبثق من أعماق نو وبالتالى فنشأتهما لابد وأن تكون قد تزامنت مع وجوده الشخصى. عموماً الأفكار التى كونها المصريون عن تحوت وماعت كانت مادية وروحية معاً. أما طبيعة وظيفة كل منهما فلا يمكن التوصل لنتائج صحيحة عنها بدون حصر جميع الحقائق الممكن استخلاصها من النصوص التى كتبت حولهما.

ماعت تعتبر بشكل عام القرين الانثوى لتحوت أو زوجته. ومن نصوص الهرم ــ مرجعنا عن أفكار العصور المبكرة ــ كانت وظيفة تحوت ذات طابع جنائزى خالص أى يمكننا أن نقول أنه كان الإله الذى يقوم بمساعدة الملوك الموتى. الغريب أنه على الرغم من ورود عديد من الجمل التى تؤكد أن الأرواح فى العالم السفلى كانت ترغب فى معاونته بشدة إلا أنه لا يوجد أى وصف لخصائصه فى أعمال تلك الفترة المبكرة.

وعليه فلكى نكون معلوماتنا عنه علينا أن نعتمد ــ أساساً ــ على أوصافه التى وجدناها فى نصوص عصر الأسرات المتأخرة والتى نعرف منها أنه كان يدعى «إله خيمنو خالق نفسه الإله الأحد الذى لم يهبه ميلاده أحد» وأنه «هو الذى

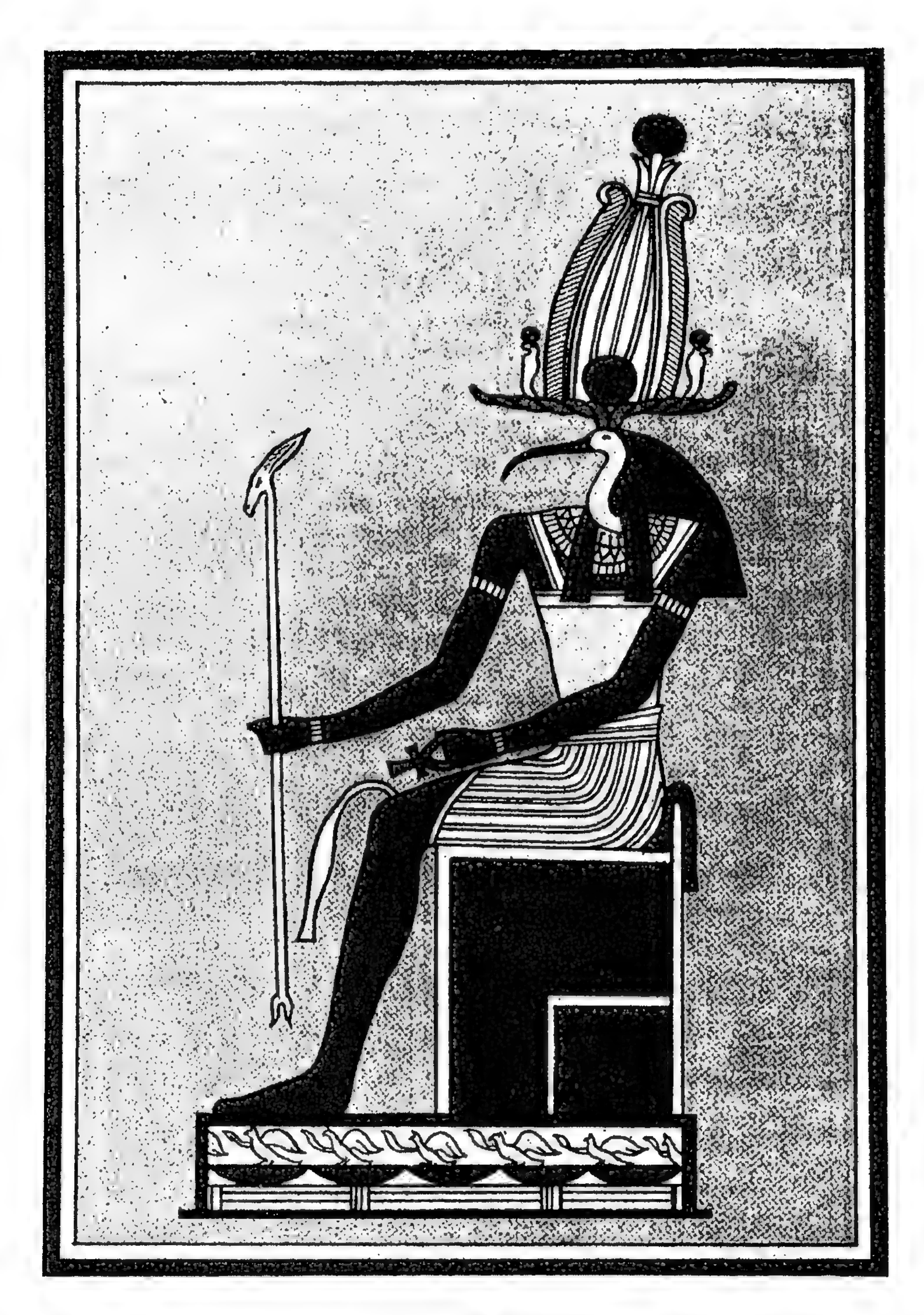
يحسب فى السماء والذى يعد النجوم والذى يقيس الأرض ويحصى كل ما عليها «وأن» قلب رع قد انبثق من الإله تحوت».

مركز عبادة الإله الرئيسية كانت خيمنو KHEMENNU تلك المدينة التى يسميها اليونانيون هيرموبوليس والعرب أشمون وان كان له أيضاً معابد فى أبيدوس وهيسيرت Hesert، ويوريت Urit، وبر ــ آب Per-āb، ورحيوى Rehui، وتا ــ اور Ta-ur، وسب Sep، وهات Hāt، وبسلكيت Pselket، وتالميس Talmis وعا ــ تشا ــ موتيت Aa-tcha-Mutet، وباه Bāh، وامن حرى اب وتا ــ كينز Ta-Keus. وتحوت كما كان رب هذه الأماكن كان أيضاً «رب الكلمات المقدسة» و«رب العدالة ماعت» و«قاضى الإلهين المتحاربين» أى حورس وست ومن ضمن ألقابه «العظيم مرتين» و«العظيم ثلاثة» ذلك اللقب الذى أخذت منه نعوت الكاتبان الكلاسيكيان «تريسميجيستوس» و«تر ماكسيموس» «TRISMEGISTOS» «TER MAXIMUS»

من المعلومات السابقة نرى أن تحوت كان يعتبر الها خالقاً لنفسه منتجاً لنفسه وأنه كان الواحد الذى قام بعمل حسابات إنشاء السموات والنجوم والأرض وأنه كان قلب رع وأنه كان رب القانون فى كل من حالتيه المادية والمعنوية وأنه كان يعرف «الحديث الربانى» و«القادر على الحديث» بمعنى أن كلماته ذات تأثير كما نسب إليه تأليف العديد من الكتب الجنائزية التى يستطيع المتوفى بواسطتها أن يكتسب خلود الحياة.

فى كتاب الموتى يلعب دوراً يجعل له مكاناً متفرداً بين الآلهة فهو يصور على أنه يمتلك لقدرات تفوق تلك التى لإيزوريس وحتى تلك التى لرع نفسه.

قبل أن نتكلم عن هذه القدرات سنذكر الأشكال التى ظهر بها فى المخطوطات فتحوت كان يرسم ــ عادة ــ على هيئة بشرى له رأس أبو قردان وعلى



رسم الإلــه تحــوت

هيئة أبوقردان أيضاً. عندما يكون فى هيئته البشرية نجده يمسك فى يديه الصولجان وعلامة الحياة كما ترسم جميع الآلهة ولكن غطاء رأسه يتغير طبقاً للوظيفة الإلهية التى يرغب الفنان فى تقديمه عليها. فإذا كان الإله الذى يحصى الوقت والمواسم نجد أن على رأسه هلالاً وقرص شمس ,

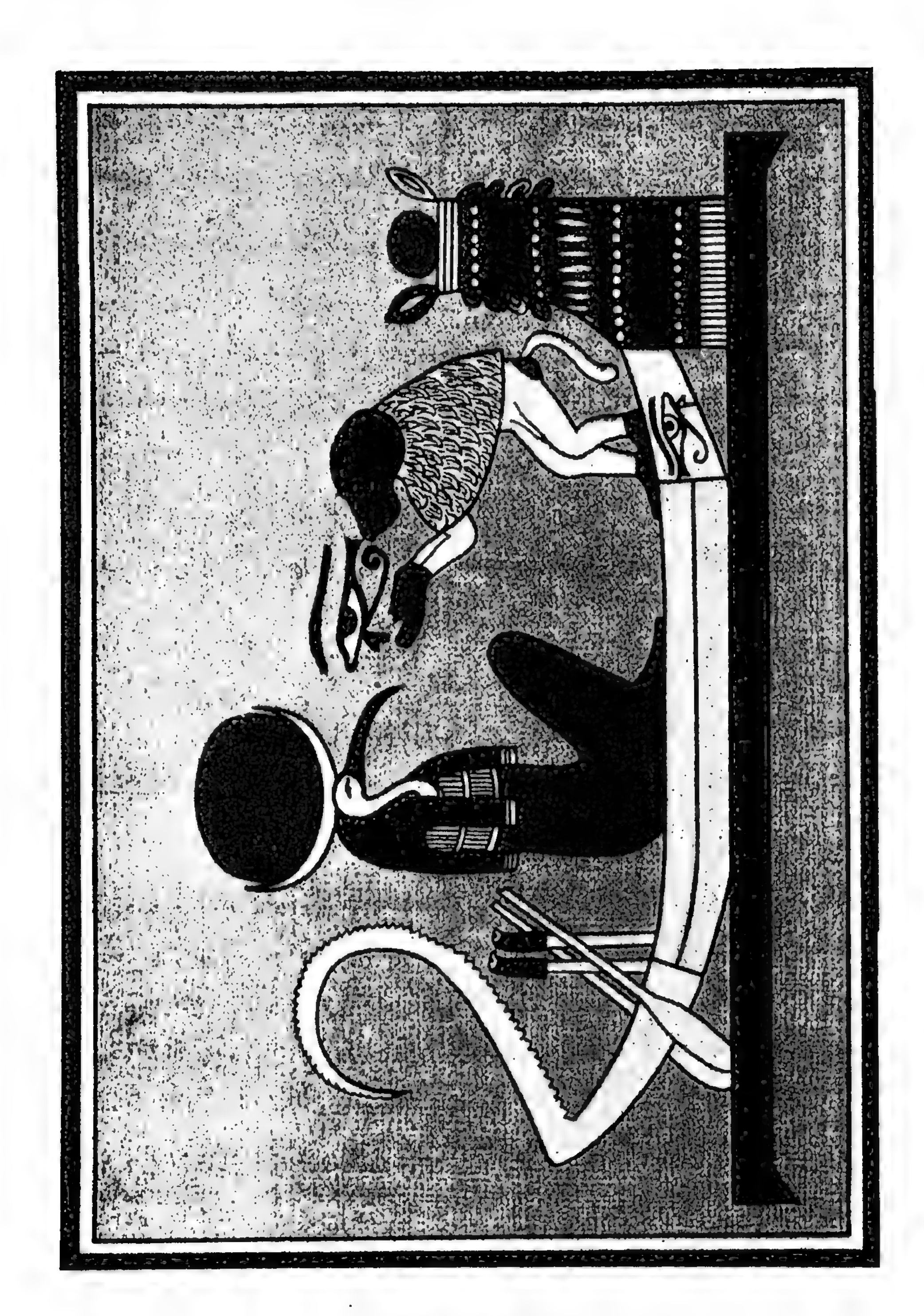
أما إذا كان على هيئة الإله شو أو ان ــ حير AN-HER فهو يرتدى غطاء رأس هذين الإلهين وفى بعض الأحيان يرتدى تاج ات. اف ATEF (والده) أو التاج الموحد للقطرين.

وفى كتاب الموتى يظهر على هيئة «ناسخ العدالة فى مجمع الآلهة» , حيث يمسك بيديه لذلك ريشة الكتابة وورق النسخ ويمثل أحياناً ارتباطه برع وشروقه الأول فى زمن البداية بواسطة ياتشيت بمعنى القدرة أو القوة الخاصة بعين رع والتى نراه يحملها بين يديه.

اسم الإله تحوت يبدو أنه قد أخذ من الأسم القديم المفترض لابى قردان فى مصر أى تيحو TEHU بعد إضافة TI له على أساس أنه ملك يدعى تيحوتى (تحوت) امتلك خصائص وقدرات أبو قردان.

وهناك اشتقاق آخر للاسم ــ يبدو أنه كان المفضل لدى المصريين ــ يربطه بكلمة تخ TEKH بمعنى وزن وجدناه فى جملة اقتبسها لانزون حيث كان يدعى الإله فيها تيخ والعلامة المناظرة لتيخ «وزن» هى القلب. كذلك تعنى الكلمة طائراً وهو معنى قريب جداً من أبى قردان الطائر المقدس الممثل لتحوت والذى فى رأى بعض الكتاب القدامى أنه يرتبط بالقلب فهورابوللو يقول أن المصريين عندما كانوا يرغبون فى كتابة قلب كانوا يرسمون أبا قردان لأن هذا الطائر يعبر عن هيرميز «أى تحوت» «رب المعلومات والفهم».

كذلك نجد أن عليان يدعم وجهة النظر هذه ويضيف لها العديد من الحقائق الهامة عن عادات أبو قردان.



اعه تحوت ومساعده القرد

من الأسماء الأخرى التى أطلقت على تحوت كان ايه و وشيب ورب كل من خيمننو وأستين وخينتى ومحى .

أما أكثر الأسماء شيوعاً فهو هاب hab, (ايبيس) الكلمة التى نجد ما يماثلها فى القبطية ϩⲓⲃⲱⲓ, كذلك كان أحد أشكال تحوت الشائعة القرد ذو رأس الكلب عنعن الذى كان له مكاناً متميزاً فى فصل المحاكمة بكتاب الموتى ، حيث نراه جالساً على قمة قائم ذراع الميزان الذى يوزن عليه قلب المتوفى ليراقب المؤشر ويحدد لتحوت ذى رأس أبى قردان الزمن الذى تستوى فيه كفتاه .

هذا القرد يرى بروجيش أنه كان أحد صور تحوت كإله الاتزان ويبدو كما لو كان يمثل شعار الاعتدال الشمسى .

والقرد ععن AAN يرتبط أيضاً بالقمر حيث يشاهد دائماً وعلى رأسه هلال وقرص ولكنه بدون شك يمثل تحوت فى هيئته عندما يكون « رب الكلمات المقدسة وناسخ (الآلهة) » لأننا نراه فى منظر أعيد رسمه بواسطة لانزون ممسكاً بأحد مخالبه صحيفة الكتابة وريشة الإله مما أكسبه ألقابه .

بجانب أشكال تحوت هذه يمكن أن نذكر أيضاً تلك التى امتلك فيها صفات آلهة أخرى . فهو كإله منديس كان له جسد بشرى ورأس ثور يرتدى قرصاً محاطاً بالحيات وكشو رسموه على هيئة رجل يرتدى تاج شو وعلى هيئة ان ــحير تم رسمه كرجل يرتدى تاج هذا الإله وكشيبس كان له رأس صقر. ولكن طائر أبوقردان والقرد كانا أكثر أشكاله انتشاراً . مدينة خيمنو أو هيرموبوليس المقر الرئيسى لعبادته مدينة مشهورة فى الأساطير المصرية على أساس أنها المدينة التى بها « الأرض المرتفعة وتحوت هو رئيس مجمع الهتها الذى يتكون من ثمانية ــآلهة هى نو.ونوت وحيحووحيحيت وكيك وكيكيت وكيره وكيرهيت (أو ناو ونايت) بمعنى أربعة أزواج من الآلهة كل زوج منها يتكون من إله وربة .

وقد اختلف علماء المصريات بالنسبة لأهمية هذا المجمع فنحن نجد أن عالمى مصريات من الثقاه قد كونا وجهتى نظر متعارضين تماماً فالدكتور بروجيش يعتقد أن الأزواج الأربعة من الآلهة تمثل أقدم نموذج للأجدود OGDOAD بينما يرى ماسبيرو أن بإضافة تحوت لها فإنها تُكون بوت مستقل مؤسس على نمط بوت هليوبوليس دكتور بروجيش يرى أيضاً أن الآلهة الثمانية لهيرموبوليس كانت آلهة أصلية فى حين أن ماسبيرو يعتقد أنها بالعكس كانت لها صفات مُصنعه تماماً وأنها فى حقيقتها لاتزيد عن أن تكون «آلهة تم تشكيلها طبقاً للتقاليد القديمة فى إنشاء البوت أى أربعة كائنات ذكور وأربع اناث» والجدل الأخير سببه أن الكاهن الأعظم لهيرموبوليس كان لقبه يُظهر أنه خادم «هذا الذى يرأس خمسة».

وبالتالى فلابد وأن تكون آلهة المدينة خمسة بمعنى تحوت وأربعة آلهة تمثل الجهات الأصلية ثم أضيف لتلك الآلهة الأربعة أربع قرينات أنثوية. وهكذا فالآلهة الثمانية فى رأى ماسبيرو كان يرأسها تحوت بنفس الشكل الذى كان يرأس به تم أو رع ــ تم بوت هليوبوليس. وبالتالى فإن نو ونوت هما نفسهما شو وتفنوت وحيحووحيحيت يماثلان سب ونوت وكيك وكيكيت يماثلان ايزويس وايزيس وكيره وكيرهيت (أو ناو ونايت) يماثلان ست ونفتيز أى أن البوت الهيرموبوليتانى بهذا الشكل قد تم انشاؤه على نمط البوت الهليوبوليسى.

وجهة النظر هذه لايوجد مايدعمها فى النصوص وهو مايظهر ــ فى رأى الكاتب كما سبق أن قيل ــ أن أزواج آلهة هيرموبوليس الأربعة تنتمى إلى أفكار كهنوتية سابقة كثيراً عن تلك التى لمجمع آلهة هليوبوليس ومما يؤكد هذا أن تحوت كان مرتبطاً هو ومجمع آلهته بالقرد مما يجعلها تنتمى إلى فترة بعيدة من التاريخ عندما كان المصريون يضفون على هذه الفصيلة من القردة المصاحبة لتحوت قدرات طبيعية خارقة وعندما كانوا يعتبرون أن دهاء وثقافة القرد ذى رأس الكلب دليلان على طبيعته الإلهية. وهى فترة تبعد عن الفترة التى ظهرت فيها أفكار

هليوبوليس الكهنوتية بمسافة زمنية واسعة. مما يدل على أن الفكرتين لا تنتميان فقط لمرحلتى حضارة مختلفتين بل ربما لنوعين مختلفين من البشر.

أحد الألقاب الهامة التى أطلقت على تحوت هو قاضى الريحيحيو REHEHUI صانع السلام بين الآلهة الذى يسكن أننو (هيرموبوليس) الإله العظيم فى معبد ابتيتى «ABTITI» .

ولفهم هذا اللقب لابد من الرجوع إلى التراث المصرى الموغل فى القدم حيث يقال أن قتالاً مروعاً قد حدث بين الهى النور والظلمات والذى فى أزمنة تالية كان يمثل إله النور فيه رع ــ بنفسه أو أحد أشكاله التى هى فى الغالب أحد الآلهة الحورسية ــ بينما كان إله الظلمات هو ست فى شكل أو آخر من أشكاله.

وهكذا فنحن نعرف أن قتال رع مع أبيب أو حورس بهوت مع ست أو حورس ابن ايزوريس مع ست كانت جميعها فى حقيقتها تنويعات مختلفة على نفس القصة وإن كان كل منها ينتمى لفترة زمنية مختلفة.

فى كل هذه المعارك كان لتحوت دور رئيسى فعندما كانت عين رع أى الشمس تقاتل الشرير ست الذى يحاول أن يسوق السحاب ليغطيها كان تحوت يقوم بأبعاد هذا السحاب و«يعيد العين حية كاملة مؤثرة بدون إحداث أى أضرار لسيدها». (كتاب الموتى) ويبدو أنه كان يقوم بنفس الدور أيضاً لرع بعد صراعه مع أبيب.. كذلك عندما كان حورس ابن ايزيس يقاتل ست أخذا بالثأر لمقتل أبيه تواجـــد تحوت ومنح أمه ايزيس رأس بقرة بدلاً من رأسها التى قطعها حورس عندما تدخلت فى العراك فى اللحظة التى كاد أن ينتصر فيها.

وتحوت كان المحكم فى كل هذه المعارك الذى من واجبه أن يمنع حصول أحد الإلهين على نصر حاسم أو تدمير الآخر أى أنه فى الحقيقة كان عليه أن يحافظ على اتزان القوى المتصارعة أى اتزان النور والظلمات أو النهار والليل أو الخير والشر وذلك حسب الزمن والهدف الذى كُتبت من أجله الأسطورة وما يود تأكيده ناسخها بكتابتها.

هذا عن لقب الحكّم وصانع السلام أما عبارة «إله ابتيتى العظيم» أو «معبد ابتيت» الوارد ذكرها فى اللقب السابق اقتباسه. فنحن نعرف أن اسم معبد ابتيت الذى كان أحد هياكل الإله الرئيسية فى هيرموبوليس تكتب بالهيروغليفية بما معناه «بيت نيت» أى المعبد الذى تُحفظ فيه نيت وتُوقر. والسؤال الذى من الطبيعى أن يطرح نفسه الآن هو من تكوين نيت هذه؟ وما الذى تدل عليه؟.

فى جزئين من الفصل CLiii من كتاب الموتى ذُكر أن نيت هذه كانت تعتبر كائنة تعيش فى العالم السفلى وأن المتوفين كانوا ينظرون إليها باعتبارها مصدر للرعب والكراهية تلك «التى تضع الشراك» وأنهم مضطرون إذا كانوا يودون أن ينجوا من شرها تعلم أسماء كل جزء من الأجزاء المكونة لها مثل أعمدتها وحبالها وأوزانها وخطاطيفها وفى هذه الحالة يصبح فى امكانهم الاستفادة منها باستخدامها فى الحصول لأنفسهم على طعام بدلاً من أن تقبض عليهم. وهكذا نقرأ فى إحدى الصلوات «السلام.. انت الإله الذى ينظر خلف نفسه.. أنت الإله الذى اكتسب السيطرة على قلبه.. أنا ذاهب لصيد السمك مع حبل مرساه «موحد الأرض» (حورس؟) والذى معه أصنع طريقاً لأرض السلام.. أنتم الصيادون الذين منحتم الميلاد لآبائكم، الذين تضعون الشراك فى شباككم، الذين تدورون فى خزائن المياه. لا تأخذونى فى الشباك التى تأسرون فيها الشياطين التى لا حول لها ولا قوة، ولا تربطونى بالحبل الذى تربطون به الشياطين المقوتة على الأرض التى تملك برجا تصل به للسماء ولأجزاء موزونة على الأرض».

من هذه الفقرة يظهر بوضوح أن المصريين كان لديهم أسطورة مذكور بها أن قوة ما من قوى الصراع المثيولوجى كانت مسلحة بشبكة تحاول بواسطتها اصطياد خصومها.

و فى الفصل (CXXXILI) يقول المتوفى «ارفع نفسك لأعلى يا رع يا من تسكن الهيكل المقدس انسحبى داخل نفسك يا رياح واستنشق الرياح الشمالية وابتلع البيكيسيو ([hieroglyphs]) BEQESU فى شبكتك ([hieroglyphs]) يوم أن تتنفس ماعت» معنى بيكيسيو ليس واضحاً تماماً فى هذا النص لأنه ملحق به الرسم

ρ, والذى يجعلنا نربطه فوراً ببعض أجزاء الجسد البشرى. وإن كانت الجملة عموماً تدل على أن رع يمتلك شبكة والتى تأكدنا من المقتطف السابق من أنها كانت أحد الأسلحة التى يستخدمها فى حربه ضد آلهة وشياطين الظلام.

من الهام فى المقابل الإشارة إلى أن الآشوريين والبابليين قد ذكروا فى نصوصهم أيضاً ذلك القتال الذى دار بين إله الشمس مردوخ والغولة تيامات وشياطينها والذى يقولون عنه «هو (أى مردوخ) وضع الصواعق أمامه وملأ جسده بالنار المحرقة.. وهو صنع شبكة يمسك بها الأعضاء الداخلية من تيامات وهو قد ضاعّ الرياح الأربعة بحيث لايهرب منها شىء الريح الجنوبية والريح الشمالية والريح الشرقية والريح الغربية. وقرب الشبكة التى منحها اياه والده آنو».

ومن الهام كذلك أن نلاحظ من الجملة المتقطعة من الفصل (CXXXIIIRD) أن الرياح قد ذكرت أيضاً مرتبطة بشبكة رع ومن الصعب الا نستنتج تطابق استخدام إله الشمس للشبكة فى كل من الأسطورتين.

عموماً سواء كان هذا صحيحاً أم لا فهو لايعنينا فيا نحن بصدده أما ماهو واضح تماماً من الأسطورة المصرية فهو افتراض قيام علاقة ما بين الإله تحوت وشبكة رع وعلى نفس الدرجة من الوضوح أن معبده الذى يدعى بمعبد نيت كان رمزه الشبكة أو ربما تم تقديس الشبكة نفسها فيه.

والآن فى استطاعتنا أن نجمل الصفات المنسوبة لتحوت وأن نتأمل فى كيفية توظيفها خصوصاً فيا يتصل بالموت.

فى المقام الأول كان تحوت يمثل كلا من قلب ولسان رع بمعنى أنه كان يمثل القدرتين الذهنية والسببية للإله كذلك الوسائل التى يترجم بها ارادته لكلمات.. من هذا المنظور كان يعتبر هو نفسه «الكلمة».

وفى أزمنة لاحقة أصبح يمثل كما قال ــدكتور بروجيش الـ λόγος الافلاطونية وكان له فى كل الأساطير دور رئيسى فهو الذى يقول الكلمات التى ينتج عنها تحقيق ارادة رع وهو مايدل على أن ما كان ينطقه كان يتم تحققه بشكل

أو آخر. فتحوت هو الذى نطق بالكلمات التى نتج عنها خلق السموات والأرض. وهو الذى علم ايزيس الكلمات التى ساعدتها على إعادة الحياة لجسد ايزوريس الميت بشكل يسمح له بمنحها طفلاً. وهو الذى أعطاها التعاويذ التى أعادت لابنها حورس الحياة بعد أن كان معرضاً للموت من لدغة عقرب. وهو الذى استطاع بواسطة قدرته على الحساب على قياس السموات وتخطيط الأرض وكل ما تحتويانه.

وبارادته حافظ على اتزان القوى فى السماء والأرض ومهارته العظمى فى الرياضيات السماوية يسرت له الاستخدام الأمثل لقوانين (ماعت) التى استقر على أساسها الكون وتمت بواسطتها المحافظة عليه. وهو الذى حرك الأجسام السماوية وحدد أزمنتها وفصولها وبدون كلماته لم يكن فى استطاعة الآلهة التى تعتمد فى وجودها عليها (أى كلماته) أن تحافظ على أماكنها بين تابعى رع.

وهو أيضاً «ناسخ الآلهة» الذى يمتلك نفوذاً غير محدود فى العالم السفلى. والإله ايزوريس يعتمد كلية ــ فى أحوال عديدة ــ على ادارته الحسنة. والاحياء يعتقدون فى كلماته ومساعدته الجادة.

فى رسم المحاكمة بكتاب الموتى نجد أن تحوت يمثل دور الملاك المسجل وقراره مقبول لدى الآلهة التى تصدق عليه وتتقدم به لايزوريس فهو إذا قال أن روح المتوفى قد وُزنت وأن الحقيقة قد عُرفت بمحاكمتها على الميزان الكبير وأنه لا يوجد بها شر من أى نوع فلا يمكن للآلهة إلا أن تقول «نطق تحوت بالصدق والمتوفى من الأبرار المقدسين».

ويترتب على هذا مباشرة أن يُمنح مكاناً مع ايزوريس فى السيخيت حيتبو أو حقول الاليسيان.

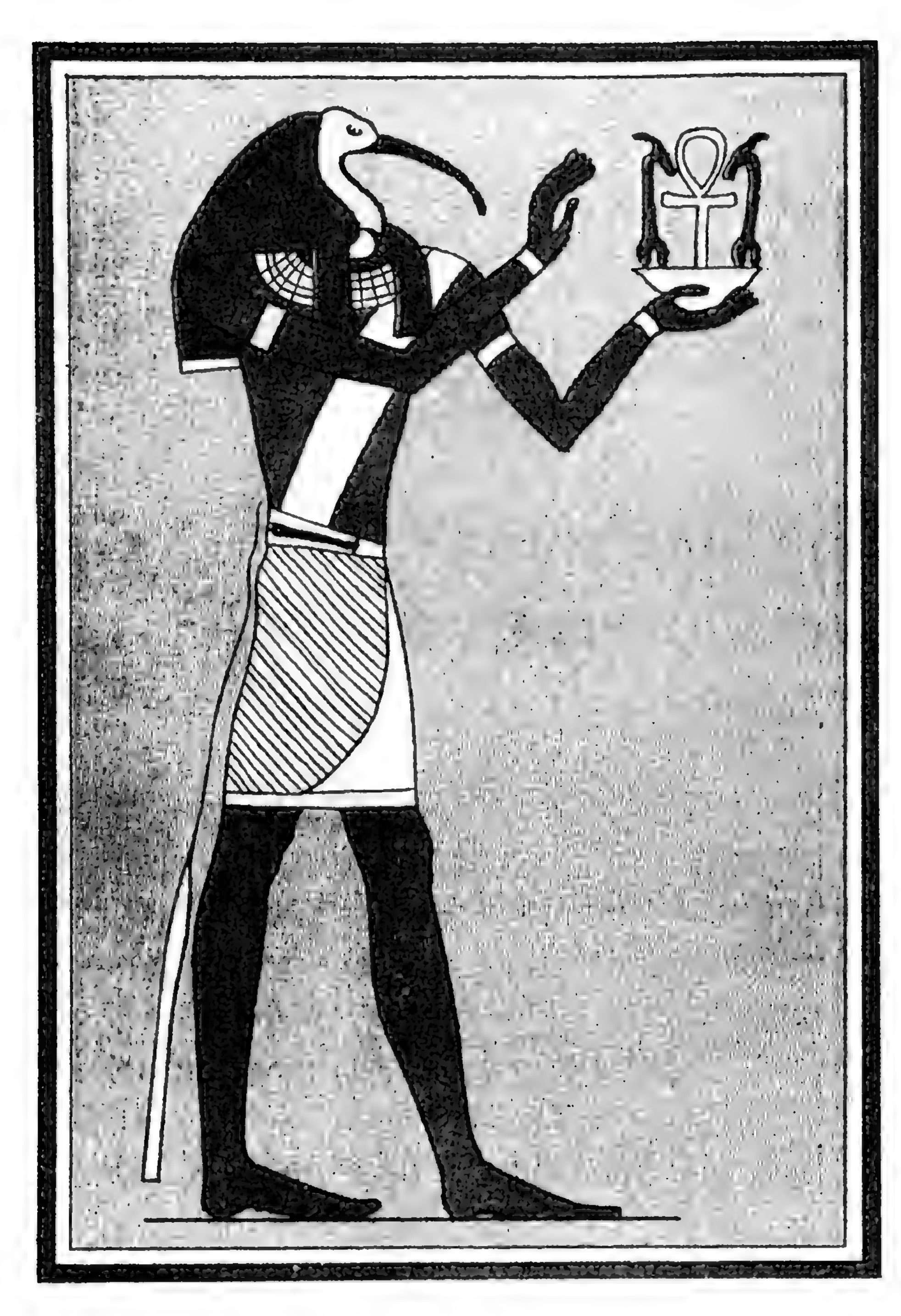
وتحوت فى صورته «كإله الكلمات العظيم» كان يعتبر عن حق قاضى الكلمات ومختبر الأرواح على الميزان فى قاعة ايزوريس وهو لم يوصف كقاض أو «وازن الأعمال» وإنما كان يسمى «وازن الكلمات»

المصريون كانوا يولون طريقة نطق الكلمات فى مواقف معينة أهمية بالغة حتى أن فاعلية الصلوات كان يبدو كما لو كانت تعتمد فى الأساس على طبقة الصوت والطريقة التى تتلى بها وتحوت هو الذى علم البشر كلمات القدرة والطريقة التى تنطق بها ولقد ولع المصريون فى اكتساب مهارة ترتيل عبارات من فصول كتاب الموتى بطريقة ما بحيث تحدث التأثيرات المطلوبة التى يرغب فيها المتوفى.

ونحن نجد دائماً بعد اسم المتوفى فى البرديات الجنائزية كلمات ماع خيرو , or والتى تعنى «هو الذى كلماته ماع» أى هو الذى كلماته تمتلك قدرة بحيث عندما تنطق فإن التأثير الذى يرغب فى أن تحدثه يجب أن يتم. وعموماً فإن الكلمات المشار إليها هنا هى تلك التى يجب أن يتعلمها من تحوت وبدون معرفتها ومعرفة الطريقة المناسبة لنطقها فإن المتوفى قد لا يعرف أبداً طريقه فى مسالك العالم السفلى.

وصفات تحوت هى التى تفتح له البوابات السرية وتزوده بالضرورى من اللحم والشراب والكساء وتجعله يرد كيد الشياطين المؤذية والأرواح الشريرة وهى التى تمنحه القدرة على معرفة أسرار وأسماء غيلان العالم السفلى المستورة فينطقها بطريقة ما تجعلها تصبح صديقة له فتساعده فى رحلته حتى يدخل بعد زمن حقول سلام ايزوريس أو قارب ملايين السنين. هذه الكلمات هى التى يشار إليها فى لقبه «رب الكلمات المقدسة» أو «رب كلمات الله».

كتاب الموتى بكامله. يُفترض أنه من تأليف تحوت وبعض فصوله يقال أنه كتبها «بأصابعه الشخصية» وفى عمل متأخر يطلق عليه «كتاب الأنفاس» قيل أن «تحوت الإله الأكثر قدرة رب خيمنو حضر لك وكتب من أجلك كتاب الأنفاس بأصابعه الشخصية وهكذا فروحك سوف تتنفس للأبد للأبد وصورتك سوف تنعم بالحياة على الأرض وستصبح إلها مع أرواح الآلهة وستصبح قلب رع وأعضاؤك ستصبح أعضاء الإله العظيم».



تحوت ناسخ الآلهة

في أزمنة تالية يبدو أن تعبير ماع خيرو أصبح له معانى تختلف عن تلك التى سبق وقدمناها ففى بعض الأحيان كان يعنى «هو الذى كلامه صدق». وكان يشار بها لكلمات تحوت فى المحاكمة عندما أبلغ الآلهة أن «قلب ايزوريس قد تم وزنه بمنتهى الحرص بواسطته هو وقرده الذى يجلس على دعامة الميزان وأنه عندما وزن القلب وجد أن كفة الميزان قادرة تماماً على موازنة ريشة الحق أو القانون التى وضعت فى الكفة الأخرى وأن حالة الشخص الذى يُختبر كانت من «الأبرار». من عبارات عديدة فى كتاب الموتى نتعرف أيضاً على الخدمات التى قدمها تحوت لايزوريس والتى كان عليه تكرارها لصالح كل إنسان تبرئه ساحة العدالة. ففى الفصل (XVIIITH) توجد قائمة بالكوارث التى تجنبها ايزوريس بفضل تحوت الذى منح الإله الميت الكلمات وعلمه طريقة نطقها بالشكل الذى جعلها مؤثرة فى هزيمة أعدائه. وهكذا حقق له انتصاره على سماع خيرو SEMAA-KHERU («فى حضور المعاون الأعظم لكل إله ولكل ربة فى حضور المعاون الذى كان فى انو فى الليلة التى تمت فيها معركة هزيمة الشيطان سيباو SEBAU فى تاتو.. والليلة التى تم فيها تنصيب التيت المزدوج (DOU-BLE TET) فى سيخيم وفى الليلة التى حدثت فيها الأشياء التى كانت فى ليل سيخيم وفى بى PE وفى تيبو TEPU وفى الليلة التى عزز فيها حورس مكانه فى الأشياء التى ورثها عن أبيه فى ريختى REKHTI وفى الليلة التى أقامت فيها ايزيس مناحتها على أخيها ايزوريس فى ابتو ABTU وفى الليلة التى أقيمت فيها أعياد (هاكير HAKER) عندما تم الفصل بين الميت والأرواح التى على درب الموت وفى الليلة التى حوكم فيها هؤلاء الذين سيتم افناؤهم فى العيد الكبير للحرث وتقليب التربة فى آن روت ـــ اف فى رى ستاو AN-RUT-F IN RE-STAU فى الليلة التى تم فيها انتصار حورس على أعدائه».

فى الفصل (CLXXXIIIRD) نجد المتوفى هونيفير Hunefer يقول لايزوريس «لقد حضرت لك ـــ يا ابن نوت، ايزوريس يا أمير الخلود. أنا أحد أتباع الإله تحوت ويبهجنى كل ما صنعه من أجلك فهو الذى أحضر لك الهواء الجميل

(النقى) من أجل أنفك والحياة والقوة لوجهك المليح والرياح الشمالية خرجت من «تم» مباشرة لمنخاريك يارب تا ــتشيسرت هو الذى جعل الإله شو يلمع فوق جسدك وهو الذى أضاء طريقك بأشعة الظفر وهو الذى دمر من أجلك (كل) مظاهر الشر التى كانت بأعضائك بقوة الكلمات السحرية التى نطقها.

وهو الذى آخى بين الحورسين من أجلك ليعيشا فى سلام وهو الذى دمر الريح العاصف والأعصار وجعل المتنافسين كريمين معك والأرضين فى سلام أمامك وهو الذى أبعد الغل الذى فى قلبيهما فأصبح كل منهما متوافقاً مع أخيه».

فى الفصل (XEIV) نجد المتوفى يخاطب «حارس كتاب تحوت» قائلاً: «أنا من أنعم عليه بالمجد، أنا من أنعم عليه بالقوة.. أنا من تملؤه القدرة ومن لديه كتب تحوت. أنا أحضرتهم معى ليساعدونى على المرور من الإله أقر الذى يسكن سب. لقد أحضرت اللوح والدواية الأشياء التى كانت بين يدى تحوت والمستور بها!! أنظر لى وأنا على هيئة ناسخ.. ياحيرو خوتى. أنت الذى أعطيتنى التعليمات وأنا نسخت كل ما هو صدق وحق وأحضرته لك كل يوم». وفى الحلية المطبوعة بالفصل نرى رسماً للميت وهو جالس وبيده اللوح وأمامه دواية الحبر.

فى نصوص الهرم نجد دليلاً على أن تحوت كان له علاقة ما بالسماء الغربية بنفس الشكل الذى ارتبط فيه حورس بالسماء الشرقية. ولقد تم التأكيد على هذا بشكل مستفيض فى فصل (CIXX) من كتاب الموتى حيث نجد المتوفى يخاطب تحوت كما لو كان يخاطب كلا من تحوت وتيمو أى الشمس الغاربة أو إله الغرب. وكان منزعجاً من أجل هذا «الذى حدث من أبناء الربة نوت. التى قامت فيما بينها معركة.. وأيدت الخصام وصنعت شرا.. لقد خلقت الشياطين.. لقد صنعت سفاحين لقد تسببت فى المشاكل وبالحق فى كل أفعالها تجبر للقوى على الضعيف.

وأنت لم تعتبر هذا شرا ولم تهتج غضبا عندما عرضّت سفينتها للفوضى وحشدت وحرضت على اضطراب شهورها لأنها فى كل ما فعلت لك إتمته سراً». ثم أضاف المتوفى «أنا كاتب ألواحك يا تحوت وأنا الذى أحضرت لك دواية حبرك». وبعد أن أعلن أنه ليس واحداً من هؤلاء الذين أثموا فى الأماكن السرية وفى نفس الوقت أخرج نفسه بوضوح من بين هؤلاء الذين اتو المعصية. أعقب هذا مقطع غاية فى الأهمية حيث نجد المتوفى يخاطب تحوت باسم تيمو سائلاً الإله عن ذلك المكان الذى وصل إليه وقال أنه بدون ماء وأنه «ليس به هواء وعميق لا يسبر غوره» وهو «أسود مثل أسود الليالى والرجال يتجولون فيه لا حول لهم ولا قوة». و«لا يستطيع الإنسان أن يعيش فيه هادىء القلب ولا يرضيه هناك الاشتياق للحب».

ثم وبعد عدد قليل من الجمل نجده يسأل فى هذا الفصل الرب تيم أى تحوت «كم من الوقت تبقى لى لأعيش؟» أى ما مقدار الزمن الذى سيقضيه فى هذا العالم الجديد؟ ويرد الإله ستبقى لملايين الملايين من السنين. «فترة حياة لملايين السنين». [hieroglyphs] وهكذا نلاحظ أن ايزوريس لم يكن هو رب الخلود إنما تيمو ـ تحوت هو الذى كان يعد الميت بهذه الهبة التى يحسد عليها.

فى بداية الفصل الذى اقتطعنا الجمل السابقة منه نجد بوضوح لأن تحوت كان يُستشهد به كميقاتى ومنظم للزمن والفصول ويمكننا أن نقول كإله القمر الذى عادة ما كان يسمى أعه ـ تحوتى [hieroglyphs] أو [hieroglyphs] «الإله العظيم رب السماء وملك الآلهة». و«صانع اللانهائية خالق الخلود» ويرسم على هيئة الإله تحوت أى:

١) كمومياء يقف فوق رمز ماعت [hieroglyph] ويقبض بيديه على رموز الحياة [hieroglyph] والاتزان [hieroglyph] والسيادة والتسلط [hieroglyph] والصولجان [hieroglyph] ويضع على رأسه القمر المحاط بالهلال [hieroglyph] ويتدلى من جانب رأسه خصلة شعر رمز الشباب [hieroglyph].

٢) على هيئة إنسان ذى لحية محنط فوق رأسه هلال وخصلة الشعر ورمز الشباب وعموماً فالرأس لها وجهان ومن المحتمل أنهم كانوا يقصدون بها تمثيل فترات ظهور ومحاق القمر وفى بعض المناظر وجدنا أعه ــ تحوتى يمثل على هيئة قرص يشرق بين القرنين اللذين للهلال فوق قاعدة فى قارب مماثل لذلك الذى نرى دائماً فيه رع. وفى أحيان أخرى على هيئة ياتشيت مزدوجة 𓂀 موضوعتان فوق نهايتى القارب.

فى أحد الرسوم الهامة للإله أعه حيتيب نجده ممثلاً برأس أبوقردان فوق قرص قمر والهلال جالس فى قارب. والقرد ذو رأس الكلب يقف أمامه مع وجود ياتشيت. ومن الهام ملاحظة أنه كان على النهاية المنحنية للقارب شُرَّط تشبه تلك التشريطات التى على فرع نخيل وترمز للسنين 𓆳 بشكل لا يمكن تفسيره إلا أن يكون أعه ــ تحوتى هذا كان رمزاً للقمر الجديد (أى الهلال) والذى كان ظهوره فى السماء كما نعرف جميعاً ــ ومنذ زمن سحيق أساس كل الحسابات الفلكية التى تعتمد على القمر فى بلاد الشرق.

ولكن بشكل عام كان تحوت كإله قمرى يمثل القمر خلال الشهر بكامله فى نفس الوقت نجد أن الياتشيت تحوت 𓂀 ترمز إلى القمر الكامل التمام كما ترمز الياتشيت رع 𓂀 للشمس فى منتصف النهار.

هذه الحقيقة يظهرها الرسم الهام الذى أعاد انتاجه سيجنور لانزون عن كتاب بروجيش «العاديات». حيث نرى الإله تحوت الذى له رأس أبى قردان يقف بجوار دعامة اللوتس التى ترفع السماء 𓇯 ويستقر فوق السماء هلال به ياتشيت تحوت 𓂀 يقود إلى قة الدعامة مجموعة سلالم من أربع عشرة سلمة بأطوال غير متساوية والتى فى الغالب تمثل الأيام الأربعة عشر الأولى من الشهر القمرى وأسفل الدعامة وفوق السلالم تقف أربعة عشر من الآلهة أولها تيم الذى يضع قدمه اليمنى على السلمة الأولى أقصر سلالم المجموعة. أما الآلهة التى تليه فهى شو تفنوت سب نوت حورس ايزيس نفتيز حيرو ــ ام حيت عا وأمسيز وهاب وتواموت ــ اف ويباه ــ سينوف وإله بدون اسم.

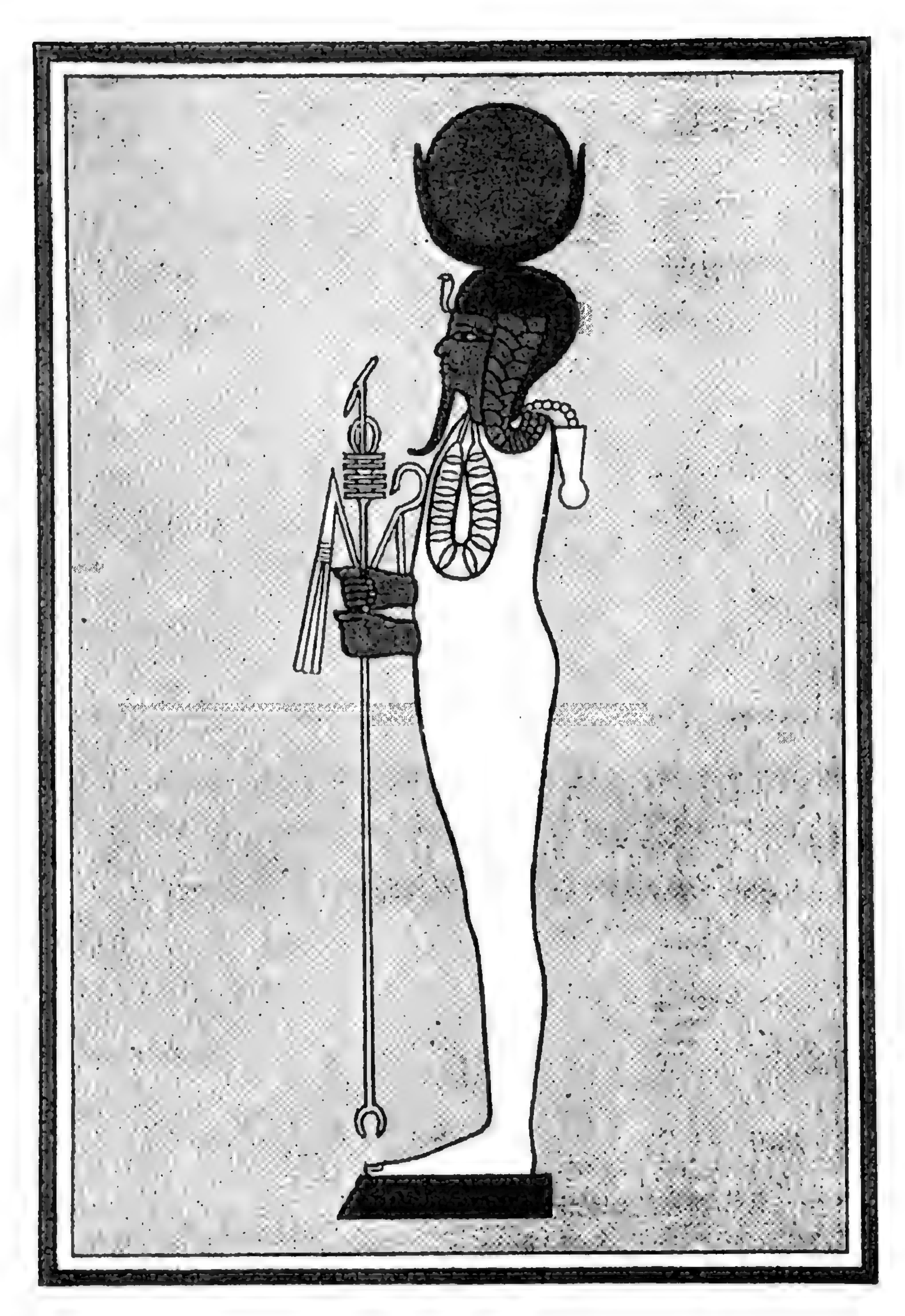
وفى رسم أكثر توسعاً نجد ياتشيت تحوت تمثل عين رع اليسرى أو النصف الشتوى من العام عندما تكون حرارة الشمس أقل قوة أو إضاءة وعندما يطول زمن إظلام السموات.

ياتشيت تحوت هذه أو تحوت حورس كما هو مفروض إذا توخينا الدقة فى تسميتها ذكرت فى نصوص الأهرام حيث سميت «عين حورس السوداء» وهكذا فالملك يونس قال: «أنت الذى شكلت عينّى حورس العين البيضاء والعين السوداء وأنت الذى أخرجتها ووضعتها أمامك فأضاءا وجهك». والعين البيضاء هنا تشير إلى الشمس بطبيعة الحال. وهكذا فنحن نرى أن تحوت لم يحضر عين رع للإله فقط ــ كما قلنا من قبل ــ ولكنه أنشأ أيضاً عين إله القمر الذى هو فى حقيقته لا يزيد عن أن يكون شكلاً من أشكاله هو نفسه ولهذا فتحوت من وجهة نظر معينة كان يعرف بايزوريس وحورس وتم وبالتالى خيبرا.

وهكذا بقيت صفة أخرى من صفات تحوت يجب ذكرها بمعنى هذه التى عرفناها من الفصل (XEV) من كتاب الموتى حيث نجد المتوفى يقول: «أنا ذلك الذى نشر الرعب فى قوى المطر والرعد...

لقد شرعت سكينى وسكين تحوت التى بيده فى قوى المطر والرعد». هذه الجملة القصيرة وجدت فى فصل عنوانه «فصل الاقتراب من تحوت».

وفى الرسم نجد أن المتوفى يقف أمام تحوت وكلا يديه مرفوعتان فى وضع العبادة. ومن الحقيقة السابقة يتضح أن اليونانيين كانوا على حق عندما عبروا عن حكمة وعلم تحوت عندما قارنوه بهيرمس. فهم قد وصفوه بأنه مخترع علوم الفلك والتنجيم والأرقام والرياضيات والجبر والمساحة والطب وعلم النباتات وهو أول من صنع نظاماً كهنوتياً ونظم الحكم المستقرة فى البلاد. وهو الذى أنشأ عبادة الآلهة ووضع قواعد حساب الزمن وطبيعة ونوع القرابين والضحايا. وهو الذى ألف



إلــه القمر أعــه AAH

التسابيح والصلوات التى يتقرب بها البشر للآلهة. وهو الذى حدد طقوس الصلوات وابتكر الأشكال وحروف الأبجدية وفن القراءة والكتابة والخطابة بكل فروعها. وهو مؤلف كل عمل فى كل فرع من فروع المعرفة سواء الإنسانية أو الآلهية.

ويقول كليمنت الكسندريان أن كتب تحوت تعدت الاثنين والأربعين كتاباً وأنها قد قُسمت إلى ستة أقسام فالكتب من الأول للعاشر تتناول القوانين والآلهة وتعليم الكهنة والكتب من الحادى عشر حتى العشرين تناقش عبادات الآلهة بمعنى القرابين والضحايا وأشكال العبادة.. الخ والكتب من الحادى والعشرين حتى الثلاثين تختص بتاريخ العالم والجغرافيا والهيروغليفية أما الكتب من الواحد وثلاثين حتى الرابع والثلاثين فهى مؤلفاته فى الفلك والتنجيم والكتابان الخامس والسادس والثلاثون يحتويان على تجميع للمؤلفات الدينية والكتب من السابع والثلاثين وحتى الثانى والأربعين خصصت للطب.

وفى السنين السابقة كانت هناك بعض المحاولات لإضافة كتاب الموتى ــ أحد الكتب التى كان لها ذيوع واسع أكثر من باقى كتب تحوت ــ لمجموعته ولكن أصبح من المؤكد الآن أنه رغم تصريحهم بوضوح أن تحوت قد كتبَ بعض فصوله إلا أن الكتاب ككل يعتبر عملاً منفصلاً تماماً.

السؤال الآن هو كيف استطاع تحوت أن يقوم بكل هذه الواجبات التى أوكلها له القدماء؟ والإجابة على هذا السؤال ستظل غير مفهومة حتى نتذكر أن تحوت كان بالنسبة للإله رع ــ طبقاً للنصوص المصرية ــ القلب بمعنى العقل والسبب والفهم.

فى بعض المخطوطات وجدنا أنهم قد منحوه لقب [hieroglyphs] العظيم العظيم ثلاثة وهو اللقب الذى استقى منه الاغريق اسم الإله ترماكسيموس. ὁ τρισμέγιστος, حتى الآن لانعرف المعنى الحقيقى الذى قصد به المصريون تسمية الههم بهذا اللقب.

على العموم من الواضح تماماً أن تحوت كان له منزلة خاصة فى أفئدة المصريين تختلف تماماً عن مكان أى إله آخر وأن الصفات والقدرات التى أسبغوها عليه لا تشبه تلك التى كانت للسواد الأعظم من الهتهم فى كل الجمعات العديدة التى عرفت.

وصفات تحوت كانت نتاجاً لأفكار راقية وهى ربما تكون أكثر الأفكار سمواً عن صفات الآلهة التى انتجتها قريحة المصريين والتى كما رأينا كانت شيئاً ما قابلاً للتطبيق على الجانب المادى من الموضوع الإلهى.

وتحـوت لذلـك بتجسيده الكامل لعقل الإله وكحاكم ومدير لقوى السماء والأرض يمثل أحد أكثر ملامح الديانة المصرية رقيا جنباً إلى جنب مع الاعتقاد فى بعث الموتى فى أجساد روحانية ونظام خلود الحياة.

الربة ماع أو ماعت [hieroglyphs] أو [hieroglyphs] أو [hieroglyphs]

ترتبط الربة ماعت بشكل لصيق ـ بتحوت بحيث يمكن اعتبارها قرينته الأنثى التى كانت معه فى قارب رع عندما انبثق إله الشمس لأول مرة من عمق المياه الأولى «نو».

رمز الربة هو ريشة النعامة [hieroglyph] التى تلتصق دائماً بغطاء رأسها أوتمسك بها فى يدها فى بعض الأحيان. وماعت عادة ما ترسم على هيئة سيدة واقفة أو جالسة [hieroglyph] تمسك بصولجان [hieroglyph] بيد وفى الأخرى رمز الحياة [hieroglyph] وفى صور عديدة وجدنا أنه قد التصق بكل ذراع من ذراعيها جناح. وقد صورت فى حالات نادرة بجسد امرأة رأسها عبارة عن ريشة.

وكما هو الحال بالنسبة للعقائد القديمة لا نعرف سبب ارتباط الربة ماعت بريشة النعامة ربما يرجع هذا الارتباط إلى عصور ما قبل الأسرات.

كذلك اختلفت التفسيرات بالنسبة للرمز الهيروغليفى [hieroglyph] والذى ينطبق ماعت فالبعض يقول أنه يعنى «ذراع» بمعنى مقياس ذراع وآخرون يقرأونه «ناى» الذى من المحتمل ـ بالطبع ـ أن يكون مصنوعاً من الغاب.

على أى حال عادة ما نرى الإله بتاح يقف فوق قاعدة مرسومة على هيئة ⊏ وفى بعض رسوم لايزوريس كان يقف أيضاً فوق قواعد شبيهه. وبالطبع لا يعقل أن يقف الالهان فوق نايين وبالتالى ففى الغالب كان الرمز ⊏ يعنى معنى آخر بالإضافة للناى.

فإذا كان بتاح ممفيس – كما نعرف – هو إله الصناع عموماً والعاملين فى المعادن والتماثيل بشكل خاص فإنه يصبح من المقبول أكثر أن تعنى هذه القاعدة ⊏ أداة من الأدوات التى يستخدمها المثالون مثل الأزميل أو مقياس كالذراع كرمز لبعض الأدوات التى تستخدم بهدف القياس.

أما معنى كلمة ماعت فهو لحسن الحظ أكثر وضوحاً لأننا نعلم من جمل عديدة بنصوص كل العصور أنه يدل بشكل عام على « الشىء الذى هو مستقيم » وربما يكون الاسم الذى أطلق على آله من الآلات التى يستخدمها الصناع لحفظ الاستقامة. وتأكيداً على هذا نجد – فى حدود معلوماتنا – أن هناك ارتباطاً بين كلمة ماعت والكلمة اليونانية *κανών* والتى تعنى – من كل الوجوه – « قضيب مستقيم » يستخدم للحفاظ على استقامة الأشياء ثم بعد ذلك مسطرة تستخدم مع الحجارة وأخيراً بشكل مجازى قاعدة أو قانون أو لائحة أو شريعة يحافظ بواسطتها البشر على جعل حياتهم وأفعالهم مستقيمة ومحكومة.

والمصريون كذلك استخدموا الكلمة بشكليها المادى والمعنوى فهى تعنى « العدل والصدق والحق والواقع والنقاء والاستقامة والآصالة والصلاح وعدم التردد.. الخ ». فى نفس الوقت تعنى كلمة « خيسيت ماعت » حجر لازورد أصلى أى عكس عجينة زرقاء. أيضاً كلمة « شيز ماعت » تعنى الاستقامة والانتظام. وام – ان – ماعت تدل على شىء حقيقى.. ويقال أنه رجل ماعت بمعنى فاضل وأمين أو الحقيقة « ماعت » قادرة وعظيمة وهى قاعدة لم تكسر أبداً منذ عصر ايزوريس وأخيراً نجد لدى المصريين « با نيتر ابو با ماعت » والمرادف الفعلى لها بالانجليزية « الله سيحكم بالعدل ».

والربة ماعت كانت التجسيد المادى والمعنوى للقانون والنظام والحق. وعندما ترتبط بإله الشمس رع فهى تعبر عن الانتظام الذى يشرق ويغرب به في السماء والمسار الذى يتبعه يومياً من الشرق للغرب وهكذا نجد فى أحد تسابيح رع :

«أرض مانو (أى الغرب) استقبلتك برضى والربة ماعت احتضنتك فى كل من الصباح والمساء».

الإله تحوت والربة ماعت قد سطرا مسارك اليومى لكل يوم».

«أيمكننى أن أرى حورس كقائد دفة (لقارب رع) مع تحوت وماعت كل منهما على جانب».

وفى تسبيحة أخرى نجد أن قنا يقول: «حضرت لك يارب الآلهة تيمو حيرو خوتى الذى تقوده ماعت».

ويقال أن آمون رع «يستقر على ماعت» بمعنى يعيش مع ماعت. ورع يقول أنه «يعيش مع ماعت» وايزوريس «يحمل بطول الأرض فى موكبه ماعت فى اسمه سيكير».

ولقدرتها على الانتظام بمسار إله الشمس سُميت ماعت «بابنه رع» و«عين رع» و«سيدة السماء» و«ملكة الأرض» و«ربة العالم السفلى» وكانت ـ بطبيعة الحال ـ «سيدة الآلهة والربات»

وماعت كانت أكثر الربات قدرة أما مثناها ماعيتى MAATI فهو يعنى ماعت ربة الجنوب والشمال. وهى سيدة قاعة المحاكمة ثم أصبحت تجسد العدالة التى تعطى لكل فرد حقه حتى أنها اتخذت فى بعض الأزمنة شكل الميزان نفسه كما وجدنا فى بعض الرسوم التى تمثل وزن القلب.

القاعة التى جلست فيها ماعت فى شكلها المزدوج لتستمع إلى اعترافات الموتى عادة ما ترسم ـ كما فى كتاب الموتى (CXXV) ـ واسعة وافريزها منقوش



الربـة مـــاعت

عليه حيات وريش كرمز لماعت وفى وسطها إله يمد كلا من ذراعيه فوق بحيرة وفى كل نهاية من نهايتى القاعة يجلس قرد أمام ميزانيين.

أنوبيس يحرس الباب الذى يدخل منه المتوفى والذى يسمى خير سيك شو وضلفة من ضلفات هذا الباب تسمى هيرى ـ تب ـ رينو ـ ف والضلفة الأخرى تسمى نيب ـ يهيتى ـ يزسيو ـ مينمنت هذه الأسماء يجب أن يتعلمها وينطقها المتوفى قبل أن يُسمح له بدخول قاعة الربة ماعت

وعندما يصل داخلها يجد أنه أمام اثنين وأربعين محكماً أو قاضياً مجتمعين هناك ويجلسون فى صفين على جانبى القاعة بكل صف واحد وعشرون قاضياً وأن عليه أن ينكر بشكل مهيب أمام كل واحد منهم ارتكابه لمعصية بعينها. هذه الانكارات الاثنان وأربعون تعرف عادة «بالاعتراف السلبى». أسماء المحكمين طبقاً لبردية نيبسيتى NEBSENI هى كالآتى:

1. Usekht-nemmat, . ١) يوسيخت ـ نيممات

2. Ḥept-shet, . ٢) هيبت ـ شيت

3. Fenṭi, . ٣) فينتى

4. Ām - khaibetu, . ٤) أم ـ خيبيتو

5. Neḥa-ḥāu, . ٥) نيها ـ هاو

6. Rerti, . ٦) ريرتى

7. Maati-f-em-ṭes, . ٧) ماعتى ـ ف ـ أم ـ تيس

8. Nebā-per-em-khetkhet, . ٨) نيبا ـ بر ـ ام ـ خيتخيت

9. Seṭ-ḳesu, — ٩) ست ــ كيسيو

10. Uatch-nes, — ١٠) ياتش ــ نيس

11. Qerti, — ١١) كيرتي

12. Ḥetch-àbeḥu, — ١٢) يتش ــ ابيهيو

13. Àm-senf, — ١٣) أم ــ سينف

14. Àm-beseku, — ١٤) ام ــ بيسكيو

15. Neb-Maāt, — ١٥) نيب ــ ماعت

16. Thenemi, — ١٦) زينيمى

17. Āaṭi, — ١٧) عاتى

18. Ṭuṭu-f, — ١٨) توتو ــ اف

19. Uamemti, — ١٩) ياميمتى

20. Maa-àn-f, — ٢٠) ماع ــ ان ــ اف

21. Ḥeri-seru, — ٢١) هيرى ــ سيريو

22. Khemi, — ٢٢) خيمى

23. Sheṭ-kheru, — ٢٣) شيت ــ خيريو

24. Nekhen, — ٢٤) نخين

25. Ser-kheru, — ٢٥) سير ــ خيريو

26. Basti, — ٢٦) باستي

27. Ḥrȧ-f-ḥa-f, — ٢٧) حرا ــ اف ــ هاف

28. Ta-ret, — ٢٨) تاريت

29. Kenemti, — ٢٩) كينيمتي

30. Ȧn-ḥetep-f, — ٣٠) ان ــ حيتيب ــ اف

31. Neb-ḥrȧu, — ٣١) نيب ــ حراو

32. Serekhi, — ٣٢) سيرخي

33. Neb-ābui, — ٣٣) نيب ــ عبوى

34. Nefer-Tem, — ٣٤) نيفر ــ تم

35. Tem-sep, — ٣٥) تيم ــ سب

36. Ȧri-em-ȧb-f, — ٣٦) ارى ــ ام ــ اب ــ اف

37. Ȧḥi-mu (?), — ٣٧) اهي ــ مو(؟)

38. Utu-rekhit, — ٣٨) يوتو ــ ريخيت

39. Neḥeb-nefert, — ٣٩) نيهيب ــ نفرت

40. Neḥeb-kau, — ٤٠) نيهيب ــ كاو

41. Tcheser-ṭep, — ٤١) تشيسر ــ تيب

42. Ȧn-ā-f, — ٤٢) ان ــ ع ــ اف،

بعد الاعتراف السلبى كان عليه أن يخاطب الآلهة مجتمعة ملخصاً لها أعماله الطيبة ويعرف الأسماء السرية لعناصر الباب المختلفة الذى يفتح على أماكن المطهرين وإلا تعرض لعدم الخروج من القاعة إذا لم ينادها بأسمائها هذه حتى لو أقنع هيئة المحكمة. ثم يعلن للإله ايزوريس الذى يدعوه «رب تاج اتيف» ATEF (أبيه) بأنه قد عمل «ماعت» وأنه قد طهر نفسه «بماعت» وأنه لا يوجد طرف من أطرافه يفتقد إلى «ماعت». ويشرح له كيف تصرف مع «جراد الحقل» وكيف استحم فى البحيرة التى استحم فيها بحارة رع ويصف كل الأشياء التى قام بها بما فى ذلك عثوره على صولجان من الصوان فى الـ «أخدود ماعت».

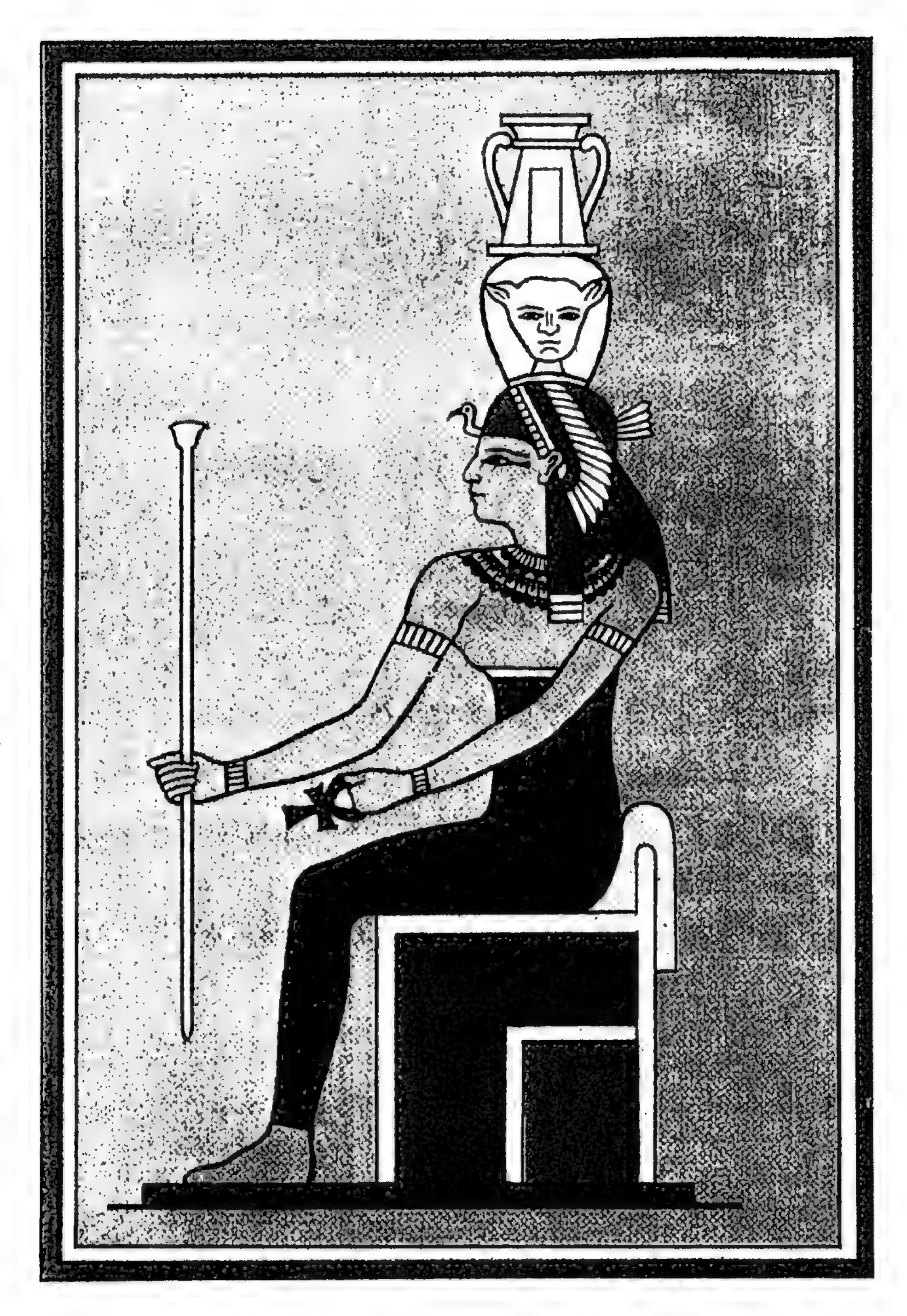
أخيراً وبعد أن يعلن لعناصر الباب المختلفة أسماءها السحرية يذهب للإله معو ــ تاوى MAU-TAUI, الذى يقوم بدور حارس «قاعة ماعت» والذى يرفض السماح له بالمرور إلا إذا قال له ما هو اسمه وعندما يقول له المتوفى «اسمك سا ــ أبو ــ تشر ــ خات Sa-abu-tchār-khat ويطلب منه أن يدخله لا يقتنع الإله فيعيد سؤاله «من هو الإله الذى يسكن فى ساعته؟» فإذا قال المتوفى مجيباً «معو ــ تاوى» يسأله الإله فى الحال «ومن هو هذا؟» فيجيب المتوفى «معو ــ تاوى هو تحوت». فيسأله تحوت عن سبب حضوره إلى القاعة وعندما يجيب المتوفى بأنه هناك من أجل أن يكتب تحوت اسمه يسأله الإله عدة أسئلة أخرى من أجل أن يحدد حالته ويسبر غوره «سماء من التى من النار وحوائط من من الثعابين الحية وأرضية بيت من تتكون من ينبوع ماء؟»).

يجيب المتوفى على هذه الأسئلة قائلاً أنه «طُهر من كل شر» و«أن الكائن الذى وصف بيته هو ايزوريس». على ذلك يسمح له تحوت بالدخول قائلاً أن اسمه سوف «يذكر» أو يدون.

وهكذا نرى كيف أن صفات ماعت تندمج مع تلك التى لتحوت وكيف أن صالح المتوفى يعتمد بشكل نهائى على كل من هذين الإلهين. فلا يكفى ــ على أى حال ــ أن يقنع المحكمة لأن خلفها يقف تحوت بأسئلته النهائية الباحثة.

وتحوت هو الذى نطق بالكلمات التى أتت بالعالم للوجود وهو الذى لديه القدرة على نطق اسم المتوفى بطريقة ما تجعل جسده الروحى يذهب مباشرة إلى ملكوت ايزوريس .

لذلك فتحوت كان الإله الذى يُبجل أكثر من رع وبشكل أو آخر كان أعظم من ايزوريس وهو من وجهتىْ النظر المادية والمعنوية كان مرتبطاً بشكل لا ينفصم بماعت التى كانت أسمى فكرة مادية ومعنوية للقانون والنظام عرفها المصريون .



الربة نيمعويت

NEHEMAUAIT نهيمعويت

جنباً إلى جنب مع الربة ماعت أو ماعتى نجد أن هناك ربات أخريات ارتبطت بتحوت فى أجزاء مختلفة من مصر. الربة نهيمعويت التى توصف بأنها ساكنة عات ــ تشاموتيت وتوصف أيضاً «الربة المقدسة القادرة فى خيمونو KHEMENNU» «هيرموبوليس» و«سيدة بر خيمينو» و«ربة بهوت» و«ساكنة دندرة» وهكذا نرى أنها كانت ربة المعبد الكبير فى مدينة تحوت أى هيرموبوليس وأنها كان لها هيكل خاص بدندرة عاصمة الأقاليم الخمسة عشر بمصر السفلى التى ذكرت هنا باسمها المدنى «بهوت» والتى اسمها المقدس بر تحوتى اب رحو أى «معبد تحوت القاضى بين الرحيو» بمعنى حورس وست والنص يصفها على أنها «ابنة رع» والطريقة التى رسمت بها تدل على أنها كانت تعتبر أحد أشكال الربة حتحور.

وفى المثال الذى قدمه سيجنور لانزون كان لها هيئة امرأة ترتدى على رأسها إما آله موسيقية كالشخشيخة أو قرصا يستقر بين زوج من القرون وفى أحد رسوماتها على البردى وجد صولجان يستقر على راحة يدها اليمنى ورسم ماعت على اليسرى. وفى كروكى هام رسمه أيضاً لانزون نجد أن رمزها كان عباره عن قائم ينتهى برأس لحتحوريعلوه شخشيخة وعلى جانبيها ثعبانان يحمل كل منها قرص وفى نفس الوقت يتدلى على جانبى الربة ثعبانان متماثلان

والقائم يحفظ انتصابه رأسياً رجلان يقفان على جانبيه ويعلق بلوتارش وكذلك بروجيش على ذلك بأن هذه الشخشيخة كان لها وظيفة هامة ألا وهى أبعاد الزوابع ذلك الوحش الكاسر الذى يخاف أصواتها عندما تتحرك. لذلك كانوا يرسمون الربات الكبيرات والكاهنات عادة بأيديهن شخاليل. ودلل دكتور بروجيش على ذلك بجملتين من بعض النصوص يعلن فيهما شخص ملكى أنه سيتم إبعاد العفاريت عنه بواسطة الشخاليل التى بيده. ورغم هذا فهناك من يفسر امساك الربات والكاهنات بها بأنها كان لها دوراً فى فرقة موسيقى المعبد. وبالطبع يحتمل أن يكون سبب حملها لتلك الأدوات كلا الهدفين أى كتمائم وفى نفس الوقت كآلات موسيقية.

ونهيمعويت لم تذكر فى كتاب الموتى مما يدل على أنها لم تكن من الربات القديمات وبالتالى فن المحتمل أنها كانت شكلاً حديثاً لربة قديمة مشهورة.

من نصوص عصر الأسرات المتأخرة وجدنا أنها كانت تعرف باسم ميه ــ يوريت MEH-URIT وبربه أخرى يمكن قراءة اسمها سيفخ ــ عابو أو سيسيشيتا.

وميهنوريت لم تذكر فى كتاب الموتى إلا نادراً حيث نجد فى الفصل (XVII) جملة تحدد بدقة ماهيتها فيقول المتوفى: «رأيت رع الذى ولد بالأمس من بين كفلى ميهنيوريت». ثم يجيب على سؤال «إذن من هى؟» قائلاً: «إنها المياه العميقة للمساء أو (كما يقول آخرون) هى صورة عين رع فى الصباح عند ميلاده اليومى» «مهينيورت هى عين رع ياتشيت».

وميهنيورت كانت فى الأصل التجسيد للمادة المائية الانثوية التى تشكل جوهر العالم واسمها الذى يعنى «قوة الامتلاء» يدل على أنها كانت النبع الذى لا ينضب للمادة من كل نوع والتى كانت تُلقح بنطف الذكور المختلفة.

وهى بذلك ــ واقعياً ــ تعتبر شكلاً من أشكال الجزء الانثوى لعناصر الخلق الأولية. أى يمكن تعريفها بأنها ايزيس وحتحور وهى فكرة ــ بالطبع ــ متقدمة عن فكرة نوت أو نيت اللتين كانتا أيضاً شكلين للمادة الأولية.

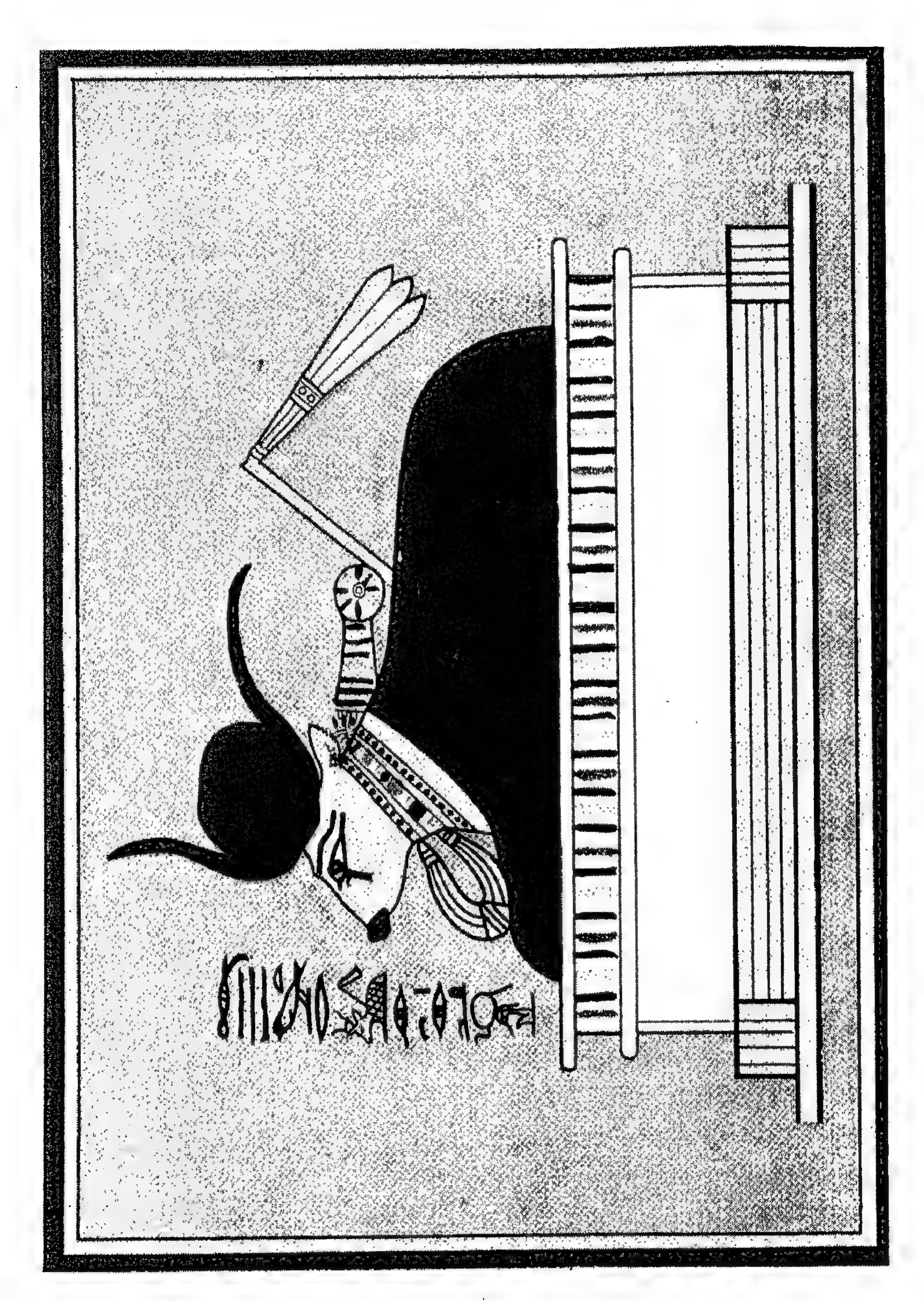
وميهنيورت فى الصور التى قدمها لانزون نجدها مرسومة على هيئة امرأة حامل ذات ثديين ممتلئين كرمز للخصوبة ولكنها عادة ما كانت تصور على هيئة بقرة السماء الضخمة إما بالطريقة التى تم عرضها من قبل للربة نوت أو فى الشكل السابق. فى بعض الأحيان نجد أن لها جسد امرأة ورأس بقرة وفى هذه الحالة نجدها تمسك فى يمناها بصولجان حلقى الذى هو فى حقيقته ساق مزدوج لزهرة اللوتس بشكل يبدو منه كما لو كانت تشمها.

والزهرة نفسها يحيطها رمزا الجنوب والشمال والتى من المفترض أن تمثل زهرة اللوتس الكونية الضخمة التى خرجت منها الشمس لأول مرة عند الخلق. والاسم المعتاد للربة كان «ربة السماء سيدة الآلهة وسيدة الارضين». ويقال أنها أيضاً «كانت موجودة منذ البداية» وأنها ساعدت تحوت فى خلق الأشياء الأولى التى ظهرت فى خيمينو أو هيرموبوليس.

وفى الأزمنة التالية كانت قاعة اختبار ومحاكمة الميت ـ«وزن الكلمات» تسمى بقاعة ميهنيوريت وهو الأمر الذى يدل على أنهم فى الأزمنة القديمة كانوا يضفون صفات «ماعت» على الربة العظيمة التى على هيئة بقرة وأن أرواح الموتى ـبذلكـ كانت تحاكم فى السماء.

والفكرة الأولى عن المحاكمة كانت ـفى الغالبـ مادية ولم تتغير حتى سادت عبادة ايزوريس فأخذت الطابع الذى تعودنا عليه فى كتاب الموتى وإن كان يبدو أنهم فى العصور بالغة القدم كانوا يختبرون الجسد بدلاً من الروح بواسطة القوى السماوية وأن النظرية المتداولة للبعث فى عصور ما قبل الأسرات كانت تجديد أو انعاش الجسد المادى.

ومرتبط بتحوت بشكل لصيق لتنفيذ بعض من مهامه كإله الحروف والتعلم نجد الربة والتى يمكن قراءة اسمها سيفخيت عابط أو سيشيتا SESHETA حيث نجد به العلامة الهيروغليفية رمز هذه الربة، وإن كان كل من القراءتين لاتزيد عن أن تكون تخميناً



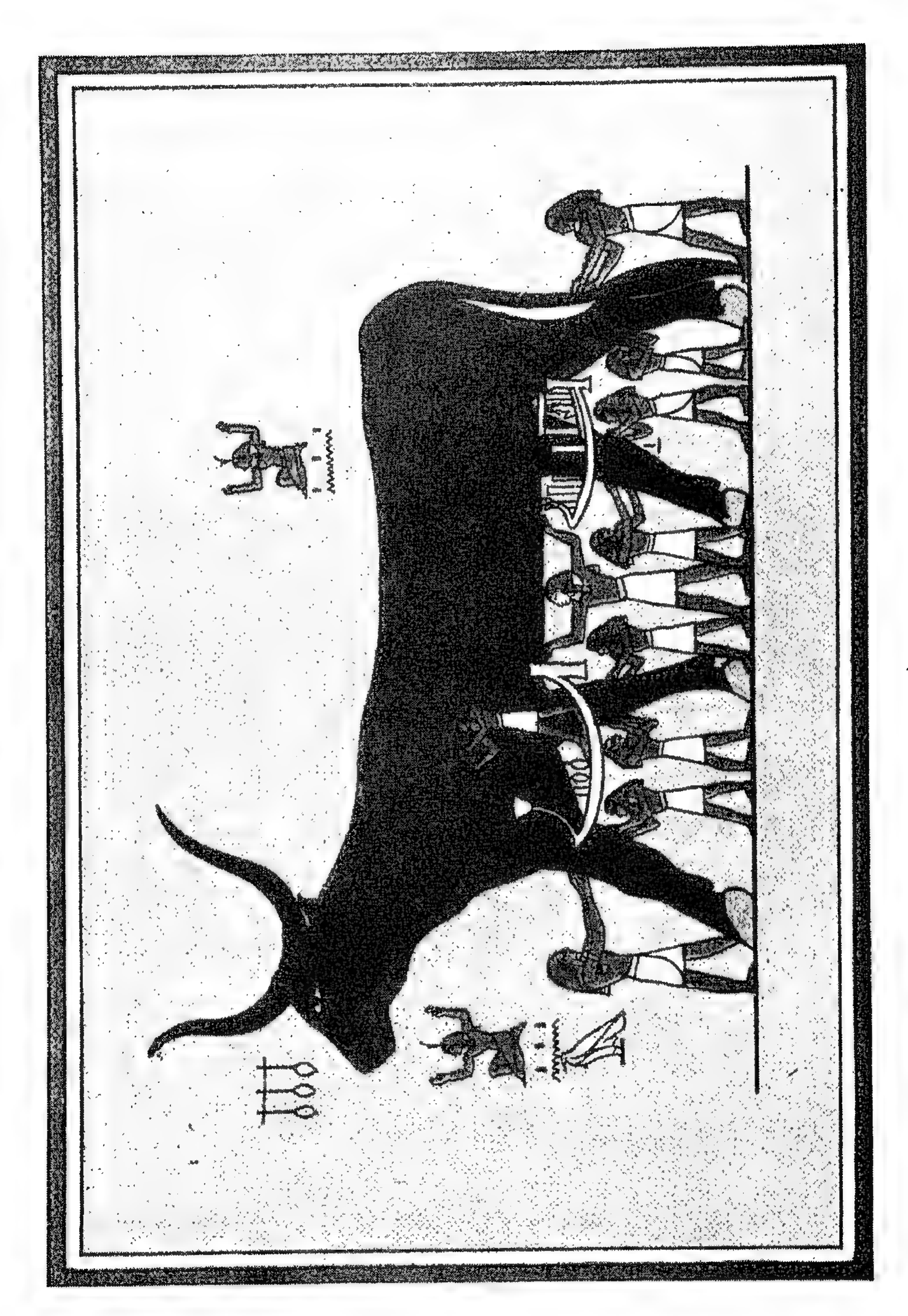
الربة ميهورت

مطلقاً لأن طريقة نطق هذه العلامة لم يتأكد بعد وحتى العلامة نفسها لا نعرف معناها كل ما هو أكيد أننا وجدناها فى بعض صور الربة مركبة مع زوج من القرون المقلوبة فوق سبعة نجوم ذوات اشعاع أو زهرة بسبع ورقات مثبتة بقائم.

ويعتقد دكتور بروجيش أن سيفخيت عابط SEFKHET-AABUT هى القراءة الصحيحة للاسم وأنها إما تعنى «هى التى قلبت قرنيها» أو «هى التى لها سبعة قرون» والمعنى الأخير توصل إليه من تشابه الجزء الأول من الاسم سيفخيت مع كلمة سبعة الهيروغليفية.

ومن صور الربة والألقاب التى معها نستطيع معرفة ماهية وظائفها بيقين. فهى ترتدى على رأسها رموزها المميزة ورداء من جلد الفهد الملتصق بجسدها وتمسك بيدها لوحة كتابة وبوصة نقش وفى هذا الشكل تسمى «الواحدة العظيمة ربة منزل الكتب» وهكذا فهى «ربة الآداب والكتبة». فى مكان آخر نراها بدون جلد الفهد تمسك ببوصة كتابة بيمناها وخرطوشة رسم الاسم بيسراها وفى هذا الشكل توحى بفكرة أنها كانت أحد أنواع ملائكة الحصر التى تكتب الاسماء وليس الأفعال ويمكن أن يكون دورها ـ تخميناً ـ هو كتابة أسماء هؤلاء الذين سيقدمهم تحوت لايزوريس. وفى اللقب المصاحب لهذه الصورة كانت تدعى «الواحدة العظيمة ربة الحروف وسيدة بيت الكتب».

فى منظر آخر نجدها تمسك بفرع نخلة محزز وتبدو كما لو كانت تحصى الحزوز، النهاية السفلى من الفرع تستقر على ظهر ضفدع يجلس على Ω علامة اللانهائية ومن الناحية العليا معلق رمز لاحتفال ست المزدوج وهكذا فهى تظهر على هيئة مسجل الزمن أو المؤرخ الذى يستخدم فرع النخل المحزز لحصر السنين وهى فى الغالب عادة كانت سائدة فى عصر ما قبل الأسرات. وفى رسم آخر نجد الربة تقف أمام عامود من الكتابة الهيروغليفية معناها «حياة» و«قوة» «ومواسم ثلاثين عاماً» والذى يستقر على شخص جالس يمسك بكلتا يديه فى



نوت ربة السماء على هيئة بقرة

كل واحدة علامة الحياة ☥ وهو ما يعنى «ملايين السنين». وعلى ذكر هذا يجب ملاحظة جملة فى نص تعلن فيه للملك أنها قد نسخت فى سجلها نيابة عنه فترة حياة ستصبح «مئات آلاف من فترة ثلاثين عاماً». وحددت أن السنوات التى سيقضيها على الأرض تشبه أعوام رع بمعنى أنه سوف يعيش للابد.

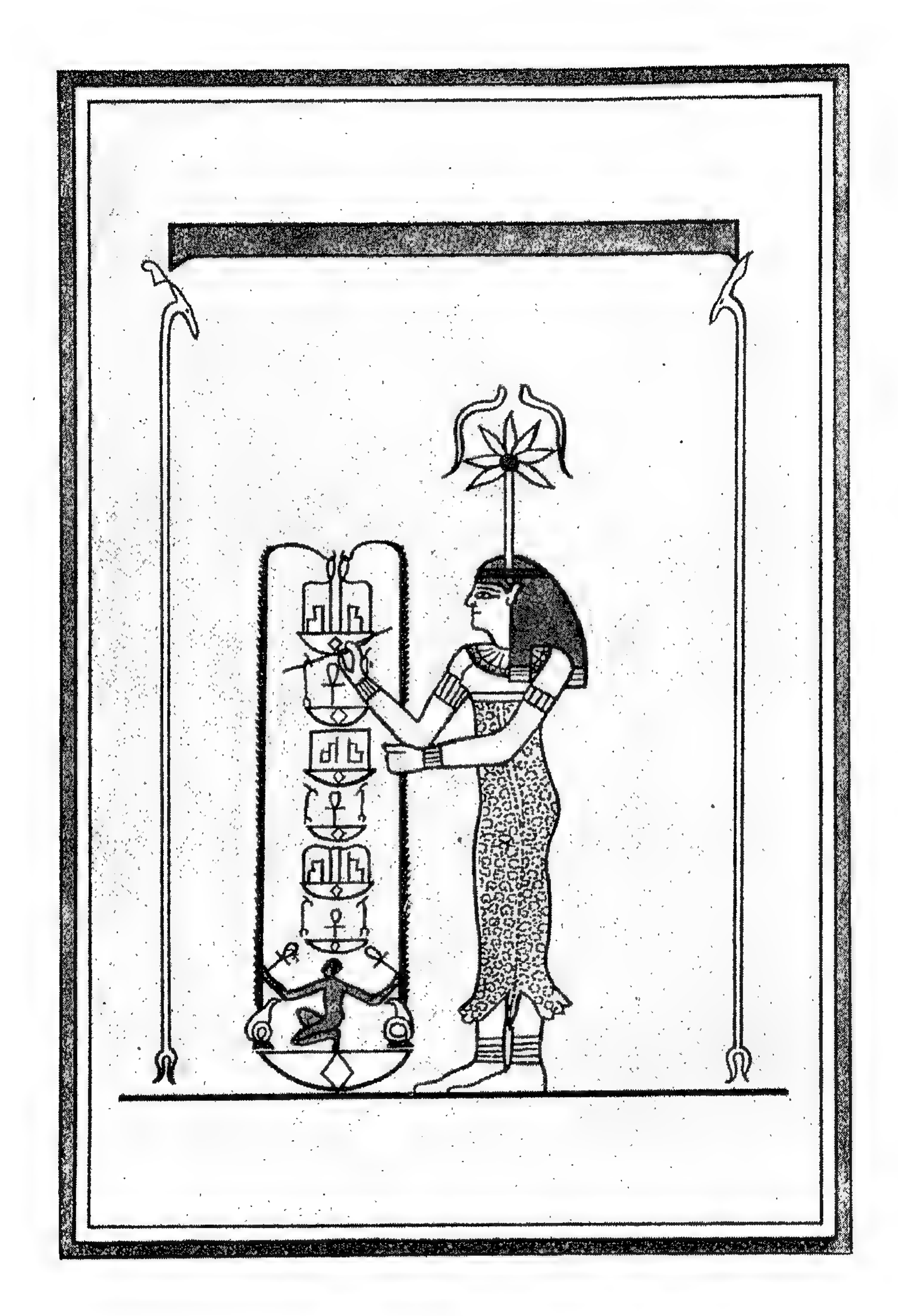
وفى كتاب الموتى (LVII 6) نجد أن المتوفى يقول: «فى وفتحتا أنفى تم فتحها فى تاتتو وأصبح لى مكان أمن فى أننو حيث منزلى الذى بنته لى الربة سيفيخ عابط (أو سيشيتا) ونصب جدرانه من أجلى الإله خيمنو».

ثم يقول بعد ذلك: «الربة سيفيخ عابط أحضرت الإله نيبت، وانبو (انوبيس) قال لايزوريس نبنى لنو (بمعنى لى) على الأرض منزلاً قواعده فى خيرعها KHER-AHA وقدس أقداسه الإله سيخيم الذى يسكن فى سيخيم طبقاً لما سُطرتْ وفيه يحدث التجديد والرجال والنساء يحضرون النذور وقرابين الخمر وخدم البيت. قال ايزوريس لجميع الآلهة التى فى موكبه وترحل (معه) انظروا المنزل الذى بُنى لروح الذى حسن تأثيثه والذى يحضر يومياً ليجدد نفسه بينكم».

فى الفصل (CLXIX) يقال أن الربة جلست أمام المتوفى وأن الربة «سا» حمت أعضاء جسده.

هذه الجمل توضح أن سيفيخ عابط كانت تعتبر «ربة البناء» وبذلك تصبح مناسبة لأن تكون قرينة تحوت والربة المؤهلة لتنفيذ تعليماته الخاصة بالخلق. وعموماً نجد من مقاطع مختلفة أن واجبها الرئيسى كان يتصل بكتابة التاريخ ويصبح سعيداً ذلك الملك المحظوظ الذى تكتب أعماله الربة نفسها بأصابعها أو يبنى مسكنه فى العالم الآخر بناء على تصميم ترسمه مخترعة الحروف وربة طرز البناء ومؤسسة فن العمارة.

ومن النص الذى اقتبسه بروجيش نجدها تعلن لسيتى أن كلماتها عنه لن تُنقض أبداً وأن يدها ستخط شهرته على طريقة أخيها تحوت وطبقاً لمراسيــم تيم.



الربـة سيتا

وقد تم تعريفها بالربة رينينيت RENENET وبايزيس وفى دندرة أطلق عليها «ابنة نوت» وفى ليكوبوليس كانت تعتبر اخت ايزوريس وام حيرو ــ نوب HERU-NUB أو «حورس الذهبى» .

لا يزال هناك ربة أخرى يجب أن تذكر لارتباطها بماعت وتحوت وهى الربة انوت UNNUT ربة انتو والتى يجب ألا تلتبس مع انوت ربة الساعات والتى ترسم على هيئة سيدة يعلو رأسها نجم فالربة الأولى رغم أن لها جسد سيدة إلا أن رأسها أرنب وعادة ما تمسك بيدها سكينا وفى بعض الأحيان تمسك بصولجان فى يد وعلامة الحياة فى الأخرى.

أحد صفات هذه الربة «تلك التى تدمر بسكاكينها» وفى هذه الحالة تعرف بسيخيت SEKHET وتصبح ربة مدينة MENHET منحيت .

ونحن يمكننا أن نكون فكرة عن مدى قدم هذه الربة من عبارة وردت فى كتاب الموتى الفصل (CXXXVII) حيث نجد قرب نهاية أحد الوصايا أن هذا الفصل قد وجد مكتوباً بخط الإله تحوت فى معبد «انوت ربة أننو».

وأن الذى وجده هو حيرو ــ تعتا ــ ف ابن خوفو أحد ملوك الأسرة الرابعة.. وهكذا يتضح أنه حتى فى هذا الزمن البعيد كان هناك معبد لتكريم هذه الربة فى اننو أى هيرموبوليس أو مدينة تحوت. واننو كما نعرف كانت المدينة الرئيسية فى مقاطعة اون وإلهها الرئيسى كان يرسم على هيئة أرنب وأن أنوت كانت القرين الانثوى للإله اننو وأنها كانت الربة المحلية القديمة لعاصمة النوم.

فى رسم منقوش على البردى الفصل (CX) من كتاب الموتى (بردية انى) يرى المتوفى يقف رافعاً ساعديه فى وضع العبادة أمام ثلاثة آلهة جالساً الأول له رأس أرنب والثانى له رأس ثعبان والثالث رأس ثور. ويقف خلفه الإله تحوت ممسكاً بلوحته وبوصته ولكننا لا نعرف ما إذا كان بينه وبين الآلهة الثلاثة الجالسة علاقة من عدمه.

والإله الأرنب يظهر كما لو كان واحداً من مجموعة تتكون من ثلاثة آلهة تشرف على أحد أقسام العالم السفلى القسم الأول كما جاء فى بردية آنى أو القسم الثانى كما جاء فى بردية نو.

وفى دندرة نشاهد الها له رأس أرنب ملفوفاً فى أربطة التحنيط رُسم ويداه فى وضع يحاول الرسام فيه أن يظهر ارتباطه بايزوريس. هذا الإله الأرنب يسمى ان UN الاسم الذى يظهر فى لقب ايزوريس المركب «آن ـــ نفر» UN-NEFER مما يدل على أن الإله الأرنب «أن» لم يكن أكثر من نموذج آخر لايزوريس. وهو قد أضيف للقبه لأنه يقفز مثل الأرنب عند شروق الشمس حيث يقال أنه «القافز». فإذا اعتمدنا وجهة النظر هذه فإن الربة انوت قد تكون النموذج الانثوى للإله الأرنب «ان» أو أنو ولكن بروجيش يرى أن الأكثر صحة هو كون انوت ربة مدينة أنو او هيرموبوليس. خصوصاً عندما نتذكر أن مدن «ان» و«ابت» و«بهوت».. الخ كان لها ربات اسماؤها «انيت» و«ابيت» و«بهوتيت» والربة انوت مثلها فى ذلك مثل الربة ماعت التى كان لها نموذجان بمعنى ماعت الجنوب وماعت الشمال كان لها بالمثل شكلان أحدهما ينتمى لهيرموبوليس الجنوب والآخر لهيرموبوليس الشمال أو كما جاء فى النص انو مهيت أى هيرموبوليس برافا حيث عبدوا تحوت على هيئة اب ـــ ريحيو جنباً إلى جنب مع قرينته نهيمعويت.



الفصل الرابع عشر

حتحور ‎𓉡‎، وحيت حرت والربات الحتحورات

حتحور ربة من أقدم الربات التى عبدها المصريون.. فلقد تم العثور على رمزها ــرأس وقرنى بقرةــ بين عدد من الأغراض الصوانية التى ترجع إلى عصور موغلة فى القدم.

وحتحور رسمها المصريون منذ البداية وحتى العصر الرومانى ــخصوصاً فى النقوش الجنائزية وكتب الموتى ــعلى هيئة بقرة ومع ذلك وجدنا لها أشكالاً أخرى عديدة على مسار عصر الأسرات وهو الأمر الذى يجب الا يدهشنا فلقد حاول ــكما نعلمــ كهنة كل تجمع دينى دمجها مع ربتهم المحليةــ مهما كان نوعها أو مرتبتها ــواسباغ صفات تلك الربات عليها.

اسم الربة حيت ــحيرت HET-HERT «منزل الأعالى» بمعنى السماء أو الجنة. ومن شكل آخر لها يُقرأ «منزل حورس» نرى أنها كانت تجسد المكان الذى يسكن فيه رب الشمس حورس وتمثل بذلك جزء السماء الذى يقع فيه مساره.

فى الأزمنة المبكرة كانت حتحور ــأو Αθωρ' (هاتور) كما يكتبها اليونانيونــ ترمز فقط إلى الجزء الذى تصوره أو أظهره أقدم أشكال آلهة الشمس حورس ــوكان ملكوتها يقع شرق السماء ولكن بعد مدة أصبحت ترمز لكل السماء وعلى هذا تمثلت ــبدون شكــ أجزاء عديدة من خصائص ربات عصر ما قبل الأسرات.

فى نصوص بيبى الأول يقال «كل إله سوف يأخذ بيد رع ــ ميرى فى السماء وهى (أى الآلهة) سوف تقوده لميت ــ حرو (𓅃𓉗) HET-HERU التى فى السماء Qebhu قبحو 𓈙𓃀𓎛𓅱 مثيله سيصبح قادراً على تقليد صوته (كلماته) التى تؤثر على سب».

من هذه الجملة يظهر كما لو كان منزل حورس هو جزء محدد من الكتلة المائية الواسعة بالسماء والتى كانت تعرف دائماً بقبه QEBH.

وفى الزمن الذى شكل فيه المصريون لأول مرة كهنوتهم كانت حتحور ربة سماوية بالتأكيد وكانت من معاونى إله الشمس رع وقرينته الأنثوية. وهى ــ كما يقول بروجيش ــ كانت تُدعى فى النظام اللاهوتى لكهنة هليوبوليس «أم النور» وميلادها كان أول أعمال الخلق الذى تلاه انتاج شو وتفنوت. وإن كنا نعرف طبقاً لروايات أخرى بالغة القدم أن تيمو هو الذى أوجدهما وأنجبها.

من الأشكال المتعددة التى رسمت عليها حتحور يمكن ذكر الآتى:

«الرئيسة 𓁹 لطيبة وسيدة الامنتيت» وكانت تمثل فيه على هيئة سيدة تضع فوق رأسها قرنين بينهما قرص شمس.

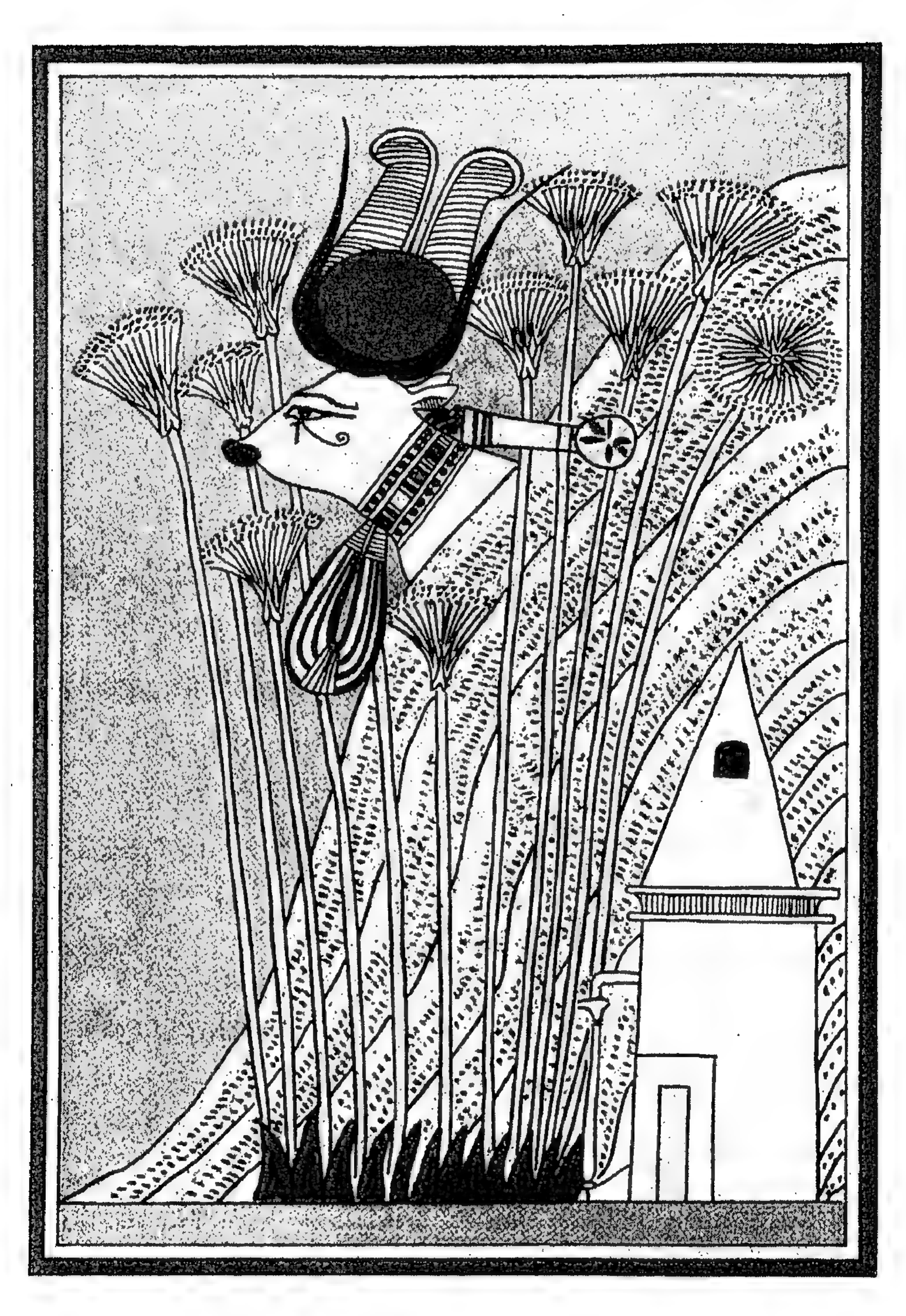
و«ربة حتبت» 𓊖 وكانت ترتدى فيه تاج النسر الذى على مقدمته ثعابين وفوق قمته خمسة ثعابين أخرى.

و«ربة سينيميت» SENEMET 𓊖 وتبدو فيه على هيئة سيدة على رأسها 𓇅 أو فرعاً نخل وقرنان.

و«كربة ابشيك» 𓈙 كانت تضع على رأسها قرصاً بين قرنين.

و«كربة دندرة العظيمة» 𓊖 كانت تبدو على هيئة لبؤة بثعابين فوق رأسها أو كامرأة ترتدى 𓋔 and 𓆄, or 𓋉, or 𓐍 and 𓋔 أو الشخشيخة 𓏣

أو 𓋉 and 𓋔 𓋉 𓋔 𓋔 or 𓋉 and 𓋔 or 𓆄 and 𓋔



(حيت- حيرت) حتحور الربة البقرة تنظر

و« كربة سيكامور الجنوب » كان لها رأس بقرة ..

و« كربة أنو» كانت تضع على رأسها

و« كربة توركويس » TURQUAISE (أرض) أى شبه جزيرة سيناء كانت تسمى « معفيك » MAFEK وترتدى تاج الشمال أو و وفى شكل آخر ارتدت غطاء رأس على هيئة نسر يعلوه تاج مكون من ثعابين وفوق كل هذا بوابة موضوعة بين زهور وبراعم اللوتس.

و« كربة الأراضى المقدسة » بمعنى « العالم السفلى وأمنتيت » كانت تبدو على هيئة بقرة تخرج من جبال الدفن. وفى بعض الأحيان كانت تمثل على هيئة بقرة تقف فى قارب محاط بالبردى الذى ينمو حتى مستوى مناسب يغطى جسدها.

و« كربة بقرة العالم السفلى » ـ بشكل عام ـ كانت ترتدى قلادة رقبة طويلة ومينات. MENAT على قفاها كرمز للسعادة والاستمتاع. وعلى ظهرها نوع من لبادة السرج ذات الخطوط الطولية. وفى بعض الأحيان كان يرسم على كل جسدها خطوط متقاطعة ربما كان مقصوداً منها أن ترمز للنجوم.

هناك شكلان آخران هامان قدمهما سيجنور لانزون تمسك فيهما الربة فرع النخل المحزز الذى هو أحد صفات الربة سيفخيت عابط التى كانت تساعد الإله تحوت كمؤرخة ومسجلة للوقت من وجهة النظر هذه يجب أن تصير حتحور قرينة تحوت الانثوية.

والآخر تم تمثيلها فيه تجلس فوق بوابة على هيئة أبو الهول الذى يضع فوق رأسه رأس النسر والثعابين وقرص الشمس وجانب جسدها رُسم ليشبه جزءاً من مينت.

اللقب الذى صاحب هذا الرسم كان « ربة حتب عين رع ساكنة القرص سيدة السماء وكل الآلهة ».

لاحظنا من قبل أن عبادة حورس كانت عامة فى كل مصر ويحتمل أنها كانت منذ عصر ماقبل الأسرات. وأنهم قد بنوا فى عصور الأسرات من أجله المعابد المنتشرة فى طول البلاد وعرضها والمكرسة لعبادته. ومن النصوص نجد أن عبادة حتحور كانت أيضاً عامة وأن معابدها كانت أكثر عدداً حتى من تلك التى لحورس لقد كانت فى حقيقتها الأم الكبيرة للعالم والأكثر قدماً وحتحور السماوية كانت تجسد قوى الطبيعة العظمى التى بقيت دائماً. وهى التى خلقت وأنجبت وربت وصانت كل الأشياء كبيرها وصغيرها. كانت «أم أبيها» و«ابنة ابنها» وحاكمة السماء والأرض والعالم السفلى وأم كل إله أو ربة. وكانت تكرم فى كل الهياكل المهمة للربات المحليات وكانت أيضاً القرينة الانثى ــ دائماً ــ لرئيس أى مجمع آلهة أو ثالوث سُمح لها بالانضمام إليه كزائرة. والدليل على هذه الحقيقة تلك القائمة التى جمعها الدكتور بروجيش والتى تظهر لنا الأسماء والأشكال المختلفة التى لها فى كل المدن الكبيرة بمصر العليا والسفلى ومنها سنرى أنه تم تعريفها بالآتى:

ساتيت SATET, عنكيت ĀNQET, فى الألفنتين

تا ــ سينت ــ نفرت TA-SENT-NEFERT, فى أومبوس

بحوتيت BEḤUṬET, فى أبوليبوليس ماجنا

نيت NIT, نيبوت ومنهيت فى لاتوبوليس

MENḤIT,

موت MUT, نخبيت NEKHEBET, فى ايليزيابوليس

رعت ــ تاويت RĀT-TAUIT, فى هيرموزيس

موت MUT, امنزيت ĀMENTHET فى طيبة

هيكيت HEQET, فى أبوليبوبوليس بارفا

ايزيس ISIS, انيت ĀNIT, فى قبطوس

سيفخيت عابط SEFKHET - ĀĀBUT في ديوسبوليس بارفا

محيت تفنوت خوت منحيت MEḤIT - TEFNUT - KHUT-MENḤIT ,

ايزيس خنت ابتيت ISIS and KHENT ĀBTET, في بانوبوليس

هيكيت عنزات ḤEQET and ĀNTHĀT, في افريدوبوليس

نيت ياتشيت وسيخيت NIT, UATCHET, SEKHET, في هيبسليس

ماعت وايزيس في هيراكونوبوليس

موت وسيفخيت عابط في ليكوبوليس

سيخيت وماعت في كوسائي Cusae

نيهمعويت NEḤEMĀUAIT,

حيح ـ أورت Meḥ-urt, في هيرموبوليس

هيكت اشيت Ḥeqet and ASHET, في ابيو

باخز PAKHTH, في سيبيو ارتميدوس

انبيت ANPET, في سينوبوليس

ياتشيت في الباسترونوبوليس

جتحور اوكسرينجس وانزات

مرسيخينت MERSEKHENT في هيراكوبوليس ماجنا

رينبيت RENPIT في كركوديلبوليس

خيرسيخيت — في بطليمولس

ايزيس وبت اهيت — في افرديتوبوليس

باست Bast, سيخيت ورينبيت — في ممفيس

نيبوريخيت عات Nebuarekhet-Āat, — في ليتوبوليس

يوسارت هيكيت Usert-ḥeqet, — في بروسوبيس

ادرت ابسيت Urt-Āpset, — في زيوكس

نبت — في سايس

ايزيس — في كانبوس

ياتشيت — في بوتو

تفنوت — في بيثوم

تايت — في بوسيريس

خويت Khuit, — في اتربيس

تيتيت ابنة رع Ṭeṭet, تفنوت في هيئة أسد

وحيرت Ḥert,

أي القرين الانثوى لحورس ونيسرت Nesert وايوسعاست

Iusāset, نيبت حيتيب ومينات Menāt,

وريبيت Repit, وخينت ابتيت في سيلى

ميهمويت وتفنوت وايزيس — في هيرموبوليس

هات ميهيت ḤĀT-MEḤIT, — فى منديس

موت وتفنوت وخنت ابيت — فى ديوبوليس

باست Bast, — فى بابستيس

ايزيس وياتشيت — فى أمونيت

سيبتيت Septit, — مقاطعة ست

خيخسيت Khekhsit,

وهكذا فمن المؤكد أنه خلال عصور الأسرات المتأخرة كانت حتحور تمثل كل الربات العظيمات فى مصر وأن الهياكل المكرسة لها قد بنيت فى معظم المدن الكبيرة .

ولقد جمع سيجنور لانزون أسماء وأعداد المدن التى كان لحتحور هياكل بها ولكن كتابتها هنا لن تكون ذات فائدة كبيرة . فما سبق تقديمه يكفى للتدليل على مدى اتساع عبادتها فى طول مصر وعرضها .

حتحور إذا نظرنا لما ذكر عنها فى النصوص سنجد أنه كان من المستحيل على عابديها حصر أشكالها القائمة بالإضافة إلى أن بعض هذه الأشكال كان يعتبر ذا أهمية أكبر عن الأخرى ونتيجة لذلك وجدنا أنهم فى فترة مبكرة نسبياً قد اختاروا سبع حتحورات لتصبح أشكالها الشائعة .

والحتحورات السبع التى تم اختيارها لتعبد فى دندرة هى :

١) حتحور طيبة

٢)حتحور هليوبوليس

٣) حتحور افروديدينو بوليس

٤) حتحور سبه جزيرة سيناء

٥) حتحور ممفيس

٦) حتحور هيركوبوليس

٧) حتحور كسيت

وهى قد رسمت على هيئة سيدات شابات جيلات يكتسين برداء ملتصق على الجسد ويرتدين رداء رأس على هيئة صقر محاط ممسكات بايديهن دفوفاً .

فى قصة الأخوين نجد سبع حتحورات « الحوريات المتنبئات ». حيث قيل فى هذه القصة المسلية أنها حضرت ونظرت على الزوجة التى أعدها خينمو لأخيه باتا « والتى كانت أكثر جمالاً من أى امرأة أخرى فى كل الأرض لأنها احتوت على كل إله » ولكنها عندما نظرت إليها قلــن فى صوت واحد « موتها سيكون بسكين ». وإن لم نعرف لسوء الحظ المناطق التى كانت تمثلها تلك الحتحورات السبع . الحتحورات التى ذكرها ماريت فقد استوعبت حتحورات دندرة :

كسيت ونيهيت والجبلين واليزيابوليس ومفيك (سيناء) وكـيب نوت وهــيت سشيشيش

وهكذا يتضح أن مجمع الحتحورات السبع لم يكن يتضمن دائماً نفس أشكال الربة .

وكما لدينا ابتهالات للإله سيكر SEKER لدينا أيضاً ابتهالات لحتحور ذكرت فيه مجموعة أخرى من الحتحورات هى :

١) تايت اهيت

٢) مافيك وطيبة

٣) طيبة

٤) نيبيتحتب

٥) سونين ـــ هينين

٦) ممفيس ـــ شي ـــ تيشر

٧) ممفيس .

وفى نص سوف نورده بعد ذلك نجد ستة سطور عن حتحور حيث تُعْرف بالربات :

١) باست

٢) ساتى

٣) ياتشيت

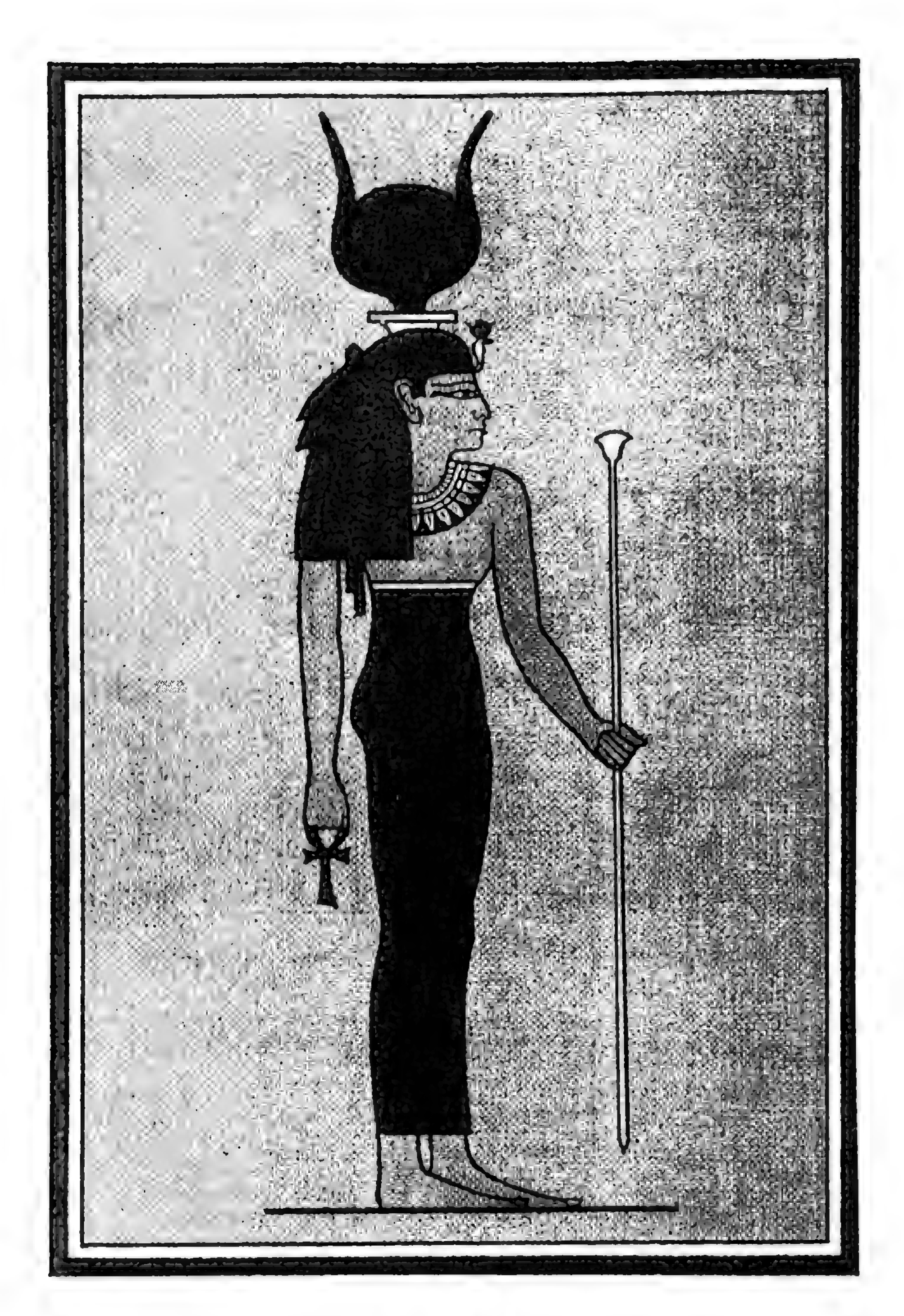
٤) سيخيت

٥) ربة أمو

٦) نبت ثم بعد ذلك يخاطب حتحور طيبة وسونين هينين وتيب اهيت ونهاو ـــ وريهساو وسيت تشريت ومافيك وانيب ويايا وأممو وأميم حتحور ربة «مدينة الستة عشر» بمعنى ليكوبوليس .

وإذا كانت معلوماتنا كاملة عن هذا الموضوع فحتما كنا سنجد أنه كان لكل مدينة كبيرة اختياراتها الحتحورية الخاصة وأن أشكال الربة التى نقشت اسماؤها على البرديات الجنائزية هى فقط تلك المعروفة لهؤلاء الذين كُتبت تلك الوثائق من أجلهم .

اليونانيون ربطوا بين حتحور وربتهم افروديت والمصريون كانوا راضين عن هذا كما نرى من جمل عديدة فى نصوصهم وحتحور لم تكن تمثل فقط كل ما هو صدق بل أيضاً كل ما هو جميل وكل مميزات السيدة كزوجة أو أم أو ابنة . وهى الربة الحامية للمغنيين والراقصين وكل مدخلى السرور على النفس من أى نوع كذلك هى الربة الحامية للجميلات وللحب والفن والأعمال الفنية وللعنب والنبيذ والبيرة وبالأجمال ربة السعادة والمتعة وكل ما يتصل بها .



الربة حتحور

أما فلكياً فقد كانت تمثل بالنجم سبت SEPT أو سوثيز SOTHIS (الشعرى) الذى كان يطلق عليه «الشمس الثانية بالسماء» وبذلك ارتبط فيضان النيل بها حيث ظهرت على هيئة هذا النجم بجوار شمس النصف الثانى من يوليو. والنجم وسوثيز كان دائماً ما يشرق فى مسار حلزونى فى اليوم الأول من السنة المصرية الجديدة.

وهكذا كانت حتحور ربة هذا النجم ترافق رع عندما يدخل قاربه فى هذا اليوم وتأخذ مكانها كتاج على جبهته.

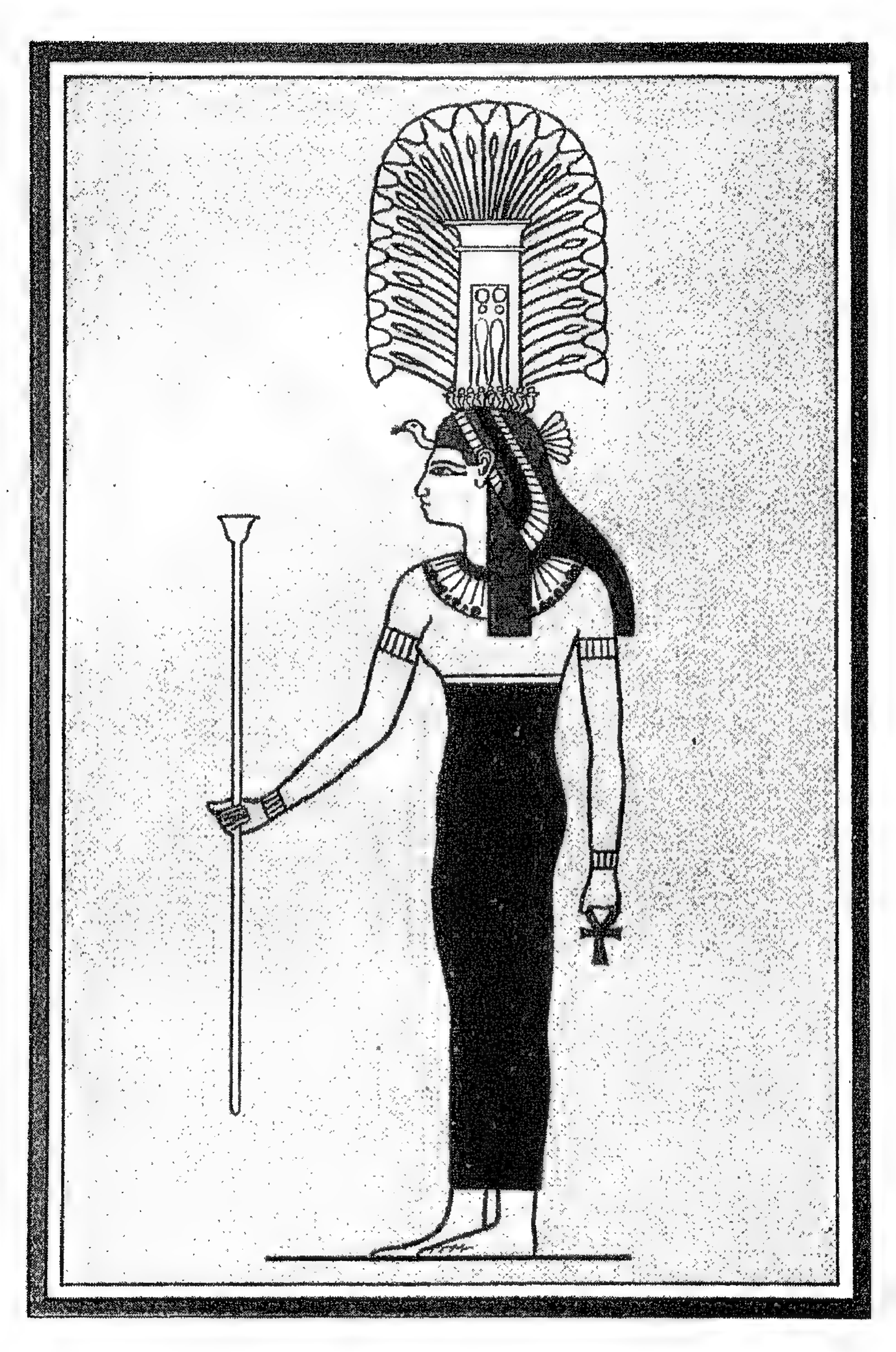
لقد كانت ــ كما رأينا ــ زوجة وابنة رع وهى نفسها أنجبتها الربة نوت على هيئة طفلة ذات بشرة سوداء يشوبها الحمرة ثم منحتها فى آخر ساعات النهار اسمها خينيميتانخ or , KHENEMETANKH.

وحتحور كربة من ربات العالم السفلى كان لها دور بالغ الأهمية لصالح خير المتوفى فهى بمعاونتها الصديقة وحمايتها له تمكنه من أن ينال خلود الحياة. هذه المكانة التى كانت لها من بين آلهة ذلك العالم تظهر بوضوح من الجمل التالية المأخوذة عن كتاب الموتى. ففى ابتهالاته لرع يقول الضابط المتوفى نيخيت NEKHET:

«أيها الكائن الجميل يا من تجدد نفسك فى مواقيتك على هيئة قرص داخل والدتك حتحور». أى أنه يشير بهذه الكلمات للربة على أنها تمثل قوة الطبيعة.

وفى مشهد المحاكمة نجد أنها كانت أحد أعضاء مجمع الآلهة التى تراقب «وزن الكلمات» والتى تمنح قلوب الأبرار الفرح والغبطة.

وعندما يواجه المتوفى الشيطان أبيب وجها لوجه نجد أن حتحور ــ كواحدة من مجموعة مكونة من نيتشيب ــ اب ــ اف وتيم ونينتشع وسب ونوت وخيبرا تشجع المتوفى على خوض المعركة معه ــ وهى تصرخ فى المتوفى «امتشق سلاحك» ولكنها مثل المتوفى ترتعش رعباً من ابيب هناك.



الربة حيت ــ حيرت (حتحور)

وفى الفصل (XLII) الذى يصف تأليه أعضاء المتوفى تصبح هى عينيه وهو يصرح «عيناى هما عينا حتحور». فإذا عرفنا أن هناك اسطورة يقال فيها أن السماء الليلية جعلت من حتحور قمراً بها بالإضافة لما سبق عرضه من أنها تمثل النجم سوثيز وأنها أخذت مكانها فى وجه حورس أو رع كعينة اليمنى نجد أن عينىّ حتحور هما الشمس والقمر وبالتالى تصبح عينا المتوفى لهما نفس الصفات.

فى فصول أخرى (LXVIII, LXIII, LII) يبدو كما لوأن الربة كانت تقوم بتزويد المتوفى باللحم والشراب فهو يقول: «دعنى اتناول طعامى أسفل شجرة جميز سيدتى حتحور واجعل أيامى تمضى بين الكائنات الإلهية التى تسطع هناك». بعد ذلك «فى مكان نظيف سأجعل على الأرض بجوار جذع نخلة الربة حتحور التى تسكن القرص الفسيح وهى تتقدم لأنو ومعها كتب الكلمات المقدسة التى كتبها تحوت». بعد ذلك «فلتمنحنى القدرة على الكعك ولتجعلنى آكله تحت فروع نخلة الربة حتحور التى هى ربتى المقدسة»..

وفى قاعة ماعيتى كانت اسم قدم المتوفى اليسرى «عكازه حتحور». كذلك نجد فصلاً خاصاً تم تأليفه لتمكين المتوفى من أن يكون «بين هؤلاء الذين يتبعون حتحور». وهكذا نرى أنها كانت ذات أهمية لدرجة أن يكون حولها موكب من الآلهة التابعة أو الملائكة الخادمة.

وفى الفصل (CXXXIV) نجد أن مجمع آلهة هليوبوليس يتكون من تيم وشو وتفنوت وسب ونوت وايزوريس وايزيس ونفتيز وحتحور وحورس. والأخيران أخذا مكان سيت وسيتى.

كذلك فى الفصل (CXL) نجد أن حتحور وتيم وياتشيت
وشو وسب وايزوريس وسوتى وحورس ومنز Menth. بعح
, ورع ـــار ـــنيحيح
وتحوت وايزيس ونعاو ـــتشيتا Nāau-tchetta ونفتيز ونيخت
ومريت وماعت وانب وتا مس ـــتشيتا, Ta-mes-tchetta

قيل أنها « روح رع وقلبه » . وفى فصل (CLI.A) تخاطب نفتيز السيدة المتوفية قائلة : « استمع رع لصرخاتك وهكذا فيا ابنة حتحور صنع لك النصر فرأسك لن تُؤخذ منك أبداً وستعيشين فى سلام » .

حتحور على هيئة البقرة هى التى استقبلت المتوفين عندما دخلوا العالم السفلى ومنحتهم حياة جديدة وطعاماً سماوياً تحافظ به عليهم.

فى الفترة الرومانية نجد أن شخصية الميت تمتزج فى النصوص الجنائزية بتلك التى للربة فى حين أنها خلال عصر الأسرات كانت تدمج فى أيزوريس .

أخيراً قيل فى جملة اقتبست بواسطة ماسبيرو من البردية التى وصفت وضع «أقطة حتحور» على وجه المتوفى .

« هى (أى حتحور) ستجعل وجهك كاملاً بين الآلهة وستفتح عينيك بحيث ترى كل يوم وستعظم مكانك فى أمنتيت وستجعل صوتك يتغلب على أعدائك وستجعل ساقيك يتحركان بسهولة فى العالم السفلى باسمها حتحور سيدة أمنتيت » .

من نص هام فى معبد بطليموس فى دار المدينة على الضفة الغربية للنيل مقابل طيبة وجدنا أن حتحور تدعى نوبت , Nubt أى (الواحدة الذهبية) وعابدها يقول « أنت تقفين عالياً فى الجنوب كربة تيكا (اليزيابوليس) وأنت تضيئين الغرب كربة سايس . أنت تظهرين وأنت الآمرة فى الأعياد كحتحور الربة العظيمة محبوبة رع فى أشكالك السبعة » .

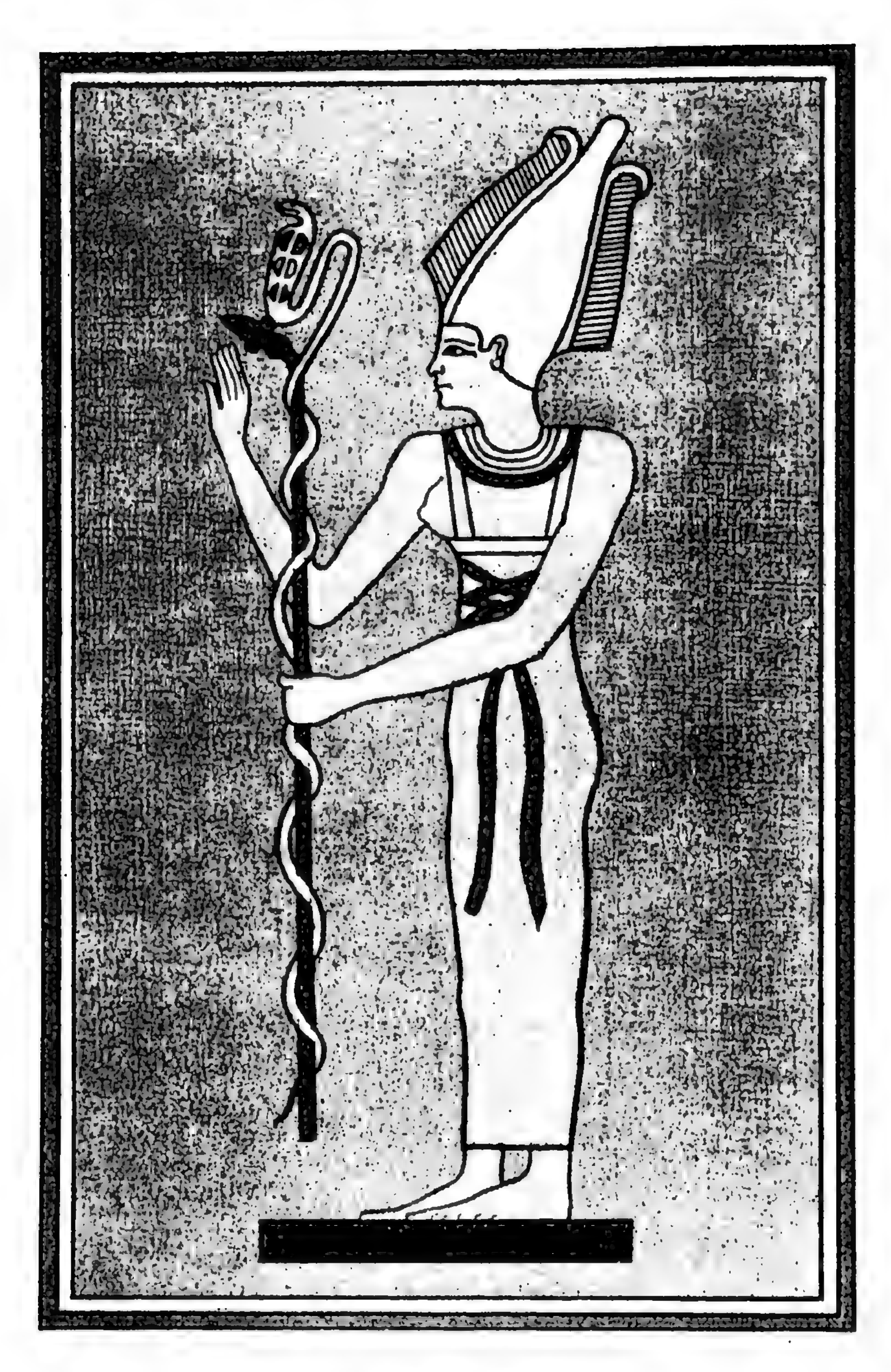
ثم يقال لنا أن تحوت قد جاء لإلقاء نظرة على وجهها وأثنى عليها كما يحلو لها وهى قد إنتشت بكلماته .

وعلى هيئة نيبت ـحتيبت NEBT-HETEPET كانت الممجدة فى السماء والقادرة على الأرض وملكة العالم السفلى .

وعلى هيئة تيميت TEMT كانت سيدة «الأرضين» ذات الغطاء الأحمر وتتلألأ في مدينتي بوتو ويوباستيس.

وهكذا مما ماسبق يستدل على أن حتحور كربة للعالم السفلى قد تم دمجها أو (تعريفها) بأربع ربات كبيرات قديمات هي نخبيت (اليزيابوليس) وياتشيت (بر ـياتشيت) وباست (بابستيس) ونيت (من سايس) بمعنى (أربع ربات من أركان العالم الأربعة والاتجاهات الأصلية الأربعة). وهناك قرائن صحيحة على أن هذه التعريفات هي نتاج للفترة المتأخرة عندما نُسيت الصفات المبكرة لياتشيت ونخبيت .. الخ.

عموماً من الملائم مناقشة تلك الزبات تحت عنوان حتحور وهي سوف توصف هنا ليس بسبب أن الكاتب يؤيد صحة التفسيرات البطليموسية وإنما لأنه يوجد مايمكن أن يقال عنها في هذا المكان.



نخبيت ربة الجنوب

نخبيت NEKHEBET ربة الجنوب

من المخطوطات الهيروغليفية التى ترجع إلى عصور بالغة القدم نجد أن ملوك مصر قد اعتادوا على وضع العلامة , أمام اسمائهم. والتى يقصدون منها أن يؤكدوا سيادتهم على الجنوب والشمال.

ونحن لسنا متأكدين من الطريقة التى تُقرأ بها هذه العلامة ولكن لا يوجد شك حول معناها. فالرخمة هي رمز ربة الجنوب والحية رمز لربة الشمال.

وهكذا نجد أن ملوك مصر ومنذ الفترة المبكرة لعصر الأسرات كانوا يفخرون باعلان سيادتهم على البلد عن طريق تأثير توقيرهم وعبادتهم للربتين اللتين رمزاهما الرخمة والحية.

ومن الأمور شبه المؤكدة أنهم كانوا يعبدون فى عصور ما قبل الأسرات الرخمة فى كل صعيد مصر بشكل عام وأن شكلاً معيناً من الثعابين كان يقدس فى الدلتا.

مركز عبادة الرخمة كان مدينة نخبيت , or, والتى سماها اليونانيون اليزيابوليس. أو سفتيس لوسينا بواسطة اللاتينيين وكانت عاصمة النوم الثالث من صعيد مصر.

أما مركز عبادة الحية فقد كان بر ــ ياتشيت Per- Uatchet. أو Boῦτος عند اليونانين وبوتو باللاتينية التى كانت عاصمة النوم السابع من دلتا مصر. ونخبيت كان يقال أنها ابنة رع و«الزوجة الإلهية لخينت امنتى» وهيكل الربة كان فى نخينت , or, , or,

ومكانها الآن قرية اسمها الكاب. وفى العصور المتأخرة فقدت نخبيت كل أهميتها السياسية وحل محلها مدينتى أنى Ani, وسينيت Senit, المجاورتين. ونخين التى تكتب أيضاً بمعنى «نخين البيضاء» كانت المدينة التى تحتوى على قدس أقداس «الرخمة المقدسة» والربة الرخمة نخبيت فى أرض الجنوب والتى كانت تعرف فى نصوص متأخرة بالربة حتحور.

ونخبيت عادة ماتمثل على هيئة سيدة تضع على رأسها غطاء رأس النسر الذى يعلوه التاج الأبيض —علامة السيادة على الجنوب— يلتصق به فى بعض الأحيان جريدتا نخيل وتمسك بيد صولجان أو وباليد الأخرى علامة الحياة وفى بعض المناسبات كان يتكون الصولجان من زهرة ذات ساق طويل والتى يبدو أنها زهرة النوفر WATER LILY ملفوف حولها ثعبان هذا الثعبان لم يكن أكثر من الثعبان المجنح —رمز الربة الرخمة— الذى يضع على رأسه تاج الجنوب.

ونخبيت كانت تمثل أيضاً على هيئة سيدة برأس نسر وفى صوره قدمها سيجنور لانزون كانت تقف على ماعت وتقبض بيسراها على قوس وسهم كذلك أخذت مكانها مع أختها التوأم ياتشيت على هيئة ثعبانين على جبهة رع بمعنى أن كلا من الربتين قد كرست نفسها لتدمير أعداء الإله. هذه الفكرة وضحت من تلك الأقراص المجنحة التى تم نحتها فوق أبواب المعابد فى مصر والتى يوجد على كل جانب من جانبيها ثعبان الذى على اليمين أو فى الجانب الجنوبى هو نخبيت والذى على اليسار أو الجانب الشمالى ياتشيت.

نخبيت كانت فلكيا العين الغربية أو اليمنى للشمس خلال رحلتها فى العالم السفلى أما ياتشيت فقد كانت الشرقية أو اليسرى.

وكقوة من قوى الطبيعة كانت نخبيت أحد أشكال العمق الأولى التى أنجبت الضياء. وبالتالى كان يطلق عليها «الاب للآباء والأم للأمهات التى وجدت منذ البداية وخالقة العالم».

وفى نقوش المعابد المصرية كانت عادة ماتمثل مع أختها التوأم ياتشيت وأيضاً فى مراسم التتويج لأن الملوك كانوا يهتمون بأن تتوجهم هاتان الربتان بالتاج المزدوج .

عن بروجيش أنهم كانوا يخصصون فى المعابد المصرية حجرتين قرب قدس الأقداس لتحل فيها ياتشيت ونخبيت حجرة الأولى التى تدعى بر ــ نيسرت per nesert أو منزل النار كانت تقع على الجانب الأيمن من قدس الأقداس أو فى الغرب أما حجرة الثانية فقد كانت فى الشرق أو على شمال قدس الأقداس وتدعى بر ــ أور per ur, أو المنزل الكبير ومن المحتمل أن الكهنة عندما كانوا يتوجون الملوك كانوا يرتدون أزياء تجعلهم يشبهون الربتين ويعلن أحدهما أنه قد منحه الجنوب والآخر الشمال .

ومن صور ملونة لنخبيت فعكيت Nekhebet Fakit, نجد أنهم قد صبغوها بلون أصفر فاتح أقرب للأبيض والذى يقصد به فى الغالب لون مناطق الصحراء الجنوبية أو لون ضوء شمس الصباح الأبيض أو القمر.

ولقد تم تصويرها فى بعض الأحيان على هيئة ايزيس ربة الطبيعة الخصبة كما كان يفترض أن تقوم ياتشيت ــ فى نفس الوقت ــ بدور العناية بذرية ايزيس .. بمعنى آخر كانت نخبيت أم إله الشمس وأبناؤه ــ ملوك مصر ــ وياتشيت مربيتهم .

من عبارة فى نصوص ميرن ــ رع MER-EN-RA يبدو كما لو كان هناك ارتباط بين نخبيت وأننو حيث نقرأ :

«أنت حامية ميرن رع يانخبيت أنت حامية ميرن رع يانخبيت فى مقر أمير أننو وأنت التى عهدت به لـ أم ــ هيت ــ أف ــ وأم ــ هيت ــ اف عهد به لأم ــ سيبا ــ اف » .

فإن صح هذا فإنه من المحتمل أن تكون نخبيت قد دمجت بواحدة أو أخرى من الربات المحليات أيوسعاسيت أو نيبت ــ حتب .

ومن نص هام حققه ماسبيرو نجد إشارة إلى نطرون مدينة نخبيت والذى يبدو أنه كان يستخدم كثيراً فى تحنيط الموتى ومن المعتقد أن الربة نخبيت بالتالى كانت راعيتهم فى العالم السفلى. وقد تكون هى التى تعدل وجوههم فتكسبها مسحة من الجمال بضوء عينيها الذكيتين وهم ليتأكدوا من هذه النتيجة كانوا يضعون بكل عناية «أربطة نخبيت» على جبهة المومياء الجارى تجهيزها.

ياتشيت (hieroglyphs) ربة الشمال

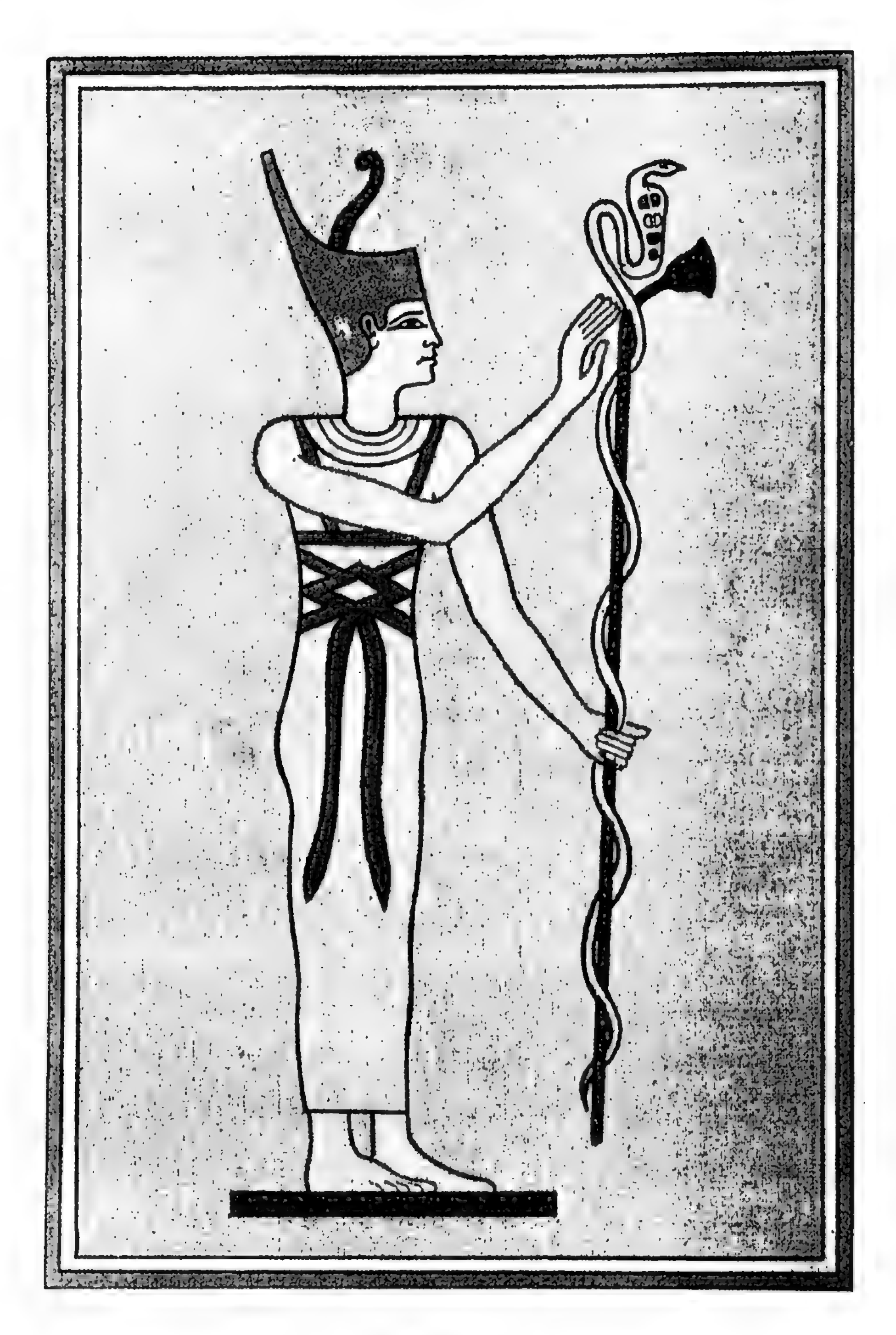
ياتشيت UATCHET أو UATCHIT كما سبق أن ذكرنا من قبل هى الربة التى تم عبادتها على هيئة ثعبان وكان أقدم هياكل تقديسها فى مدينة بر ـياتشيت (hieroglyphs) Per- uatchet, أو Boûτos عند اليونانيين.

والتى كانت تقع فى أرض ياتشيت بمعنى النوم (hieroglyphs) السابع من الدلتا أو نفر ـامنت (hieroglyphs).

المعبد الذى كانت تعبد فيه الربة ويمثل دائرة نفوذها كان معروفاً فى كل العصور باسم PE-TEP بى ـتب (hieroglyphs) Pe-Tep, ويحتمل كما ذكر بروجيش أن يكون باى ـتشيبت PI-TCHEPET

باى تب هذا الاسم المزدوج يستدل من تكرار ذكره فى نصوص الهرم أن هيكل الربة كان بالغ القدم بالغ الشهرة.

وياتشيت دُمجت فى أزمنة مبكرة مع ايزيس وهناك من الأدلة مايؤكد أن حورس ابن ايزيس كان يُعبد أيضاً فى بر ـياتشيت وهكذا علينا أن نستنتج أن بى ـتب كانت مدينة ذات قسمين منفصلين تعبد ياتشيت ايزيس فى أحدهما ويعبد حورس فى الآخر وأن حورس كان يقطن (بى) PE, PI وياتشيت ايزيس تقطن تب أو تشيبت TCHEPT, TEP من بين أسماء المدينة المتنوعة الواجب ذكرها كان باى ـتشيبت (hieroglyphs) PI-TCHEPET وبى ـتيب (hieroglyphs) PI-TEP وفى عصور الأسرات المتأخرة كانت ياتشيت تدعى آب ـتاوى AP-TAUI بمعنى «فاتحة الأراضى» (hieroglyphs) وهواسم غيرمعروف. معناه المؤكد.



الربــــة ياتشيت

قرب مدينة الربة تقع جزيرة خبيبت [hieroglyphs] أو [hieroglyphs] أو [hieroglyphs] والتى ربطها عن حق الكتاب الكلاسيكيون بجزيرة أخرى تسمى Χέμβες أو Χέμμις تحيطها مستنقعات البردى [hieroglyphs] من كل جانب هذه الجزيرة التى كانت تدعى نا ــ اتيح NA-ATEH أو نازو NATHO لدى اليونانيين كان لها دور هام فى اسطورة ايزيس وحورس حيث اختبأت الربة بعد أن حملت بابنها فى مستنقعات البردى وعاشت هناك حتى اتمت شهور حملها وولدت حورس الذى أصبح بعد ذلك «المنتقم لأبيه». ويقال أن ست فشل فى العثور على مخبئها لأن الربة العظيمة بطريقة ما جعلت البردى ونباتات أخرى تسترها عن النظر وأن الربة ياتشيت زارتها وساعدتها فى ملاذها.

فى رسوم ونقوش للربة نجدها ممثلة على هيئة امرأة ترتدى على رأسها تاج الشمال [hieroglyph] وتمسك بيد من يديها صولجان البردى الذى ــ فى بعض الأحيان ــ يلتف حوله ثعبان طويل. وفى بعض الأمثلة الأخرى نشاهدها حاملة فى يدها تاج الشمال [hieroglyph] الذى على وشك أن تضعه على رأس الملك. وفى بعض المناسبات نجدها على هيئة ثعبان ضخم مجنح يضع على رأسه تاج الشمال. من ألقابها «ياتشيت ربة السماء» «ياتشيت ربة بى وسيدة تيب الجليلة القادرة» «ياتشيت ربة السماء سيدة كل الآلهة». «ياتشيت ربة نيبوى [hieroglyphs] Nebiui ربة نترتا NETERTA ربة بر ــ مينات [hieroglyphs] PER-MENAT ربة اميمت AMEMT "[hieroglyphs]".

بجوار هياكلها فى المدن التى ذكرت توا نجد أن هناك آخر تم انشاؤه وكرس لعبادتها ــ يبدو أنه ــ كان فى مدينة سبت [hieroglyphs] SEPT. أما الأفكار التى تكونت عن الربة وارتبطت بالموت فقد تم الإشارة عنها وتدوينها فى كتاب الموتى. ففى الفصل (XVII) ذكرت مرتبطة بالإله ريحو REHU [hieroglyphs] حيث دمجت بوضوح مع ايزيس وقيل أنها قد حفظت ابنها حورس بأن هزت شعرها فوقه بالرغم من أنها تظهر على هيئة ثعبان يلتف على ساق نبات البردى وتدعى «عين رع».

وفى الفصل (XLII) يقال أن كتف المتوفى هو كتف ياتشيت وفى الفصل (LXVI) يقول المتوفى «لدى المعرفة لقد حملت بى سيخيت ومنحتنى ميلادى الربة نيت أنا حورس ولقد ولدت من عين حورس (أى رع) أنا ياتشيت التى ولدها حورس.. أنا حورس وأنا أطير وأضع نفسى على جبهه رع فى مقدمة مركبه الذى فى السماء».

فى الفصل (CXXXVI) يقال أن المتوفى قد اصبح «رب ماعت» ( ) الذى صنعته الربة ياتشيت».

فى الفصل (CXXXVI) يقول: «أنا الجسد الروحى (سع حو) لرب ماعت الذى صنعته الربة ياتشيت».

وفى الفصل (CLXXIX) يقول: «جاء العدو إلى النهاية أسفلى فى حضور المحكين ولقد أكلته فى الحقل الكبير بدلاً من ياتشيت».

أخيراً فى فصل (CLXXII) تم تعريف عظام معينة فى رأس المتوفى بتلك التى لربتى ياتشيتى UATCHTI بمعنى نخبيت وياتشيت.

خلال طقوس التحنيط نجد أن الكهنة يخاطبون المومياء قائلين: «والربتان ياتشيت قد حضرتا داخلك على هيئــة حــيتين (عرعت) لتضمخا رأسك بلهبهما.. وهما قد انتصبتا بجوار الجانب الأيسر من رأسك وأضاءت الجانب الأيمن لمعبلك بدون كلام وهما قد وقفتا على رأسك خلال أى ساعة وكل ساعة من اليوم كما تفعلان لأبيهما رع. ومن خلالهما فإن الرعب الذى القيتاه فى الأرواح المقدسة قد تزايد ولأن ياتشيت ونخبيت رفعتا رأسيهما ولأن جبهتيهما أصبحتا جزءاً من رأسك حيث وجدتا لنفسيهما مكاناً كما فعلتا مع جبهة رع ولأنهما لم يتركاك أبداً فإن الخوف منك تأصل فى الأرواح التى صُنعت كاملة».

فى كتاب الموتى تلعب عموماً ياتشيت دوراً مدمراً لأعداء الميت وإن ظهر ارتباطها بماعت بكونها قد دمجت بإحدى الربات التى كانت إحدى قرينات تحوت.

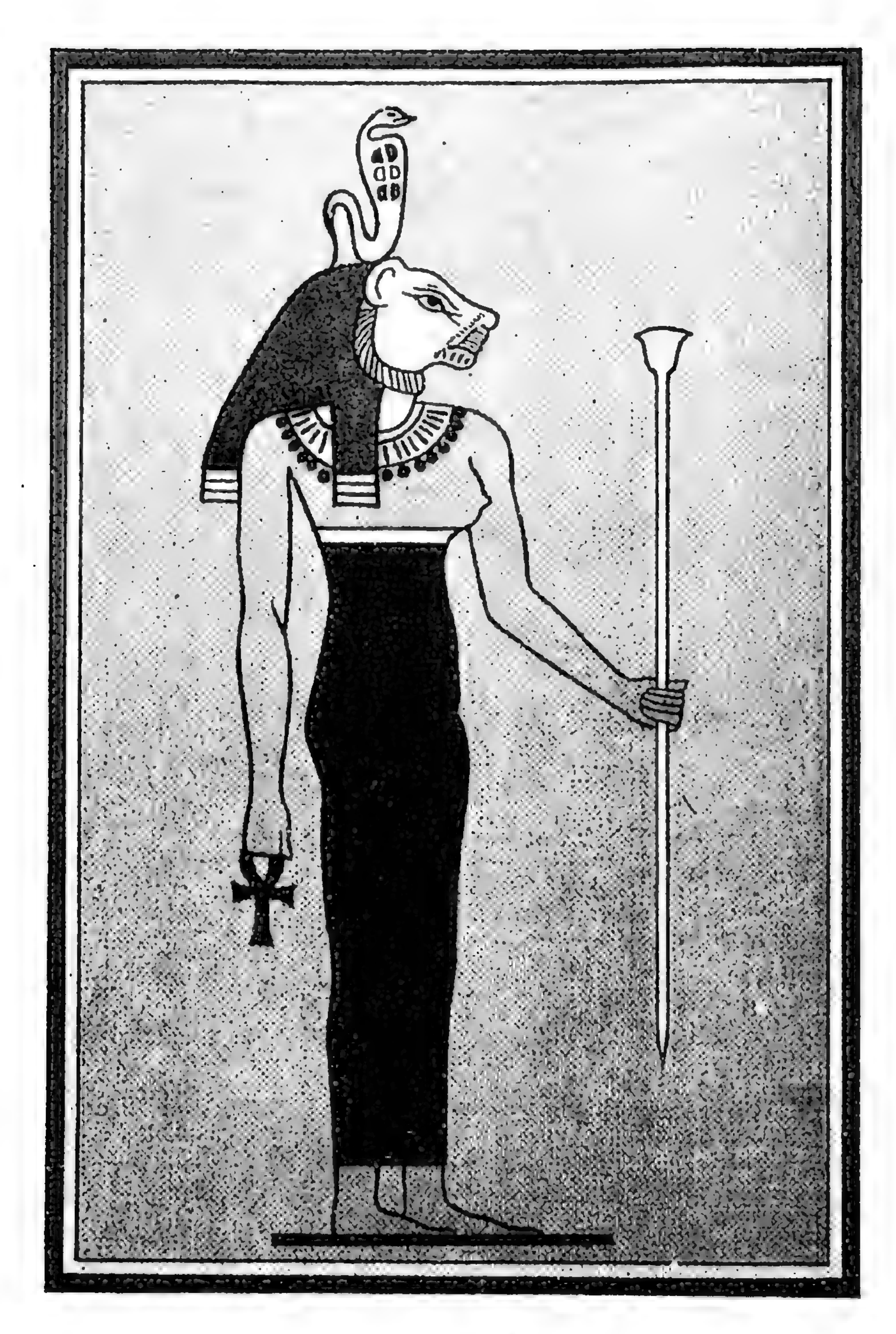
وياتشيت طبقاً لنتيجة مصرية قديمة قدمها بروجيش اعتبرت تحت اسم ابيت كربة الشهر الحادى عشر (ابيفى) من السنة المصرية.

باست ربة الشرق

باست كانت ربة ذات أهمية خاصة فى الجزء الشرقى من الدلتا وكان مركز عبادتها فى بر بست أو بابست أو بوباستيس عاصمة أم خنت النوم السادس من دلتا مصر.

هذه المدينة كان الكتاب الكلاسيكيون (هيرودوت، وديدروس وسترابو وبلينى) يشيرون إليها دائماً بالاسم الذى ورد فى التوراة أى بيبيسيز PIBESETH פִּי־בֶסֶת وتقع قرب تل بسطة حيث الأطلال التى حفر عندها م. نافيل واكتشف آثاراً هامة وحقق النقوش التى لازالت موجودة على بقايا المبانى التى كانت قائمة هناك فى يوم ما مؤكدة مدى قدمها.

طبقاً لجوليوس افريكانوس يقال فى النسخة المترجمة عن مانيزو MANETHO أنه خلال فترة حكم بويزوس BOETHUS أول ملوك الأسرة الثانية انشق فى بر باست خندق وأن عديداً من الأفراد قد هلكوا ولكن م. نافيل لم يجد فى الموقع أى آثار باقية من هذا العصر وإن كان قد اكتشف نقوشاً على أحجار لأسماء خوفو وخفرع ملكى الأسرة الرابعة مكتوبة بطريقة تدل على أنها قد حفرت خلال عصر الدولة القديمة كذلك وجد أن الاسم الوحيد الذى ذكر من بين أسماء ملوك الأسرة السادسة كان اسم بيبى الأول فقط الذى قيل فى مخطوطاته الجنائزية ــ كما نعلم ــ أن قلبه هو قلب بيستيت أى باست هذه الحقائق تظهر أن عبادة باست كانت بالغة القدم فى مصر وأنها استمرت خلال جميع العصور فى الدلتا وحافظت على مكانتها فى نظام هليوبوليس الكهنوتى.



الربـة بـاست

فمن نصوص بيبى الثانى يقال : «يا إله المدينة المزدوجة ( ) قرين بيبى يكون لاصبعيك.. بيبى انطلق للسموات مثل طائر الغرنوق، بيبى عطر السموات مثل صقر، بيبى طار عالياً مثل جرادة رع (فرس النبى)، بيبى يجب ألا يُرَد. أيها الملك ألا توجد أعشاب خضراء لبيبى يا باست ( ) ألا يوجد من يؤدى الرقصات لبيبى. (الذى وقف) مثل رجل عظيم عند الباب».

من الطبيعى أن نجد اسم باست فى نصوص الهرم لأن الناسخين الهليوبوليسيين قدموا العديد من الآلهة المحلية وحتى الأجنبية فى مجمعات الهتهم وان كان من النادر أن نجد فى نسخ كتاب الموتى الطيبى THEBIAN المنقح ذكر لباست أو مدينتها كما أن اسمها قد حذف تماماً من قائمة الآلهة المذكورة فى الفصل (XLII) الخاص بالأعضاء الإلهيين.

فى الأعتراف السلبى الفصل (CXXV) ذكر محكم يدعى زنمى THENEMI بمعنى «هو الذى يعود القهقرى». والذى يقال أن باست قد أنجبته ومحكم آخر اسمه باستى Basti, يقال أنه قدم من مدينة شيتايت SHETAIT الربة باست كانت تصور ـ عادة ـ على هيئة سيدة برأس قطة ذلك الشكل الذى عُبدت عليه فى الأزمنة الأولى. وفى بعض الأحيان ـ يحتمل أن يرجع ذلك إلى عصور متأخرة نسبياً ـ كانوا يستبدلون رأس القطة برأس لبؤة يعلوها ثعبان وكانت تقبض بيدها اليمنى على صلاصل (شخاليل) وباليسرى على درع يعلوه رأس قطة أو لبؤة.

وباست كما وجدنا فى بعض المدونات كانت تقرن برعت Rât, وفى بوباتيس الجنوب أى دندرة كانت تعتبر ـ بصفتها ـ تمت TEMT قرينة تم وطبقاً لأسطورة أخرى كانت تجسد روح ايزيس وكانوا يدعونها «عين رع» أو «عين تم» أو شيتات Shetat, أى المستورة ومع ذلك اعتبرت من وجهة نظر ما ـ بشكل

غير مؤكد ــ بسبب تعاونها مع الإله ست «رب المشرق» أنها ربة غير مصرية وأنها استعارت صفاتها من ربة غربية.

فى دندرة كتيمت كان يقال أنها «أم الإله ذى رأس الأسد المزدوج ارى ــ حيس Ari-hes. رب افروديتوبوليس السخم المقدس الذى يسكن معبد باست بدندرة». وفى هذه الحالة كان زوجها أحد أشكال ايزوريس الرب ان AN.

فى طيبة تم تعريف باست بموت MUT ربة أشيرو وفى ممفيس بموت ويانشيت وفى هليوبوليس ايوسعاسيت وفى النوبة بسيخيت ومنميت وفى مدينة بالدلتا (مدينة براسيت فى الغالب) سميت سيخيت . فإذا بحثنا عن مشتقات كلمة باست فى اللغة المصرية فسنجد أن من الواجب ربطها بكلمة بس bes نار «واعتبار أن الربة بذلك تجسيد قدرة الشمس التى تظهر نفسها على هيئة حرارة. وجهة النظر هذه مؤكدة فى عبارات عديدة من النصوص المصرية حيث تم ذكر كل من باست وسيخيت بطريقة قريبة جداً من كونهما تجسدان شكلين انثويين لحرارة وضوء إله الشمس وحيث كان دورهما تدمير كل من أعداء رع والموتى.

وهكذا يقال عن سيخيت فى كتاب «هزيمة ابيب» (XXVII) «سقطت عين حورس فوقه تقطع وتحز رأسه من فوق رقبته والربة سيخيت قطعت أمعاءه ودفعت بها إلى النار بساقها اليسرى ووضعتها فوق النار وأشعلت (فيه) باسمها «ست يوسرعت ــ عا» () (ثم) أخرجت روحه من جسده لقد تغلبت عليه باسمها () سيخيت وتفوقت عليه باسمها (نحوت ــ نيبات) () أى «عين اللهب» وهى قطعت ما بداخله وشوته باللهب الخارج من فمها».

وهكذا تعتبر سيخيت بشكل عام تجسيداً للشعلة الحارقة والحرارة المدمرة للشمس وباست الحرارة المعتدلة التى تعمل على نمو المزروعات وتفتح البذور فى مراحل معينة من اليوم والسنة.

وهكذا فكون سيخيت وباست ربتى النار واضح للغاية لأنها تماثلان حتحور فى صفتها « كعين لرع » وكرمز لحرارة الصيف المتأخر والمبكر ولقد قيل من قبل أن باست تجسدت أو اندمجت مع موت فى طيبة تحت اسم (موت ـ باست) ورسمت كايزيس وهى تضع على رأسها ريشات الإله شو والقرنان اللذان يضمان قرص الشمس بينهما. الإله الذى تكون فى هذه الحالة قرينته هو «امون ـ رع ـ خيبرا ـ حيروخيتو» الذى يمثل برأس صقر مرتديا تاج شو والإله الذى انجبه الهـان هو خينسو

هذه الاعتبارات تقودنا إلى أن باست كانت تجسد فى كل مراحل عصر الأسـرات القمر خصوصاً عندما نتذكر أن خينسو كان الهاً قمرياً.

الرسومات المخصصة للربة برأس لبؤة كانوا عادة مايصبغونها بلون أخضر كرمز لضوء الشمس أما فى الحالات التى كان لها فيها رؤوس قطط فكانت ترتبط ـ بدون شك ـ بالقمر.

دكتور بروجيش يشير إلى ملاحظة لبلوتارش بأن بؤبؤتى عين القطة يصلان إلى أقصى اتساع لهما عند اكتمال القمر وهو يستنتج من هذا أن من المحتمل أن يكون المصريون البدائيون قد توصلوا إلى نفس هذه الفكرة مما يفسر أسباب ربطهم بين الربة باست ذات رأس القطة والقمر.

وباست كانت تعتبر ذات تأثير خاص على الحوامل من النساء وكانت تظهر فى مناسبات عديدة كربة لغرفة الولادة وابنها خنسو يعلن «أنه سيجعل النساء مثمرات وسيجعل النطف البشرية تنمو فى رحم أمه». وهو يفترض أنه سيقوم بهذا بصفته «حامل ضوء القمر».

من كتابة على لوحة تاريخية عرفنا أن الاحتفالات الرئيسية للربة بوباستيس BOBASTIS كانت تقام خلال شهرى ابريل ومايو ولقد زودنا هيرودوت بمعلومات هامة عن أحد هذه الاحتفالات حيث قال «مثل هذا الشعب فى نقائه وإخلاصه وحميته وتدينه الفائق يجدر ملاحظة تصرفات أفراده ـ الذين صاغوا حياتهم على

هذا المنوال ـــ فى العيد المقام عند باستيس. فهم يخصصون قوارب معينة يبحر فيها أعداد لا نهائية من الرجال والنساء فى اتجاه المدينة.

وبينما هم يجدفون فوق الماء بهذه الوسيلة الموسمية نجد أن نساء محددات يقرعن الطبول والدفوف محدثات ضجة وأصوات عالية ورجالهن ينفخون فى المواسير (المزامير) وهم خلال استخدام تلك الأدوات يصفقون بأيديهم ويغنون بأصوات غاية فى الارتفاع. وعندما يصلون إلى أى مدينة تستمر بعض النساء فى لهوهن ودقهن للدفوف بينما يسب آخرون ويشتمون سيدات المدينة بألفاظ تتجاوز كل الحدود. والعديد منهم يهزلون ويرقصون بينما يخلع آخرون ملابسهم ويكشفون عن أجسادهم بوضوح دون أى خجل. وهم يفعلون هذا فى كل المدن القريبة من شاطىء النهر.

وعندما يحتشدون ويتجمعون معاً فى بابستيس يمجدون يوم العيد بخشوع يقدمون القرابين الوفيرة غالية التكاليف لديانا ويسكبون من نبيذ العنب ما يفوق كل ما يستخدمونه خلال العام. لهذا المكان يحج سبعة آلاف من الرجال والنساء عدا الأطفال ويمضون الوقت فى بوباستيس».

وعن المدينة كتب نفس المؤلف يقول:

«المدينة النبيلة بوباستيس تبدو مرتفعة كثيفة الخضرة. فى هذه المدينة يوجد معبد ذائع الصيت مكرس لعبادة الربة بوباستيس والتى نطلق عليها بلغتنا ديانا». وإن كان هناك أيضاً معابد أخرى تفوقه من حيث الحجم أو ثراء التأثيث حتى أنه لا يوجد ما يمكن مقارنته بجمال مناظرها وتناسق مبانيها.

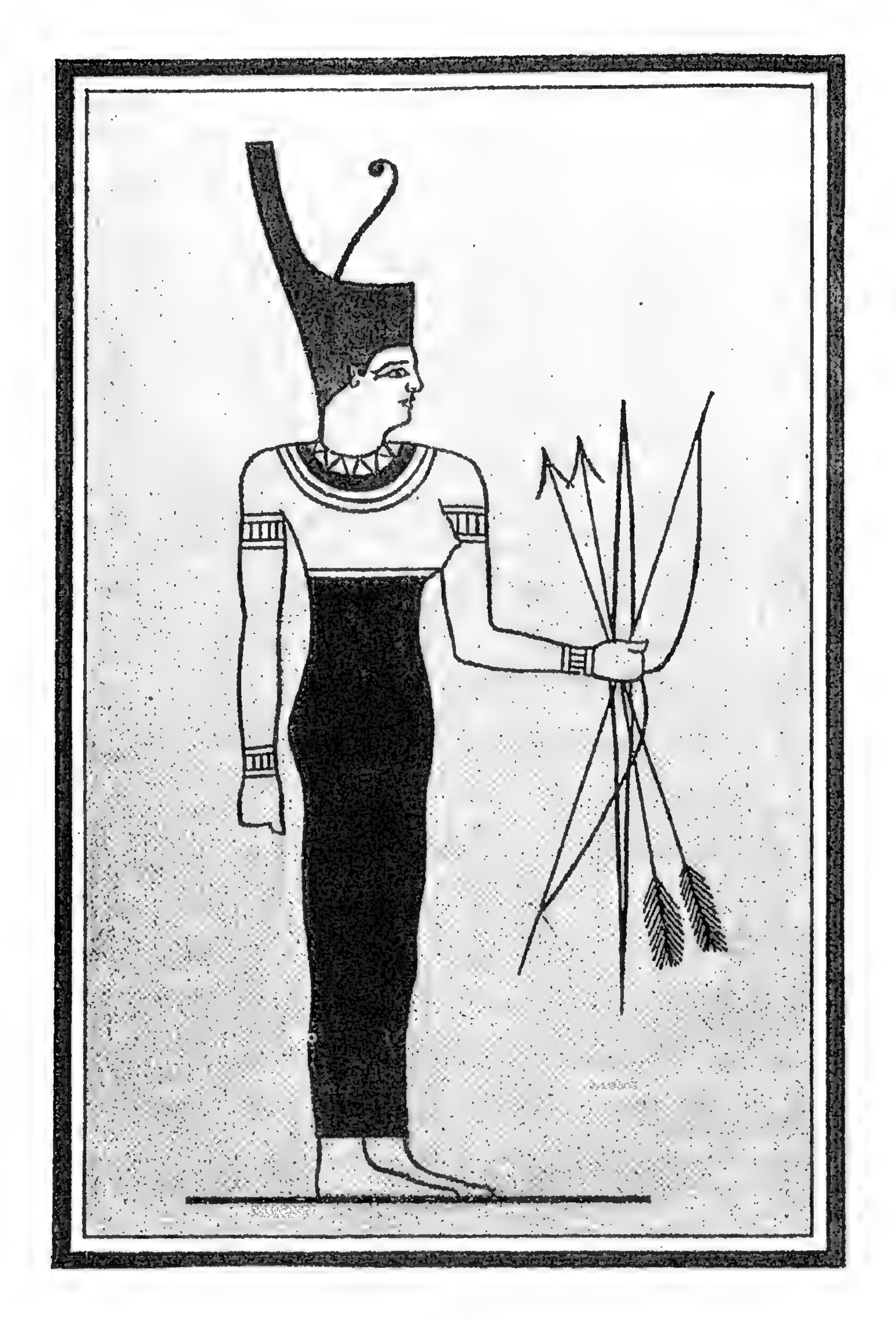
بالإضافة إلى المدخل المؤكد والطريق الذى يقود إلى المدينة نجد أنها محاطة بجدولين متفرعين من نهر النيل بحيث تشبه جزيرة. والجدولان اللذان يجريان على جانبى الممر ويتباعدان كما لو كانا يحصران فيما بينهما جسراً أو حارة.. لا يلتقيان بل يكمل كل منهما مساره فى طريق آخر.. هذان الذراعان المتدفقان عرض كل منهما مائة قدم وعلى ضفافهما مزروع أشجار ورافة تغطى الماء وتكسبه برودة وظلاً ممتعاً.

البوابة أو المدخل ارتفاعها عشر خطوات وعلى مقدمتها نقش جميل يقاس بستة اذرع والمعبد نفسه يحتل وسط المدينة واضح لرؤية هؤلاء الذين يتحركون منه أو إليه. لأنه رغم أن هذه المدينة نُظمت ورُفع منسوبها بإضافة تربة جديدة لها إلا أن المعبد بقى منتصباً ــ كما كان فى البداية ولم يتزحزح أبداً ــ على هيئة برج جميل ثابت يمكن رؤيته بوضوح من أى مكان فى المدينة. وحوله يوجد حائط مزين بالرسوم ووجوه الحيوانات. والمعبد من الداخل محاط بحديقة (غابة صغيرة) من الأشجار العالية غُرست وزُرعت بأيدى الرجال ومن صنعهم.

فى هذا المعبد المشار إليه ينتصب تمثال. وطول المعبد فى كل اتجاه فيورلنج (٢٢٠ ياردة) ومن المدخل الشرقى للمعبد طريق طويل جميل يقود إلى مسكن «ميركيورى» طوله ثلاثة فيورلينج وعرضه أربعة أفدنة مكسى كله بالحجارة الجميلة وعلى كل من جانبيه صف من الشجر العالى المهذب الذى زرعته أيدى الرجال وهكذا وصف المعبد كما لمسته».

من رأى بروجيش أن ثالوث المدينة الأكبر كان يتكون من ايزوريس وباست وابنهما الذى يسمى حيرو ــ حيكنو [hieroglyphs] نيفر ــ تم وهو الثالوث الذى يماثل تم وايوسعاست ونفر ــ تم لدى هليوبوليس أو بتاح وسخيت ونفر ــ تم فى ممفيس أو آمون رع حيروخيتو وموت ــ باست وخنسو أو حورس، أو نب ــ عوت ــ اب فى طيبة أو ايزوريس ــ ان وباست ــ تمت وارى ــ حيس فى افروديتوبوليس.

وفى نوم بوباستيس كان هناك معابد محلية كثيرة عبدت فيها باست بشكل رئيسى من بينها يمكن ذكر بير است (بلبيس حالياً) [hieroglyphs] ونترت [hieroglyphs] Netert, [hieroglyphs], or [hieroglyphs] حيث حفظ فخذ ايزوريس [hieroglyphs] واُوصد عليه فى «صدر مستور».



الربة نيت

نيت [hieroglyphs] أو [hieroglyphs] أو [hieroglyphs] أو [hieroglyphs] NET
ربة الغرب

نيت أو نيز NET OR NEITH كانت من أقدم ربات المصريين ــ وفى الغالب ــ كانت عبادتها منتشرة حتى فى عصر ما قبل الأسرات ولقد حاول بعض علماء المصريات معرفة صفاتها الأولى عن طريق تحليل اسمها بواسطة علوم الصرف أو شرح الأشياء التى قبضت الربة عليها بيديها ولكن النتائج كانت فى عمومها غير مقنعة لأنها وضحت ــ فقط ــ وجهات النظر التى حددها لها المصريون فى عصور الأسرات المتأخرة.

النماذج التى أعاد تصويرها لانزون تمثل الربة على هيئة سيدة ترتدى على رأسها تاج الشمال [hieroglyph] وتقبض بيد على صولجان على هيئة [hieroglyph] أو [hieroglyph] وباليد الأخرى رمز الحياة ولكن فى بعض الأحيان نجد أن اليد القابضة على الصولجان تمسك أيضاً بقوس وسهمين ترمز لخصائصها، فى أحد الرسومات ظهرت على هيئة بقرة مطبوع على جانبيها ثمانية عشر نجماً وحول عنقها ياقه يتدلى منها [hieroglyph] وعلى ظهرها أسد برأس كبش له قرنان وفرعا نخل [hieroglyph]. البقرة تقف فى قارب مقدمته تنتهى برأس أسد فوقها قرص مزدوج بجناحين أما مؤخرته فتنتهى برأس كبش وأمام الساقين الاماميتين للبقرة يوجد ياتشيت [hieroglyph] utchat. هذه البقرة توصف بأنها «نيت البقرة التى منحت لرع ميلاده» [hieroglyphs] وفى رسم آخر كانت تمثل ببقرة يرضع عند كل ثدى من ثدييها تمساح.

ولاشك أن نيت لم تكن أكثر من صورة من صور حتحور فى زمن الأسرات المتأخرة رغم أنها فى العصور المبكرة كانت تجسد ــ بالتأكيد المحيط ــ المائى الأولى الضخم الساكن الذى انبثق إله الشمس رع من داخله ومن الممكن لذلك ــ كما يرى بروجيش ــ أن يكون اسم نيت قريباً من معنى نوت .

فى نفس الوقت إذا ربطنا بين اسمها والفعل netet, نيتيت والذى يعنى « يحيك أو ينسج » فيمكننا بالمثل أن نقبل وجهة نظر هؤلاء الذين يصفون نيت أنها ربة النسيج والتى يعبر عنها بالعلامتين أو اللتين نراهما دائماً فوق رأسها مع مكوك .

على أى حال من الواضح تماماً أن الرموز الأقدم والأكثر تعبيراً عن الربة كانت القوسين والدرع وهى الرموز التى شكلت ــ فى الفترة بالغة التبكير ــ الشعار المميز للربة وللمدينة التى يقع بها معبدها الرئيسى ولمكونات اسم النوم الذى عاصمته مدينة سايس . وبالتالى لايوجد سبب معقول للشك فى أنها كانت منذ البداية إما ربة للحرب أو المطاردة ومن المحتمل أنها كانت تجسد روح الغابة المحلية أو روح الصيد اللتين كانتا تعبدان فى شرق الدلتا فى عصر ما قبل التاريخ .

على أى حال من المؤكد عندما نستعرض الخصائص التى نُسبت إليها فى النصوص أن نفهم أنها كانت تمثل ربات عديدات تلك التى جاءت كنتائج لأفكار مراحل متباينة من التاريخ وفترات مختلفة من الحضارة وهكذا ومع مرور الزمن لم تعد تتميز صفاتها عن صفات ايزيس ورياتشيت وسيخميت وباست وموت ونخبيت والربات الأخريات وكانت تدمج مع واحدة منها أو معها جميعاً بالتناوب .

هيكل نيت الأكثر قدماً وشهرة كان فى سايس عاصمة النوم الخامس من مصر السفلى الذى يحمل اسم سابى ــ ميحت و «Sapi-meht, أو « سابى الشمال » والذى كان يسمى أيضاً حيت ــ نيت Het Net, أى « سكن نيت » واست ــ نيت Ast-Net» أى « مقعد نيت » .

وهناك اسم نادر للمدينة قدمه بروجيش ودى روج وهو سابى SAPI
or ومن النصوص نجد دائماً ذكراً « لمعابد نيت »
بمعنى معابد الآلهة التى كانت تعبد مع نيت فى سايس.

أسماء هذه المعابد كانت : هيت ـ خيبيت Het-Khebit, ريسينت
ومهينيت , Resenet, Mehenet بير ـ رع Per-Râ, وبير ـ تم
Per-Tem,

معبد نيت الكبير فى سايس يجب ـ بطبيعة الحال ـ ألا نخلط بينه وبين ذلك الذى فى سايس الصعيد أى « اسنا » والذى يسمى بر ـ نت ـ موت ـ خيبر ـ هاتش أما اسنا فلها اسمان انى Ani, وسينى Seni.

فى سايس كان يعقد كل عام عيد كبير مكرس لايزيس ـ نيت ولقد وصفه هيرودوت بالكلمات الآتية :

« بطريقة مماثلة نواجه (كما حدث من قبل) عند الاقتراب من مدينة سايس ـ (حيث تقام الشعائر والطقوس الخاصة باليوم) ـ مع حلول المساء بأنهم قد زينوا منازلهم بمشاعل ومصابيح تضىء عن طريق ملئها بزيت نقى مخلوط بالملح وهم يحافظون عليها مشتعلة باستمرار حتى الصباح التالى مسمين ذلك اليوم « بعيد المصابيح » . مثل هذا ليس كل ما يخص العيد فهم ـ بالإضافة له يمجدون الليلة بأن يضعوا عدداً لا نهائياً من الشموع الرفيعة المخروطية فى كل ركن من أركان منازلهم وهى عادة لا تتم فى سايس فقط بل تنتشر فى طول المنطقة وعرضها .

ولكن على أى شىء تنتهى هذه الليلة التى تجعلها اضاءة المصابيح جليلة ؟ هم يعزفون لسبب دينى ـ يجب أن نحافظ على سريته ـ نوعاً معيناً من الموسيقى » .

وبعد أن يصف مكان المعبد فى سايس حيث دفن ابريز APRIES ويذكر « الغرفة الجميلة المبنية بالحجر المحلاه بأكتاف متنوعة مصبوغة مثل النخل والتى هى فى نفس الوقت فاخرة وملكية الزخرفة » .

و «العمودين الرئيسيين اللذين فى وسط الحجرة واللذان يوجد بينهما التابوت» و«المقبرة التى فى نفس المكان المسمى من قبل». يقول: «ولا أستطيع أن أشاهد هذا بدون كسر لتعليمات العقيدة». ثم يتكلم بعد ذلك هيرودوت عن أمور أخرى متصلة بسايس فيقول: «فى سايس فى معبد مينرفا تحت الهيكل قرب حائط مينرفا فى قدس الأقداس توجد مشابك ضخمة من الحجر حيث يلاصقها مكان منخفض على هيئة جُب مغطى بحجر غريب غشيم، القبو نفسه من كل جهة محفور بفن غاية فى الجمال ويعادل فى ضخامته هذا الذى فى ديلوس DELOS والذى يسمى تروكويدس TROCHOIDES هنا كل فرد يتقى ظلاله الخاصة والاشباح فى الليل والتى يسميها المصريون الأسرار التى تتصل بما حرمه الإله وكان لابد من المغامرة لاكتشافها حتى يتعطفوا ويدلونى عليها».

و«الأسرار» المشار إليها هنا يمكن أن تكون تلك الطقوس التى تقام لإحياء ذكرى عذابات وموت ايزوريس والذى ــ طبقاً لأسطورة قديمة ــ دفن فى سايس.

والآن قبل أن نناقش مدى قدم عبادة نيت فى سايس سنسوق الكثير من الأدلة على أن تاريخ عبادة هذه الربة يرجع إلى الجزء الأخير من فترة عصر ما قبل الأسرات.

فأول أسماء نيت وأقدمها وجدناه منقوشاً على ظهر صندوق وآنية عاجيين حيث كان اسم الربة مقروناً باسم حتب مكونا اسم نيت ــ حتب.
ونيت حتب كما نعلم كان لها صلة ما بالملك سما ويبدو أنها كانت زوجة الملك قها ÂHA, والذى كان من الشائع ــ ولكن دون دلائل كافية ــ أنه هو مينا أول الملوك التاريخيين فى مصر.

عموماً سواء كان قها هو مينا أم لا فالأمر لا يعنينا كثيراً بصدد ما نحن فيه لأنه من المؤكد أن كلا من سما وقها كان حكمها فى بداية فترة الأسرة الأولى.. وهكذا فاسم الربة التى كونت جزءاً من الاسم الملكى نيت ــ حتب يجب أن يكون على نفس الدرجة من القدم. بل يمكننا أن نقول أن الربة نيت كانت تعتبر خلال الأسرة الأولى ربة قديمة.

كذلك نحن نعرف أنه خلال الأسرات الأربع الأولى كان للربة هياكل فى أجزاء عديدة من مصر وأن العديد من كهانها وكاهناتها قد دفنوا فى مصاطب قرب سقارة .

ولقد اقتبس مستر مالليت MALLET فقرة هامة من تابوت حجرى لـ« عب ـ عنخ » يخاطبها فيها ـ هى ـ وأنو نو وأنو نو ونسرت اللتين كانتا من أقدم الربات ويعلن بأن نيت قد انبثقت من الإله وأن الإله قد ظهر منها .

وهكذا نرى أنهم فى الأسرة الرابعة كانوا يعتقدون أنها كانت فى نفس الوقت أما وابنة لإله الشمس رع كما كـان لها أكثر من هيئة . وأنها كانت تمتلك أيضاً القدرة على أن تحبل وتلد إله الشمس الجديد كل يوم بواسطة وصفات آلهية وسحرية كانت مزودة بها .

أحد الألقاب المبكرة لهذه الربة كان ايت ـ يات أى « فاتحة الطريق » والذى يُظهر أنها كانت بشكل أو آخر القرينة الانثى لأنوبيس .

فى نص يونس (سطر ٦٧) نجد أن « معابد نيت » قد ذكرت جنباً إلى جنب مع مدينة تيب TEP وأن اسم الربة قد ازدوج مع اسم تاتيت TATET والتى كان يفترض أنها تُلبس الميت .

وهكذا يتضح من الجملة أن نيت ـ كما يعتقدون ـ كانت تقوم ببعض الشعائر الهامة التى يبدو أنها كانت ذات طابع سحرى ومتصلة بالحفاظ على جثة الميت من التعفن .

ويجدر الإشارة هنا إلى ما ذكر فى الكتاب الذى نشره ماسبيرو أخيراً باسم « طقوس التحنيط » من تعليمات خاصة بوضع قطعة قماش من الكتان مرسوم عليها صور ملونة لحابى وايزيس فى يد المتوفى والتى كان المقصود منها أن تكون تميمة وتمنح المومياء حماية نيت التى أشير إليها باسم ايزيس حيث تم تعريف ايزيس بنيت .

فى نص يونس (سطر ٥٩٧) نجد الابتهالات الآتية:

المجد لك ياحورس فى ملكوت حورس.

المجد لك ياســت فى ملكوت ســت.

المجد لك آرير (AARER) فى سيخيت آرير

المجد لك يانيتز عــاب NETET-THAAB ()

أنت ابن لتلك الآلهة الأربعة التى فى المعبد العظيم الذى لاينتهى صوت يونس منه.

اخلعى ردائك ليتمكن يونس من رؤيتك كما يرى حورس ايزيس.

وليتمكن يونس من رؤيتك كما يرى نيحبو ــ كاو () سيلكيتو وليتمكن يونس من رؤيتك كما يرى سيت نيتت زاعب.

بعد ذلك بقليل (سطور ٦٢٠، ٦٢٧) لدينا إشارة أخرى عن نيت وابنها سوبيك بهذه الكلمات «جاء يونس على هيئة خنت ــ ام ــ ميبت ــ أكيبا يونس هذا هو سوبيك ذو الريش الأخضر الذى يراقب والذى يرفع جبهته وهو الأبيض الذى انبثق من فخذى خيبسيت ــ ارت () الذى هو فى الضوء.

يونس حضر إلى غدائره التى على ضفاف قنال () محيت ــ اورت () فى المكان الذى تزدهر فيه العطايا وفى الحقول التى فى الأفق وهو قد جعل حدائقه تزدهر على ضفاف الأفق.

يونس قد أحضر البللورة () للعين العظيمة التى فى الحقل.

يونس اتخذ مجلسه فى الأفق وأشرق مثل سوبيك ابن نيت () أكل بفمه وأفرغ ماء... الخ».

وفى نص تيتا (سطر ٢٠٤) ذكرت نيت بالارتباط مع ايزيس ونفتيز وسيركيت حيتو كواحدة من الربات

الأربع التى تقذف اللهب وتعمل على «حمايته» بدلاً من الإله نو عندما يجلس على عرشه.

تلك الربات الأربع تظهر أيضاً مرتبطة بأطفال حورس التى تساعد فى الحماية بواسطة وسائل سحرية لأجزاء مختلفة من الأجساد البشرية التى توضع فى الأوعية الجنائزية.

وهكذا تقول ايزيس: «أنا أهزم الشيطان أنا أحمى امسيز AMSETH الذى بداخلى».

ونفتيز تقول: «أنا أخبىء الأشياء المستورة وأنا أحمى حابى الذى بداخلى».

ونيت تقول: «أمضى النهار وامُضى الليل لكل يوم فى حماية تواموتيف الذى بداخلى».

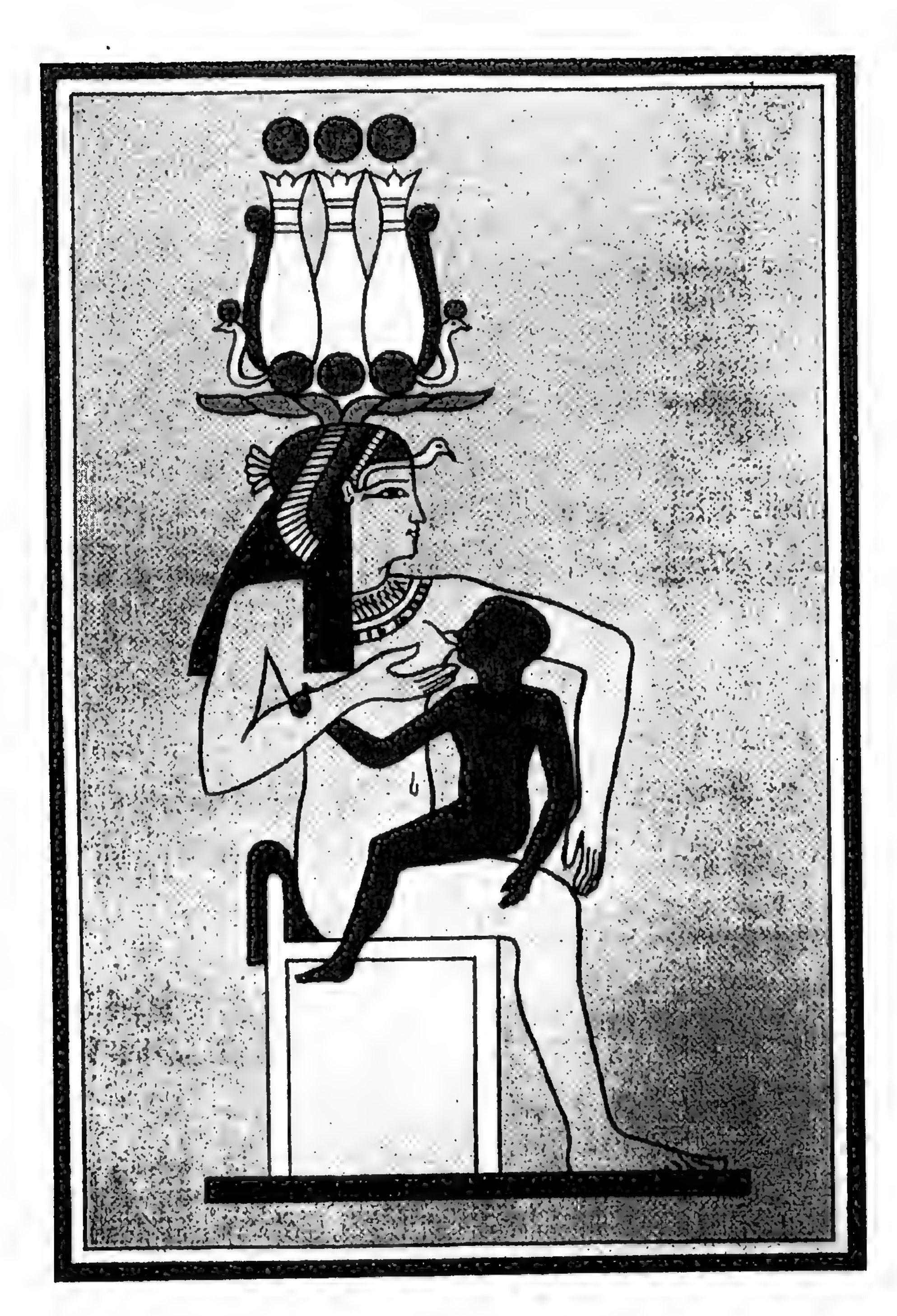
وسيركت تقول: «أنا أوظف كل يوم فى عمل حماية لكيبهسنوف الذى بداخلى».

الكلمة المصرية المستخدمة هنا للدلاله على «حماية» هى سا SA وهذه الصفة تمثل بعقدة من نوع خاص. والجزء المعقود والحبل المربوط بطرق مختلفة لعب دائماً دوراً معروفاً فى الطقوس السحرية لا يحتاج لشرح.

وكل ما سنشير إليه هنا أن العلامة تعبر عن أن الحماية التى تقوم بها نيت بالنيابة عن الميت يجب أن تكون ذات طابع سحرى.

وجهة النظر هذه تدعمها فقرة من نصوص يونس والتى نجد فيها أن نيت قد ذكرت مرتبطة بالربات أنا ana ويورت urt ونيسيرت ويورت هيكاو URT

والربة يورت هيكاو هذه يقال فى النص بوضوح أنها «القوة الحامية لعين حورس» مما يعنى أن الربات الأخريات ومنها نيت يجب أن يكون لها طبيعة طيبة.



الربة سوبيك ـ نت ترضع حورس

من نص بيبى الأول وفى الفقرة المرتبطة بتأليه أعضاء المتوفى يقال أن أشياء بيبى هى «نيت وسيركت» وفى نسخة طيبة المعدلة من كتاب الموتى نجد أن ذراعى المتوفى يُعرفان بأنهما الذراعان الأماميان لربة سايس أى نيت.

كذلك فى هذه النسخة نجد أن المتوفى يُصرح بأن الربة سيخيت قد حفظته وأن الربة نيت قد ولدته.

وفى الفصل (LXXI)، نقرأ «أنظر إن الإله ذو الوجه الواحد معى.. الإله سوبيك وقف داخل أرضه والربة نيت وقفت داخل زراعتها».

وفى مكان آخر (CXVI CXIV) نقرأ أنها قد أشرقت فى مدينة ماتشات أو مينتشات وفى الفصل (CXVI) يقول المتوفى «أيتها الآلهة يا من تسكن فى خينمو أنت تعرفينى كما أعرف أنا الربة نيت».

وفى وصايا الفصل (CLXII) التى صاحبها رسم على هيئة ثعبان يقف على أرجل وعينا «ياتشيت» تقفان أيضاً على أرجل نجد تعليمات بأن فى بؤبؤ عين أحد الياتشات سيرسم شكل «الإله رافع يده» مع وجه نيت ويكون لديه ريش على الظهر يشبه ذلك الذى لصقر.

وفى نص واحد على الأقل كان واضحاً أن نيت يجب أن تكون أحد أشكال قدرة عين حورس مثل مالايزيس والدته.

أما ابنها سوبيك فهو شكل محلى من أشكال حورس ومن المحتمل أن التمساحين اللذين يشاهدان مصاحبين لها واللذان ذكرا من قبل يرتبطان بشكل ما بالإله حنتى Henti الذى يرمز له بتمساحين.. وهناك أسباب قوية تجعلنا نعتقد أن أحد أشكال ايزوريس ـ عموماً من المحتمل أن يكون ـ أحد التمساحين الذى يمثل حورس أو ايزوريس وأن الآخر هو هيتش ـ نفير ـ سيبيك ابن نيت.

لسوء الحظ ليس لدينا أى وصف للشعائر الخاصة بعبادة نيت ولكن هناك من الأسباب الكافية ما يجعلنا نعتقد أنها كانت ذات طابع أسطورى . وأنه كان يجرى عليها من وقت لآخر بعض التعديلات طبقاً لتغير اعتقادات الكهنة وإن كان من المحتمل أنها كانت تضم تمثيلاً لبعض عمليات التكاثر والتناسل استنتاجاً من صفات الربة التى يعتقد أنها كانت فى البداية مماثلة لتلك التى للربات المحليات بالدلتا أو لربة الطبيعة الليبية .

يدعم وجهة النظر هذه الألقاب العديدة التى أطلقها المصريون فى نصوصهم عليها وعلى الربات المماثلات لها . وهكذا فمثلاً ايزيس هى أول من ولدت إلها وحتحور كانت «البقرة العظيمة التى ولدت رع» وكانت تسمى «الربة العظيمة الوالدة لكل الآلهة» ورعت بمعنى «زوجة رع» «ربة السماء وسيدة كل الآلهة التى جاءت للوجود فى البداية» ومن نص اقتبسه م . ماليت كانت تسمى فعليا بالواحدة ONE وهو ما يدل على أنها فى فترة معينة من تاريخها كانت ربة كل ما كان رع إلهاله .

ولقد ألقى نقش وجد على تمثال حامل الهيكل الشهير لياتشيت حيرو والمحفوظ الآن فى الفاتيكان بعض الضوء على تاريخ نيت وإن كان علينا أن نتذكر أن هذا الأثر لا يرجع إلى زمن أقدم من بداية العصر الفارسى .

ويانشيت ـــ حيرو هذا كان مسئولاً ذا مكانة عالية فى سايس فهو كاهن نيت الأعظم وكان يحمل اللقب الرسمى «ار ـــ صن» UR-SUN بمعنى «ذو العلم العظيم» وكان آمر أوعية أحمس الثانى وهو الذى استقبل قمبيز عندما ذهب لزيارة سايس بعد فتحه لمصر وشرح له مدى قدم وعظمة الربة نيت وقاده خلال الهياكل المختلفة التى تم تجميعها معا فى معبدها .

ومن النص نعرف أنه خلال مجرى حديثه مع الملك قال له أن نيت هى الأم القديرة التى ولدت رع وهى أول من أنجبت أى شىء وأنها فعلت هذا عندما لم يكن قد وُلد أى شىء آخر وأنها نفسها لم تولد أبداً .

ولسبب أو آخر وجد ياتشيت ـــحيرو حظوة فى عين قمبيز لأنه كما يقول النص قد قدم الهبات «تماماً كما فعل كل ملك إله آخر» ولقد أنفق ياتشيت ـــحيرو الأموال التى قدمها قمبيز فى ترميم المدارس التى كانت قد تهالكت وتأسيس جامعة لكهنة سايس.

وشهرة نيت وتقاليد عبادتها كانت سائدة بين الكتّاب الأغريق فعلينا أن نتذكر أن بلوتارش قد أشار لنقش على تمثال بالاس PALLAS مكتوب فيه «أنا كل شىء.. الذى كان والكائن الذى سيكون ولم يوجد أبداً ذلك الذى يستطيع أن يكشف أستارى».

فى مكان آخر فصل (LXII) قال أن المصريين كانوا دائماً يسمـــون ايزيس بأثينا والتى تشير «لقد جئت من نفسى». وحتى الآن لاتوجد بين النقوش الهيروغليفية المعروفة لنا مايمكننا أن نعرف منه أصل هذه العبارة اليونانية.

ولاشك فى أن بلوتارش عندما كتب مؤلفه الشهير عن ايزيس وايزوريس قد ترجم بالكلمات تلك الأفكار التى كانت شائعة حول الربة نيت.

فى عبارة عن بروكليس PROCLAS الذى ترجم لليونانية نصاً مصرياً يحتوى على تعبيرات شديدة القرب من تلك التى لبلوتارش نجد أن بعد الكلمات اليونانية *Tòν ἐμὸν χιτῶνα οὐδεὶς ἀπεκάλυψεν, ὃν ἐγὼ καρπὸν ἔτεκον, ἥλιος ἐγένετο,* جعلوا الربة نيت تقول والتـــى تعكـــس بدون أى شك بدقة مناسبة معنى اللقب المصرى «نيت الأم القديرة التى ولدت رع». والكلمات التى جعلوا الربة تقولها أى «أنا التى كنت والكائنة والتى ستكون» كما يشير م. ماليت «هى تنويعات على اسمها انت ent أو انتيت entet بمعنى شخص أو شىء الذى هو أو الموجود أو الذى كان موجوداً».

بكلمات أخرى اعتبر المصريون نيت كائناً ذا مكانة خاصة بمعنى الكائن الذى كان خالداً وأبدياً.. الخالق.. ذو القدرة الحاكمة فى السماء والأرض والعالم السفلى ولكل مخلوق أو شىء بداخلها.

وعلى العموم عندما جعل بلوتارش نيت تقول καὶ τὸν ἐμὸν πέπλον οὐδείς πω ἀπεκάλυψεν لم يكن بدون سند لأننا وجدنا فى نص مصرى تم نشره تحت اسم «ربة منزل الجميز» بواسطة بيريت أنه تم مخاطبة الربة نيت بالكلمات الآتية :

«السلام عليك أيتها الربة العظيمة التى لم يُكتشف ميلادك» .

«السلام على الربة العظيمة فى العالم السفلى المستورة مرتين أنت الواحدة غير المعروفة» .

«السلام عليك أيتها الربة الواحدة العظيمة التى لم يُحل رداءك» .

«يا من لم يُحل رداءك سلام حبيت HAPT (المختفى) لم أُمنح طريقى للدخول إليك . احضرى استقبلى أنت روح ايزوريس . احفظيها بين يديك» .

هذه الكلمات تشكل صلاة وضعت على لسان عنخ ــ اف ــ ان ــ خينسو ANKH-F-EN-KHENSU وبالشكل الذى نراه الآن لا ترجع لعهد أقدم من عصر سايس أى حوالى ٥٥٠ ق . م ولكن الالتماس يشير لغموض طبيعة ميلاد نيت ولصفاتها المبهمة المستورة مرتين فى العالم السفلى وبينما يصرح المتوفى أنه لم يقدر لأى فرد أن يخترق الحجاب الذى يغطيها فهو يلتمس منها أن ترفعه من أجله . ولقد استخدم كلمتين للتعبير عن «الحجاب» وهو ما يستدعى للذهن الكلمتين اللتين استخدمهما كل من بلوتارش وبروكليس χιτῶν و πέπλος عن نفس الكلمة .

عموماً من المؤكد أن الأفكار والعقائد التى تضمنتها الصلاة السابقة ترجع إلى عهد أقدم كثيراً من عصر بسماتيك وبشكل أو آخر يمكن أن نرجعها إلى عصر الامبراطورية القديمة .

دليل آخر على مدى ما أكسبه الكتّاب الاغريق لنيت من قوى غامضة ذات وزن هو ما قدمه هورابوللو الذى قال عن «الهيروغليفية» عندما رغب المصريون فى رسم صوة لهيفيستوس HEPHAISTOS رسموا جعراناً ونسراً وعندما ارادوا أن يمثلوا

«أثينا» (نيت) رسموا نسراً وجعراناً لاعتقادهم أن العالم يتكون من عنصرين أحدهما ذكر والآخر انثى وهذان الكائنان هما الالهـان الوحيدان اللذان اعتقدوا أن كلا منهما يحمل بداخله ــ في نفس الوقت ــ طبيعة الذكر والأنثى ولقد رأينا من قبل أن الإله خيبرا كان يُعتقد أنه يمتلك القدرة على الحمل والانجاب وهكذا يصبح في نفس الوقت ذكراً وأنثى.

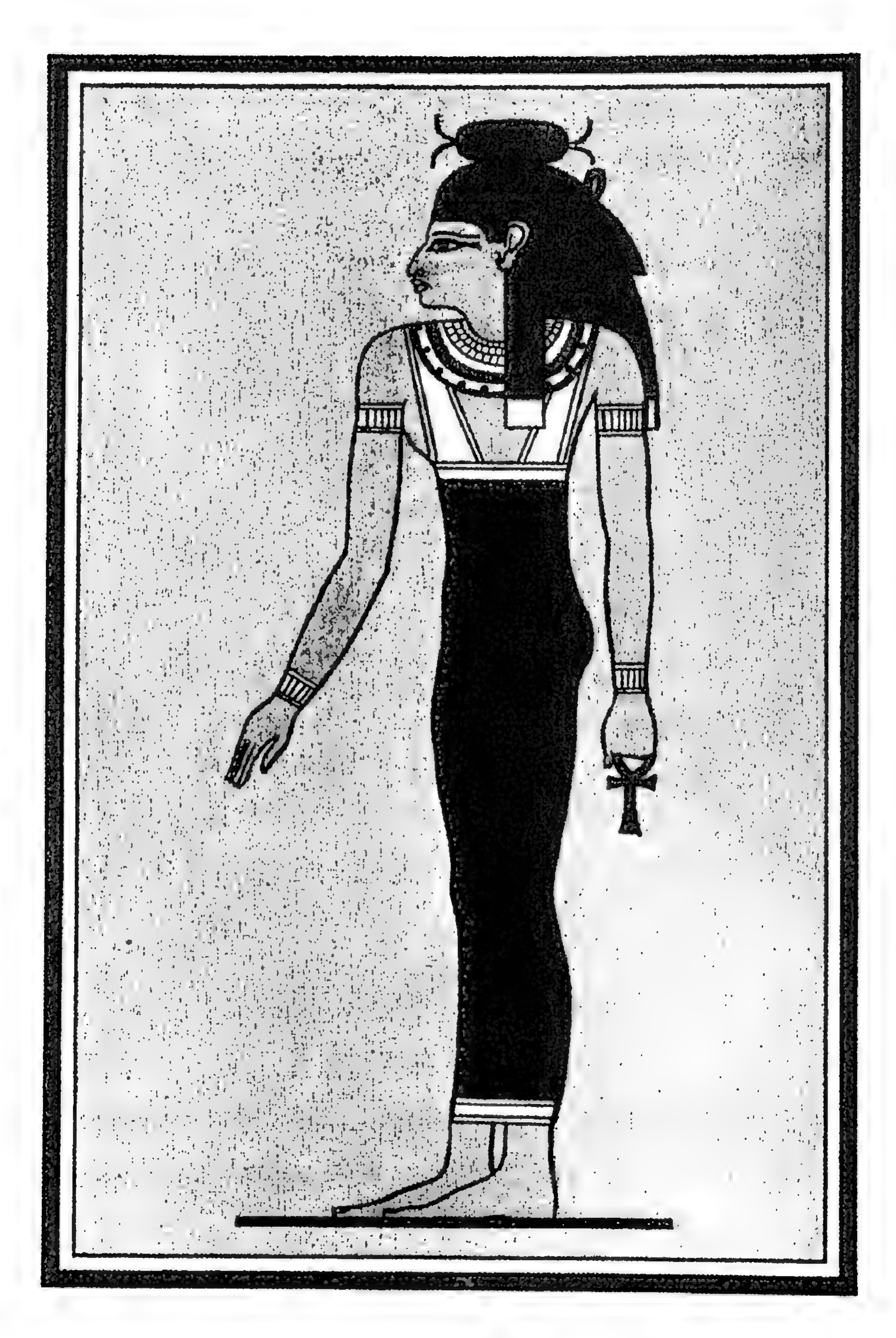
كذلك أشكال إله الشمس الأخرى كان يقال أن كلا منها «واجد نفسه منتج نفسه والد نفسه». هذه الملامح لم تُطبق على أى ربة أخرى فيما عدا نيت وبما أن المصريين قد أعلنوا أنها خالدة وأبدية وأنها خلقت نفسها فإنه ــ وبطبيعة الحال ــ لابد وأن يعقب ذلك منحها خصائص الذكر والأنثى الطبيعية.

سبق وأن شرحنا كيف أنجب خيبرا ابنه شو وابنته تفنوت تلك المعلومات المستقاة من الكتابات المصرية القديمة. ولكن تفاصيل ولادة نيت لرع لم تصل إلينا.. وبقدر ما نستطيع أن ندرك فإن أفكار المصريين عن الطريقة التى أجهدت هذه الربة بها نفسها لتستطيع أن تنجب كانت أكثر رقيا من تلك التى خلق بها خيبرا شو وتفنوت.

من المعتاد أن يقال أن المصريين لم يمتلكوا أفكاراً فلسفية حتى وصول اليونانيين لبلادهم ولكن وجهة النظر هذه خاطئة لأن هناك أدلة عديدة تؤكد أنه كان هناك خلال الدولة القديمة فلاسفة مشغولون بشكل مستمر بالتفكير خارج المشاكل المرتبطة بالكون واللاهوت.

أما السبب فى عدم تقدمهم مثل شعوب أخرى فى هذه الأمور فيعود إلى أنهم قد استسلموا لطلبات الشعب وشغلوا أنفسهم بأفكار وعقائد وتقاليد وطقوس وشعائر كانوا يعتبرونها تمثل الجزء الأساسى من ملامح عبادة الآلهة.

ونيت كما ظهر من كتابات الاغريق والنصوص الهيروغليفية كانت تعتبر فى الأزمنة بالغة القدم الربة التى تجسد الانثى الأولى الخالدة أصل الحياة تلك التى أوجدت نفسها وقامت برعايتها الربة غير المدركة المختفية الشاملة الموجودة فى كل



الربـــة نيت (نيز)

الوجود . والمصريون عندما رمزوا لها بالنسر ــ كما يقول هورابوللو ــ كانوا يشيرون بذلك إلى أنها « الأم الكونية » وهى التى أنجبت رع بدون مساعدة من زوج كما يقر كل المفكرين الماديين ولكنهم لم يستطيعوا أن يتخلوا عن حتمية وجود نطف مذكرة لانجابه ولأن من المستحيل الحصول عليها من قوة أو كائن خارج الربة لذلك افترضوا أنها هى التى زودت نفسها ليس فقط بالمادة المطلوبة لتشكيل جسد الإله ولكن أيضاً بالنطف المذكرة التى لقحتها وبذلك تصبح نيت النموذج الأصلى للتناسل العذرى أو الذاتى .

ونيت التى تصرع العديد من الأعداء تحت وابل سهامها يومياً يقال أنها تُزود الميت بالملابس على هيئة الربة محنيت Mehenit, وأنها تُحضر له الكسوة الكتانية والأغطية البيضاء والخضراء والحمراء والقرمزية لتغطى وجهه كما تفعل ربة المنزل عندما تكسو ميتها بالكتان . وفى اسطورة قديمة يقال إنها هى التى ألبست ايزوريس ثياب القبر التى نسجتها خصيصاً له ربتى الريخيت أى ايزيس ونفتيز ولهذا السبب أصبحت الربة التى تشرف على « منزل الإله »
بمعنى حجرة التحنيط التى يكفن بها الميت بشرائط كتانية والحجرات التى تجهز فيها المراهم المستخدمة فى العبادة .

ونيت هى التى جهزت المراهم التى حفظت جسد ايزوريس من التحلل وأرجعت له شبابه لذلك فسعيد هذا الذى يستطيع أن يؤمن لنفسه خدماتها .

من الحقائق السابقة يظهر مدى ارتباط نيت بالموتى ويرجع ذلك لعلاقتها بايزوريس فمن نصوص الأسرات المتأخرة نعرف أنها كانت تعتبر بمثابة والدة الإله . كذلك نعرف أنها كانت ربة سايس تلك المدينة التى كانت تسمى بمدينة ايزوريس والتى كان يقام فيها احتفالات عديدة فى مواسم معينة من العام نعرف منها عيد المصابيح الذى سبقت الإشارة إليه كذلك احتفال احياء ذكرى تحنيط ووضع الأربطة ودفن هذا الإله واحتفال مولد ايزوريس ابن ايزيس ــ نيت والذى كان يقام فى الربيع وسماه بروجيش « مولد انبثاق الشمس » .

في صعيد مصر تم عبادة نيت في سيني (اسنا) أو لاتوبوليس عند الاغريق . والتي قيل عنها في النصوص «منزل نيت في أرض الجنوب» . هنا كانت تعرف باسماء» نبوت Nebut ومنحيت وسيخيت وتفنوت وكانت تمثل على هيئة رأس لبؤة ملونة باللون الأخضر ولقبها «أب الآباء وأم الأمهات» . و«نيت ــ منحيت الربة العظيمة ربة الجنوب البقرة العظيمة التي أنجبت الشمس والتي صنعت نطفة الآلهة والبشر أم رع التي رفعت تيم من الزمن الأولى والتي كانت موجودة عندما لم يوجد شيء آخر والتي خلقت كل ما هو موجود بعد أن جاءت للوجود» .

وأهل اسنا كانوا يشيرون إليها على أنها زوج الإله ذي رأس الكبش خينمو Khnemu, رب الجندل الأول وهكذا أصبحت «ربة ابو» ABU أي الالفنتين وأم توتو TUTU أحد أشكال الإله شو والذي كان رمزه أسداً يمشي والذي عُرف أيضاً بالأسماء حيرا ــ كا HER-KA,

وحيتش ــ نفر ــ سوبيك HETCH- NEFER- SEBKQ, وتم رسمه على هيئة شاب يضع على رأسه تاج الشمال وتاج «والده» «اتيف» بالقرص والثعبانين ويرفع أمام فمه أصبع سبابة كفه الأيمن مما يشير إلى علاقة ما بآلهة هاربوكراتيس HARPO-CRATES دكتور بروجيش يرى أنه كان تجسيداً للشمس عندما تدخل برج الأسد وهو يربط ما بين مزاريب المطر التي على هئية رأس أسد في معابد دندرة وخنسو في طيبة وادفو وفيلا مع شمس الصيف .

ونحن نجد أن النصوص التي تصف هذه المزاريب تسميها «أسود» الـ«قوة القوة» و«قدرة القدرة» و«مالكة القوة المزدوجة» و«الواحد القادر على الزئير» و«الوجه الناري» و«الأسد ذو الوجه الذي يسحر أو (يخيف)» .

وتوتو ابن نيت وخينمو له شكل آخر تحت اسم رهيس ــ نيفر AR-HES-NEFER الذي يظهر دائماً في المخطوطات حيث يوصف

بأنه «إله الجنوب» ويمثل بإله له رأس تمساح كذلك ظهر فى معبد اسنا باسمى سوبيك ـ رع وهيس ـ نيفر سوبيك أن نيت.

من جمل معينة فى نص اقتبسه دكتور بروجيش يظهر أن «آمون ـ رع» ملك الآلهة كان ابنا لنيت ومن تسبيحة قدمها داريوس الثانى منقوشة على حوائط معبد حبيت فى الواحات الكبرى يقال إن البقرة [hieroglyphs] بمعنى نيت هللت لـ«ثور أمه». وهو وصف لإله الشمس على أساس أنه الزوج الذى يخصب ببذوره ويقال أنه قد حضر إلى مدينة سابى [hieroglyphs] أى سايس. ثم تستمر الترنيمة «صورتك استكانت فى حيت ـ خبيت HET-KHEBIT فى عش ربة سايس أمك نيت التى وحدت نفسها معك ([hieroglyphs]) على هيئة نو ومع الجسد الملفوف فى الحجاب (الذى نسجته) سكن جسدك فى معبدى رسينت وميهنت. وثوبك فوق أيدى الإلهين التمساحين» [hieroglyphs]

والالهان التمساحان المذكوران هنا ـ هما بطبيعة الحال ـ التمساحان اللذان نراهما على جانبى الربة فى صورها المؤكدة.

أخيراً نجد أن نيت «طيبة» كأم وزوجة لأمون ـ رع كانت تعرف على هيئة وباسم الربة القديمة أمونت. وكانت تمثل كامرأة شابة على رأسها تاج الشمال وتمسك فى كل يد من يديها رمز الماء [hieroglyph] ولهذا تسمى أمونيت ساكنة «امنتى نينى» [hieroglyphs] وتحت اسم امونت ـ رع [hieroglyphs] نجدها ترضع حورس حيث تظهر كربة برأس كبش ترتدى على رأسها تاج اتيف.

وهكذا استعارت أمونيت ـ التى كانت فى الأصل القرين الأنثوى للإله المحلى آمون وبالتالى كانت ربة ذات أهمية محدودة ـ جميع صفات نيت. وشُكلت على هيئة «البقرة والربة العظيمة التى شكلت مجمع الآلهة. أم رع التى ولدت

حورس ». ومن الصعب بالطبع عمل توافق بين المقولات المختلفة التى ذكرت فى النصوص عن صفات نيت والجزء السابق يشير إلى هذه الصعوبة ــ فهو يدل على أنه فى كل الأحوال ــ كانت الأفكار التى كونها المصريون عنها تختلف من وقت لآخر وأن التناقض فى مقولاتهم يعود لعدم الاتساق أو لجهل الكهنة أو الكتبة ومحاولتهم عمل توافق بين أى نظام دينى جديد ومعتقداته وبين كل الأنظمة التى كانت موجودة قبله .



آلهـــه الحـــــورس

الصقر كما ذكرنا من قبل كان ــ في الغالب ــ أول كائن حى عبده المصريون كممثل لروح علو السماء أو كتجسيد للإله الذى صنعها والمسمى حيرو HERU أى «هو الذى أعلى» أو «ذلك الذى فوق». وإن كان المعنى الحقيقى لكلمة «حيرو» ــ يبدو ــ كما لو كان قد فُقد منذ زمن بعيد إما لاختلاف وجهات نظر المدارس الفكرية الأولى أو نتيجة لتشابه نطق كلمتى «حيرو» و«حير أو حيرا» التى تعنى وجه.

على أى حال المعنى الذى صاحب الإله «حيرو» ــ دائماً ــ هو كونه الإله الذى يجسد وجه السماء بمعنى وجه أو رأس إله آخر مخالف غير معروف وغير مرئى.

وهى فكرة بالغة القدم حتى فى زمن بناء الأهرامات حيث نجد فى النصوص الجنائزية للأسرتين الخامسة والسادسة اشارات عديدة لها مثل «شعر» أو «ضفائر» وجه حيرو أى «وجه السماء» أو أن الآلهة الأربعة ابناء حورس تسكن فى تلك الضفائر. كذلك نعرف من نصوص أخرى مختلفة أن السماء كانت تعتبر وجهه وعيناه هما عينا حورس أى الشمس والقمر حيث الشمس هى عينه اليمنى والقمر اليسرى وهناك لقب معروف «حورس ذو العينين» وعندما تختفيان من السماء يقال «حورس يسكن بدون عينين» ووجه السماء هذا

مرفوع بواسطة صولجانات تمسكها أربعة آلهة بأيديها مكان دعامات الإله شو التى يقال فى أسطورة أقدم أنها كانت تحملها من أركانها الأربعة أى الاتجاهات الأصلية للوح الحديدى الضخم الذى يشكل أرضية الجنة أو السماء التى تعلو الأرض.

الأشكال التى صور عليها حورس فى النصوص القديمة متعددة وإن كان أكثرها أهمية الأشكال الآتية:

١) حيرو ـ اور HERU-UR أى «حورس الأكبر» أو «الأكبر سنا». والكلمة اليونانية Ἀρωῆρις تطلق عليه لتميزه عن حيرو ـ با ـ خارت أى «حورس الأصغر». ويصور على هيئة رجل له رأس صقر وأيضاً كأسد برأس صقر عادة ما يرتدى التاج الموحد للشمال والجنوب وإن كان قد رسم لمرة مرتديا قرني خينمو فوق رأسه وفوقهما تاج شجر وقرص الشمس والحيات... الخ.

وحيرو ـ اور طبقاً للنصوص المصرية كان ابن رع وحتحور وقد أشير هنا إلى حتحور على أساس أنها الربة التى عُبدت بشكل خاص فى كيسكيست Qesqeset, بمعنى ابوللو بوليس برافا ولكن بلوتارش قال أنه ابن كورونوس وريحا «KORONOS AND RHEA» بمعنى سب ونوت أى أنه أخ لايزوريس. هذه المقولة يمكن أن تكون صحيحة فى زمن الأسرات المتأخرة عندما عَرَّف كل الناس «حورس ابن ايزيس» «بحورس الكبير».

ولكن فى الأصل كان حيرو ـ اور يمثل مرحلة من مراحل فكرة حورس وجه السماء وكان الأخ التوأم «لست» حيث كان حورس وجه النهار وست وجه الليل. هناك أيضاً «حيرو ـ اور الجنوب» وكما نعلم من صورة الإله التى رسمها لانزون كان مقر عبادته فى معخينوت Mâkhenut, قرب الكاب فى صعيد مصر و«حيرو ـ اور الشمال» الذى كان مركز عبادته فى سيخميت أو سيشميت التى يطلق عليها اليونانيون لاتوبوليس والاقباط ⲟⲩⲱⲉⲙ والتى تقع شمال ممفيس بأميال قليلة. كذلك

كانت هناك مراكز أخرى لعبادته فى أوميوس وسمنوت وأبوللينوبوليس ولكن أهمها ذلك الذى كان فى سيخميت حيث الهيكل با ـــ نيت Pa-Nit والذى حفظ فى قدس أقداسه كتف ايزوريس ونمت قريباً منه الأشجار نيبيس Nebes, وشينت Shent, المشهورة .

حير ـــ اور فى مدينة سيخيم كان يسمى «رب الياتشيت المزدوجة» «lord of the Utchati,» بمعنى رب الشمس والقمر. وفى كتاب الموتى فصل (XVIII) يقال إن الاميرين الحاكمين فى سيخيم هما حيرو ـــ خينت ـــ ان ـــ ماعتى وتحوت ولكن من المعروف أن الآلهة الكبيرة فى هذه المدينة كانت ايزيس وايزوريس وحورس .

الشكل الذى كان يعبد به حير ـــ اور فى سيخم وفى أماكن أخرى هو شكل الأسد . والكتابات التى وجدت على حوائط معبد أومبوس ombos تدل على أنه كان يحمل لقب «رب الجنوب» «رب نويتى (أمبوس)» . وأنه كان يعرف بشو ابن رع كذلك بلقب «حيرو تيم الإله العظيم رب السماء ذو القوة المزدوجة القادر بين جميع الآلهة والذى بقدرته هزم أعداء والده رع» . كذلك بآمون ـــ اور أو «آمون الأكبر» .. وفى الحقيقة كان يدمج بآلهة عديدة من التى كانت تعتبر آلهة للضوء أو تجسد الشمس المشرقة . كذلك بآلهة كثيرة من تلك التى ارتبطت بها .

فى أمبوس كان حيرو ـــ اور رئيس الثالوث المكون منه والربة الانثى تا ـــ سنت ـــ نفرت TA-SENT-NEFERT وابنها بى ـــ نيب ـــ تاوى P. neb- taui, الذى فى بعض الأحيان كان يسمى «بالطفل» والعضو الثالث من هذا الثالوث كان يرتدى فوق رأسه قرص الشمس وكان له ضفيرة شعر على جانب وجهه مثل هابروكراتيس HAPROCRATES وكان يسمى «الشمس الصغيرة» واللقب الشائع الذى مُنح لحيرو ـــ اور وتا ـــ سينت ـــ نفرت يدل على أنها فى أيام تالية كانا مطابقين لشو وتفنوت .

٢) حيرو ــ بى ــ خارت HERU-P- KHART,

حيرو ــ بى خارت بمعنى «حورس الأصغر» أو «الطفل» Ἁρποκράτης باليونانية. وذلك للتفرقة بينه وبين «حورس الأكبر».

يمثل فى الرسوم المصرية على هيئة شاب له ضفيرة شعر ــ رمز الشباب ــ على الجانب الأيمن من رأسه. فى بعض الأحيان يضع على رأسه التاج الثلاثى بالريش والقرص أو ما يشبهه. وفى بعض الأحيان يحيط القرص ريشتان. ولكن عادة ما كان يتكون تاجه من تاجى الجنوب والشمال الموحدين وفى أحد الرسوم كان يجلس داخل صندوق يرتكز على ظهر أسد.

. حيرو ــ بى خارت كان ابن الإله حورس والربة رعت ــ تاويت RAT-TAUIT والتى يقال أنها قد ولدته فى معبد حيت ــ اننوت HET- ENNUT فى هيرمونزيس HERMONTHIS بغرفة الولادة فى فناء مبنى قمقم Qemqem, حيث يبدو أنه كانت تعبد الربة هناك على هيئة سيد قشطة حيرو با خارت أو هربوكراتيس كان يمثل شمس الشروق وأشعتها المبكرة والمصريون ميزوا لهذا الإله سبعة أشكال أو أفكار يمكن حصرها فى الآتى:

١) حيرو ــ رع ــ بى ــ خارت ساكن هيرمونزيس.
٢) حيرو ــ شو ــ بى ــ خارت العظيم الذى أبوه ساعابا SAABA، وأمه انيت.
٣) سما تاوى ــ بى خارت ابن حتحور
٤) حيرو ــ با ــ خارت ساكن بوزيرس BUSERIS
٥) عهى AHI ابن حتحور
٦) حاب ــ بى ــ خارت ابن سيخميت
٧) حيرو ــ حيننو أى «حورس الطفل»



الإلـه حيرو ـ اور

٣) حيرو ــ ميرتى HERU-MERTI,

تحت هذا الاسم كان الإله يمثل على هيئة رجل برأس صقر فوقها قرنا الإله خينمو وقرص الشمس المحاط بالثعابين ويحمل فوق كفيه ياتشيتين . من جملة وجدت على البردى اقتبسها لانزون نجد أنه سمى بـ « حورس ذو العينين » .

وهو ما يعنى « رب شتننو ( ) مسيتى عاه ( ) ÂAH بمدينة عابو APU » أى بانوبوليس وهو ما يظهر أن حيرو ميرتى كان شكلاً محلياً للإله امسو أو خيم أو مين إله القمر

٤) حيرو ــ أن ــ موتع ــ اف HERU-AN-MUT-F,

كان شكلاً محلياً لحورس الذى عبدوه فى اتيب ATEB أى ادفو ولكن الملامح الفعلية له غير معروفة .

٥) حيرو ــ نوب HERU-NUB,

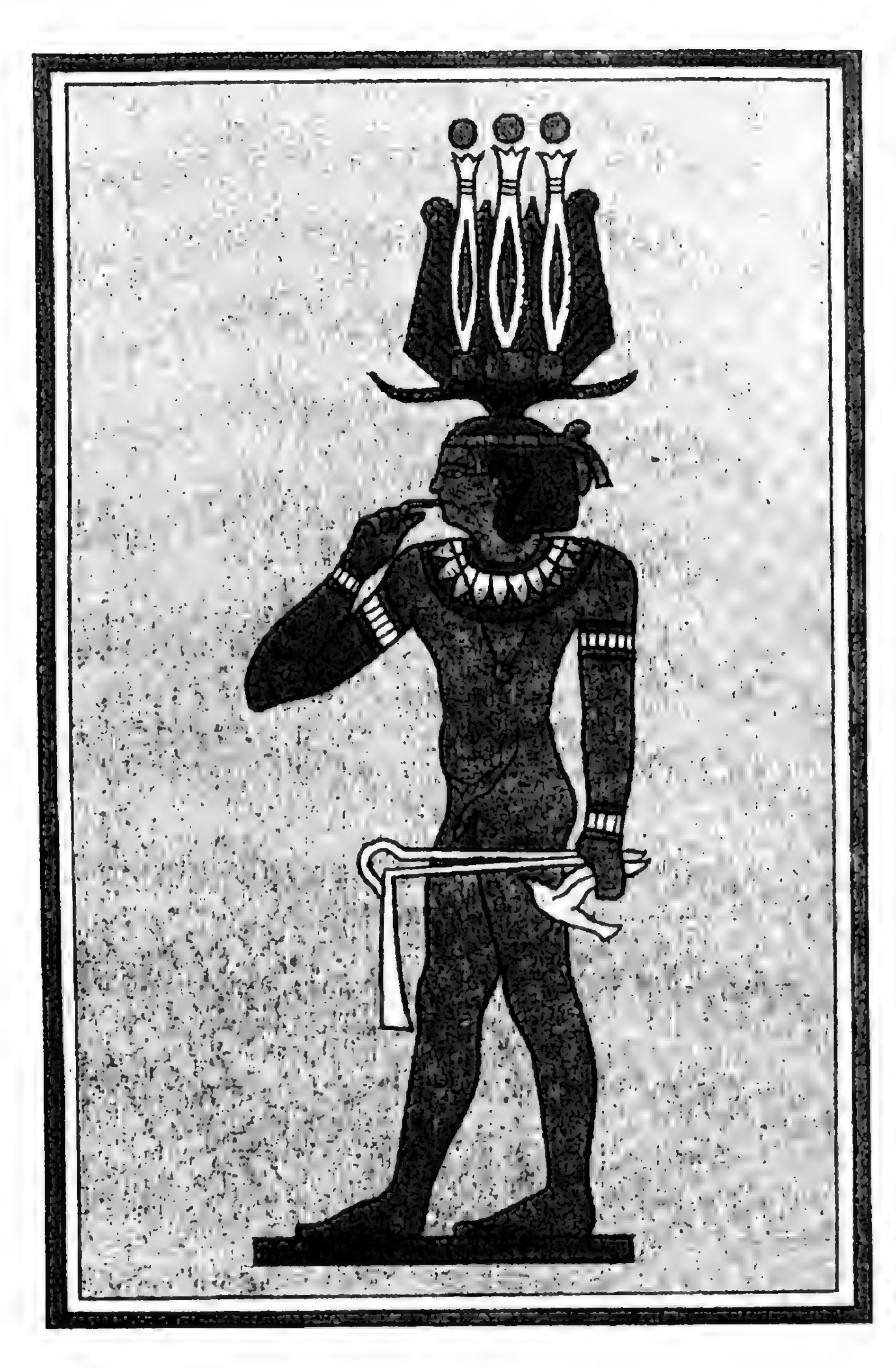
هذا كان الشكل الذى عُبدَ عليه الإله فى هيراكلوبوليس وبر ــ حيرو ــ نوبت وكان يُرسم على هيئة صقر يجلس على رأس تيتل والذى يفسره بروجيش بأنه احياء لذكرى انتصاره المظفر على ست قاتل ايزوريس .

٦) حيرو ــ خنتى ــ خات HERU- KHENTI- KHAT,

على هذا الشكل كان الإله يُمثل بجسد بشرى ورأس تمساح يرتدى فوقه قرنى خينمو والتاج الثلاثى والريشتين وهو شكل لابد وأن يكون قديماً .

٧) حيرو ــ خنتى ــ ان ــ ماعتى HERU- KHENTI- AN- MAATI, بمعنى « حورس الأعمى » ويبدو أنه يُمثل الإله عندما لم يكن يرى بأى من عينيه .

٨) حيرو ــ خوتى HERU- KHUTI



حيرو ـ با ـ خارت (هربوكراتيس)

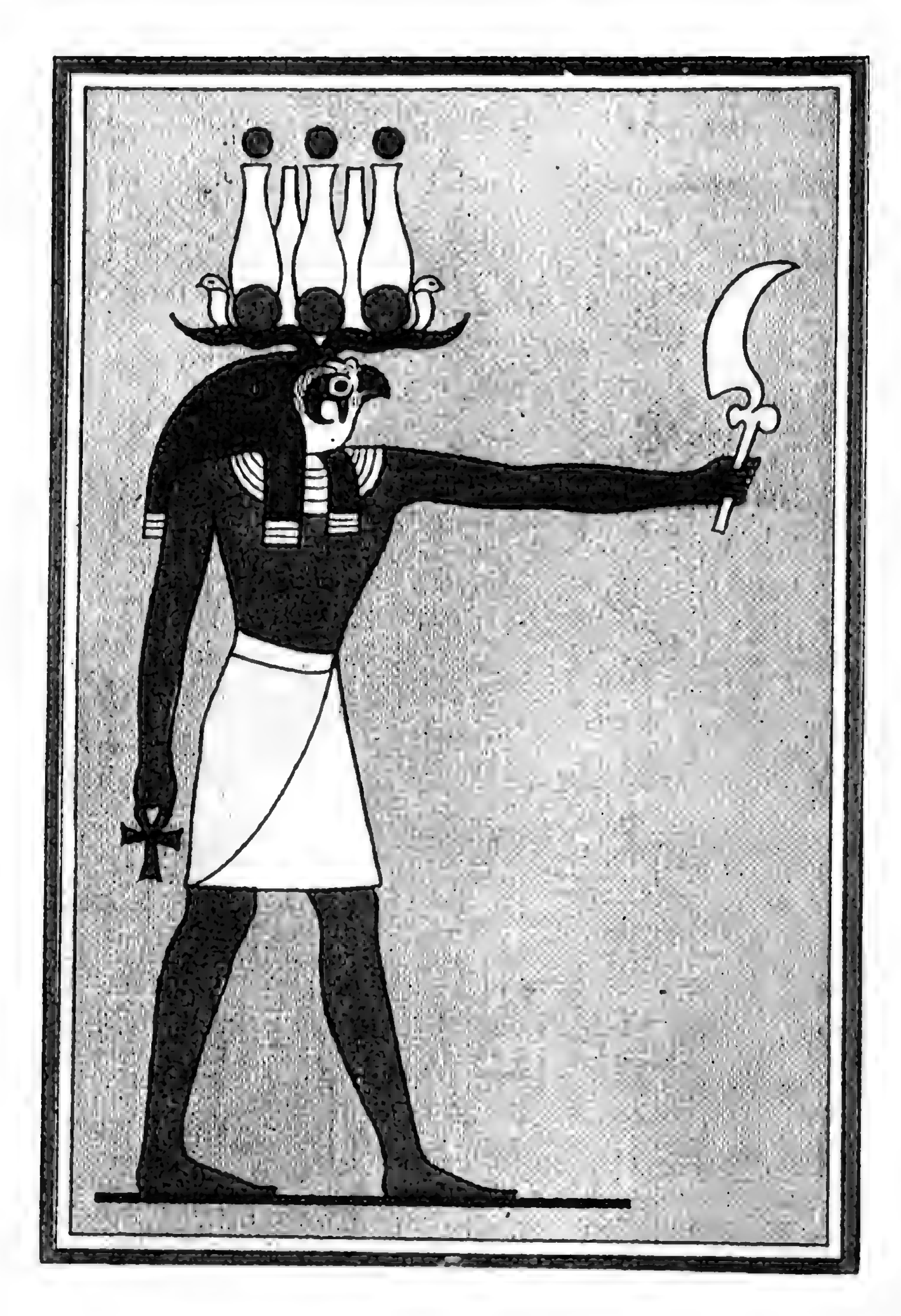
بمعنى «حورس الافقين» أو عند الاغريق حرماشين كان أحد الأشكال الرئيسية لإله الشمس رع ــ وبمعنى عام ــ يمثل الشمس فى مسارها اليومى عبر السموات منذ مغادرتها جبل شروق الشمس (باخو) حتى زمن ولوجها جبل غروب الشمس (مانو) وهكذا يجمع فى شخصه بين الإله رع وأشكاله الأخرى العديدة وفى كتاب الموتى والأعمال الجنائزية الأخرى كان يدمج فى تيمو [hieroglyphs] وفى خيبرا [hieroglyphs] حيث يدل تيمو على الشمس الغاربه وخيبرا على الشمس عندما تبدأ فى الشروق.

وبدمج حيرو خوتى بأشكال الآلهة الشمسية المختلفة أصبح يمتلك جميع صفاتها فهو «الإله خالق نفسه» وبالتالى توجهوا إليه بصلواتهم. وهو «رب السماء» و«الإله العظيم رب سيب ــ حات [hieroglyphs] SEP- HAT» التى هى مدينة أو مقاطعة قريبة من الشلال الأول.

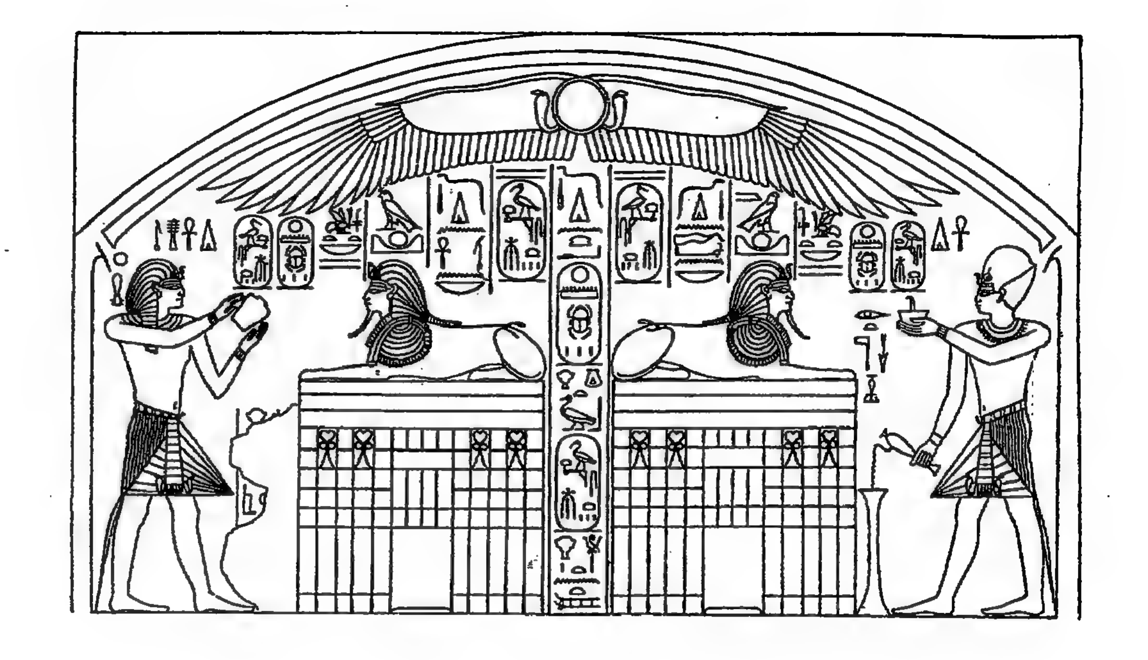
وهو «حاكم عات ــ رع [hieroglyphs] Aat of Râ, أى هليوبوليس» و«حيرو خوتى ــ تم رب أرضى نو» و«ساكن بهوت».

ولقد تمت عبادة الإله فى مركزين رئيسيين أكبرهما حيث كان يعبد على هيئة رع فى أنو (هليوبوليس) والأخرى ابوللينوبوليس APOLLINOPOLIS

أضخم شكل أو رمز لحيرو خوتى هو تمثال أبو الهول ذلك الشىء المدهش الموجود فى صحراء الجيزة منذ عصر خفرع منشىء الهرم الثانى وإن كان من المحتمل ــ فى الغالب ــ أن يكون تاريخ إقامته يرجع إلى عصور بالغة القدم تسبق زمن حكم خفرع لأننا لا نعرف التاريخ الفعلى لإنشائه ولم نجد ذكراً له فى الكتابات المصرية حتى عهد تحوتمس الرابع عندما قيل لنا فى نص مكتوب على لوحة بين كفى التمثال بأنه كان قد طُمر بالكامل بالرمال وأن إله أبو الهول حيرو ــ خوتى ــ رع ــ تيمو ــ خيبرا قد ظهر لهذا الملك فى يوم أثناء نومه ظهراً ووعده بمنحه تاج مصر إذا ازاح الرمل من حول التمثال وأصلح معبده.



حيرو ــ خوتي (حرماشيز)



تحوتمس الرابع يقدم القرابين لأبي الهول

تحوتمس الرابع حقق بعد ذلك رغبة الإله وحفر حول التمثال وأنشأ المعبد الذى بين كفيه ووضع لوحة تذكارية منقوش عليها القصة لتخليد عمله.

يمكن أن نستدل من التجاهل الذى واجه هذا التمثال على أن الإله حيرو ـخوتى لم يكن معروفاً فى عصور الأسرات.

فإذا كان هذا صحيحاً فقد يرجع ذلك إلى أن أبا الهول كان يعتقد أنه مرتبط بطريقة أو أخرى بالأجانب أو بعقيدة أجنبية كانت سائدة فى عصور ما قبل الأسـرات.

وهناك نظرية حديثة ـوإن كانت خيالية ـ أن أبا الهول قد أقامه الملك امنمحيت AMENMEHET من الاسـرة الثانية عشرة والذى كان اسمه فى مصر حو HU.

إن الأشكال التى ظهر عليها حيرو ـخوتى ـ عديدة ولكن سواء أكان ظهوره على هيئة بشرية أو كان مغايراً لها فقد كان دائماً له رأس صقر. ومن الأمثلة التى جمعها سيجنور لانزون نراه يرتدى على رأسه قرص شمس مُحاطاً بالثعابين أو تاجاً ثلاثياً أو تاج اتيف (والده).

وفى أحد الأشكال تم رسمه على هيئة رجل مزدوج برأس ذى وجهين لصقرين أحدهما ينظر إلى اليمين والآخر إلى اليسار وفوق هذين الوجهين يوجد ياتشيت.

فى منظر آخر كان له رأس كبش مما يربطه بخينمو إله الشلال الأول بينما فى منظر آخر كان يجلس على عرش قوائمه الأربعة عبارة عن ثعبانين والهين برأسى جعران.

٩) حيرو ـسما ـتاوى HERU-SMA-TAUI.

وحيرو ـسما ـتاوى يعنى «حورس موحد الجنوب والشمال» ويقال أنه ابن حتحور ومركز عبادته كان عات حيحو Aat- hehu, مقاطعة

قرب هيراكليوبوليس ماجنا HERAKLEOPOLIS MAGNA وانت Ant, بمعنى دندرة ومدينة خاتات والمخلوقات التى كان من المعتقد أنها تجسده هى الصقر ونوع من الثعابين. وكان يرسم عادة بجسد رجل له رأس صقر أو ثعبان أو إنسان ويرتدى فوق رأسه أغطية على هيئة ; وفى أحد الرسوم كان يمثل على هيئة صقر يرتدى فوق رأسه القرص والريش وكان يعتقد أن حورس –فى هذا الشكل– قد انبثق للوجود من زهرة لوتس تفتحت فى المحيط السماوى نو عند فجر بداية العام.

١٠) حيرو حيكننو HKRU-HEKENNU,

يقال أنه ابن الربة باست ومكان عبادته كان فى مدينتى نيتريت Netert, وحيت –نفر –تم HET-NEFER-TEM وهو يرسم عادة على هيئة رجل برأس صقر فوقها قرص شمس محاط بثعبان.

أما الصفات الحقيقية للإله فغير معروفة.

١١) حيرو –بهوت HERU- BEHUTET,

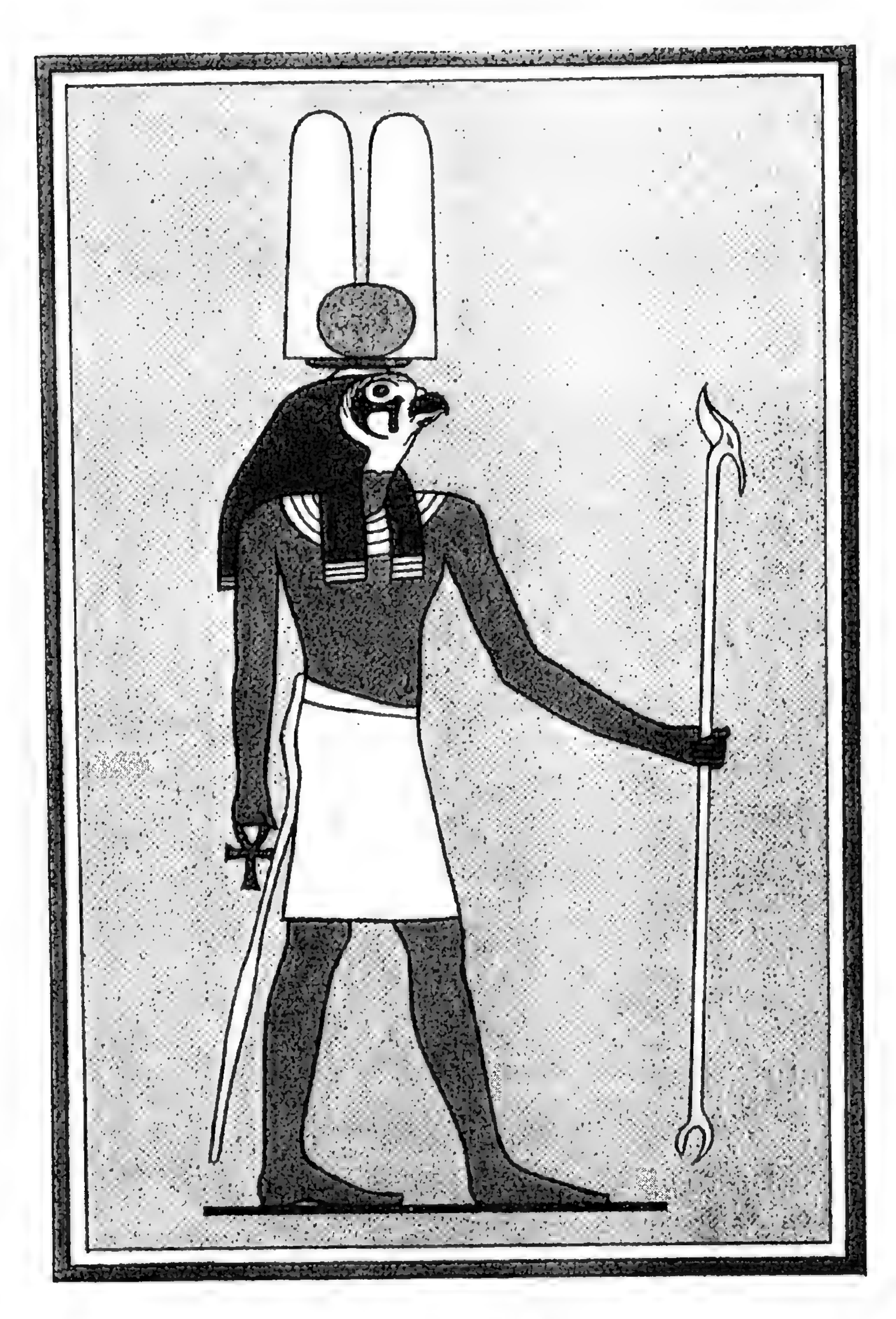
هذا واحد من أكبر وأهم أشكال حورس لأنه يمثل هذا الشكل من حيرو –خوتى الذى يظهر فى السموات الجنوبية ظهرا وهو الشكل الذى يمثل أقصى قوة لحرارة الشمس.

تحت هذا الشكل من حورس اندلعت الحرب ضد ست أو تيفون والمخطوطات تمتلىء بالإشارات للنصر المظفر الذى حققه إله النور ضد أمير الظلمات وشياطينه.

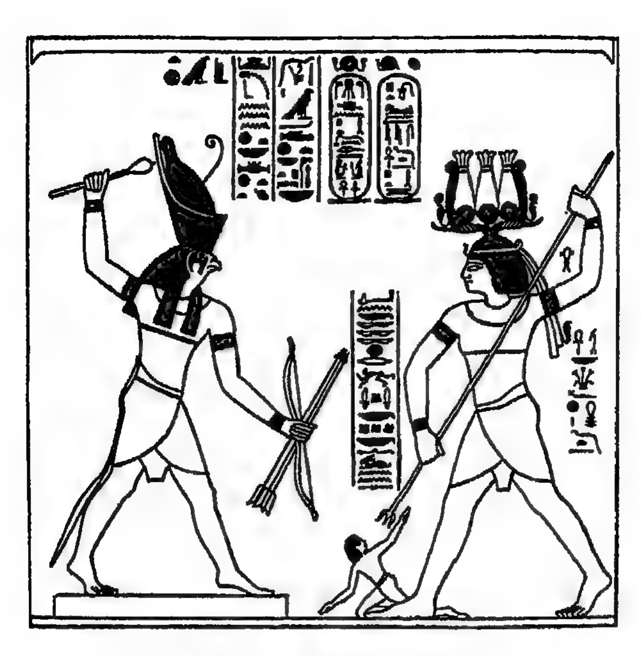
مراكز العبادة الرئيسية للإله كانت فى ميسين Mesen,

وكيم –بايوس Qem-baius, وعات –آب أى فيلة. Aat-ab.

وتيب Tebt, (تانيس) وفى المكان الأخير كان يعبد على هيئة أسد يرتدى تاجاً ثلاثياً على رأسه مرسوم وهو ينقض على أعدائه.



حيرو ـ سما ـ تاوى



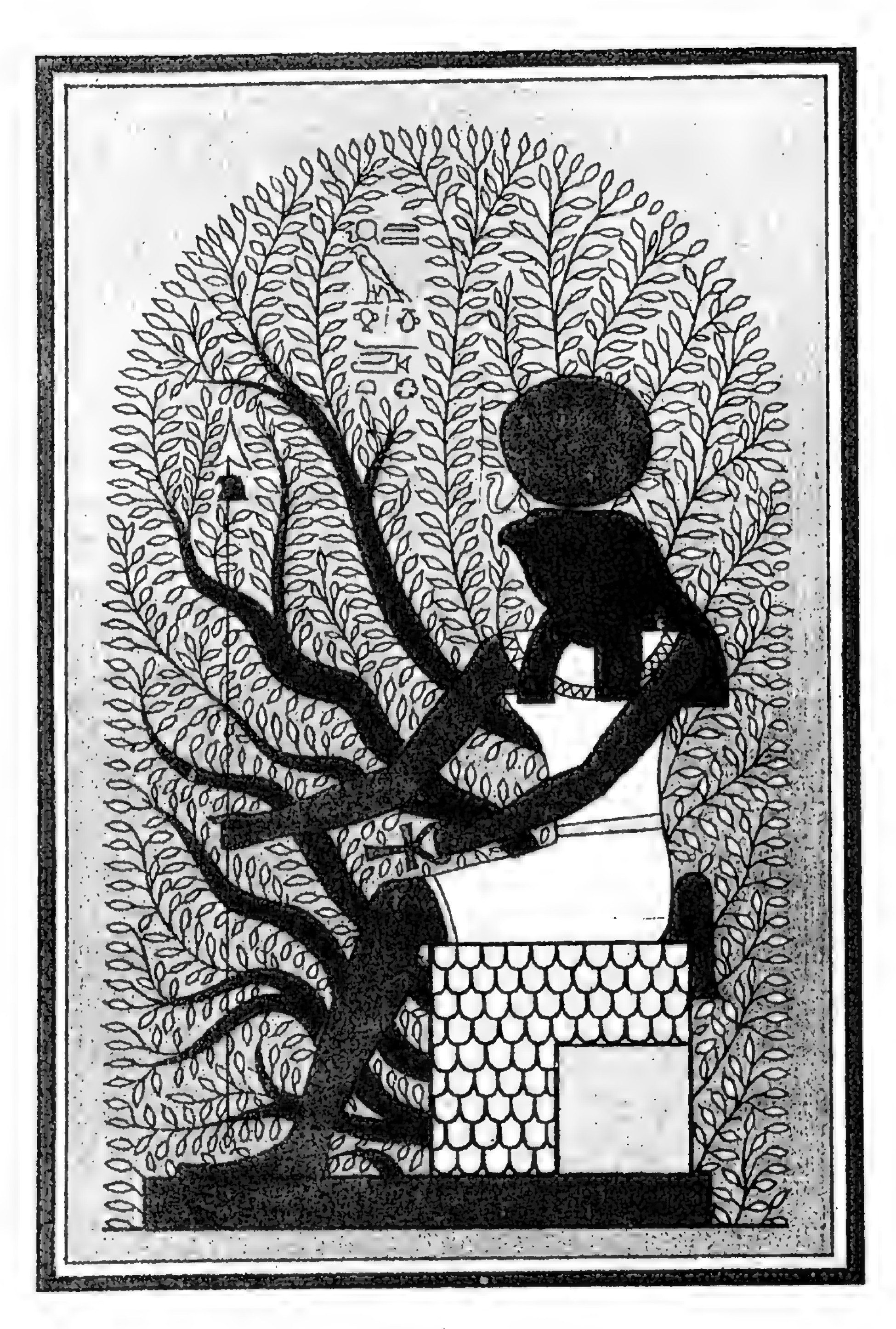
حيرو- بهوت مسلحاً بقوس وسهام وهرواه

والإله ــ على أية حال ــ كان عادة ما يُرسم برأس صقر يضع على رأسه التاج ويمسك بيديه أسلحة تدل على صفته كمدمر.

وهكذا فى أحد الرسوم التى قدمها سيجنور لانزون نراه يقبض على أسلحة مثل النبوت أو قاطعة الدروع فى يمناه وقوس وثلاثة أسهم بيسراه. وفى رسم آخر نجده على وشك ضرب رجل برأس جحش بنبوت له خروج وفى آخر نراه واقفاً فوق تيتل أو ظبى (مها) ممسكاً بحربة طويلة برأس صقر بيمناه وثلاثة حبال فى أخر كل منها سجين .

فى مكان آخر نراه مرسوماً برأس أسد الشكل الذى يبدو أنهم كانوا يعبدونه عليه فى تشار : Tchar, أو تنيس بالدلتا.

وفى مكان آخر نجده جالساً على عرش يستقر على ظهر أسد.



رع — حيرو — ختي « الساكن في بهوت »

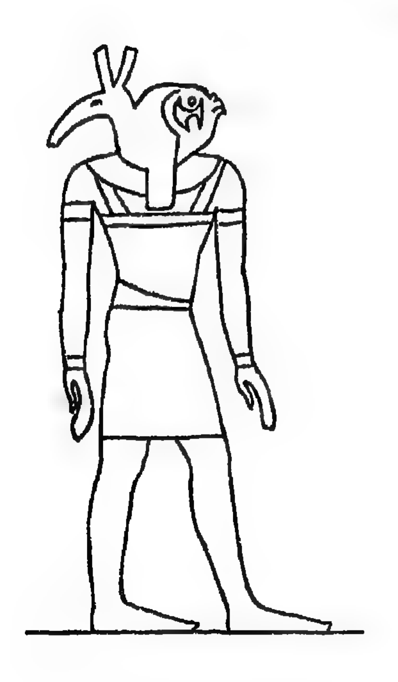
وكإله التناسل وإعادة الإنتاج يظهر على هيئة صقر بعضو ذكورة ينتهى برأس أسد. وفى منظر من العصور المتأخرة كان يمثل على هيئة جسد رجل ورأس وجناحى صقر يركع فوق تمساحين وعلى رأسه يضع ... ويمسك بيسراه عقرباً ...

ومن جزء مقتبس من نص منقوش على حائط بمعبد ادفو قدمه الدكتور بروجيش نجد أن حيرو ـــ بهوت قد وُصف على أساس أنه القوة التى تبدد ظلمات الليل وتبعد السحاب والمطر والعواصف وتملأ السماء والعالم بنورها اللامع. فهو يشرق بقرص ذهبى مثل جعران الذهب المقدس وهو رب وخالق الآلهة الذى خلق نفسه ولا يوجد مثيل له وهو يجدد ميلاده يومياً وعام بعد عام يقوم بدوره المقدر له فى السماء. وهو يُحضر معه فى موكبه المواسم (الفصول) فى موعدها الموقوت. فى أحد الأشكال تم تعريفه بايزوريس ويقال أن الربتين ايزيس ونفتيز قد ساعدتاه فى أن ينبثق من المحيط «نو» وهو قد صنع السموات لتكون مسكناً لروحه وخلق العمق الذى قد يصبح مكاناً صالحاً لاختباء جسده والذى يسمى هنا ان ـــ نفر ... ولكن الأشكال التى لاقت استحساناً أكثر لدى المصريين كانت تلك التى يقاتل فيها كرب للنور ضد ست إله الظلمات أو تلك التى يصور فيها كإله للخير ضد إله الشر.

ونحن نعرف من جملة فى الفصل (XVII) من كتاب الموتى أنه فى زمن مبكر للغاية قامت معركة بين حورس وست دمر فيها الأول ذكورة ست ونجس الثانى وجه حورس. وهو الشكل التقليدى للحرب بين «المتصارعين» أو رحيو ... REHUI والتى هى أساس الرواية المنقوشة على حوائط معبد ادفو الكبير.

وعموماً هناك اختلاف كبير بين صراع حورس وست فى عصر ما قبل الأسرات وذلك الموصوف بأنه قد حدث بينهما على جدران معابد ادفو ففى الأول حدث الصراع بين مصارعين غير مسلحين أما فى الأخير فنجد أن حورس كان

مسلحاً بأسلحة حديدية وأنه كان مصحوباً بعدد من الكائنات التى تسمى مسنيو MESNIU أو ميسنتيو ومن المؤكد من كلمة ⲂⲀⲤⲚⲈⲦ المعادل القبطى للكلمة أن الميسنيو كانوا عمالاً يشتغلون بالمعادن وأن هذا الاسم طُبق عليهم كحدادين وأن فى فترة لاحقة أصبح الميسنيو هم الرجال المسلحون بأسلحة معدنية. أما المكان الذى كانت تتم فيه أعمال التعدين أى حيث يذاب الخام وتصنع الأسلحة كان يسمى mesnet, المسبك. وعابدو حورس بهوت لم يملوا أبداً من وصف المهم, بأنه «رب مدينة المسبك» بمعنى ادفو المكان المعروف بأنه ورشة الحدادة الأولى العظيمة. وادفو نفسها كما نفهم من نص اقتبسه د. بروجيش كانت تعتبر المسبك الذى تم صب قرص الشمس الضخم فيه. حيث يقال «عندما فُتحت أبواب المسبك ارتفع القرص لأعلى».


الإله المزدوج حورس ــ ست

ولتأكيد هذه الأعراف نجد أن هناك حجرة معينة فى معبد ادفو تقع خلف قدس الأقداس مباشرة كانت تسمى ميسنيت وهى الغرفة التى كان الحدادون ينتظرون فيها حتى يتجلى طيف الإله فى معبده.

من تصوير «الحدادين» الذى وجُد مرسوماً على جدران معبد ادفو نرى أنهم كانوا فى الأصل رجالاً برؤوس محلوقة يرتدون قمصاناً قصيرة لها ياقات عميقة. وبيمناهم رماح مقلوبة وبيسراهم أدوات معدنية

فى نفس المنظر نجد حورس بهوت واقفاً فى قارب مرتدياً ملابس تابعيه. وهو يقذف برمح

طويل إلى رأس «سيد قشطة» أسفل القارب بيمناه ويسيطر على الوحش كابحا أياه بسلسلة مزدوجة يقبض عليها بيسراه. فى مقدمة القارب تركع ايزيس التى تقبض أيضاً على «سيد قشطة» بواسطة سلسلتين فى كل يد واحدة ويمكن أن تلاحظ أن حبال السفينة تتكون من سلاسل يمكننا أن نخمن أنها من الحديد وليست من الألياف.

فى مكان آخر نجد حورس يقف على ظهور عدد من حيوانات «سيد قشطة» المربوط أرجلها والأجزاء السفلية من فكاكها بالسلاسل.

قصة انتصار حيرو ـ بهوت على ست كتبت فى النصوص المنقوشة عل حوائط معبد ادفو هكذا:

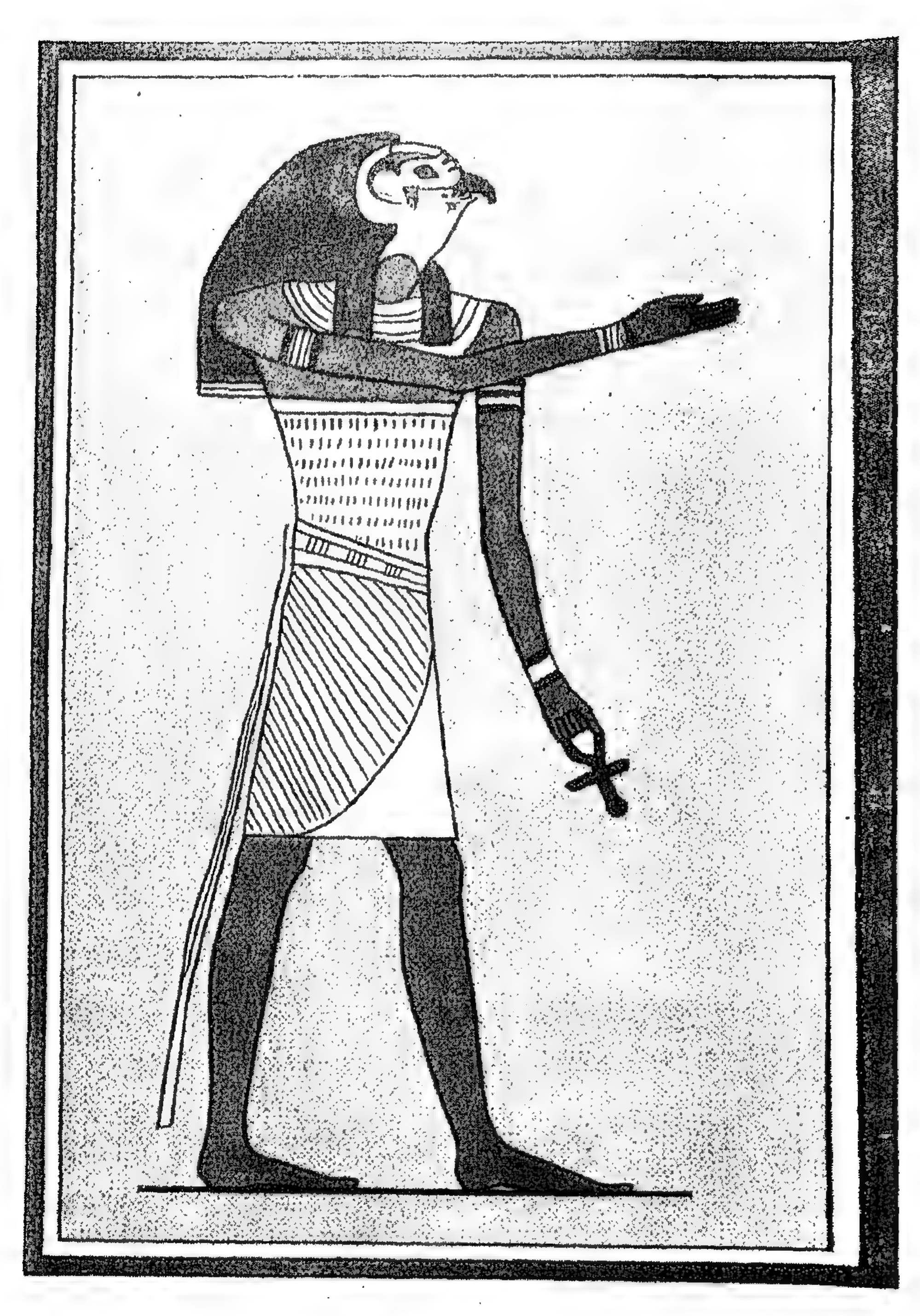
«فى عام ٣٦٣ من عصر رع ـ حيرو ـ خوتى ملك الجنوب والشمال الذى يعيش للأبد وللأبد وجد جلالته نفسه فى بلاد تا ـ كينز ـ أو النوبة ـ لأنه ذهب إلى إقليم يايات UAUAT لأن بعض الغوغاء انتفضوا هناك ضد حاكمهم. وبعد أن قضى على الفتنة رجع لادفو وأوكل لابنه حيرو ـ بهوت اكمال الحرب نيابة عنه.

هذا الإله لاحظ كيف تآمروا ضد والده. وكان مستعداً لأن ينفذ أوامره ولأجل ذلك إنساب إلى السماء على هيئة قرص مجنح ومنذ ذلك الوقت وللأبد أصبح يسمى «الإله العظيم رب السماء».

من ارتفاعه فى السماء أصبح قادراً على أن يرى تلك الكائنات التى تعادى والده ويتعقبها على هيئة القرص المجنح العظيم.

هاجمها بقوة وغضب حتى أنها فقدت حواسها ولم تعد ترى بأعينها أو تسمع بآذانها.

وسقط كل كائن فوق جاره فذبحه وفى لحظة توفت جميعها. وفوراً عاد حورس إلى والده بأشكاله الملونة وريشه. كقرص مجنح وأخذ مكانه فى قارب رع.



حيرو ــ نيتش ــ تيف ــ اف

عند هذه النقطة من الرواية أعلن تحوت أن حورس ابن رع يجب أن يسمى حيرو ــ بهوت وأن بهوت (أى ادفو) يجب أن تسمى مدينة حورس وأن رع يشير بسعادة للدم الذى اراقه ابنه والذى يود أن يخمره.

ثم اقترح حورس أن يحضر رع ويلقى نظرة على أعدائه الموتى. فوافق رع على اقتراح ابنه وذهب فى حماية حتحور متبوعاً بالربة عزرتيت Asthertet, الموصوفة بأنها «سيدة الخيل» والتى على هيئة امرأة لها رأس لبؤة تجلس فى مركبة خفيفة تجرها أربعة خيول تطأ تلك الكائنات المعادية لرع الراقدة على الأرض مقيدة بالاغلال.

عندما رأى رع حورس قال له «هذه حياة غاية فى الابهاج» ولهذا سمى معبد حورس «حياة مبهجة» منذ ذلك اليوم.

ثم علق تحوت «هذه كانت رماح أعدائى» وهكذا ومنذ ذلك اليوم سُميت ادفو تيب Teb, ثم قال لحورس بعد فترة «أنت الحامى الأعظم» فأصبح اسم قارب حورس بعد ذلك مباشرة «الحامى الأعظم».

ثم اقترح رع أن يقوموا بجولة فوق الماء ولكن الكائنات المعادية ذهبت أيضاً إلى المياه وهى بمجرد دخولها فى الماء تحولت إلى تماسيح وأفراس نهر وعندما أصبح قريباً منها بدرجة كافية فتحت أفواهها معتزمة ابتلاع الإله عندئذ هرع حورس ومعه حدادوه الذين يحمل كل منهم رمحاً مصنوعاً من حديد إلهى وسلسلة فى يده فذبحوا التماسيح وحيوانات السيد قشطة وأسروا ٦٥١ عدواً فوراً.

بعد ذلك أمر «رع» حيرو خوتى بأن توضع له تماثيل فى أرض الجنوب فى مكان يطلق عليه حيت ــ آ ــ نيخت وأثنى تحوت على حورس لاستخدامه الوصفات المكتوبة فى سفر ذبح أفراس النهر ومنذ ذلك اليوم استقر حدادو حيرو ــ بهوت فى ادفو.

ثم أن حورس اتخذ للمرة الثانية هيئة القرص المجنح ووضع نفسه فى قارب رع وأخذ معه الربتين نخبيت وياتشيت على هيئة حيتين لكى تدمرا التماسيح وأفراس النهر فى مساكنها .

وبمجرد أن أدركت (الحيوانات) أعداء رع أنها متبوعة استدارت للخلف وهربت للجنوب ولكنها فوجئت بحورس وحداديه ــ الذين يمسك كل منهم بحربة وسلسلة فى يده ــ وبجزار قوى وهم يحتلون مسطح أرض يقع جنوب شرق طيبة والذى سمى نتيجة للمذبحة الرهيبة التى حدثت فيه تشيتيمت أى المجزر. Tchetemet, هذه كانت المذبحة الثانية للكائنات المعادية لرع التى تقهقرت بعدها باتجاه الشمال لمنطقة البحر الأبيض المتوسط حيث انخلعت قلوبها رعباً من حورس ولكن الإله تبعها بعد ذلك فى قارب رع وكان معه فريقه المزود بالحراب والسلاسل. وحورس نفسه كان مسلحاً بحراب قتال وسلاسل وأدوات حدادة . وعندما انتظر ليوم كامل رآها شمال شرق دندرة فهاجمها ليصنع بينها المذبحة الثالثة فى خاى KHAI بعد ذلك أصبح اسم المكان الذى هزم فيه الأعداء هو «المذبح المقدس» ويقع قريباً جداً من دندرة وأصبح حيرو ــ بهوت بذلك إله المنطقة وأصبحت شجرتا السنط acacia, والجميز مقدستين عنده .

ولمرة أخرى هربت الكائنات المعادية شمالاً وطاردها حورس عن قرب وهو بنفس تسليحه السابق لأربعة أيام وليال كاملة ولكنه لم ير أياً منها لأنها غيرت من أنفسها لتصبح تماسيح وأفراس نهر. ولكنه عندما رآها هاجمها بعنف شديد وذبح أعدادا عظيمة منها . وقيد مائة واثنين وأربعين منها بالسلاسل وجرها إلى قارب رع وقبض أيضاً على ذكور أفراس النهر وذبح كل الشياطين ومنح أتباعه أحشاءها وللآلهة والربات التى كانت فى قارب رع قرب مدينة حيبين Heben, ــ أجسادها . ولاثبات انتصاره ذهب ووقف على ظهر أحد أفراس النهر لذلك سمى «حير ــ بيست» HER-PEST أى «هو الذى

فوق الظهر». كل هذه الأحداث تمت على قطعة الأرض المكونة لمعبد من أملاك مدينة حيبين التى طولها فى الجنوب والشمال والشرق والغرب ٣٤٢ خيت KHET

ورغم هذا فالكائنات المعادية لم تُهزم تماماً وبعضها هرب للشمال على أمل الوصول إلى «البحر الأخضر الكبير» ولكن الإله حورس طاردها وذبح الكثير من العصاه والباقى منها ذهب إلى بحر ميرتيت MERTET وهناك انضمت لشياطين ست. وبعد بعض الصعوبات عرف حورس مكانها وعندما لحق بها قبض على ٣٨١ منها وذبحها فى قاع قارب رع وأرسل لكل واحد من أتباعه جسد أحدها. عندما شاهد ست ما حدث لشياطينه صاح ونطق بأفظع اللعنات والشكاوى من التدمير المرعب الذى صبه حورس عليها وبسبب كلماته الدنسة هذه أصبح يطلق على الشياطين وللابد نيهاها Nehaha, وهاجم حورس مباشرة ست قذف برمحه تجاهه ثم طرحه أرضاً فى مكان قريب من المدينة التى أطلق عليها بعد ذلك دائماً بر ــ ريريحيو Per-Rerehu, وعندما عاد كان قد أحضر معه ست (واضعاً) رمحه فى رقبته وأقدام الوحش مصفدة بالأغلال وفمه مغلق بضربة من نبوت الإله.

بعد هذه الأعمال الباهرة أمر رع بأن يُطلق على حورس يوريو ــ تنتن URUI-TENTEN ثم أصدر بعد ذلك مرسوماً بأن أعداؤه وأعداء حورس. أى ست وبطانته يجب أن تتولاها الربة ايزيس وابنها حورس ويخول لهما أن يفعلا بها ما يودان. وبناء على ذلك أخذت ايزيس وحورس مكانهما بقرب رع وطعن الإله الشاب ست بسلاحه mab عند مكان يسمى «شى ــ نو ــ عها» «She-nu-aha,» أى «بحيرة المعركة» أو «شى ــ نيتر» أى «بحيرة الإله». ثم قطع بعد ذلك رأسه ورؤوس أتباعه فى حضور رع ومجمع الآلهة الكبير ثم جرجر جسده فى طول وعرض أرضه ورمحه مغروس فى رأسه وظهره. عندئذ أمر رع حورس ابن ايزيس بأن يسحب جسد

الوحش حوله وبسبب هذا السحب أُطلق على المكان بعد ذلك وللابد «اتسا» «Atha,» عند هذا الجزء من القصة سألت الربة ايزيس والدها رع بأن يمنح ابنها حورس قرص الشمس المجنح كتعويذه لأنه أطاح برأس الشيطان وأعوانه ونتج عن هذا أن حيرو ــ بهوت وحورس ابن ايزيس طارداً معا العدو ست وأصبح لهما نفس المظهر والشكل. فكل منهما كان له جسد رجل ورأس صقر يرتدى فوقها التاجين الأبيض والأحمر بالريش والأفاعى.

كل هذه الأحداث تمت فى اليوم السابع من شهر طيبى Tybi, فى مكان سمى بعد ذلك عات ــ شاتيت «AAT-SHATET»

بعد ذلك غيّر ست نفسه ليصبح ثعباناً عالى الفحيح وبحث لنفسه عن فتحة فى الأرض ليعيش ويُخبىء نفسه داخلها. عندئذ قال رع: «الوحش با ( ) غير من نفسه ليصبح ثعباناً ذا فحيح دعوا حورس ابن ايزيس أن يقيم نفسه فوق الفتحة على هيئة عامود يعلوه رأس حورس، ( ) بحيث لا يستطيع أبداً أن يخرج من مكانه «ولهذا السبب أصبح ثعبان هذه المدينة يسمى «الفحّاج» أو «ذا الزئير» همهمت HEMHEMET

ثم أن حورس ابن ايزيس أقام نفسه على هيئة قائم أو عصا بقمتها رأس صقر وعندما تم كل هذا وصل قارب رع إلى بر ــ عها Per-âha, أو «بيت المعركة». مقدمة القارب كانت مصنوعة من خشب السنط والجزء الخلفى من خشب الجميز ولذلك أصبحا بعد ذلك نوعين من الخشب المقدس.

فى نفس الوقت ــ مع ذلك ــ كان لا يزال باقياً هناك بعض الكائنات المعادية على الأرض لذلك فإن رع حض ابنه على أن يستعد ويضع نهاية لها ولهذا فإن حورس قال لأبيه بأنه إذا سمح للقارب بأن يتحرك حسب رغبته فإن باستطاعته أن يتصرف مع تلك الأعداء بالطريقة التى تسعده.

وعندما أبحر القارب لمسافة قصيرة على مياه «ميه» Meh, وجد أحد حلفاء ست وعندما دفع بحريته تجاهه قبض عليه وذبحه فى حضور رع فى مكان يسمى استابيت Astabet,

ثم كانت هدنة لستة أيام وست ليال استراح فيها حورس بينما كانت ايزيس تستخدم كلمات قدرتها لتبعد «با» بمعنى ست عن منطقة تسمى أن ــ روت ــ اف AN-RUT-F ثم بعد ذلك ذبح حورس ١٠٦ من الأعداء وحينئذ قام بالهجوم النهائى عليها فى مجاورتى أن ــ هات ، وتشار Tchar, أو تانيس TANIS . بعضها نجح فى الفرار والوصول للجبال والبعض الآخر قذف بنفسه للبحر فغير حورس من نفسه ليصبح على هيئة أسد برأس رجل محاط بتاج ثلاثى ممسكاً بيده سكيناً ذا حرف قاطع وتبعها فأحضر ١٤٢ منها التى ذبحها وقطع ألسنتها وتدفقت دماؤها فوق حافة الأرض.

عندما حدث هذا أعرب رع لحورس عن رغبته فى الرحيل أبعد فوق البحر وأن يقهر البقية الباقية من أعدائه تلك التى تعيش على هيئة تماسيح وأفراس نهر قرب مصر. ولكن حورس قال له إن من المستحيل الأبحار أبعد فوق البحر لأن ثلث الكائنات المعادية الباقية على قيد الحياة تعيش هناك. عندما سمع تحوت هذا تلا فصولاً معينة تحتوى على وصفات سحرية من أجل حماية القارب وأوعية الحدادة التى معه ولتهدئة البحر خلال فترة العاصفة. ومن الواضح أنه عندما تُليت هذه الفصول فإن رع ومن معه استطاعوا أن يتوغلوا فوق كل البحر ولكنهم عندما لم يروا مزيداً من الأعداء رجعوا لمصر ليرحلوا فى الليل.

أخيراً عاد حورس وبطانته إلى النوبة لمدينة شاشيرتيت حيث دمر الكائنات العاصية فى يايات UAUAT وأقدر جنودها. وعندما تم هذا غير حورس من نفسه مرة أخرى إلى هيئة قرص الشمس المجنح والثعابين وصحب معه الربتين نخبيت وياتشيت اللتين كانتا على هيئة حيتين ليهلكا بنارهما أيا من تلك الكائنات التى لازالت باقية عندما رأت الآلهة التى كانت فى قاربه هذا قالت له

«عظيم حقاً ما فعله حورس بواسطة ثعابينه دياديم DIADEM لقد قهر تلك الكائنات التى كانت خائفة منه». وقال حورس: «اجعل من الآن فصاعداً ثعبانى دياديم لحيرو بهوت أن يصبح اسماهما اور ـــ ياتشيتى ( ) Ur-uatchti فكان له ما طلب.

بعد هذه الأحداث أبحر حورس بقاربه ووصل إلى ابوللو بوليس ماجنا (ادفو) فأصدر تحوت مرسوماً بأنه يجب أن يدعى «مانح النور الذى جاء من الأفق» ( ) وعليه فلقد أمر حورس تحوت بأن يوضع قرص الشمس المجنح بالثعبانين فى كل هيكل يسكن فيه وفى هياكل كل آلهة أرضى الجنوب والشمال وفى امنتيت حتى تبعد أى شر عنها. وهكذا صنع تحوت نماذج من قرص الشمس المجنح بالثعبانين ووزعها فى المعابد والهياكل والأماكن التى ترتادها الآلهة. وهو سبب وجود قرص الشمس المجنح على قمم مداخل أحواش معابد كل آلهة وربات مصر. الربة الحية على الجانب الأيمن من القرص نخبيت وتلك التى على اليسار ياتشيت».

الأسطورة السابقة التى تعتبر ـــ بالنسبة لدراسة الميثولوجيا المصرية ـــ ذات أهمية كبيرة صيغت فى أكثر العصور حداثة ومع ذلك فمكوناتها الأساسية مستقاة من أسطورة الطبيعة التى كانت منتشرة فى العصور المبكرة والخاصة بصراع الضوء والظلام بعد دمجها ـــ بشكل أو آخر ـــ ببعض الأحداث التاريخية بالغة القدم.

ففى الأسطورة الأصلية للصراع بين رع وأبيب أو حورس وست كانت الكائنات المصاحبة للإله أو التابعة له تنحصر مهامها فى مراقبة الصراع الذى كان ـــ مثل رع نفسه ـــ غير مرتبط بالأرض. ولكن قتال حيرو ـــ بهوت مع ست كانت الكائنات المصاحبة له فيه على هيئة رجال مسلحين بالحراب والسلاسل لصنع الأغلال والذين تمت مكافأتهم بطريقة البشر. والإله نفسه كان مسلحاً بحربة طويلة جداً من «حديد الآلهة» أو «الحديد الإلهى» وبسلسلة ذات طول غير معتاد وطريقته فى القتال كانت أن يقذف برمحه على عدوه وعندما يصل إلى مقصده فإنه يقوم بقيده بالاغلال ويسحبه لقاربه حيث يذبحه بيسر.

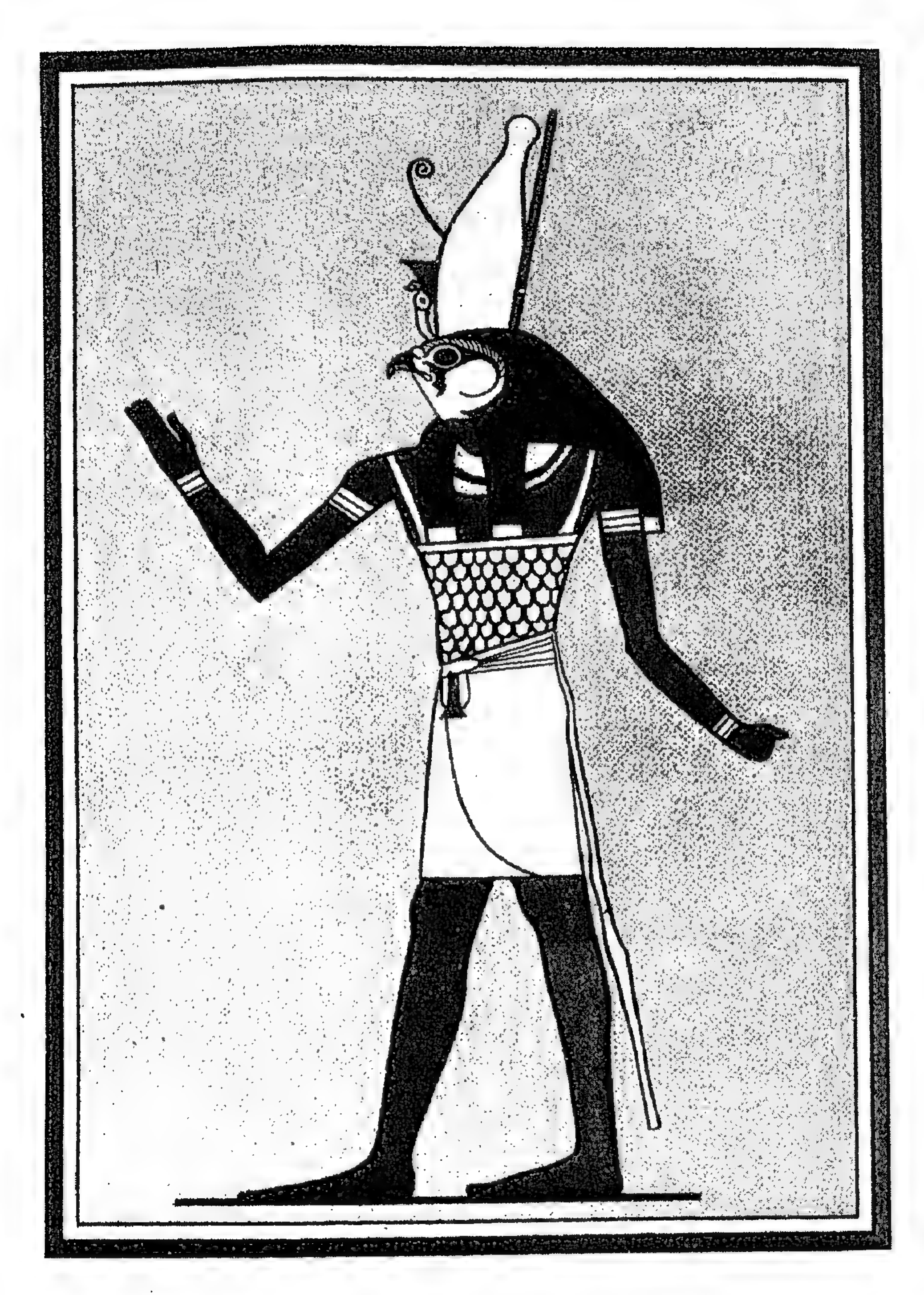
الهزيمة الأولى للكائنات المعادية تمت فى عات ـ تشتمى قرب طيبة والثانية كانت فى نيتر ـ خاتيا قرب دندرة وتبعها تدمير أعداد صغيرة منها فى محاورات النومات كلما اتجه للشمال أما الانتصار الأخير العظيم الذى صنعه الإله متخذاً هيئة أسد فقد كان فى تشار أو تانيس شرق الدلتا ليس بعيداً عن المكان الحالى لقناة السويس.

كل هذه الحقائق تظهر أننا لا نتعامل مع أحداث ميثولوجية خالصة وأن تطور الانتصارات الموصوفة لحيرو ـ بهوت ـ بشكل شبه مؤكد ـ تقوم على أساس أعمال فئة لأحد الفاتحين المنتصرين الذى كان مركزه فى أزمنة بالغة التبكير ادفو ثم بعد ذلك أخذ طريقه تجاه الشمال مع تابعيه محطماً ـ حيثما ذهب ـ كل مقاومة.

ومن الواضح أنه يدين بنجاحه أساساً لتفوق الأسلحة التى كان هو ورجاله مسلحين بها وللمادة التى صنعت منها.

وهكذا إذا تساوت شجاعة فريقين من الرجال يواجه كل منهما الآخر فإن الفريق المسلح بأسلحة صوانية لن يصمد طويلاً لهؤلاء الذين أسلحتهم من حديد. بكلمات أخرى فإن أتباع حورس الذين يسمون مسينيتى MESNITI فى النص كما رأينا كانوا فى حقيقتهم صناع معادن أو حدادين ورجالاً يعرفون كيف تُذاب خامة الحديد وكيف تُسبك الأسلحة المعدنية للهجوم والدفاع. هؤلاء سُميت ورشتهم أو مسبكهم ميسنيت MESNET ثم بعد ذلك عندما مات قائدهم وماتوا أنفسهم وكان محتماً على الكهنة أن يقيموا شعائر عبادة الإله فإن الجزء الخاص بهم فى المعبد أصبح اسمه مسنيت وعندما أخرجوا من حجرتهم تمثال إله الشمس المشرقة ـ حيرو بهوت المعدنى قيل أن الإله قد خرج من المسبك حيث تم صبه وهكذا تم تعريف ميسنيت بذلك الجزء من السماء الذى يظهر منه إله الشمس.

ومن المستحيل بالطبع تحديد من هم الحدادون الذين مسحوا مصر من جنوبها لشمالها أو من أين حضروا ولكن الكاتب يعتقد أنهم كانوا يمثلون غزاة من الشرق



حيرو ــ نيتش ــ حرا ــ تيف ــ اف

جاءوا عبر البحر الأحمر عن طريق بعض المدقات التى فى الصحراء الشرقية أى خلال وادى الحمامات أو ذلك الوادى الذى يقترب قليلاً من النيل جنوب طيبة. وقد أحضروا معهم معلومات صناعة المعادن ودق الطوب وهزموا السكان المحليين فى الجنوب أى هؤلاء الذين يحيطون بادفو وجعلوا من هذه المدينة مركزاً لحضارتهم ثم تابعوا بعد ذلك غزو واحتلال مدن أخرى وأنشأوا هياكل لآلهتهم أو المتهم بها وفى مرحلة تالية دمج الكهنة المحليون التاريخ الأسطورى للملك الحدادين المتوفى بأسطورة حورس إله السماء فى الأزمنة المبكرة مع الأسطورة الخاصة برع التى تنتمى لزمن لاحق. ولأن كهنة ادفو وجدوا أن أجزاء عديدة من هذا التاريخ المختلط عسيرة على التوضيح لذلك فلقد توصلوا ــللخروج من مأزقهمــ إلى صياغة اشتقاقات وتوريات غبية تصوروا بها أنهم سيخفون الأحداث والأسماء.

هذه ــعلى أية حالــ لها أهمية خاصة لأنهم على الأقل برهنوا على أن أجزاء من الأسطورة لم تكن مفهومة عندما صنعوا التوريات ولعبوا بالألفاظ وأن الأساطير نفسها كانت شديدة القدم كما وضحوا نقطة أخرى وهى أن المصريين أنفسهم لم تكن لديهم معلومات أفضل من تلك التى لدينا.

١٢) حيرو ــزيمع ــ [hieroglyphs] HERU-THEMĀ,

خيرو زيمع بمعنى «حورس الواخز» شكل من أشكال حورس الذى هاجم فيه ست قاتل والده برمحه الطويل برأسه الحديدى المدبب الحاد وهو يمثل على هيئة رجل برأس صقر فى اللحظة التى يقذف فيها رمحه الطويل فى اتجاه عدو غير مرئى فوق أو تحت الأرض.

١٣) حيرو ــحيبينو [hieroglyphs] HERU-HEBENU,

بمعنى حورس حيبنو أو حيبنوت [hieroglyphs] Hebennut, عاصمة النوم السادس عشر فى مصر العليا ولقد ذُكر فى أسطورة حيرو ــبهوت وعُرف به دائماً. وغالباً ما يرسم على هيئة رجل برأس صقر يقف فوق ظهر تيتل الحيوان الذى

يرتبط عادة بست ، وحيرو حيبنو يقف فوق ظهره كرمز لتأكيد سيطرة الإله على رب الظلام وكل معاونيه

١٤) حيرو ــ سا ــ عت ــ سا ــ اسار ، HERU-SA-AST-SA-ASAR

حيرو ــ سا ــ عت ــ سا ــ اسار أى حورس ابن ايزيس وايزوريس مثل كل أشكال حورس الأخرى يمثل شمس الصباح المشرقة ويبدو أنه كان بالنسبة للمصريين ــ بهذا الخصوص ــ مثل ابوللو للاغريق.

أشكال هذا الإله عديدة وبالتالى فإن هياكله أيضاً كانت متعددة للغاية ومنتشرة سواء فى الجنوب أو الشمال ولقد إندمجت فيه من وقت لآخر أشكال حورس المختلفة بدءا بحيرو إله السموات العليا ومروراً بحورس الأكبر ومنتهياً بالأشكال الأقل أهمية بمعنى آلهة بعض المدن الأقليمية.

خصائصه الأساسية ــ على أى حال ــ تمثلت فى اثنتين فهو يمثل الشمس الجديدة التى تولد كل يوم أى خليفة حيرو خوتى أو رع وهو أيضاً من ذرية الإله البشرى ايزوريس ووارثه الشرعى.

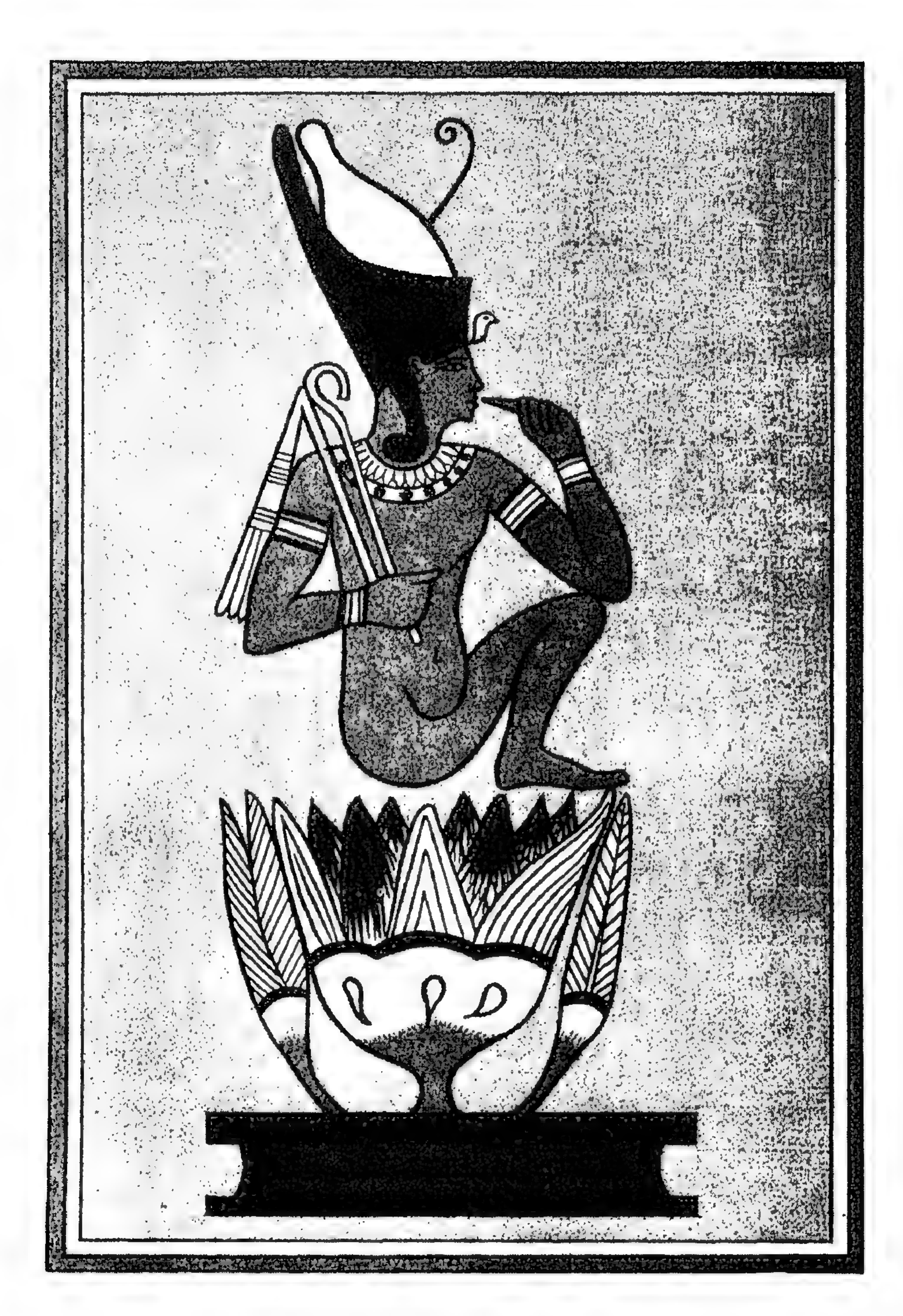
وحورس ابن ايزيس وايزوريس كان الإله الذى لاقت خصائصه قبولاً قوياً لدى المصريين من أقصى البلاد إلى أدناها لأنه كان يحمل الطابع الذى يرغب فى امتلاكه كل رجل أو امرأة فى مصر بمعنى حياة متجددة أو حياة مقابل موت أو حركة فى مقابل ركود أو امتزاج بالحياة بدلاً من الموت. بشكل أو آخر كان ايزوريس وحورس يكمل كل منهما الآخر وإن كان الاختلاف الرئيسى بينهما فى أن ايزوريس يمثل الماضى وحورس الحاضر أو كما عُبر عنه فى كتاب الموتى (XVII) « ايزوريس هو أمس ورع « حورس النامى » هو اليوم ».

والنصوص ليست ثابتة دائماً بخصوص أبوه حورس فرغم أنها اتفقت بدون تغير على أمومة ايزيس له إلا أنه ذكر فى بعض الأحيان أن والده ايزوريس وفى

أحيان أخرى رع وإن كان عدم اليقين هكذا يمكن فهمه بسهولة إذا تذكرنا آن ايزوريس ــ بتصور ما ــ كان شكلاً من أشكال إله الشمس الميت.

عن ظروف ولادة حورس قدمت لنا ترنيمة لايزوريس فكرة مناسبة حيث ذكر مدى حزن والدته ايزيس على وفاة زوجها وأن الربة كانت فى غاية الأسى بالرغم من أنها كانت مزودة بكلمات قدرة فعالة تعرف كيف تنطقها بحيث تعطى أقصى تأثير. ثم ذُكر أنها شرعت فى البحث عن الجسد الميت للإله وأنها لن تهدأ حتى تعثر عليه. ثم كيف صنعت النور بشعرها وحركت الهواء بجناحيها وناحت على أخيها ايزوريس وبمرور الوقت أحضرت جسده ونجحت فى أن تمنحه الحيوية ثم توحدت معه وهكذا أصبحت حاملاً بطفله فولدته فى مكان سرى حيث أرضعته وربته. هذا المكان السرى يبدو أنه كان يقع بين أحــراش البردى فى الدلتا. والحدث هذا أشير إليه فى عديد من الرسوم حيث نرى الربة ترضع ابنها وسط كتل كثيفة من نبات البردى.

بعد ولادة ابنها مباشرة اضطهدها ست فسجنها وابنها حورس فى منزل ولكنها بمساعدة تحوت استطاعت أن تهرب بابنها فى ليلة ما وأن تُبعد ست عن طريقها بواسطة حماية سبع عقارب تدعى تيفن [hieroglyphs] Tefen وبيفن [hieroglyphs] Befen, وميستيت [hieroglyphs] MESTET ومستيتيف [hieroglyphs] Mestetef وبيتيت [hieroglyphs] Petet, وزيتيت [hieroglyphs] Thetet, وماتيت [hieroglyphs] Matet, ــ هذه العقارب يحتمل أنها كانت تمثل برج الدب الأكبر حيث نجمى ايزيس وسوثيز (الشعرى) ــ حتى دلت العقارب الثلاث الأخيرة ايزيس على مدينة بر ــ سوى [hieroglyphs] Per-Sui, أو كروكوديبوليس ثم بعد ذلك على طيبتى THEBTI مدينة الربتين المرتديتين الصنادل [hieroglyphs] حيث تبدأ بلد المستنقعات. بينما كانت ايزيس غائبة فى يوم ما لدغت حورس عقرب وعندما عادت للمنزل وجدته يرقد على الأرض وعلى شفتيه رغاوى وقلبه قد توقف ولا توجد أى عضلة أو عضو من أعضائه متماسكاً فرغم حفظها له من ست ومن إمكانية هجوم أى كائن عليه من أحــراش البردى إلا أن عقرباً لدغ الطفل فمات.



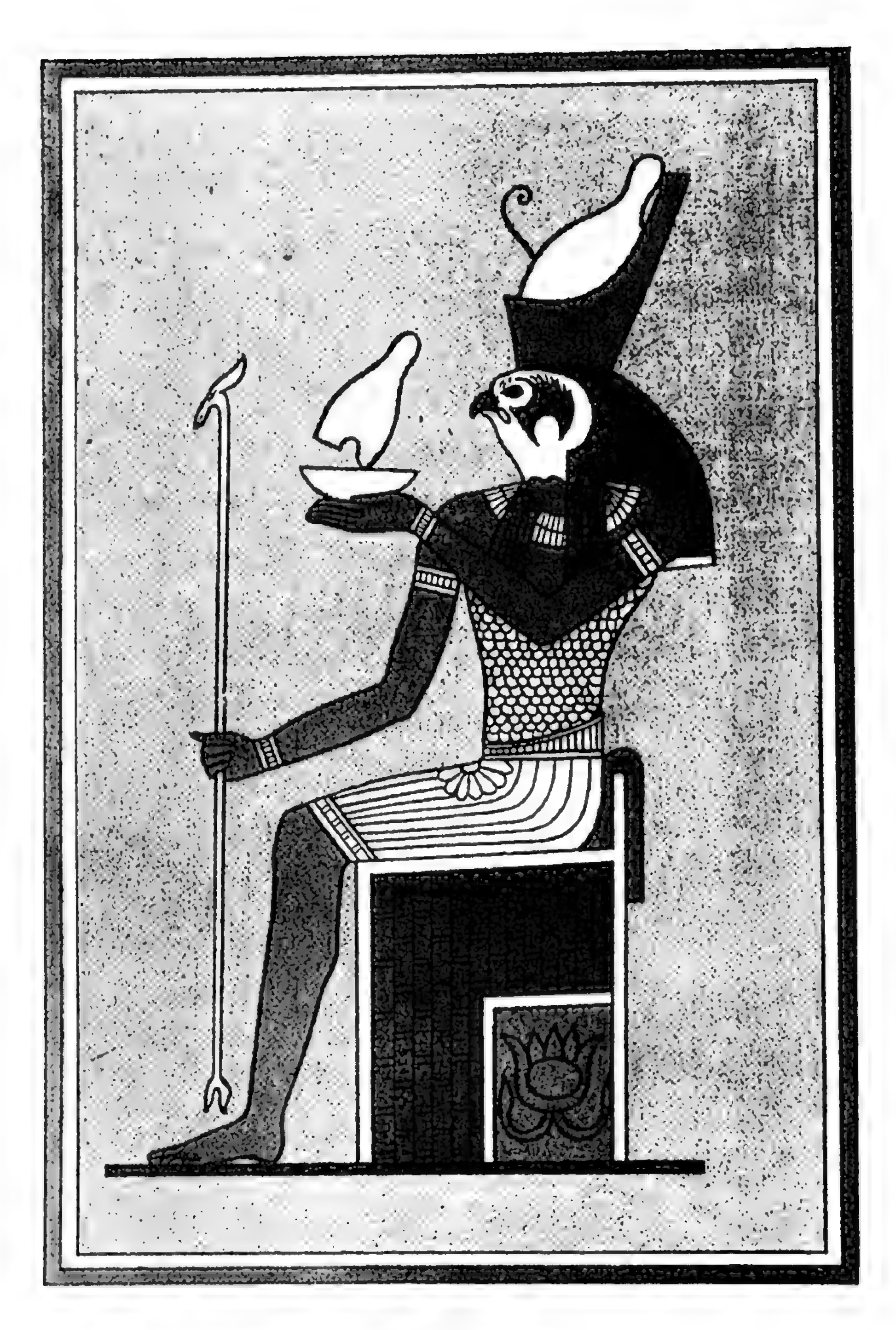
حورس ابن ايزيس وابن ايزوريس

وبينما كانت ايزيس تنوح لوفاة ابنها حضرت أختها نفتيز ومعها الربة العقرب سيركيت ونصحتها بأن تصرخ طالبة العون من السماء عندما فعلت هذا واخترق صراخها عنان السماء ليصل إلى رع فى قاربه «قارب المليون عام» أوقف الإله العظيم القارب وهبط تحوت بكلمات القدرة التى بعث بواسطتها ابنها مرة أخرى وعادت له الحياة والصحة.

بعد هذه الأحداث مباشرة استعد حورس للثأر لموت أبيه ايزوريس على هيئة «حورس المنتقم لأبيه» والذى لاقى استحساناً شديداً لدى المصريين وأجج خيالهم.

طبقاً للمحوظة فى بردية محفوظة بالمتحف البريطانى وجد فى نتيجة قديمة أن حورس قد بدأ قتاله مع ست الذى دام ثلاثة أيام فى اليوم السادس والعشرين من شهر تحوت وأن الإلهين تقاتلا على هيئة بشرية. وشهدت ايزيس المعركة ولأنها عضدت ست ضد حورس بشكل ما فإن إبنها استدار لها بغضب «نمر الجنوب» وقطع رأسها إلا أن تحوت الذى كان يراقب ما يحدث أخذ رأس الربة وعن طريق كلمات قدرته حولها إلى رأس بقرة ثم ثبتها بعد ذلك على جسد ايزيس ولقد ذكر بروجيش ــ بهذا الخصوص ــ أن ايزيس عندما وجدت أن ابنها قد نجح فى تقييد ست بالإغلال وربطه بالسلاسل ولرغبتها فى الايهلك فكت قيوده وجعلته حرا ولهذا أطاح حورس برأسها كرمز لسيادته عليها. ونحن لا نملك الوسائل التى تمكننا من معرفة تاريخ تأليف النص السابق وإن كان يجب أن يكون بالغ القدم فمن السهل أن نرى أنه لا يعدو أن يكون أكثر من فقرة مقتبسة من أساطير أقدم عن صراعات رع مع ابيب أو حيرو ــ اور مع ست ــ أو حيرو ــ بهوت مع ست.

وهو ــ بطبيعة الحال ــ أحد المصادر الأساسية التى استقت منها أساطير ما بعد المسيحية صراع الأبطال والملوك مثل الاسكندر الأكبر والقديس بطرس مع الحيوانات الخرافية والتنانين.



حبرو ـ نيتش ـ تيف ـ رع

عندما تغلب حورس على ست استطاع أن يرث والده ويأخذ مكانه على عرش ايزوريس وحكم بدلاً عنه ويظهر صدى هذا فى الكلمات التالية التى يخاطب بها أحد الرسميين — HUNEFER هونيفر— الإله ايزوريس قائلاً :

«حورس انتصر فى حضور مجمع الآلهة بأكمله . وهو قد مُنح السيادة على الكون وأصبح ملكوته يضم كل أنحاء الأرض .. وعرش الإله سب أصبح له مع المكانة التى أوجدها الإله تيمو والتى تأسست عن طريق المراسيم التى فى حجرة الوثائق والتى طبقاً لتعليمات والدك بتاح نُقشت على ألواح حديدية وثُبتت بالعرش العظيم .. آلهة السماء وآلهة الأرض جعلوا من أنفسهم خدماً لابنك حورس وتبعوه فى قاعته (حيث) صدر مرسوم بأن يصبح هو سيدهم وهم قد نفذوا المرسوم فوراً» .

والآن بجانب الحرب التى خاضها مع ست نجد أن حورس كان مُكلفاً كابن بمهام عديدة حببت المصريين فيه .

فهو الذى بذل أقصى أهتمام بإقامة كل الطقوس التى تُفيد والده الميت كذلك أشرف على تفاصيل تحنيط الإله وطريقة تكفينه ووضع التعاويذ وخلافه على جسده باهتمام المحب الحريص على أن تتم بصورة صحيحة بحيث أصبح النموذج الذى يُحب أن يحتذى به كل مصرى تقى منذ العصور السحيقة .

على أية حال وجدنا أنهم كانوا يعتقدون أن حورس —بشكل عام— هو الذى يُساعد الموتى كما ساعد والده ايزويس وكانوا يأملون جميعاً فى أن يساعدهم بعد الموت وأن يقوم بالشفاعة بينهم وبين والده حاكم العالم السفلى .

فى رسم المحاكمة فى كتاب الموتى «بردية انى» نجد أن حورس ابن ايزيس هو الذى يُقدم المتوفى بعد وزن قلبه لحضرة ايزوريس ويقول لوالده «لقد حضرت لك يا أن —نفر وأحضرت معى لك ايزوريس انى» .

ثم يسترسل قائلاً إن تحوت قد وزن قلب انى فى الميزان طبقاً لتعليمات الآلهة ووجده على حق وصحيح «وهو يسأل ايزوريس أيضاً أن يسمح لآنى بأن يمثل بحضرته وأن يُمنح الكعك والبيرة لأنه قد يصبح ضمن تابعى حورس لأبد».

ونحن لم نجد فى أى رسم من رسوم المحاكمة أن أى إله قد أخذ مكان حورس كشفيع للميت ولاشك أن هذا الواجب قد أسند له لأنهم اعتقدوا أن ايزوريس سيقابل بود هؤلاء الذين يقودهم ابنه ــ ذلك الذى صنع الكثير من أجله ــ لمجلسه. من نصوص الهرم نعلم أنه فى الزمن الذى كانوا يعتقدون فيه أن من الضرورى وجود سلم ليصعدوا به من الأرض للسماء فإن حورس كان يعتبر الإله الذى كانت له السلطة على السلالم وأنه هو الذى يُلتمس منه وضع السلم وتثبيته فى مكانه بينما يتسلقه الميت لاعلى. فى بعض الأحيان كان رع يمسك بأحد جانبيه بينما يمسك حورس بالآخر.

وفى أحيان أخرى كان حورس وست هما الداعمين ولكن فى هذه الحالة كان يبدو أن المتوفى يجد أحياناً صعوبة فى الصعود لأننا نقرأ أن حورس كان عليه أن يدفعه لأعلى باصبعيه.

وحورس كان يقدم للمتوفى أكثر من هذا فهو الذى يأخذ على عاتقه رعاية أجساد الموتى كما فعل لوالده ايزوريس وأن يشرف على أداء شعائر الدفن وطقوسه. وفى هذا العمل العظيم كان يساعده عدد من الكائنات تسمى حيرو ــ شيسمو أى تابعى حورس [hieroglyphs] التى كانت على درجة عظيمة من الأهمية والقدم فاقت بكثير ــ كما نعلم من جمل عديدة من كتاب الموتى ــ تلك التى كانت فى خدمة الآلهة الأخرى العظام مثل ايزوريس ورع ونفر ــ تم ونيب ــ ار ــ تشير وميهى وحتحور.

كذلك نعلم ــ كما ذكر من قبل ــ أن الإله حورس الأصلى [hieroglyphs] ممثل وجه السماء كان يُعتقد أن له شعراً طويلاً يتدلى من وجهه والذى ــ من

المحتمل ــ أن يكون الدعامة التى ترفعه. كذلك نعلم ــ من أسطورة الإله شو ــ أن ضفائر حورس هذه قد حلت مكانها أعمدة هذا الإله أى الأعمدة الأربعة التى كانت ترفع اللوح الحديدى المستطيل المشكل لأرضية السماء. فى زمن لاحق عندما تم ربط أتباع حورس ابن ايزيس الأربعة بحورس الأكبر فإن تلك الآلهة أى أتباع حورس الأكبر الأربعة تم اسكانها قرب أعمدة شو وكانت هى المتحكمة فيها وفى أركان السماء الأربعة أيضاً وأخذت مكان آلهة الاتجاهات الأربعة الأصلية القديمة.

فى كتاب الموتى نجد أن هذه الكائنات أى أبناء حورس الأربعة قد لعبت دوراً فى غاية الأهمية مما دعا الموتى لمحاولة كسب مساعدتها وحمايتها بأى ثمن سواء بواسطة القرابين والعطايا أو عن طريق الصلوات.

وفى رســوم تجهيز الجناز نرى أربعة رجال يسحبون الكفن المحتوى على الأحشاء المحنطة للمتوفى وأربعة حيوانات للتضحية بها وكل المعدات المستخدمة فى طقوس « فتح الفم » جنباً إلى جنب مع أوعية وصناديق المراهم.. الخ كلها بعدد أربعة. حتى الصلوات والعبارات السحرية تتلى أربع مرات وكمثال نجد أن فى الفصل (XI) يخاطب المتوفى آكل القلوب قائلاً « أعرفك » أربع مرات وفى الفصل (CXXIV) يقول «أنا طاهر» أربع مرات.

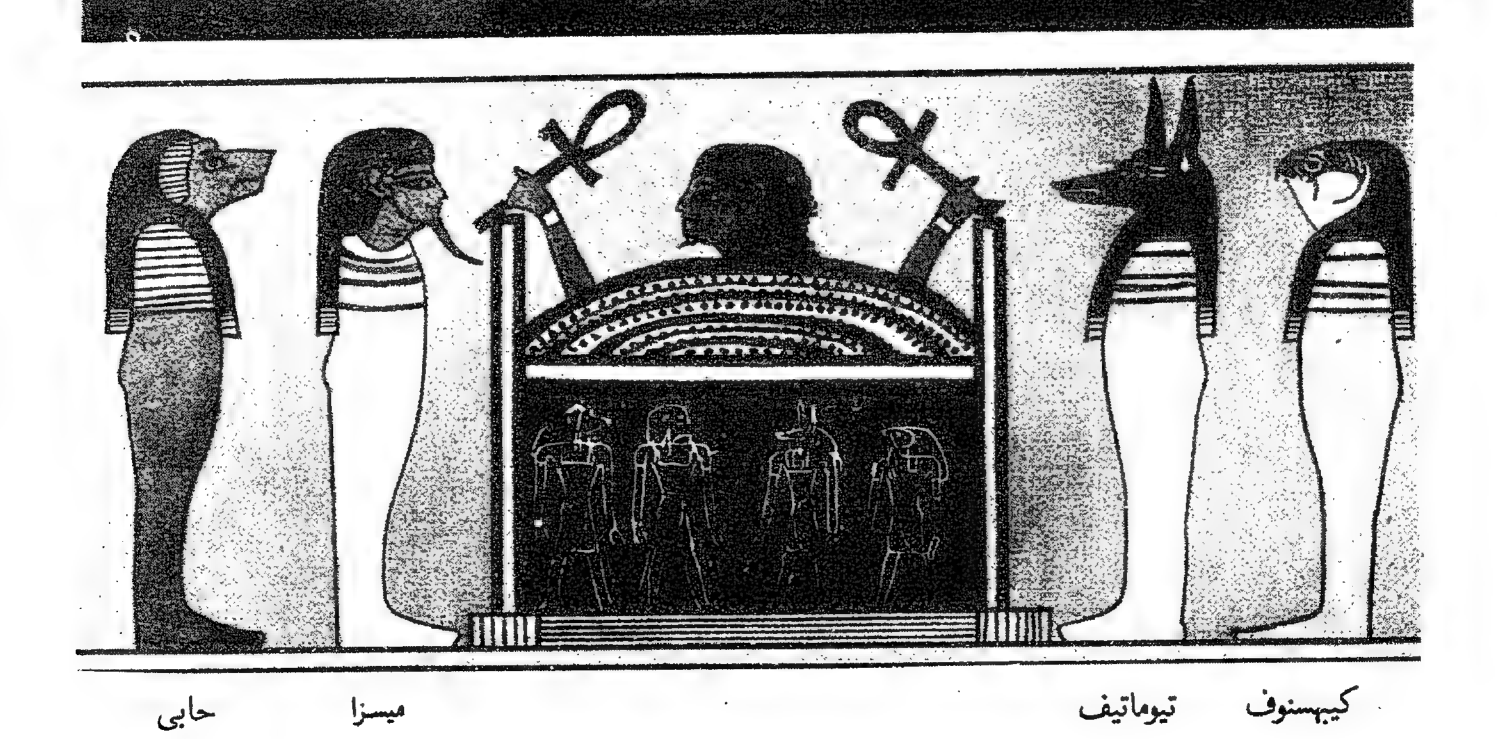
على أية حال فإن الأكثر أهمية من هذا أن نتذكر أن أبناء حورس كانت تتقاسم حماية جسد الميت فيها بينها وأن هذا كان سائداً منذ عصر الأسرة الخامسة حيث نجدها تتحكم فى حياته فى العالم السفلى.

ترتيب أو أسماء تلك الآلهة الأربعة كما جاءت فى نصوص الأهرام هى :

حاب HAB تواموتيف Tuamutef, أمسيت

AMSET كيبهسنوف Qebhsennuf,

أبناء حورس الأربعة أو آلهة الاتجاهات الأصلية



المتوفى يقوم من التابوت الجنائزى وبيديه علامتى الحياة

ولكن فى عصور تالية تغير الترتيب ومفردات اسم الآلهة كالآتى :

ميسزا Mestha, حابى Hāpi, تواموتيف Tuamutef, كيبهسنوف Qebh-sennuf,

ولقد كانوا يُعرفّون ساعدى الميت بحابى وتواموتيف أما ساقاه فقد كانا أمست وكيبهسنوف والتى ترشده وتتحرك معه على كل جانب اثنان منها عندما يدخل سيخيت عارو.

حابى كان يمثل الشمال ويحمى الأمعاء الصغيرة فى الجسد وتواموتيف يمثل الشرق ويحمى القلب والرئتين وأمست يمثل الجنوب ويحمى المعدة والأمعاء الغليظة وكيبهسنوف يمثل الغرب ويحمى الكبد والمرارة.

وكان يعاون الآلهة الأربعة ـــ ربما كقرينات أنثوية ـــ الربات نفتيز ونيت وايزيس وسيلكيت أو سيركيت.

معابد حورس ابن ايزيس ـــ الذى كان يعرف بحورس الأكبر والأشكال الأخرى للشمس فى الشروق بشكل واسع ـــ كانت كثيرة وتقع فى كل أنحاء البلد ولقد جمع أسماء أكبرها سيجنور لانزون ومن قائمته نعلم أن حورس ساكن المصرين , (TWO EGYPT) كان رب كل من النوبه وعاست (طيبة) وماعم وكينسيت وحات أنت ورى ـــ ار وبيهين ونخين أر ـــ وبرنيتشم ورى ـــ عو وحور نت وكا ـــ كيم وركيتيت وزيربر وباك وعات عات وحو وتشارت وعاتعب وحوت وحت ـــ سونين وتشتشا وايت وريتها وحيبين وسيخيم وعيتو وشيش ـــ ان ـــ ميه وهيت ـــ نيه وحتب وشب وخات وقها وتنرتوت وعانت وباكا ... الخ

«والأشكال التى صور عليها حورس ابن ايزيس رُسمت أيضاً بطرق عديدة وهامة وتظهر كيف تمثل جميع خصائص الآلهة الحورسية الآخرى بالكامل وهكذا سنجده مرسوماً على هيئة طفل يجلس على زهور اللوتس وأحد سبابتيه يلمس شفتيه وبضفيرة شعر على جانب من رأسه. التى يعلوها تاجا الجنوب والشمال ممسكاً بيديه and

Uast, (Thebes), and of Måām, Kenset, Ḥet-Ānt, Re-ur, Pe, Behen, Nekhen, Per-netchem, Re-āu, Ḥurent, Ka-qem, Reqetit, Therer, Bak, Åat-āat, Ḥu, Tchart, Åat-āb, Ḥut, Ḥet-suten, Petchatcha, It, Rethma, Ḥeben, Sekhem, Åbṭu, Shes-en-meḥ, Ḥet-neh, Ḥebt, Shep, Khat, Qāḥ, Ṭenretut, Ånt, and Baka, etc. أسماء البلاد التى كان حورس الهها

وفى رسم آخر نراه يقف على ظهر فرس نهر مُخترقاً رأسه بحربة فى هذه اللحظة هو حورس بهوت فى عصر الأسرات المتأخرة وكان يُرسم أيضاً بأشكال عديدة غريبة وتم التعبير عن صفاته المختلفة بطرق كثيرة عجيبة وهكذا سنجده عندما كان حارس طقوس جنازة ايزوريس له رأس صقر فوقها تاج ثلاثى أو بجسد أسد وذيل على هيئة رقية (تعويذة) ورأس حيوان غير معروف. وفى مكان آخر تم رسمه بسبعة رؤوس بينها رأس ثور وكبش وقط وتمساح فوق جسد بشرى له عضو منتصب وساقاه حافرا ثور وجناحاً طائر ويمسك بيد سكينا وبالأخرى ثعباناً.

ولكن بجانب خصائص الآلهة الحورسية كان حورس ابن ايزيس موهوباً بصفات آلهة أخرى وهكذا فهو حيور ــ ام ــ انبو أى حورس مثل انوبيس وقيل أنه يسكن فى «القاعة المقدسة» وتطور اسمه هذا بعد ذلك ليصبح «حير ــ مانوبيس» الذى ذكره كل من بلوتارش وديودورس. هذا الإله المزدوج تم تمثيله على هيئة رجل برأس ابن آوى ومن المستحيل تمييزه فى صورته هذه

عن الإلهين ابن آوى انبو وانوبيس اللذين يمثلان شكلين لنفس الإله حيث كان انبو « فاتح طرق الجنوب قوة الأرضين » وابوات APUAT « فاتح طرق الشمال قوة السماء ».

ابنا آوى الالهان عادة ما يرسمان على قاعدة حيث يرمزان إلى نصفى العام وسمائى الليل والنهار وفترات ظهور واضمحلال قوى الطبيعة فى الصيف والشتاء.

الشكل النادر لحورس ابن ايزيس هو حورس حيبنو Hebennu, أو هيبونون الاغريقى HIPPONON حيث يقدس بشكل خاص أنوبيس.

ربط حورس ابن ايزيس بانوبيس يسهل تفسيره لأن كلاً من الإلهين ساعد فى تحنيط جسد ايزوريس الميت وهو الأمر الذى شرح فى كتاب الموتى (XVII) وهو Mesqet فانوبيس هو الذى مر خلال غرفة التطهير فى ميسكيت الذى وقف خلف الصندوق الذى يحتوى على أجزء ايزوريس الداخلية » وفى نفس الفصل نجد أن انوبيس هو الذى عين الأرواح السبعة «تابعى سيدهم سيبا » SEPA لتكون حماة لجسد ايزوريس الميت.

وهناك إشارة وحيدة فى نفس الفصل إلى أن تلك الحماة السبعة كانت «أبناء حورس الأربعة» التى سبق ذكرها مضافاً لها ماء ـ اتيف ـ اف Maa-atef-f, وخيرى ـ بك ـ اف Kheri-beq-f, وحيرو ـ خنتى ـ ماعيتى Heru-khenti-maati

ولكن هناك مستندات أخرى تقدم أسماء الأرواح السبعة كالآتى :

١) نيتشيت نيتشيت
٢) عاكيتيت
٣) عن ـ ارتا ـ نيف ـ بس ـ اف ـ خنتى ـ حيح ـ اف
٤) عك ـ حير ـ اميمى ـ انتوت ـ اف
٥) تيشر ـ ماعيتى ـ اميمى ـ حيت ـ انيس



حورس ابن ايزيس وابن ايزوريس

٦) يوبيس ــ حرا ــ بر ــ ام ــ ختشيت

٧) ماع ــ ام ــ خيره ــ ان ــ نيف ــ ام ــ حرو

مرتبطاً بهذه لابد من ذكر الربة حيبيت ــ سيخوس

التى تم تعريفها إما بعين رع أو اللهب الذى يتبع ايزوريس لحرق أعدائه كذلك رفقاء ذلك الجزء من العالم السفلى التى يسمى أن ــ عاريرتيف AN-AARER ETEF أو ان ــ ارتيف AN-ARETF بمعنــى «المكان الذى لاينمو فيه شىء». والذى رأسه حيرو ــ نيتش ــ حرا ــ اتيف ــ اف أو «حورس المنتقم لوالده».

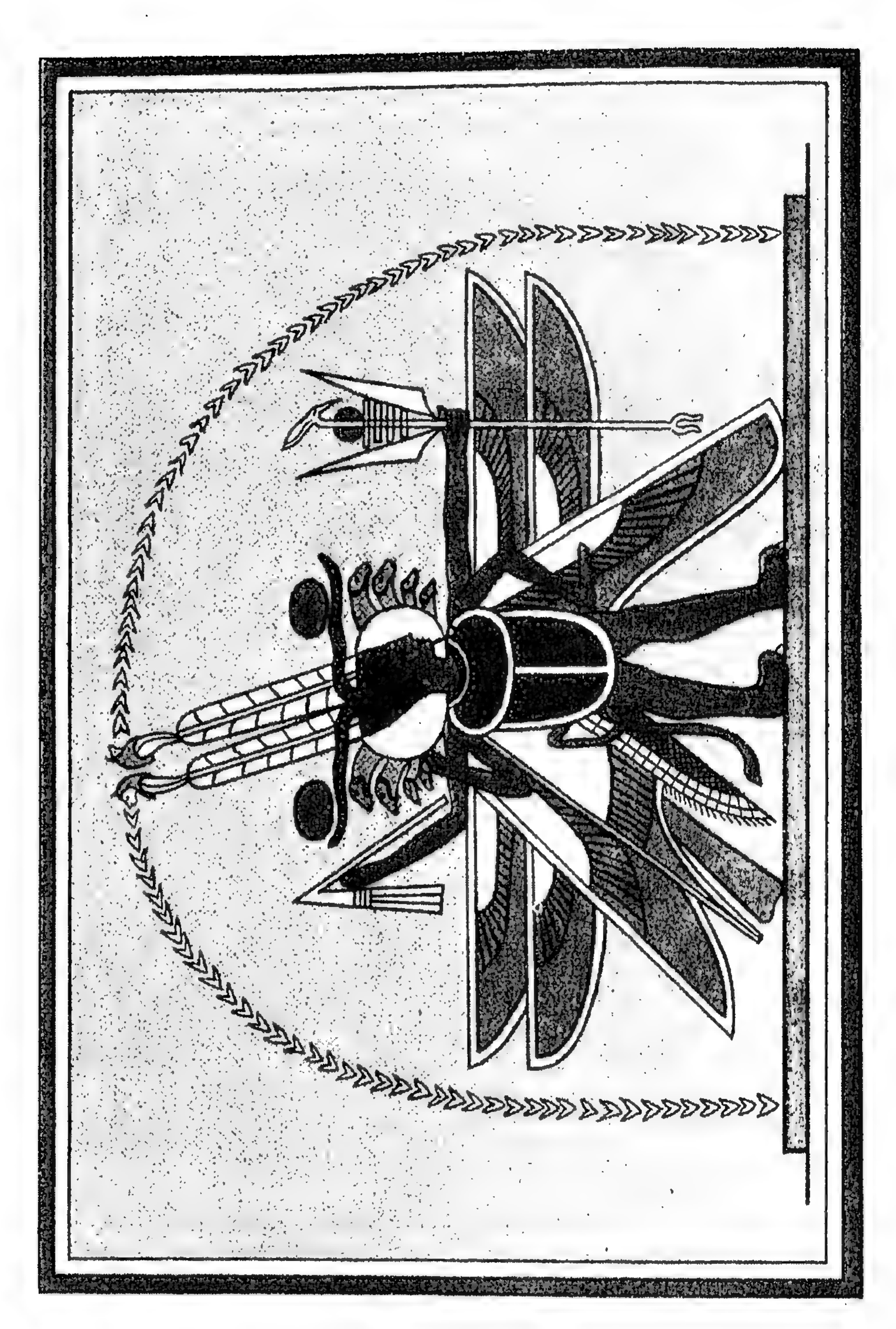
١٦) حيرو ــ با ــ خارت HERU-PA-KHART,

«أى حورس الطفل».

سبق وأن تناولنا بالدراسة «حورس الطفل» الذى هو ابن وخليفة «حورس الأكبر» والآن سنناقش بايجاز «حورس الطفل» آخر ابن وخليفة ايزوريس.

والملاحظ أن أغلب صفات وملامح الآلهة الحورسية انتقلت إلى حورس ابن ايزيس وايزوريس خصوصاً فى عصر الأسرات بعد ما سيطرت عبادة ايزوريس على مصر.

وبذلك أصبح «حورس الابن» النموذج لكل ما هو صغير وفتى فهو الولادة الحديثة والحياة الجديدة وأول ساعات النهار وأول أيام الشهر وأول شهور العام ثم أضيف بعد ذلك لملامحه كل ملامح وصفات الآلهة الشمسية العظيمة.. ومع مرور الوقت نُسيت إلى حد ما فكرته الأولى بحيث أصبح من الصعب تمييز ماهية حورس المشار إليه من النصوص خصوصاً منذ بداية الامبراطورية الحديثة فصاعداً حيث نجد أن كل كهنة الديانات المصرية الكبيرة تقريباً قد ربطوا بين حورس الطفل أو هاربوكريتيس وبين الآلهة الرئيسية للمنطقة بحيث أصبح دائماً أحد أشكال هؤلاء الآلهة الذى يتجدد فيه شباب رئيس المجمع أو الثالوث.



الإله يحتوى على جميع الآلهة

ولقد جمع دكتور بروجيش العديد من الأمثلة الدالة على هذه الحقيقة وبرهن على أن حيرو ــ سى ــ تاوى ــ با ــ خارت قد تم دمجه بالإله «تم» حيث قيل أنه ابن حيرو ــ خوتى وحتحور. كذلك أنه قد أصبح أحد أشكال رع عندما ارتبط بالإله أهى , Ahi كمــا سمى «ابن حتحور الذى منحته ايزيس ميلاده» وأنه قد اعتبر من ذرية ان ــ نفر Un-nefer, بمعنى ايزوريس.

وهو أيضاً الذى تحددت فيه الآلهة العظيمة شو وسيب وخينسو وعمسو أو مين.

مرتبطاً بحوريس ابن ايزيس فى شكل أو آخر من أشكاله يجب أن نذكر الأسطورة المحفوظة فى الفصل (CXII) من كتاب الموتى والتى تشير إلى منطقة أو مكان يسمى خات Khat, والساكن فى خات فى مدينة عنبيت Anpet, فى نوم حامهيت , HAMEHIT بمعنى النوم السادس عشر من مصر السفلى وبشكل مباشر عنبيت كان اسم معبد وحى بمدينة منديس والذى يتكون ثالوثه المحلى من با ــ نيب ــ تيتيت وحامحيت وحيرو با ــ خارت.

ومنديس كانت تعج بالآلهة المساعدة المرتبطة بايزوريس لأنه كان يُحفظ بمعبدها «هيكل ايزوريس العظمى» و«عضوه التناسلى» والمعبد كان يسمى ــ حيت ــ بايوت Het-baiut, «أى منزل الكباش» والمكان الذى وجدت فيه المخلفات الأثرية كان بر ــ خنت Per-Khent والكباش المشار إليها هنا مذكورة بالأسطورة التى يقال فيها أن كبش منديس قد أوجد داخل نفسه أرواح كل من رع وايزوريس وشو وخيبرا وكان معروفاً «بالكبش ذى الأربعة رؤوس فوق رقبة واحدة» ومن المحتمل أيضاً أن يكون قد أشير إليه فى نصوص بيبى الأول حيث ذكر إله بأربعة وجوه.

فى الفصل المذكور أعلاه جُعل الميت يقول سائلاً عدداً من الآلهة «هل تعرفون السبب الذى من أجله أعطيت مدينة بى ـ هاز PE-HATH لحورس؟». ثم استمر قائلاً «أنا ـ حتى ـ أنا أعرفه رغم أنكم لا تعرفون. أنظر رع أعطاه المدينة فى مقابل الاتلاف الذى حدث لعينه. فلهذا السبب قال رع لحورس «انظر لهذا الخنزير الأسود» وهو قد نظر ومباشرة حدث الاتلاف لعينه ـ بمعنى أن نقول ـ عاصفة قوية (أخذت مكانها هناك). عندئذ قال حورس لرع «بالتأكيد عينى تبدو كما لو كانت عينا ابتلاها سوتى SUTI بلطمة» و(هكذا يقال) أنه أكل قلبه. عندئذ قال رع لهذه الآلهة «ضعوه فى حجرته وسوف يتحسن».

والآن الخنزير الأسود كان سوتى (ست) الذى حول نفسه إلى خنزير وهو الذى صوب قذفه النار التى أصابت عين حورس عندئذ قال رع لتلك الآلهة «الخنزير أصبح شيئاً ملعوناً لحورس ولكنه سيشفى رغم أن الخنزير قد سبب الرجس له» عندئذ قال مجمع الآلهة التى كانت من بين أتباع حورس عندما تواجد على هيئة ابنه قالت: «دعه يضحى بثيرانه ومعيزه وخنازيره».

والآن الوالد لميسيزى وحابى وتوموتيف وكـيبهسنوف هـو حورس وأمهم هى ايزيس عندئذ قال حورس لرع «امنحنى الهين أخوين لى فى مدينة» با «وأخوين إلهين لى فى المدينة التى (انبثق) منها جسدا نخين ليظلا معى على هيئة قضاة الخلود وعندئذ سوف تزهر الأرض وستختفى السحب الرعدية والمطر.

وهكذا أصبح اسم حورس «حيرو ياتشن ـ اف» Her- uatch-f,

بالإضافة لأشكال حورس التى ذكرت فى الفقرات السابقة نجد أن نصوص الأهرام قد قدمت لنا الآتى بعد:

١) حورس أعح HERU-AAH.، أى حورس رب القمر

٢) حيرو ـ خينت ـ بيرو HERU-KHENT-PERU,

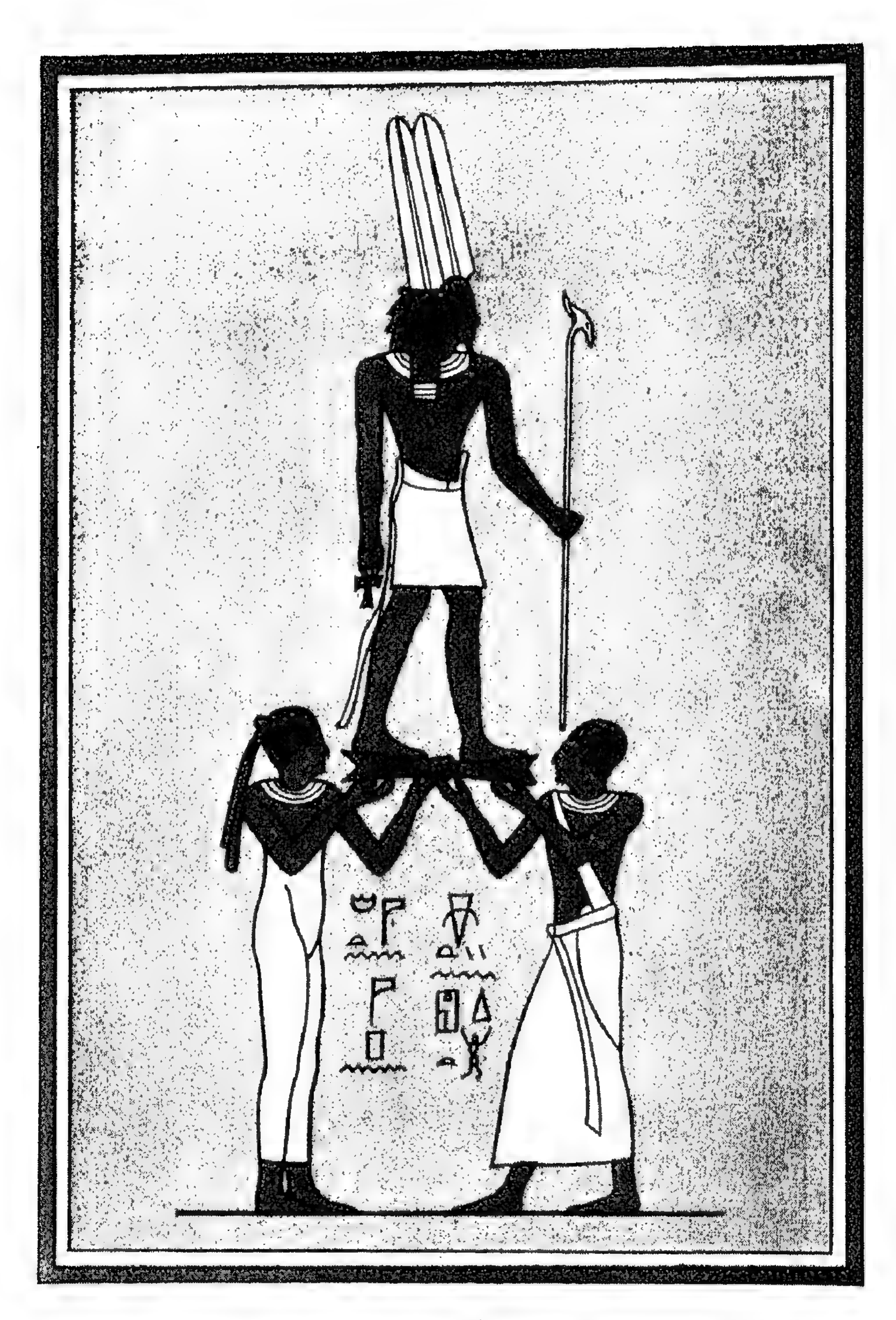
٣) حيرو ـ عم ـ حيننو HERU-AM-HENNU,

٤) حيرو ـ تات

ومن نفس المرجع نجد أن حورس كان يمتلك عينا بيضاء وأخرى سوداء والتين يقال أن الملك يونس أخذهما لينير وجهه. كذلك نجد لقبين للإله أحدهما «حورس ذو العينين الزرقاوين» والآخر «حورس ذو العينين الحمراوين». فى نسخة طيبة المعدلة لكتاب الموتى ذكر أيضاً هذان اللقبان بالإضافة إلى الألقاب الآتية:

- حيرو ـ عا ـ ابو Heru-âa-abu,
- حيرو ـ عهى HERU-AHAI
- حيرو ـ امى ـ عبو ـ حير ـ آب ـ امى خات Heru-ami-abu-her-ab-ami-khat,
- حيرو ـ امى ـ اثين Heru-ami-athen,
- حيرو ـ ام ـ خيبت Heru-em-khebit,
- حيرو نيب ـ يوريرت Heru-neb-ureret,
- حيرو ـ هر ـ نفرو Heru-her-neferu,
- حيرو ـ خينت ـ حيح Heru-khent-heh,
- حيرو ـ خنتى ـ حيح Heru-khenti-heh,
- حيرو سخاى Heru-sekhai,
- حيرو شيت ـ خرا ... الخ Heru-shet-hra,

أخيراً فى نصوص يونس نقابل الشكل حيرو سيبت HERU-SEPT الذى ذكر مرتبطاً برع وتيم وتحوت وحورس وتات والنجم نيخيخ Nekhekh, وتخميناً يمكننا أن نقول أن حيرو ـ سيبت هو حورس الذى كان يُعبد كإلـه الشمس التى تشرق فى النوم العشرين من مصر السفلى أى نوم



الإله سيبت

سيبت الإله سيبت كما جاء فى الأمثلة التى قدمها سيجنور لانزون نجده فى بعض الأحيان على هيئة رجل على رأسه إما الرمز أو أو القرص ⊙ وفى بعض الأحيان على هيئة صقر محنط على رأسه زعف نخيل والرمز أمامه مُنيات على ظهره. اللقب الذى يصاحب هذا الرسم هو «رب الشرق» بمعنى الجزء الشرقى من الدلتا والجزيرة العربية وهو يظهر فى معبد مكتشف فى صفت الحنا (بواسطة نافيل) على هيئة الإله بس Bes, الذى يُمثل بذراعين ويدين وجناحين ممتدة وبريش يعلو رأسه.

بهذا الشكل كان يسمى «سيبت مُبتلى المنتى» Menti, أى قبائل الصحراء الشرقية والجزيرة العربية. وسيبت كان بوضوح إله الحرب وكان يسمى «الثور الذى يدوس فوق المنتى» وقد كان «مقوى مصر وحامى معابد الآلهة».

مقر عبادة هذا الإله الرئيسى كان فى عاصمة النوم أى فى بر ــ سيبت Per-Sept, وإذا كانت كيسم مدينة مختلفة عن بر ــ سيبت فيحتمل أن يكون بها أيضاً معبد للإله.

القرينة الانثى لحيرو ــ سيبت كانت شكلاً من أشكال الربة حتحور والتى كان اسمها فى النوم العشرين من مصر السفلى سيبتيت SEPTIT,

ومعبده يحتوى على بعض الأشجار الجميلة «نيبيس NEBES» «نبق» لذلك كان يسمى است ــ نيبيس أى «مسكن أشجار النبق» و «كرب المعركة» كان سيبت يرسم على هيئة أسد برأس صقر له ذيلا أسد وصقر ويمسك بنبوت ونبله (القوس) بيديه البشريتين وعلى رأسه قرص وفرعا نخل.

وسيبت قد ذُكر بصفات إله حرب حتى فى كتاب الموتى ففى فصل (Xvii) يقال أنه «يحبط أعمال أعداء نيب ـــار تشير» وفى فصل (Xxxii) يبعد المتوفى تمساح الجنوب بأن يقول «أنا سيبت».

وفى فصل (CXXX) نقرأعن «ذبح أشخاص بواسطة الإله سيبتو حتى الآن لا يوجد تفسير مُرضٍ للشىء الذى على هيئة رمز الإله سيبت ولكن يبدو أنه كان نوعاً من المثلثات التى تم حفظ شكل أو نوع منها لدى الربة آمون ـــخيبرو تيت Amen-kheperutet, والذى وصف فى بيان ادفو على أساس بمعنى « المستور الخاس (؟) ان سيبت KHAS-(?)EN-SEPT ».

الفصل السادس عشر

ثالوث ممفيس بتاح سيخيت وأمنحتب

أكبر جميع آلهة ممفيس ــ بدون شك ــ كان بتاح PTAH أو بتاح ــ نيب ــ عنخ «PTAH-NEB-ANKH» الذى ترجع عبادته ــ بشكل أو آخر ــ إلى الجزء المبكر من عصر الأسرات. وبتاح كان يعتبر ــ دائماً ــ أحد أشكال آلهة الشمس ومجسداً للشمس التى تشرق سواء فى الزمن الذى تبدأ فيه الظهور فوق الأفق أو بعد شروقها مباشرة.

اسم الإله كان عادة ما يفسر «بالفتّاح» وذلك عن طريق اشتقاقه من جذور ــ قريبة من هذا المعنى ــ للكلمة السامية المعروفة بتّاح פָּתַח, pâthakh, وفى الحقيقة كان يُعتقد أن بتّاح هو «الفتّاح» لليوم تماماً مثلما كان يعتبر «تم» «الغلاق» لليوم.

العيب الأساسى لقبول هذا الاشتقاق يتحدد فى أن بتاح لم يكن ــ أبداً ــ فى النصوص أحد الأشكال الرئيسية لإله الشمس وأن صفاته كانت تختلف تماماً عن تلك التى لخيبرا أو تم أو حيرو أو رع.

كلمة بتاح وجدت بالهيروغليفية ولكنها لم تكن تعنى «فتح» بمعنى فتح الباب مثلاً والحرف الذى يتبعها ,—— يدل بشكل قاطع على أنها كانت تعنى دائماً «يفتح» بمعنى «حفر أو نحت أو نقش على شىء صلب» أو ما يشبه هذا والتى تشبهها كلمة «هــب» פִּתּוּחַ Heb. فى العبرية التى تعنى نحت. أو عمل تمثالاً. دكتور بروجيش يرى أن اسم بتاح يعنى نحات أو رسام ومن جمل عديدة فى نصوص كل العهود يظهر أن بتاح كان الإله الرئيسى للصناع اليدويين

والعمال الذين يعملون فى المعدن والحجارة. عموماً إذا كان الشكل الأصلى لصفات الإله من المستحيل تحديده ـ لسوء الحظ ـ إلا أننا يمكننا أن نلاحظ من الألقاب التى منحها له مصريو عصر الأسرات أن ملامحه الأساسية لم تتغير خلال الفترة من الأسرة الثانية حتى العصر البطليموسى والرومانى.

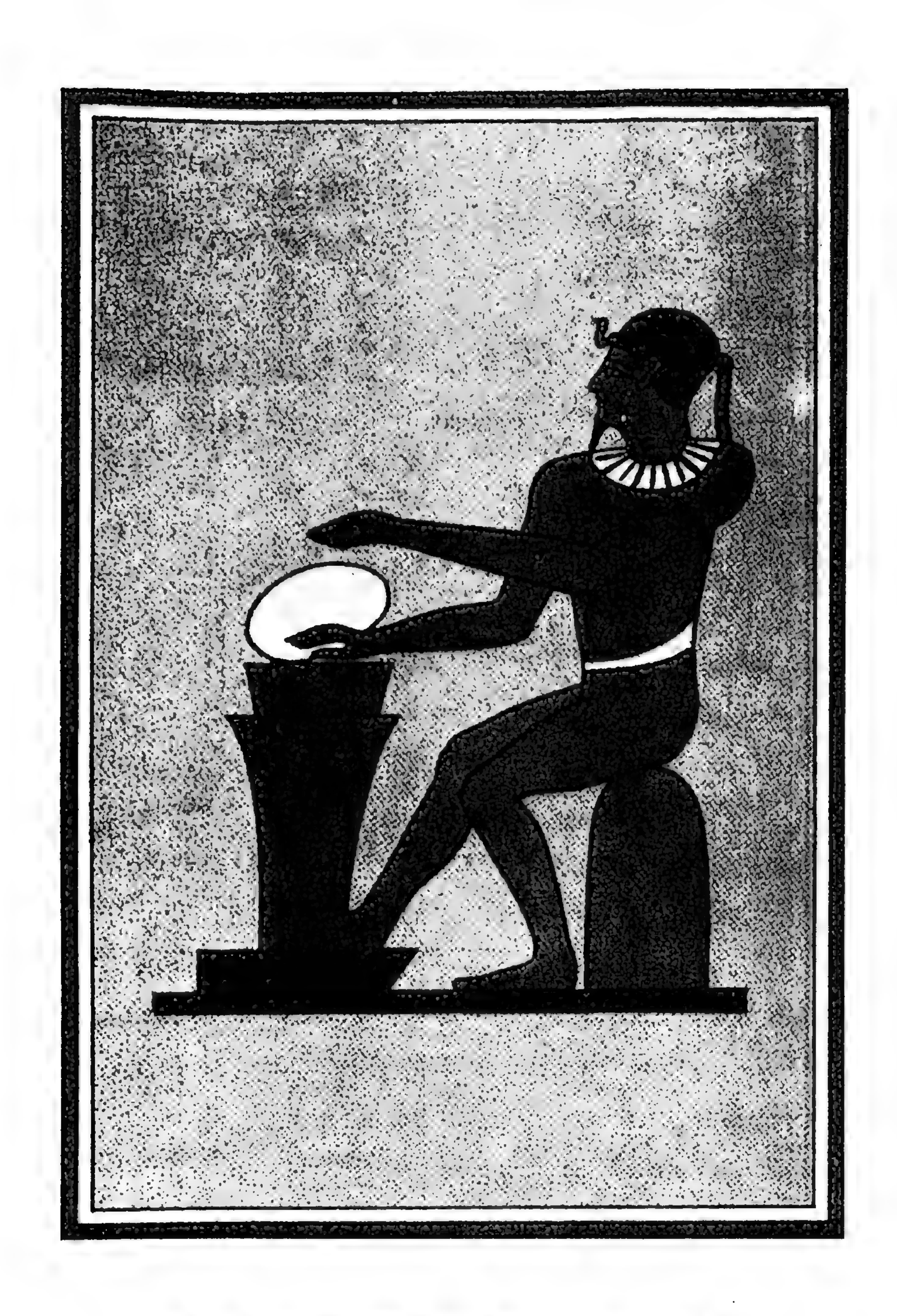
ففى فترة مبكرة للغاية كان معروفاً بأنه أحد الآلهة البدائية العظيمة فى مصر وكان يسمى «الإله بالغ العظمة الذى جاء للوجود فى الزمن المبكر» «أبو الآباء قوى الأقوياء» «والد البداية وخالق البيضة (بيضتان) الخاصة بالشمس والقمر»

«رب ماعت ملك الأرضين الإله مليح الوجه فى «طيبة» الذى خلق صورته والذى شكل جسده والذى أسس ماعت خلال الأرضين» «بتاح قرص الشمس. منير الأرضين بنار عينيه».

فى نص تيتا ذكرت «ورشة بتاح» والمعنى العام للجمل يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن بتاح هو الذى يشكل الأجساد الجديدة التى ستعيش فيها أرواح الموتى فى العالم السفلى.

وبتاح كما سنرى بعد ذلك من جمل مأخوذة عن كتاب الموتى كان صانع معادن ماهر بالإضافة لقدرته على اذابتها وصبها وهو فى نفس الوقت صانع تماثيل جنباً إلى جنب مع كونه المعمارى والمصمم الأعظم لكل ما هو كائن فى العالم وبذلك فالاغريق والرومانيون عندما عرّفوه بهيفايستوس HEPHAISTOS وفولكان FULCAN كانوا على حق.

وبتاح كان الزميل العامل لخينمو فى تنفيذ تعليمات تحوت بخصوص خلق الوجود فبينما كان الأخير مشغولاً فى تشكيل البشر والحيوانات كان الأول يعمل فى إنشاء السموات والأرض.



— بتاح يشكل «البيضة العالم» فوق عجلة الفخارى التى يعمل عليها بقدمه

فالبلاطة المستطيلة الحديدية الضخمة التى تكون أرضية الجنة وسقف السماء دقها بتاح وهو ومعاونوه الذين صنعوا الدعائم والأساسات التى تبقيها فى مكانها. وبتاح عندما كان يأخذ طابع معمارى الكون كان يحصل على صفات تحوت خصوصاً ما يتصل منها بلقبه « رب ماعت » وعندما يكون الإله الذى يدق الحديد المحمى بمندالته ويشبته فإن صفاته كانت تماثل تلك التى لشو.

وفى وظائف أو مهام أخرى كان يُفترض أن يُزود بقدرات تشبه تلك التى اعتدنا عليها ليتمكن من مشاركة الآلهة الأخرى.

النصوص الدينية والجنائزية تحتوى على العديد من تلك المشاركات. فهو بتاح ـ اسار أى بتاح ايزوريس وبتاح ـ حابى وبتاح نو وبتاح سيكر اسار وبتاح سكر تم وبتاح تانين وآلهة أخرى على نفس الشكل.

أما الجزء الذى يلعبه بتاح فى صوره المختلفة فنجد فى كتاب الموتى اشارات عديدة لها مثل ما جاء فى الفصل (XI) حيث يقال أنه قد أتى فوراً من المعبد العظيم للواحد الكبير فى أننو وفى الفصل (IV) يقول المتوفى « سأقف مثل حورس سأجلس مثل بتاح سأكون قادراً مثل تحوت وقوياً مثل « تم » » وفى الفصل (XIII) نعلم أن شو أو بتاح قد قام بإقامة شعائر « فتح الفم » للآلهة بواسطة سكين حديدى. وفى الفصل (XLII) تم تعريف قدم المتوفى بقدم بتاح. وفى الفصل (LXIV) يقال أنه قد غطى السماء بالكريستال. وفى الفصل (LXXXII) نص يستطيع الإنسان باستخدامه أن يحول نفسه إلى بتاح عندما يصبح لسانه شبيه بلسان الإله. وفى الفصل (CXLV) يشار إلى « كتابات بتاح ». وفى الفصل (CLI.A) يقول ميسزا للمتوفى أنه قد « أنشأ له منزلاً متيناً طبقاً لتعليمات بتاح ». وفى فصل (CLXVI) يُقال أن بتاح قد قهر أعداء المتوفى. وفى فصل (CLI) قورن شعر المتوفى بشعر بتاح ـ سيكر وفى فصل (CLIII) تم ذكر « خطاف بتاح » وفى فصل (CLXX) يقال أن هذا الإله قد ساعده بأسلحته من منزله الإلهى Khakeru.

وفى صلاة أو ترتيلة لايزوريس فصل (XV) تم مخاطبة ايزوريس باسم ان ـــنفر ـــحيرو ـــخوتى وباسم بتاح ـــسيكر ـــتم الذى فى أننو و« رب المكان المستور وخالق حيث ـــكا ـــبتاح « أى » منزل بتاح المزدوج أو ممفيس » . وأخيراً بتاح تانين فى فصل (CLXXXIII) ذُكر على أنه السبب فى نقش مراسيم محددة تخص حورس على « صحيفة حديدية » .

أكثر الأشكال شيوعاً التى صَورت بتاح كان ذلك الذى يبدو فيه على هيئة رجل مُلتح برأس محلوق مُكفن فى جلباب ملتصق عليه تخرج من فتحة أمامية فيه يداه ويتدلى مينات من خلف رأسه رمز السرور والسعادة . وهو يقبض بيديه على صولجان وعلامة الحياة ورمز الاتزان وعندما يقف فإن قدمه تستقر على قاعدة مشكلة على هيئة علامة ماعت وعندما يجلس على عرشه فإن هذا العرش يستقر على قاعدة لها نفس الشكل .

فى خلفية الرســوم الواقف فيها نرى فى بعض الأحيان مسلة ، أو تيت TET ، وكلاهما يرمز للاتزان أو الرسوخ أو لساق الشجرة التى خبأت ايزيس فيها جسد ايزوريس .

وبتاح بشكليه بتاح ـــنو ، وبتاح ـــحابى ، يتمثل فيهما اتحاد الصانع العظيم ومعمارى السماء مع العناصر الأولية للأرض والسماء ولا معنى لهما غير ذلك .

فى نفس الوقت يجب أن نناقش بشكل خاص أشكاله بتاح ـــسيكر ـــاسار ، وبتاح ـــتانين ،

بتاح سيكر يمثل تجسيد توحد كل من قدرة الخلق الأولية مع أحد أشكال قوى الظلام الخامدة بمعنى آخر بتاح سيكر هو شكل من أشكال ايزوريس أى شمس الليل أو إله الشمس الميتة .

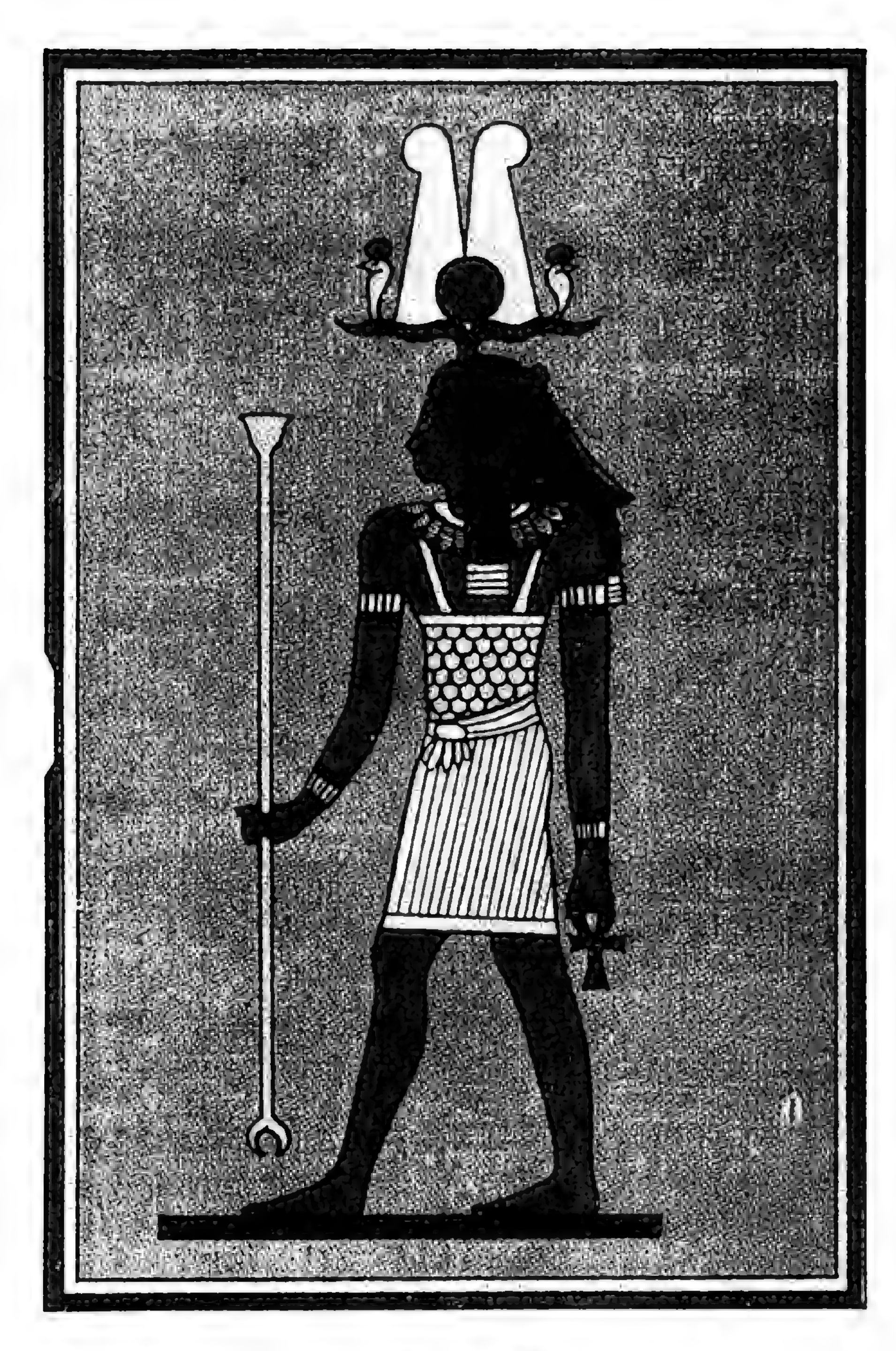
سيكر مرسوم كرجل برأس صقر على هيئة مومياء بشكل يشبه ذلك الذى لبتاح ويداه تخرجان من مقدمة جلبابه الضيق الملتصق على جسده وهو يمسك

بها شارات السيطرة والتسلط ; ، ، ، وفى بعض الأحيان يكون له رأس بشرى ويمسك بيده سكيناً سيكر فى البداية كان يمثل قوة الظلام او الليل وفى عصور تالية تم تعريفه بإله الشمس الليلى مثل «تم» وكان يدعى «بالإله العظيم الذى جاء للوجود فى البداية وهو الذى استقر على الظلام».

الفصل (XVII) من كتاب الموتى يحتوى على التماس يرجو فيه المتوفى أن يُخَلّصْ من «الإله العظيم الذى يطرد الروح التى تأكل القلوب وتتغذى على الأحشاء. حارس الظلمات الإله الذى فى قارب سيكر » ثم نجد تفسير هذه الجملة فى الإجابة «من هذا؟» الإله الذى فى قارب سيكر يقال أنه أما سوتى أو سمام أور SMAM-UR روح سب. ومنها يتضح أن سيكر كان روحاً قديمة أو الاها له ملامح وصفات تجعل من الممكن تمثيله بالإله ست أو سوتى عدو «رع» أو بروح إله الأرض سب.

فى عصور الأسرات المبكرة كان سكر يعظم على أساس أنه إله ذلك الجزء من العالم السفلى المخصص لأرواح السكان ممفيس وما يجاورها وفى الأغلب كانوا يعتبرونه الإله الحامى لمقابر سقارة. قارب سيكر ــ الذى ذُكر من قبل ــ عادة ماكنا نجده مرسوماً فى النقوش التذكارية والبرديات ومن المؤكد أنه كان له دور فى غاية الأهمية فى شعائر معينة وفى الطقوس الدينية.

وهم لم يرسموه على شاكلة القوارب العادية ولكن كانت إحدى نهايتيه على هيئة رأس نوع خاص من الغزلان أو المها وكانت أعلى من الأخرى بكثير. أما وسط القارب فقد كان يمثله صندوق أو خزانه مغلقة بجرص يعلوها وفوق قمتها يحط صقر يفرد جناحيه الواقيين. هذه الخزانة كانت تحتوى على جسد إله الشمس الميت «اف» أو ايزوريس وتستقر على زحافة مزدوة بدادات.



الإله بتاح ـ سيكر

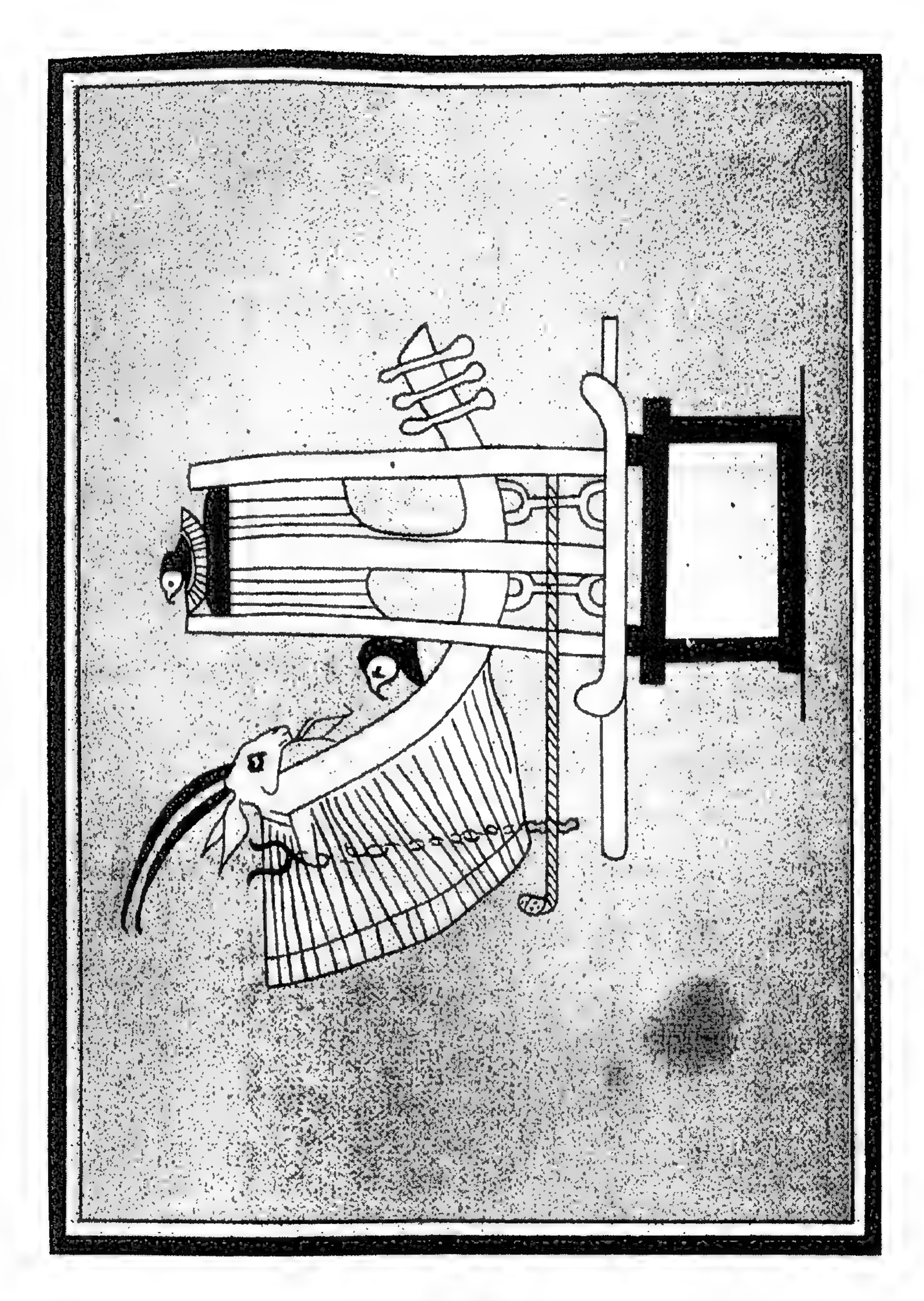
فى احتفالات الليلة الكبيرة لسيكر التى كانت تقام فى أماكن عديدة فى جميع أنحاء مصر كانت شعائر وضع قارب سيكر فوق زحافته تتم عند شروق الشمس فى اللحظة التى تبدأ أشعتها فى الانتشار على الأرض. والاحتفال بالكامل كانت تجرى طقوسه تحت اشراف كاهن ممفيس الأعظم الذى يحمل اللقب الرسمى «ارى ـ خيرب ـ هم» Ur kherp hem بمعنى «رئيس المطرقة» فقد كان من المفترض أن يضع بنفسه قارب سيكر على زحافته وأن يقود موكب الكهنة الذين يسحبون الزحافة المحملة ويدورون بها حول قدس الأقداس كرمز لدورة الشمس والأجرام السماوية الأخرى. هذا الرمز لم نجد ما يفسر مصدره فى النصوص.

الإله سيكر ـ أسار

وظيفة كاهن بتاح الأعظم كما نعرف من المخطوطات التى وُجدت فى ممفيس والأماكن المحيطة كانت تعتبر من أكثر الوظائف شرفاً ولا يتولاها ـ منذ عصر الأسرة الثانية ـ إلا رجال من الطبقات العليا والعائلات النبيلة.

وهكذا مادامت وظيفة الكاهن الأعظم كانت قائمة منذ تلك العصور فمن المنطقى أن نفترض أن قارب سيكر أيضاً كان موجوداً وأن الطقوس التى استخدمت فى العصور اللاحقة كانت أيضاً قائمة فى ذلك الوقت وأن الإله سيكر كان ربما قديماً حتى فى عصر بناة الأهرامات وبالتالى فملامح عبادته الأساسية يجب أن تكون بنفس درجة قدم الإله.

الأسم الذى أطلق على قارب سيكر هو «حيننو» «Hennu,» .



قارب الإله سيكر فوق زحافة.



«بطليموس الأكبر وقارب حيننو»

ولقد ذُكر مرات عديدة فى كتاب الموتى وأحياناً مرتبطاً بتقاليد على درجة أهمية عالية وهكذا فبعد الفصل (XIV) نجد ملاحظة قيل فيها أن النص قد وُجد على الحجارة التى أسفل هيكل حيننو فى عهد سيمتى أحد ملوك الأسرة الأولى من هذا يجب أن نستنتج أن حيننو هذا لابد وأن يكون رب قارب حيننو وأن هيكله يجب أن يكون المكان الذى كان يُحفظ فيه هذا القارب.

وهناك دليل آخر هام يبرهن على مدى قدم هذا القارب وهو الموجود على لوح من خشب الابنوس محفوظ فى المتحف البريطانى الذى صُنع من أجل حامل أختام الملك حيماكا HEMAKA الذى عاش خلال فترة حكم سيمتى والذى كان اسمه الحورسي «تين» Ten. على هذا اللوح نجد رسماً للملك وهو يرقص أمام ايزوريس الجالس على هيكل فى نهاية مجموعة سلالم منقوش تحته تماماً رسم لقارب حيننو.

وقارب سيكر أو حيننو من المحتمل أن يكون شكلاً من أشكال قارب سيكتييت بمعنى القارب الذى تبحر فيه الشمس فوق السماء خلال النصف الثانى

من رحلتها اليومية والذى تدخل به العالم السفلى فى المساء لأن رع المسن
يقال أنه يشبه حورس ورع الرضيع يشبه سيكر.

مراكز عبادة سيكر لابد وأنها كانت متعددة فى مصر منذ زمن الأسرات الأولى وإن كان يبدو أنه قد تم دمجه وتعريفه بالإله بتاح قبل حدوث التطور الواسع لعبادة رع بحيث أن هذين الإلهين كانت تجرى عبادتهما فى معبد واحد.

الأشكال التى تمثل فيها بتاح سيكر هامة لأنها تشير إلى صفات الإله المزدوج وتبرهن أن بتاح هو الذى اغتصب ملامح سيكر وأن الأخير هو الإله الأقدم.

فبتاح سيكر عادة ما كان يرسم على هيئة رجل يضع على رأسه تاجاً مكوناً من قرص وفرعى نخل وقرنين وثعبانين على رأسيهما قرص شمس

وفى رسم مشابه قدمه لانزون نجد أن الإله الذى يدعى فى هذه الحالة «بتاح سعفتاه جميلتان» يضع فوق رأسه قرنين وسعفتى نخل وثعبانين آخرين على جبهته.

فى شكل آخر هام نجده على هيئة مومياء على رأسها قرص وريشتا ماعت وفى مكان آخر نجده فى شكل بتاح المعتاد. يجلس على عرش خلف ايزوريس ويتبعه كل من أنوبيس وحورس ابن ايزيس وحتحور.

تحت اسم بتاح ــ سيكر ــ أسار توحد كل من بتاح وسيكر مع ايزوريس ليكونوا ثالوثاً جديراً بالاهتمام.

هذا الإله الثلاثى تم تصوره بطرق مختلفة كان الشكل الشائع منها لصقر يضع على رأسه تاجاً أبيض وسعفتى نخل ويقف فوق قاعدة منخفضة ينبثق من خلفها ثعبان. على هذا الشكل كان عادة ما يواجه عدداً من الأكفان المصبوغة وصناديق الدفن.

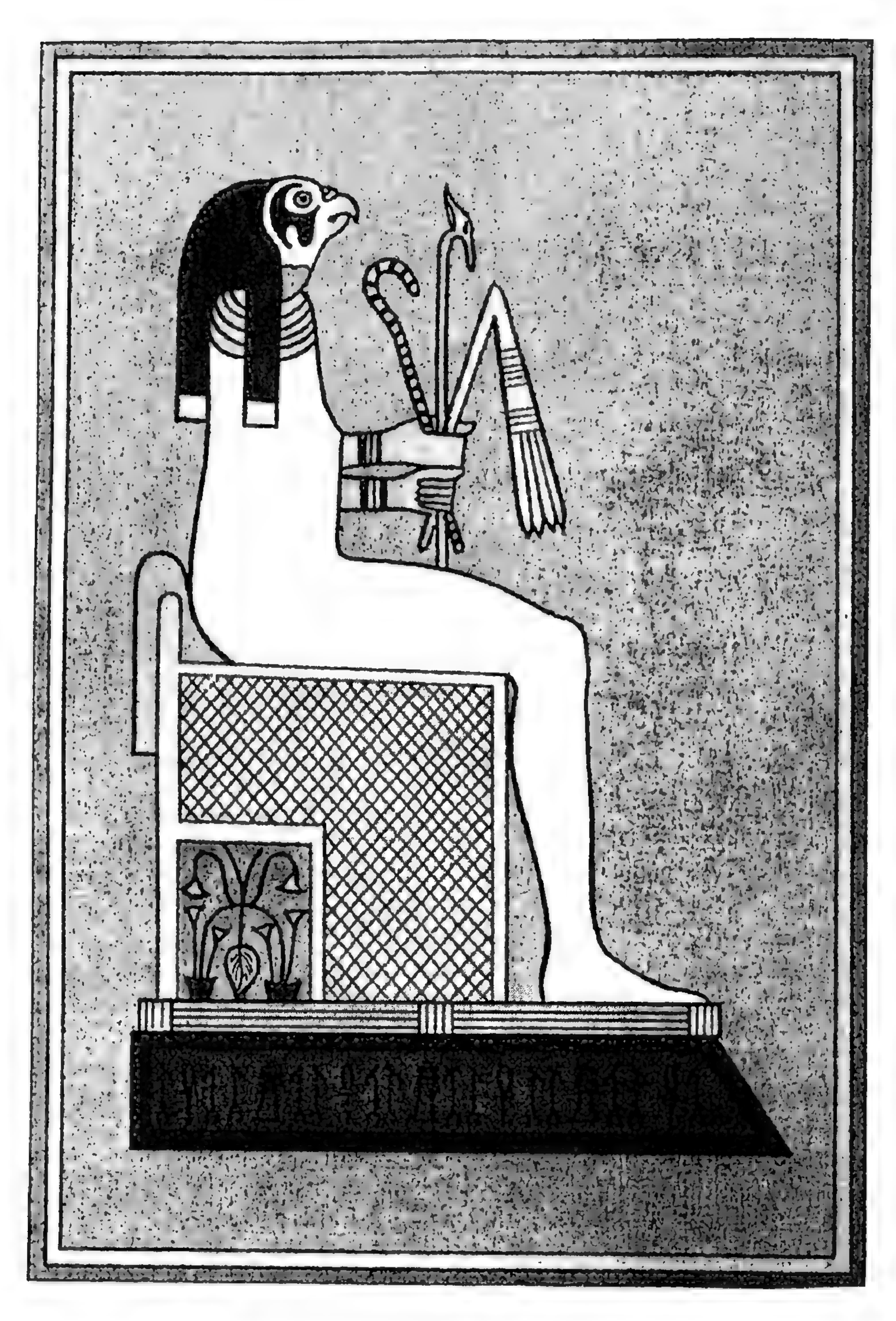
فى بردية انى نجد الإله على هيئة بشرية يجلس داخل هيكل على رأسه تاج، وتقف خلفه كل من ايزيس ونفتيز فى هذه الحالة كان اللقب الممنوح له هو «ساكن الأماكن السرية الإله العظيم رب تا ــ تشيسرتيت ملك الابدية حاكم الخلود».

وأمام الإله نرى جلد ثوراً ارقط مقطوع الرأس يقطر دمه فى وعاء وعلى جانب العرش ــ الذى يجلس عليه الإله ــ يحط ابنه حورس على هيئة صقر فى نفس الوقت تتكون حافة ــ هذا العرش ــ من ثعابين على رؤوسها أقراص وتقف أمامه الربتان مير MER حيث ترتدى مير الجنوب حلة حمراء ومير الشمال حلة زرقاء. والترتيب العام للرسم يظهر بوضوح أنهم فى الأسرة الثانية والعشرين كانوا قد عرفوا نهائياً بتاح سيكر اسار بايزوريس.

هناك شكل آخر هام لهذا الإله الثلاثى يظهر فيه على هيئة قزم مقرفص برأس صلعاء ضخمة وأطراف غليظة وكانوا يضعون فوق رأسه عادة جعراناً وآن وضعوا فى بعض الأحيان سعف نخيل.

من فحص هذه التنويعات المختلفة للأشكال التى قدموا بها الإله نصل إلى أنهم افترضوا امتلاكه لكل قدرات الذكورة التى لدى الإلهين عمسو أو مين MIN AMSU كذلك قدرات الخلق لدى خيبرا ــ الذى رمزه الجعران ــ بالإضافة لاندفاع وشباب هاربوكراتيس الذى مثلوه بالضفيرة التى على الجانب الأيمن من الرأس. فى بعض الأحيان كان الإله يقف فوق تمساح ويمسك بكل من يديه ثعباناً وهو ما يدلنا على امتلاكه لقدرات عديدة أخذها من الآلهة الشمسية العظام بجوار ماوصفناه من قدرات.

بتاح سيكر أسار وصفوه ــ عن حق ــ بأنه «إله البعث الثلاثى» وكان مثل ايزوريس فى رمزه وتجسيده للبعث بعد الموت. وبتاح سيكر اسار لا نعرف بالتحديد العقيدة ــ أو المذهب أو المبدأ ــ التى اكتسبته صفاته والتى يمكن أن تكون نتاجاً لبعض عقائد محلية كانت سائدة فى ممفيس أو ــ وهو الأقرب للواقع ــ خليط من بعض التوفيقات العقائدية التى توصل إليها كل من كهنة ايزوريس



سيكـــــــر

وكهنة إله ممفيس القديم ونتج عنها أن توحدت داخل هذا الإله الغريب صفات سيكر وبتاح معمارى ومنشىء مادة الكون وخبيرا خالق ومنجب نفسه وايزوريس مانح الخلود.

أخيراً يجب أن نذكر علاقة بتاح بالإله البداثى تينين TENEN أو تا تو نين TA-TU-NEN أو تا زونين, TA-THUNEN أو تا زونينيت. TA-THU-NENET,

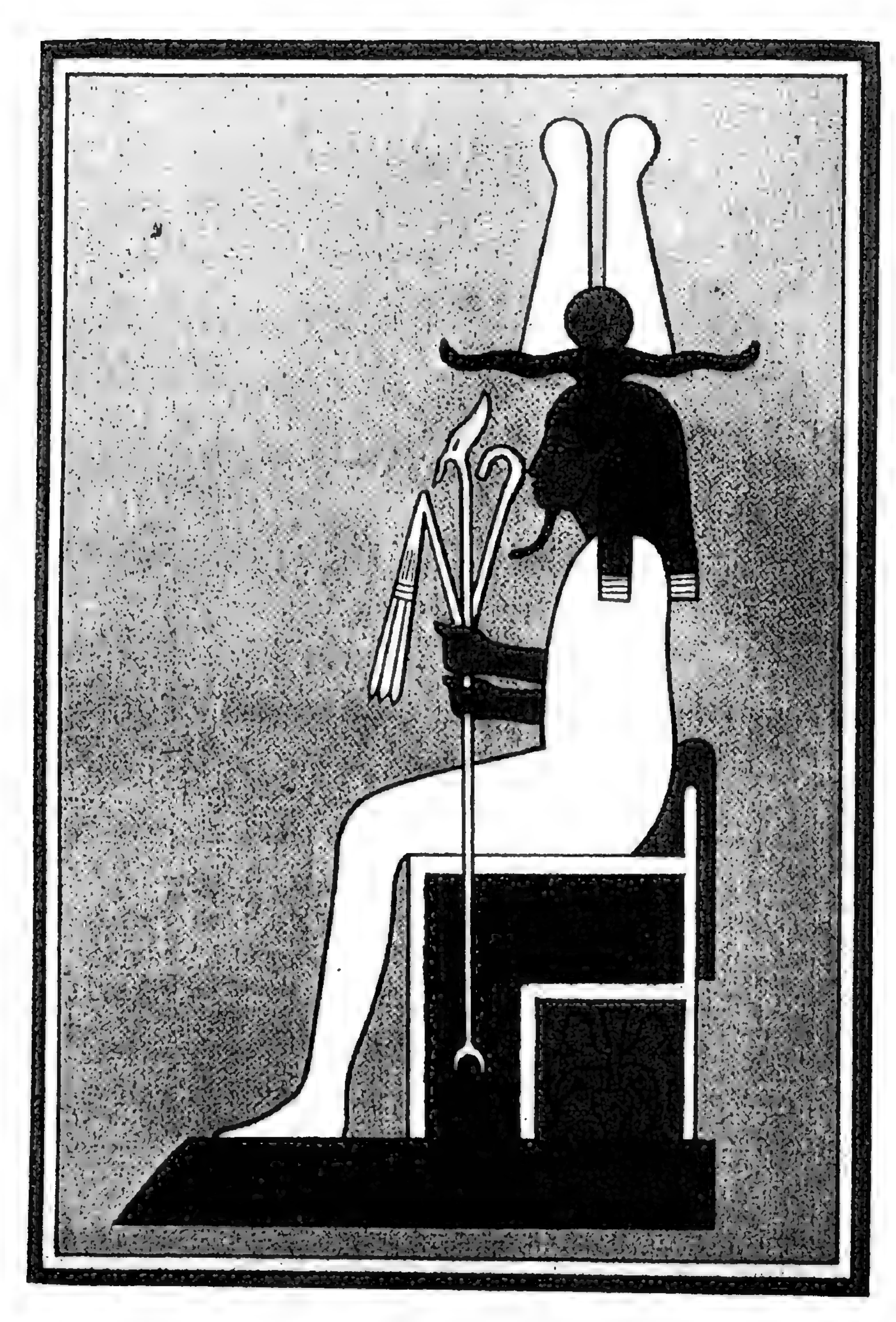
هذا الإله يُمثل على هيئة رجل إما جالساً أو واقفاً يضع على رأسه تاج ويمسك بيديه علامات السلطة والسيادة.

فى رسم قدمه لانزون نراه جالساً فوق شىء وفى شكل آخر نجده جالساً أمام عجله الفخارى يعمل عليها بقدمه وعلى سطحها توجد بيضة العالم التى يشكلها بيديه.

فى مكان آخر نجده مرسوماً وبيده اليمنى سيف عربى ويعتقد أنه فى هذا الشكل كان يمثل كأحد قوى الطبيعة التدميرية أو كإله حرب.

تينين أو تاتينين يجب أن يكون من أحد أقدم آلهة مصر السفلى وأن يكون تجسيداً لقوى الطبيعة. أما صفاته الحقيقية فيبدو أنها لم تكن معروفة حتى للمصريين ففى عصر الأسرات المبكر كانوا يعتقدون أن تشبيه إله ممفيس المحلى بتاح بالإله تينين أو تاتينين ستكون مناسبة له لذلك ارتبط إسمه باسم الإله الأقدم ليصبح بتاح ـــ تينين مثلما حدث بعد ذلك لآمون فى عصور تالية عندما ارتبط «برع» ولكن بمرور الزمن أصبح تينين مجرد أحد أشكال بتاح.

من تسابيح فى الغالب موجهة للإله بتاح ـــ تينين والتى كُتبت فى الغالب خلال عصر الأسرة العشرين أو الواحدة والعشرين يمكننا تكوين فكرة عن معنى اسم تا ـــ تينين فتا Ta, بالطبع «أرض» وتينين Tenen, يحتمل أن تكون لها علاقة بكلمة انين أو نين, ENEN-NEN والتى تعنى «سكون ـــ خمود ـــ جمود ـــ عدم حركة» أو ما يشبهها فإذا كان هذا الاشتقاق



تـــا ـ تينن

صحيحاً فإن تا ـــ تينين يجب أن يكون إله مادة الأرض الساكنة وإن كانت فى نفس الوقت حية .

القطعة التى على أساسها كونا وجهة النظر هذه صعبة للغاية ويبدو أنها تُقرأ هكذا « هناك مُنح لك سيخم « قدرة » على الأرض فى أشيائها التى كانت فى حالة خمود وأنت جمعتها معاً بعد أن وُجدت على هيئة تا ـــ تينين وبعد صيرورتك « موحد الأرضين » اللتين أنجبهما فلك وشكلتهما يداك » .

وكما يرى دكتور بروجيش أن من المحتمل أن كاتب هذه القطعة لم يكن يناقش بجدية اشتقاق اسم تينين أو تاتينين وإنما كان يقصد اللعب على كلمات متماثلة فى النطق .

فى تسبيحة بتاح ـــ تينين السابق ذكرها نجد الألقاب والأسماء التالية عند مخاطبة الإله .

« السلام عليك يا بتاح ـــ تينين أيها الإله العظيم ذو الشكل المستور أنت تفتح روحك وأنت تستيقظ فى سلام يا أب الآباء لكل الآلهة قرصك فى السماء ! أنت تنيرها بعينيك وأنت تضىء الأرض بأشعتك المبهرة فى سلام » .

وفى السطور التالية نجده يدعوه بأسماء « مُوجد البشر وصانع حياتهم » « خالق الآلهة » « هو الذى فى الأبدية والخلود » , [hieroglyphs] « ذو الأشكال المتعددة » [hieroglyphs] « المنصت لصلوات البشر » [hieroglyphs] , [hieroglyphs] « منشىء أطرافه الخاصة » [hieroglyphs] , [hieroglyphs] « وصانع جسده عندما لم تكن السماء والأرض قد خُلقت بعد وعندما لم تكن المحيطات قد انبثقت [hieroglyphs]

« أنت الذى نَسجت أجزاء الأرض معاً وأنت الذى جمّعت أعضاءك معاً وأنت الذى عانقت أطرافك وأنت الذى أوجدت نفسك فى وضع الواحد الذى صنع مقعده والذى شكل الأرضين أنت ليس لك أب لينجبك فى شخصك وأنت

لا يوجد لك أم لتلدك أنت شكلت نفسك بدون مساعدة من أى كائن آخر كامل التجهيز هكذا انبثقت كامل التجهيز» .

بعد ذلك لدينا اشارة عن «الابن المسن» بمعنى رع وتبدد الليل والظلام عن طريق الشمس والقمر اللتين تدعيان «عينا بتاح ــتينين» ثم تستمر التسبيحة .

«قدماك على الأرض ورأسك فى الأعالى على هيئتك كساكن التوات أنت تحملت عبء العمل الذى عملته أنت دعمت نفسك بقوتك الشخصية وأنت أمسكت نفسك بواسطة يديك العفيتين .... الجزء العلوى منك هو السماء والجزء السفلى منك هو التوات » .

«الرياح تنبثق من فتحتى أنفك والماء السماوى من فك والمؤن (قمح ــشعير.. الخ) تخرج من ظهرك أنت جعلت الأرض تنبت خيرها بكثرة تكفى الآلهة والبشر وأن «ترعى ماشية ميح ــيوريت فى حقلك MEH-URIT .. عندما تستريح يأتى الظلام وعندما تفتح عينيك تنتج أشعة الضوء. أنت تشرق فى شكل كريستالى وفقاً (لرغبة) جلالتك ... مجمع الهتك الذى ترأسه يمدحك وتهلل الإله لك فى شروقك وتسبح لك عند غروبك لأرض الحياة» .

وفى سطور تالية نجد أن بتاح تينين يسمى «الإله العظيم الذى بسط السموات الذى جعل قرصه يدور فى جسد نوت ويدخل فى جسد نوت باسمه «رع» . مصور الإله والبشر وكل شىء تم انتاجه صانع كل الأراضى والبلدان والبحر الأخضر العظيم باسمه خيبرا ــتا ( ) أحضر حابى ( ) من منابعه

وجعل مؤن الحياة تزدهر صانع الحبوب التى تنبثق منه باسمه «نو» المسن (...) جعل محيط السماء المائى خصباً وجعل الماء ينبثق فوق الجبال ليمنح الرجال والنساء الحياة (...) وباسم ارى ـ عنخ (...) ARI-ANKH صنع التوات بكل نظامها والذى أبعد اللهب عن الكائنات التى تعيش فى أركانها باسمه سوتين ـ تاوى (...) SUTEN-TAUI ملك الأبدية والخلود ورب الحياة».

من بين ألقاب أخرى للإله نجد الآتى فى تسبيحته:

«رضيع مولود يومياً ... » «شيخ على حدود الأبدية» ... «شيخ عابر للأبدية» ... «الساكن الذى يمر على جميع أشكاله» ... «العظيم بدون قوته» ... «رب العرش المستور المختفى فيه» ... «المختفى الذى لا يعرف شكله الساكن» ... «رب السنين مانح الحياة برغبته» ...

المقتطفات السابقة كافية لإظهار مدى أهمية الإله بتاح تينين بالنسبة للمصريين فى زمن كتابة هذه التسحبية أى ١١٠٠ ق.م فإذا احتكمنا إلى علم الخطوط القديمة ـ ولا يوجد أى سبب يجلعنا نفترض أنه كان على مستوى أدنى من الشكل الذى كان عليه خلال أى فترة من فترات التاريخ المصرى بل على العكس ـ سنجد أن البردية المكتوب عليها تلك التسابيح ويقال أنها قد وجدت فى طيبة تماثل بدون أدنى شك فى طريقة كتابتها خط اليد المكتوب به البردية الكبيرة للملك رمسيس الثالث الذى حكم مصر حوالى عام ١٢٠٠ ق.م والتى وجدت أيضاً فى طيبة. وبالطبع من غير المتوقع أن نجد فى مدينة آمون ـ رع ملك الآلهة برديات تحتوى على تسابيح لبتاح ـ تينين إله ممفيس يُذكر فيها أنه يمتلك كل صفات آلهة مصر العظام ـ ولكن مثل هذا حدث ـ فعلاً ـ مما يؤكد أن

الثالوث «بتاح ـ سيخيت ـ نفر» قد تم عبادته حتى فى طيبة ويدل على مدى نفوذ كهنة هليوبوليس وتأثيرهم على الأفكار الدينية لكهنة طيبة خلال أغلب فترات التاريخ المصرى منذ الأسرة السادسة فصاعدا.

بتاح فى أبسط صوره كان مركز عبادته الرئيسى فى مدينة مين ـ نفر Men-nefer، أى ممفيس عاصمة انب ـ حيتش ANEB-HETCH النوم الأول فى مصر السفلى تلك المدينة التى ذكرت فى النصوص الدينية بأسماء عديدة أكثرها شيوعاً:

١ـ حا ـ نفر.

٢ـ حيت ـ كا ـ بتاح والذى اشتق منه الاسم اليونانى لمصر Αἴγυπτος اجيبتوس.

٣ـ خوت ـ تاوى أى «أفق الأرضين»

٤ـ حيت ـ كا ـ خينم ـ نيترو مسكن البدلاء التى وحدت الآلهة

٥ـ انبو مدينة الحوائط

٦ـ ماخا ـ تاوى «ميزان الأرضين».

وفى مدينة ممفيس أو فى ضواحيها كانت توجد معابد بتاح وباست وحتحور وايزوريس وسيكر وامينحتب وحيت ـ عا، Het-aa. أكثر الكائنات أهمية فى «مسكن الإله المسن» أى رع.

فى معبد يسمى عنخ ـ تاوى، يوجد الواحد المقدس وشجر السنط وفى حيكينوت كان يُعبد ايزوريس.. وفى حيت أوتيت، «أى مسكن المنجب» كانت تقام عبادة خيسمو.

وفى أماكن مقدسة أخرى مثل بتاح أنوبيس وتا ـ حيت ـ با ـ اتن أى «مسكن القرص» وتبيه ـ تشات، التى كان يعبد بها كل شىء حتى الشجر.

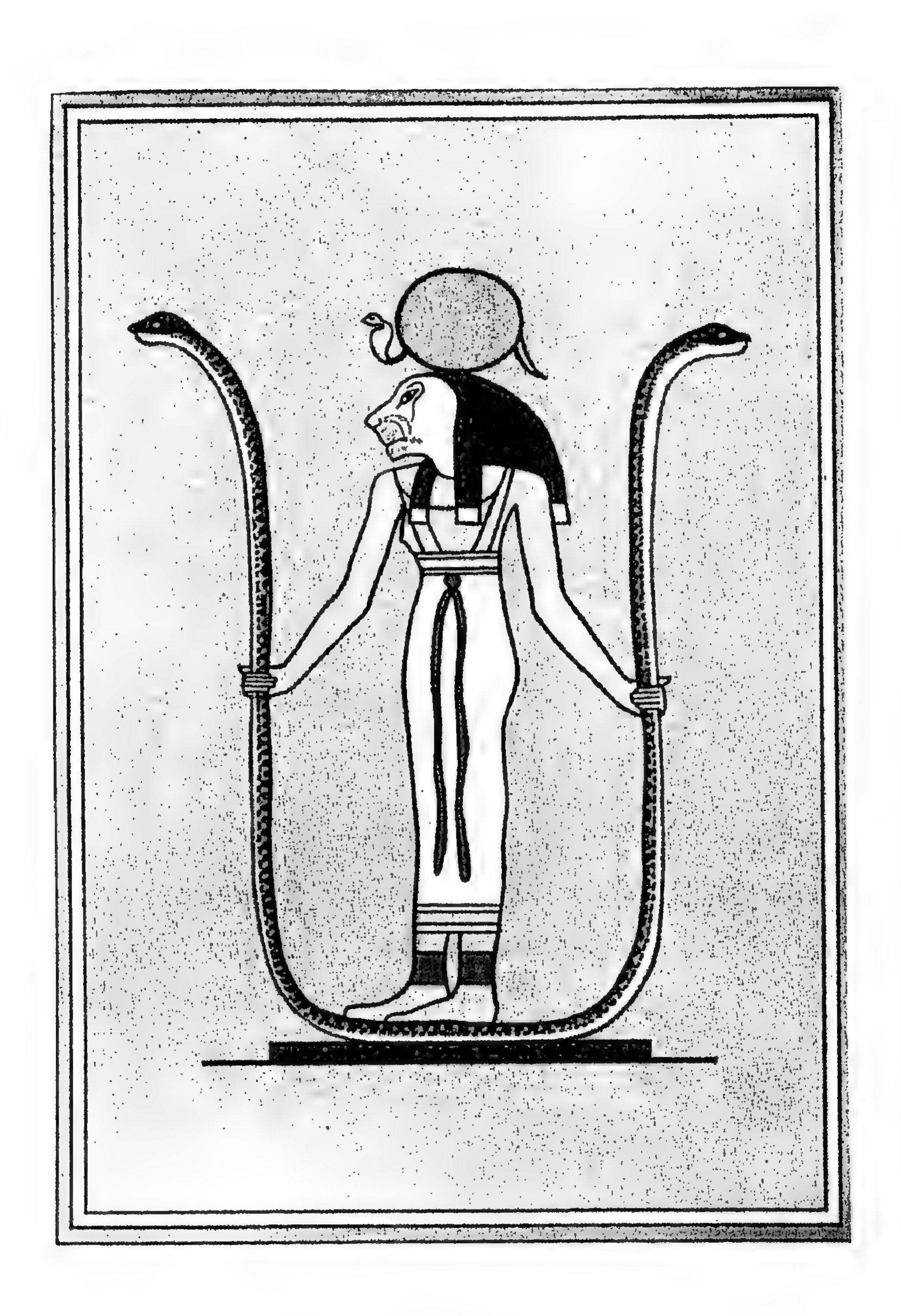
سيرابيوم التى اكتشفها ماريت عام ١٨٦٨ كانت معروفة باسم « نيتر ــ حيت ــ بر ــ ان ــ اسارحاب » كان بها حى يسمى بحطيط BAHTET والذى كان مركز عبادة سيكر أما حى يا ــ بنعات فقد كان مركز عبادة باست. وايزوريس كان يعُبد فى حى حيكينوت وحتحور فى حى سمين ــ ماعت SMEN-MAAT وخينمو يافت Uafet. أما بتاح وسيخيت وابنهما أمينحتب فيبدو أنها كانت تمتلك معابد خاصة بها أينما كانت تُعبد.

مدينة ممفيس كانت دائماً ما تسمى فى اللغة الهيروغليفية بأنيب «ANEB» وتكتب بطرق مختلفة ظهور ما يدل على الحوائط فى كل الكتابات التى كونت اسمها سببه بدون شك أنها كانت محصنة تحصيناً قوياً.

كان كهنة بتاح ــ سيكر اسار ــ يقومون بعمل طقوس يقودها SEM-PRIEST كاهن « سم » مرة كل عام وعادة ما كان يحضرها الملك حيث يمشون جميعاً حول حائط ممفيس ومن المحتمل أنهم كانوا يحملون تمثالاً لهذا الإله الثلاثى أثناء الطقس.

أما الإله بتاح فكان يعبد فى معبد بالجانب الشرقى من مدينة تسمى «ANEB-ABT» « انيب ــ عبت » ومعبد تينين كان يحمل اسم « انيب ــ عثى » «ANEB-ATHI» وبتاح سيكر اسار كان يُعبد فى معبد بالجانب الجنوبى من مدينة تسمى « انيب ــ رست ــ اف » بمعنى « حائطه الجنوبى » والمدينة كلها كانت معروفة باسم « حائط ابيض » والتى أشير إليها باسم هيرودوتس.

قرينة الإله بتاح الأساسية كانت الربة سيخيت , SEKHET, والتى كانت أخته وزوجته وأم ابنه نفر ــ تم فى نفس الوقت ولها شكل مشابه للربة باست.



الربة سيخيت

وهى دائماً ما ترسم على هيئة امرأة لها رأس لبؤة يعلوه قرص محاط بحية. وفى بعض الأحيان يُحذف القرص ونرى الحية فقط فوق رأسها.

ظهر اسم هذه الربة فى نصوص الهرم «يونس سطر ٣٩٠» حيث يقال أن يونس بعد أن إنبثق من أفخاذ مجمع الآلهة. حفظته الربات سيخيت وشيسخينتيت وسوزيس SHESKHENTET وفى عصور أسرات متأخرة نسبياً اعتبرت الربتان سيخيت وباست المعرفتان على هيئة حتحور أنهما تمثلان ربتى الغرب والشرق كما كانت نخبيت تمثل ربة الجنوب وياتشيت ربة الشمال. والربتان كانت لهما رأسى لبؤتين وإن ارتدت سيخيت ثوباً أحمر بينهما ارتدت باست ثوباً أخضر.



ولقد عُرفت أشكال عديدة خاصة بسيخيت مثل سيخيت ربة ريخيت وسيخيت ربة سا، وسيخيت ربة ريحيساوى «REHESAUI» وسيخيت الربة العظيمة ملكة أنت، وسيخيت فى ساح وسيخيت فى باشو، وسيخيت فى حيت خات وسيخيت نوت، وسيخيت فى نفر شو.

ألقاب سيخيت الأساسية كانت «الربة القديرة — ربة الشعلة تفنوت فى سينيميت التى يحبها بتاح كثيراً ربة السماء وسيدة الأرضين» «ربة تيب — نيف» ربة تشار وسيهريت" رئيسة الأراضى الليبية وسيدة ياميرتيت.

الاسم سيخيت يبدو أنه مشتق أو مرتبط فى أصوله بسيخم بمعنى «أن يكون قوياً أو قادراً أو عنيفاً» أو ما يشبهها وبما أنها كانت تجسد لفح اللهب الشديد أو حرارة أشعة الشمس المدمرة فإن هذه الخصائص تصبح مناسبة جداً لصفاتها. وسيخيت أخذت مكانها فوق جبهة أبيها رع على هيئة الربة الحية ميحنيت Mehenet, وكانت تَطلق من جسدها ناراً حارقة تلفح وتفنى كل من يقترب من أبيها من الأعداء ويتدفق منها سهام نارية سريعة تصطدم وتحترق الشياطين التى فى أماكن أبعد.

فى نص اقتبسه الدكتور بروجيش نجد أنها جُعلت تقول: «أنا أطلقت الحرارة اللافحة للنار لمسافة ملايين الأذرع بين ايزوريس وأعدائه وحافظت على آبعاد كل شرير وازالة أعدائه من مقر سكنه».

أحد أسماء الربة الشائعة هو «نيسيرت» بمعنى لهب كعنصر مدمر وفى نصوص جميع العصور كانت تلعب دور القوة التى تحمى الإله وتبيد الأشرار.

وهكذا يمكن مقارنة سيخيت فى بعض صورها بالربة ياتشيت التى كانت معروفة باسم «ربة النار».

سبق أن ذكرنا أن سيخيت كانت تعتبر فى بعض ملامحها كشكل من أشكال الربتين حتحور ونوت كذلك نعرف أنها كانت تحمل العديد من ألقابها من بين تلك الألقاب لقبا «ربة امنتيت وربة مانو» أى «جبال غروب الشمس» و«ملكة الأراضى الليبية» مما يوحى بأنها قد تكون من أصول غربية أو ليبية.

عندما نتكلم عن ارتباط سيخيت بالربات حتحور ونوت وماعت فلابد من ذكر الحكماء السبعة للربة ميح ـيرت MEH-URT تلك التى خططت العالم مع الإله تحوت وتيخ.

والحكماء السبعة ولدوا فى ميح يرت تحت أقدام نو Nu بمنزلها فى نيحيت رست NEHET-REST وانبثقوا من الماء من

بؤبؤ عين «رع» ثم اتخذوا هيئة سبعة صقور طارت لأعلى مع استين Asten أحد أشكال تحوت وأشرفت على التعليم والحروف.

أسماء الحكماء السبعة هى نيفر حاتى وعبر بهوى ونيب تشرو كامو باك وحيتيخ وسان.

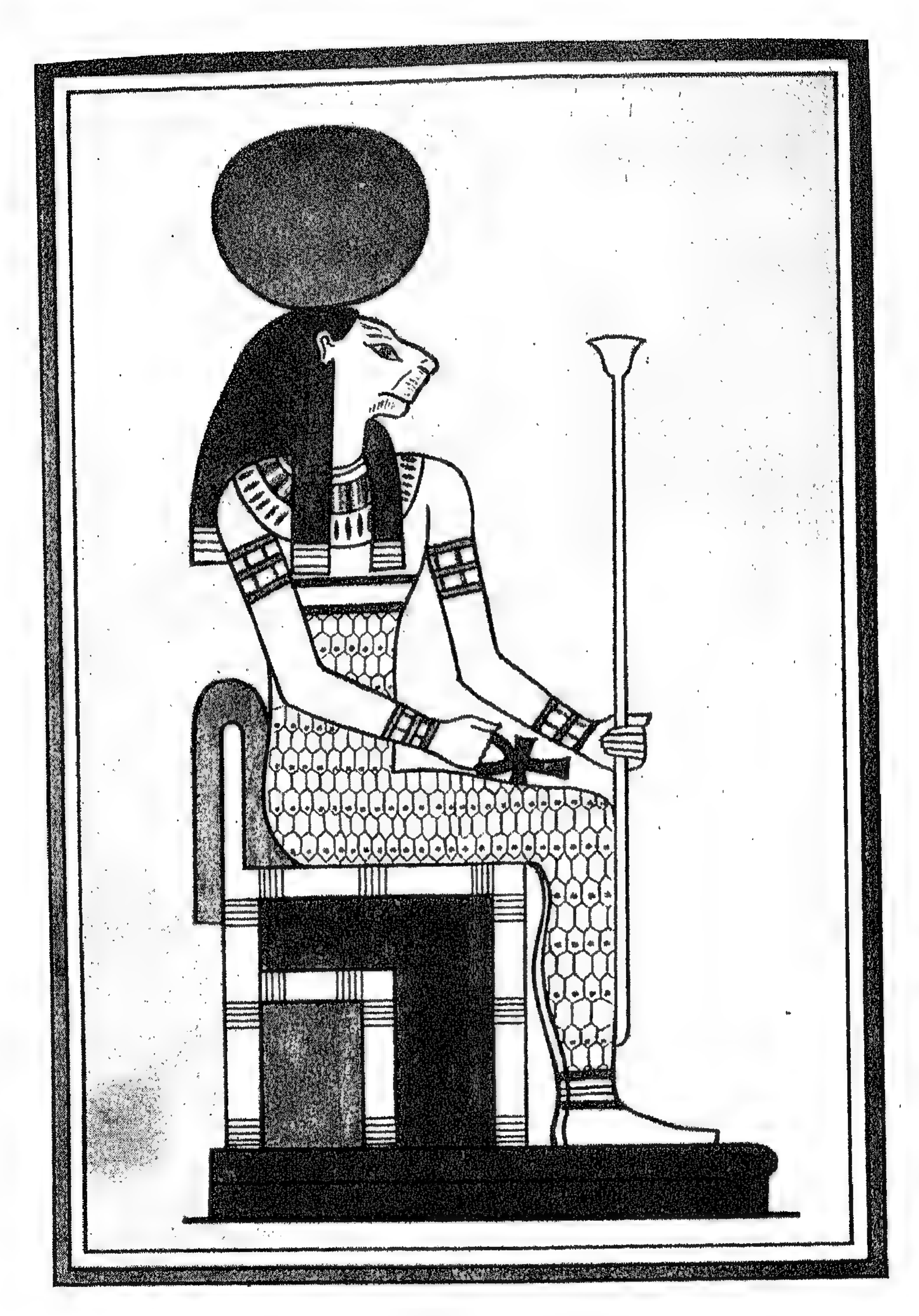
بتاح المعمارى والعامل العظيم الذى نفذ تصميمات تحوت وحكمائه السبعة شاركها جميعها فى خصائصها وسيخيت بالتالى لأنها قرينته الانثى، يبدو أنها اكتسبت بعضاً من صفاتها أيضاً حيث كان تحوت فى حقيقته تجسيداً لذكاء بتاح ولهذا تم تعريف سيخيت بالربة ماعت التى كانت رفيقة تحوت وكما كان تحوت يُتضمن فى بتاح أصبحت ماعت قرينة بتاح بشكل متآخى مع سيخيت.

والربة سيخيت تم تعريفها فى أحد ألقابها السابقة بالربة تيفنوت قرينة الإله شو الانثى وهو الأمر الذى يجب ألا نندهش له. فتحوت ــ كما نعرف ــ كان أحد أشكال شو عند كهنة هليوبوليس وبالتالى فكما تمثل بتاح الإله تحوت فى صورته التى على هيئة شو تمثلت أيضاً قرينته (سيخيت) قرينة تحوت أو شو التى هى تفنوت.

فى نصوص عديدة نجد أن سيخيت كانت تسمى بعين رع وفى رسم صوره لانزون نجد فيه الربة على هيئة امرأة لها رأس يانشيت راكعة فوق عرش مستطيل بينما يقف خلفها صقر بأجنحة ممتدة.

لقبها فى هذا الشكل كان «الربة العظيمة محبوبة بتاح المقدسة القوية الساكنة فى عت ــ تيفنوت At-Tefnut,

ذكرنا من قبل التماثيل الحرفية لبتاح ــ سيكر اسار ورأينا كيف كان المقصود بها توحيد قدرات الآلهة الثلاثة العظيمة التى ارتبطت أسماؤها معاً هنا. والآن يجب أن نشير أن على ظهر أحدها وجدنا رسماً لربة من الممكن تعريفها بالقرينة الانثى للآلهة العظيمة رسمها الفنانون والنحاتون المصريون برأس لبؤة.



الربة سيخيت

الربة المرسومة هنا ــ على أى حال ــ هى باست التى خلط علماء المصريات بينها وبين الربات بخيز PEKHETH, أوبخيت PEKHET, أو بخ PEKH ربة بخيت Pekhit, التى على هيئة قطه أو لبؤة والتى بُنى لعبادتها معبد بخيز Pekheth الذى نُحت فى الصخر فى جبل قرب قرية بنى حسن فى المنيا ويطلق عليه «اسطبل عنتر» أو «سيبوس أو ارشميدس».

اسم بيخث أو باخت أو باشت يعنى «الممزق» وهو بالطبع اسم مناسب لربة تمتلك صفات القطة أو اللبؤة.

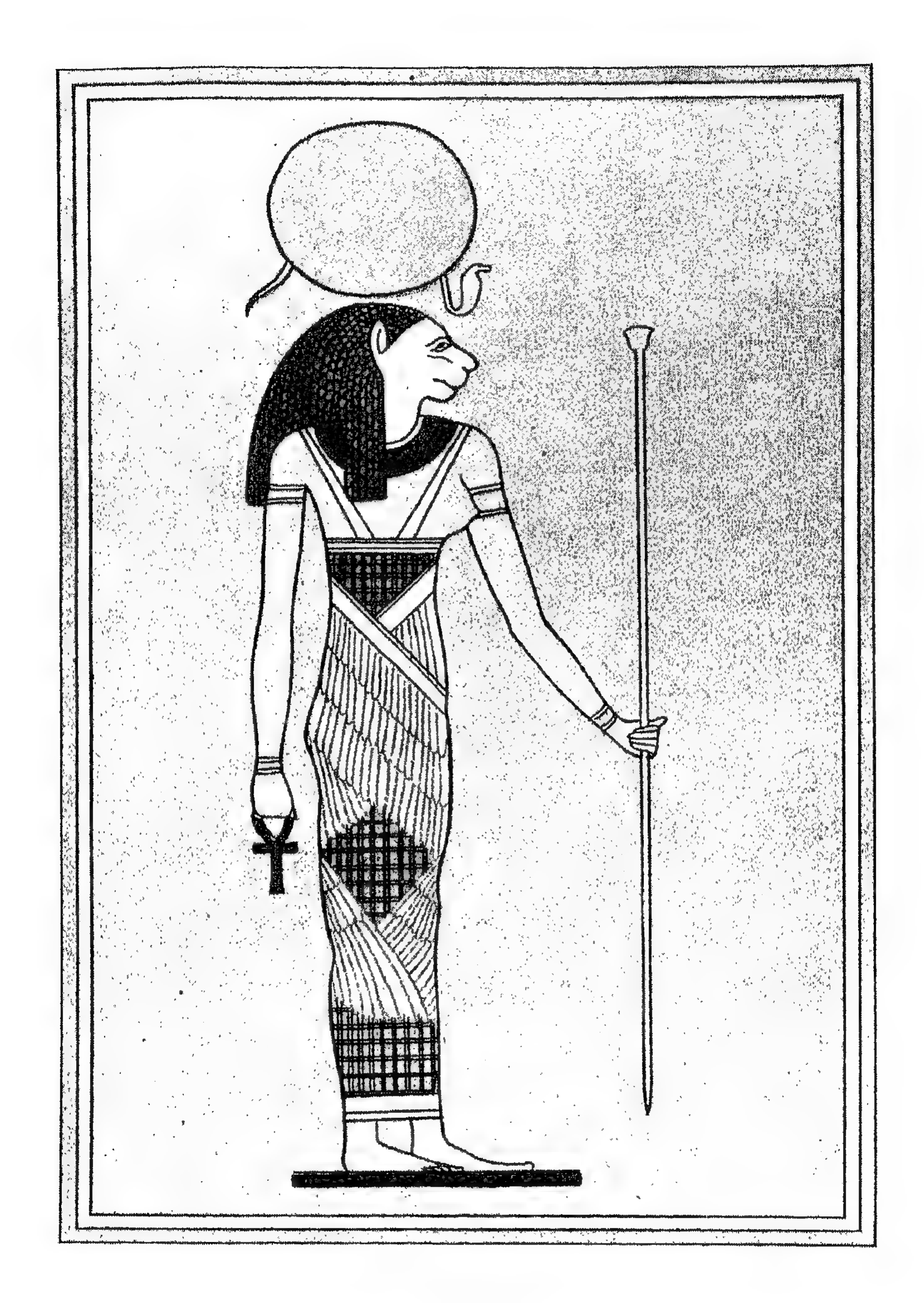
هذه الربة كانت تحمل ألقاب سيدة عانت Ant, وست Set, «النوم» التكميلى الذى كانت هذه المدينة عاصمته ــ كذلك لقب «سيدة سيبت SEPT» أى النجم سوثيز (الشعرى) وعُرفت بايزيس وبأحد أشكال حتحور وأيضاً بأحد أشكال سيخيت.

فى المخطوطات الكثيرة لبنى حسن نجد ذكراً لحورس باخت وعليه فيمكننا أن نفترض أن باخت كانت بشكل أو آخر لها ارتباط بأحد أشكال حورس وأنها كانت ربة محلية على درجة عالية من الأهمية.

ومن المحتمل أن تكون باست قرينة الإله الثلاثى بتاح سيكر اسار وأنها كانت تمتلك ملامح لا يمكن تحديدها الآن بوضوح.

أما كقوة من قوى الطبيعة فقد كانت تمثل حرارة الشمس المعتدلة والمثمرة وتأثيرها المجدد فى أكثر أشكالها راحة.

فى عصور الأسرات المتأخرة كون كل من باست وسيخيت ورع إله عرفنا وجوده مع الفصل (CLXIV) من كتاب الموتى. حيث تم تمثيل سيخيت باست رع على هيئة امرأة برأس رجل ويتصل بذراعيها جناحان وينبثق من رقبتها أو رأسها رأسا صقرين ولها عضو ذكرى ومخالب أسد. أحد رؤوس الصقرين يشبه ذلك الذى لبخيت كان على رأسه سعفه نخيل. أما الآخر فرأس صقر



الربة سيخيت

طبيعى ويبدو أنه كان على رأسه أيضاً سعف. أما رأس الرجل فكان فوقه تاج القطرين الموحد. ويُعتقد أن رأس الرجل وعضو الذكورة يدلان على أن جسد المرأة التى تدعى موت كان من المفترض أن يمتلك قوى رع المخصبة والمثمرة.

النص الذى يُكون هذا الفصل نص هام جداً ويمكن قراءته كالآتى:

«السلام لك ياسيخيت باست رع أنت سيدة الآلهة أنت تحملين الأجنحة أنت سيدة الثوب الأحمر (anes) ملكة تاجى الجنوب والشمال الواحدة المتسيدة على والدها المتفوقة على هذا الذى لاتستطيع الآلهة أن تكونه. أنت القادرة على السحر (أو كلمات القدرة) فى قارب ملايين السنين أنت التى لك الدوام التى تشرق فى مقعد الصمت والده باشا كاسا PASHAKASA ومملكة باريها كاخيبرو PAREHAQA-KHEPERU سيدة وربة المقبرة الأم فى أفق السماء المتفضلة المحبوبة مدمرة العصاة، العطايا فى حوزتك وأنت تقفين فى مقدمة قارب أبيك المقدس لهزيمة كيتو QETU (شيطان).

أنت من وضعت ماعت فى قاربه أنت ربة النار أممى ـ سيشيت Ammı— Seshet التى لاتتسرب فرصتها هنا اسمك تيكا هريسا بوسارى مكاكا ريمت TEKAHARESAPUSAREMKAKAREMET

أنت مثل الشعلة القوية للربة ساكيناكات التى هى على مقدمة SAQENAQAT قارب ابيك حريبوكاكاشار يشابايو

HAREPUKAKASHARESHABAIU

لتنظرى هكذا باسمه إلى كلام الزنوج والعانتى ANTI ولشب تا ـ خينسيتيت (نوبة). الحمد لك ـ ياربة ـ التى هى أقدر من الآلهة كلمات العبادة تصعد لك من آلهة هيرموبوليس الثمانية.

الأرواح الحية التى فى أماكنها المستورة تُسبح لغموضك. يا من تكونين أمها أنت المصدر الذى انبثقت منه الذى صنع من أجلها مكاناً فى العالم السفلى المستور الذى جعل عظامها تدق وحفظها من الرعب الذى جعلها قوية فى مسكن الخلود الذى حفظها من الحجرة الشريرة لأرواح حيس ـــ حيرا HES-HRA (اسم شيطان) الذى بين مجمع الآلهة.

اسمك هو سينى ـــ بر ـــ أم ـــ حيس ـــ حرا ـــ تشيت SEFI-RER-EM-HES-HRA-HAPU-TCHET-F

على كل جانب من جانبى رسم سيخيت باست رع يوجد قزم سمين بوجهين أحدهما لصقر والآخر لرجل وكل منهما على رأسه قرص وسعفتان وكل منها يرفع ذراعاً ويدا على نمط عمسو أو مين MIN OR AMSU اسم أحد الأقزام هو اتارى ـــ ام ـــ تشير ـــ كيمتو ـــ رينتو بار شيتا أما الآخر فاسمه با ـــ نيما ـــ نيما PA-NEMMA-NEMMA

الأسم الأخير الذى كان لسيخيت باست رع هو ياتشيت ـــ سيخيت ـــ بورت ـــ هينت ـــ نيترو ويقال أنها كانت انبعاثاً «لموت» MUT «الذى صنع الأرواح لتكون كآلهة والذى جعل للاجساد أصواتاً والذى خلصها من مساكن الشياطيان التى فى حجره الشرير».

طبقاً للشرح المرفق فإن المتوفى الذى رسمت من أجله الربة والقزمان قد يصبح مثل الخالدين وقد لا يأكل الدود جسده وروحه ولن تصفد بالاغلال أبداً وقد يشرب الماء من منابع النهر وسيكون له مسكن خاص فى سيخيت عانرى وأنه قد يصبح نجماً فى السماء وأنه قد يحارب ويهزم الشياطين تار TRA ونيكاو NEKAU.

العضو الثالث فى ثالوث ممفيس هو نيفر ـــ تيمو أو نيفر ـــ تم ابن بتاح وسيخيت أو بتاح وباخت أو بتاح وباست. وهو

عادة ما يمثل على هيئة رجل يمسك بيديه أما صولجان تشام TCHAM [hieroglyphs]

ورمز الحياة أو صولجان اللوتس الذى يعلوه السعف [hieroglyph] ; فى هذين الشكلين يسمى «نيفر تم خا تاوى» و«نيفر ــ تيم ــ خو ــ تاوى ــ عنخ ــ ريمتى».

[hieroglyphs], and [hieroglyphs].

التماثيل الصينى الخضراء والزرقاء تصوره يقف فوق أسد وفى بعض الأحيان يظهر فى الرسومات الدينية وفوق رأسه زهرة لوتس أو لوتس وسعف نخيل.

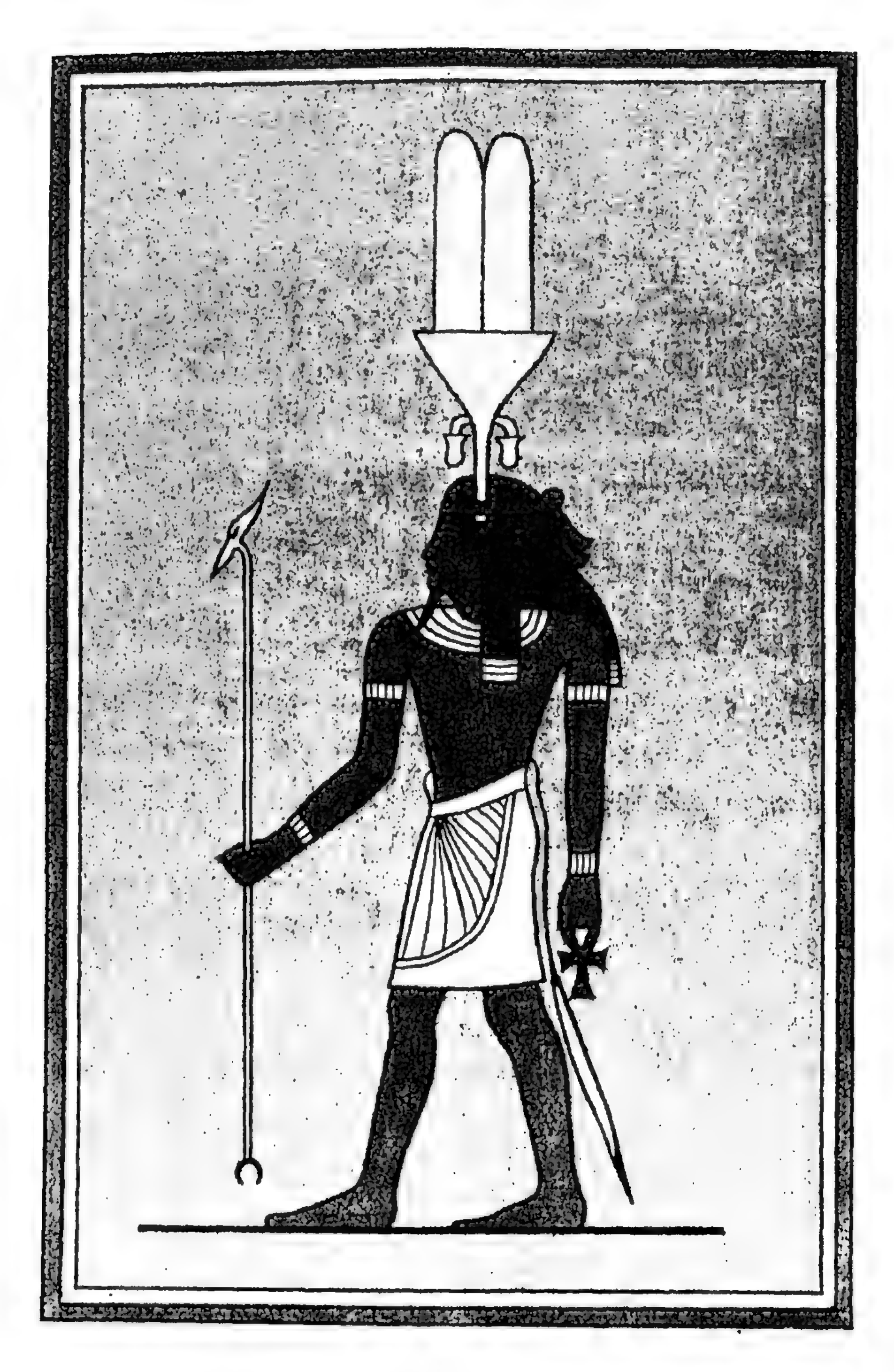
وفى بعض الأحيان نجد لنيفر تم رأس أسد وجسد مومياء ويترتب على هذا أن يخرج ساعديه من الملابس الملتصقة. ويمسك بهما صولجان تشام ومنشه [hieroglyphs].

فى العصور المبكرة كانت زهور اللوتس مرتبطة دائماً بنيفر ــ تم وفى نصوص الأهرام وجدنا اشارات عديدة لهذا فمثلاً فى نص يونس نجد أن الملك المتوفى يُقارن بزهرة لوتس فى فتحتى أنف السيخم العظيم [hieroglyphs]

وبعد سطر أو اثنين يقال أن «يونس قد رُفع مثل نيفر تم من اللوتس إلى فتحتى أنف رع وأنه ينبثق كل يوم فى الأفق وأن الآلهة يتطهرون بالنظر إليه».

أما فى العصور التالية كما يظهر من نسخة منقحة لكتاب الموتى الطيبى فيظهر أنهم لم يحددوا بدقة صفات نيفر تم حيث نجدهم فى فقرة من فقرات الكتاب قد ربطوا بينه وبين عدد من الآلهة بشكل يصعب تفسيره. والنص يجعل المتوفى يتضرع لرع لكى يخلصه من الإله الذى «شكله مستور وحاجباه يشبهان ذراعى الميزان فى ليلة تدمير الحصر».

ورداً على سؤال «من إذن هو؟» نجد كلمة «ان ع اف» AN-A-F بمعنى «الإله الذى يُحضر ذراعه» [hieroglyphs] (أحد اثنين وأربعين محكماً فى قاعة ماعت) والذى كان دائماً ما يعتبر أحد أشكال عمسو أو مين أما جملة «ليلة تدمير الحصر» فلقد حاولوا شرحها بأن أشاروا إلى حرق العصاة وذبح الأشرار بربط الإله مع جزار الأرواح [hieroglyphs] Septu, تينت بايو TENT BAIU الذى اختلفت بشأنه آراء اللاهوتيين المصريين فالبعض كان يعتقد أنه كان نيمو



الإلـــه نيفرتيمو

Namu 3 جلاد ايزوريس وآخرون يرون أنه قد يكون ابيب برأس أو حورس برأسين أو حورس السيخم الأعظم أو تحوت أو نيفر تم أو سيبتو Septu . عندما نتذكر أن نيفر تم هو «تم الصغير» بمعنى إله الشمس المشرقة الذى هو أيضاً أحد الآلهة الحورسية وكذلك سيبتو فهذا دليل على أن نيمو وأبيب يجب أن يكون لهما أيضاً صفات عامة مثل تلك التى لابن بتاح وسيخيت.

من الفصل (LXXXI) أقسام أوب نعرف أن المتوفى كان يمتلك قدرة تحويل نفسه إلى زهرة لوتس فهو فى القسم الأول من النص يقول: «أنا اللوتس النقية التى انبثقت من البهاء الإلهى الخاص بفتحتى أنف رع» وفى القسم الثانى نقرأ «السلام عليك يا لوتس يا طابع الإله نيفر تم! أنا الذى يعرفك وأعرف أسماءك بين الآلهة أرباب العالم السفلى وأنا واحد منها».

والقسم الأول يصاحبه رسم لزهرة اللوتس أما القسم الآخر فالرسم لنبات اللوتس المزهر الـــذى ينمو فى بحيرة ماء ويخرج من الزهرة رأس بشرى بمعنى رأس المتوفى. وفكرة الرسم الأخير تعكس ما يبدو أنه قد ترسب فى عقل الكتاب الأوائل الذين اعتادوا على رؤية شروق الشمس فوق أراضى الدلتا المغمورة بالفيضان حيث ينمو اللوتس بكثرة.

فى الفصل (CLXXIV) المتوفى يقول: «أنا أشرق مثل نيفر تم الذى هو اللوتس عند فتحتى أنف رع عندما ينبثق من الأفق كل يوم». وفى الفصل (CLXXVIII) نجد أن نفر تم يحمل نفس اللقب. ويجب أيضاً أن نشير إلى أنه كان المحكم الرابع والثلاثون من محكمى قاعة ماعت وأن المتوفى قد خاطبه «السلام على نيفر تم الذى انبثق من حيت ــ كا ــ بتاح (أى ممفيس) أنا لم أغش ولم أصنع الشر».

فى النصوص المصرية المتأخرة تم تعريف نيفر تم بعدد من الآلهة التى كان كل منها أحد أشكال حورس أو تحوت وبالتالى فأم هذا الإله أصبحت أمه.

من النصوص المصرية نجد الأدلة على أن بتاح كان له ابن آخر بالإضافة إلى نيفر تم وهو امينحتب I-EM-HETEP. الذى اعتُبر هو أيضاً كعضو ثالث فى ثالوث ممفيس . وكان يدعى Ἰμοῦθης بواسطة الأغريق حيث كان يمتلك عدة خصائص تجعل منه شبيه لالههم أسكيولابيوس AESCULAPIUS.

اسم امينحتب يعنى « هو الذى جاء بسلام » وعزى للإله أنه هو الذى علم البشر فن العلاج .

والإله يُمثل على هيئة بتاح برأس محلوق ويُرسم فى وضع جالس وعلى ركبتيه لفافة من ورق البردى .

وكان بشكل عام إله الدراسة والتعلم ولكن أعظم قدراته كانت تتركز فى معلوماته عن الأدوية .

وكأله للتعلم شارك تحوت فى بعض خواصه ومن المفترض أنه كان يأخذ مكان هذا الإله فى الطقوس الجنائزية وفى تحنيط الميت وفى أزمنة تالية كانت مهامه تماثل مهام تحوت « كناسخ الآلهة » المسئول عن كلمات القدرة التى تحمى الميت من أعدائه ــ من كل نوع ــ فى العالم السفلى .

من بعض الصور كان للإله خواص جنائزية تلك التى بشكل ما تشابه التى لبتاح سيكر اسار رغم عدم ذكر اسمه فى نسخة طيبة من كتاب الموتى .

يقال للمتوفى أثناء شعائر التحنيط « روحك قد توحدت مع امينحتب بينما أنت فى وادى الجناز وقلبك طرب لأنك لن تذهب إلى سكان سوبيك ولأنك مثل الابن فى منزل أبيه فستفعل ما يحلو لك فى مدينة باست » أى طيبة .

أقدم الأماكن التى تمت عبادة الإله فيها تقع قرب مدينة ممفيس وتسمى « معبد امينحتب بن بتاح » وهو مكان يقع خارج المدينة قرب السيرابيوم على حافة ذلك الجزء من الصحراء الذى يشكل مدينة نيكروبوليس .

فى فترة الحكم البطلسى تم بناء معبد صغير لأمينحتب فوق جزيرة فيلا . والكتابة الموجودة هناك ترجع لبطليموس الرابع الفيلسوف أما الكتابات اليونانية المنقوشة على الباب فقد كُتبت بأوامر بطليموس الخامس . والتى نعرف منها أن الإله الخالق الذى صنعه زينين THENEN فهو الذى ولده وهو الذى أحبه الإله ذو الأشكال المقدسة فى المعابد . الذى منح الحياة للبشر القادر على عمل المعجزات صانع الزمن (؟) الذى احتوى كل ما نُطق به فى أى مكان الذى منح العاقرات ابناء . زعيم الحكماء الأكثر علما . صورة وشبيه تحوت الحكيم » .

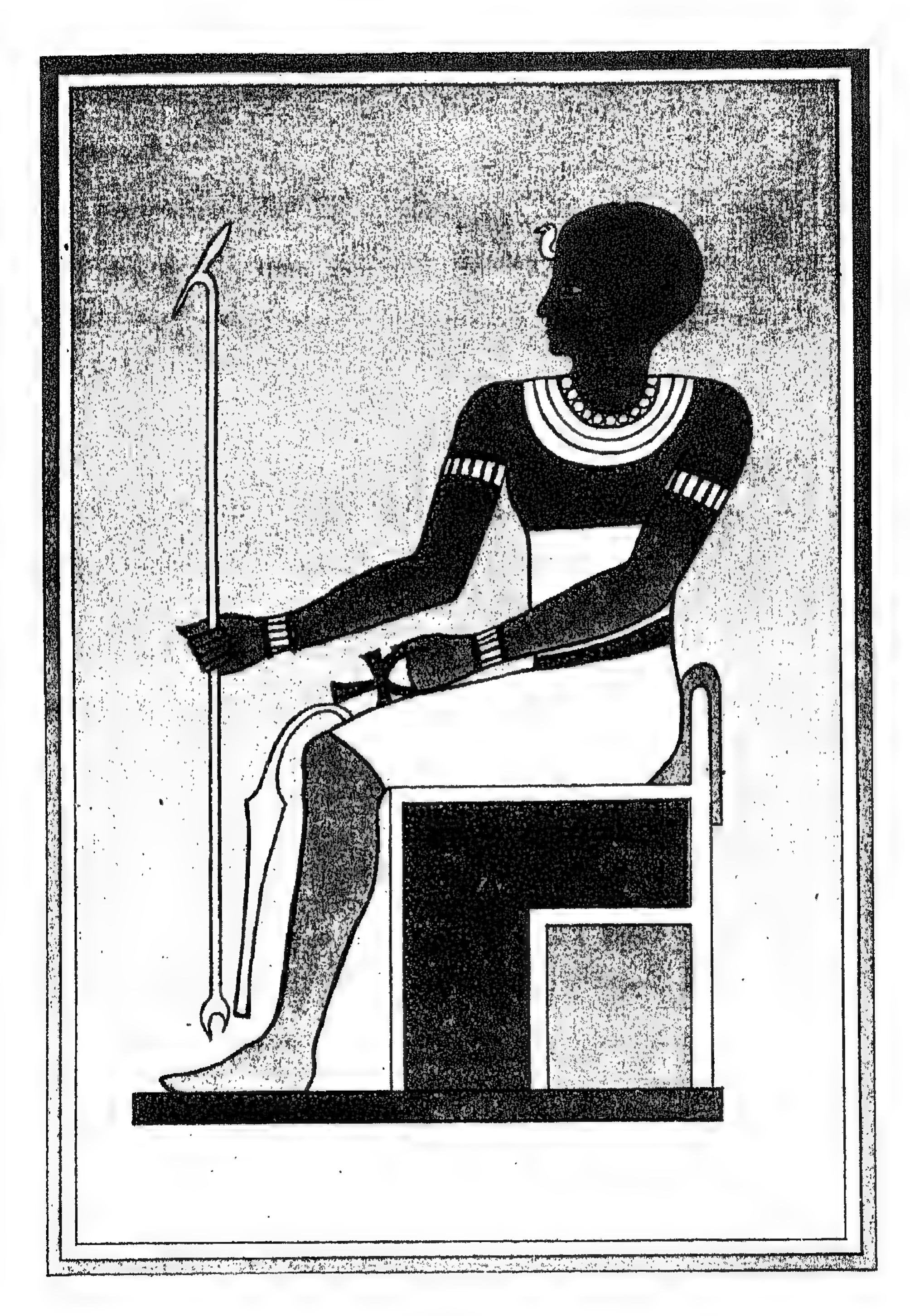
وامينحتب هو الإله الذى أرسل لهؤلاء الذين يعانون ويتألمون النوم وكان واجبه رفع المعاناة عن هؤلاء الذين ابتلوا بأى شكل من أشكال المرض .

وقد كان الإله الطبيب لكل من الآلهة والبشر وهو الذى شفى أجساد الكائنات الفانية خلال حياتها وأشرف على التجهيزات الخاصة بحفظ أجسادها بعد الموت .

وإذا تتبعنا تاريخه منذ البداية فيحتمل أن نجد أنه كان فى الأصل طبيباً ذا مهارة عالية تسبب فى نشر قواعد العلوم الطبية بين المصريين وكان مرتبطاً بمزاولة فن حفظ أجساد الموتى عن طريق العقاقير والتوابل وشرائط الكتان .

وهو بالتأكيد كان إله الطب والسحر وعندما نتذكر ما أعلنه ما نثرMANETHS ـ الذى ثبت صدق أقواله من قرائن عديدة وُجدت فى البرديات ـ « ان الملوك الأوائل فى الامبراطورية القديمة قد أمروا بكتابتها » . بمعنى أنهم قد ـ أمروا بكتابة ـ أعمال عن الطب فيتضح لنا أن عبادة هذا الإله كانت قديمة فى ممفيس منذ العصور الغابرة .

من الاغانى التى كانوا يشدون بها فى معبد أنتوف قال المؤلف : ـ استمعت لكلمات امينحتب ولكلمات حيرو ـ تعتع ـ اف ( ) Heru-tâtâ-f, التى تكررت مراراً وتكراراً ولكن أين مكانها فى أيامنا هذه ؟ .



الإلـه أمينحتب

حوائطهما تم هدمها وأماكنهما لم يعد لها وجود ويبدو كما لو كانا لم يوجدا أبداً. ولم يأت لنا جل ليشرح أى نوع من الكائنات كانا ولم يقل لنا أحد ماذا كانا يملكان».

وحيرو تعتع اف كما نعلم من نصوص تالية كان رجلاً عالماً لدرجة أن حديثه كان يُفهم بصعوبة. ونعلم أيضاً المقام الهام الذى إحتله كرجل عارف بالحروف فى بلاط أبيه خوفو. وكيف أن اسمه قد ارتبط «بالمعرفة» فى فصول معينة من كتاب الموتى.

وعلى هذا المنوال فذكر امينحتب مرتبطاً به يجعل من الصعب ألا نعتقد أنه كان مشهوراً كطبيب بارع وأن أعماله كانت عظيمة لدرجة تصنيفها على نفس مستوى كلمات حيرو ـ تعتع ـ اف.

من الطريقة التى أشير بها إلى هذين الحكيمين العظيمين يتضح أنهما كانا الممثلين المختارين من بين أكثر الرجال علماً وقدرة حتى فى زمن تأليف أغانى أنتوف وأنهما كانا كائنين أسطوريين.

وأمنحتب العضو الثالث فى ثالوث ممفيس لا يوجد أى سبب معقول يجعلنا ننفى كونه الشكل المجسد للطبيب المتميز المرتبط بنظام كهانة رع الذى ازدهر قبل نهاية حكم الأسرة الثالثة.

فالصور والرسوم الخاصة به تظهر أنه كان من البشر وبشكل أدق من أصول محلية ولكن هذا ليس بدليل على سبب احتلاله لمكان نيفر تم فى ممفيس خصوصاً أنه لم يكن ابن بتاح من سيخيت أو باست أو أى شكل آخر لهاتين الربتين.

وعبادة امنحتب كانت أكثر شيوعاً فى سابيت SAIITE خلال العصر البطلسى عنها فى الدولتين القديمة والمتوسطة حيث نجد أن كل تماثيل الإله البرونزية ترجع إلى زمن يدور حول الأسرة الثانية والعشرين.

واللقب الذى مُنح له فى مخطوطات فيلة قد يُمثل فى حقيقته عقائد قديمة فمن غير المعقول أن تكون عبادته قد شاعت وتكونت فى ممفيس خلال أو قبل العصر البطلمى ولم نجد له ذكراً فى نسخة طيبة من كتاب الموتى مثل امينحتب ابن حابو HAPU الحكيم الشهير الذى شُوهد مع الآلهة وتحدث معهم فى زمن مقارب لهذا الزمن .

انتهـــى الجزء الأول

تمت الترجمة خلال الفترة مابين ١٩٨٩/١٠/٢٥ حتى ١٩٩٠/٣/٨

محتويات الكتاب